

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية أصول الدين

قسم: الكتاب والسنة



جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية - قسنطينة

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

القصص القرآني في تفاسير الشيعة الإمامية
في القرن العشرين - دراسة نقدية تحليلية -

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الطور الثالث ل.م.د

تخصص: التفسير وعلوم القرآن

إشراف الأستاذة الدكتورة

حدة سابق

إعداد الطالبة

زماملية حبيبة

الصفة	الجامعة الأصلية	الرتبة	أعضاء المناقشة
رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم - قسنطينة	أ. محاضر - أ	د/رياض عمير اوي
مشرفا ومقررا	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة	أستاذ	أ.د. حدة سابق
عضوا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم - قسنطينة	أ. محاضر - أ	د/فاطمة سوالي
عضوا	جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل	أ. محاضر - أ	د/غنية بوحوش
عضوا	جامعة العربي التبسي - تبسة	أستاذ	أ/د قدور سلاط

السنة الجامعية 1442/1441 هـ - 2021/2020 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأزهر

مكتبة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ

الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هود: ١٢٠

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ

كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ يوسف: ٣

شكر وعرفان

(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا

تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي مَجْدِكَ الصَّالِحِينَ) النمل 19

لك الحمد يارب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك

ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلى أئمة الأئمة الذين قدموا لي يد المساعدة، خلال فترة البحث وفي مقدمتهم الأستاذة الدكتورة الفاضلة حرة سابق- حفظها الله: التي لم ترخر جهدا في مساعدتي ولم تبخل علي بتوجيهاتها وإرشاداتها ونصائحها القيمة والتي ساهمت كثيرا في انجاز هذا العمل المتواضع، كما أخص زوجها الفاضل الأستاذ الدكتور مختار نصيرة علي حرصه وإعانتته منذ بداية البحث.

واعترافا بالفضل لأهل الفضل أرف شكرًا خاصا لكل أساتذتي بقسم الكتاب والسنة، لما قدموه ويقدموه، وأخص بالذكر الأستاذة الدكتورة رمضان يخلف، الأستاذة الدكتورة حكيمه حفيظي. والأستاذة الدكتورة أبو بكر كافي، الدكتور ثابت عبد العزيز، الأستاذة الدكتورة صالح نعمان ، والدكتور معاشي عبد الرحمن، والدكتور رياض عمير لوي كما لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بشكري وامتناني إلى الأستاذة الفاضلة بالملكة العربية السعودية الدكتورة عبد العزيز الضامر ، وإحية المولى سبحانه وتعالى أن يجعل ما قدمه لي في ميزان حسناته

كما أتوجه بالشكر الخالص لأعضاء لجنة المناقشة على منحهم إيانا جزاء من وقتهم الثمين في مناقشة هذه الرسالة ، وإثرائها بملاحظاتهم القيمة وني الأخير أتوجه بالشكر الجزيل والرحاء الخالص لكل من أمد إلي يد العون من قريب أو بعيد ولو بكلمة على إتمام هذا البحث والله الحمد في الأولى والأخرة الحكيم الخبير.

الباحثة: زماملية حبيبة

الإهداء

- إلى من أسرنى رب عز وجل برهما في حياتهما وبعر مماتهما،
- والريّ الكريمين وإلى كل أفراو أسرتي .
- إلى العاكفين على نشر كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .
- إلى الباحثين عن الحقيقة من الشيعة سواء من المعتزلين أو
الغلاة وهم الأكثرية .
- إلى الذين أعماهم التعصب عن رؤية الحق أو سماعه وخرر بهم
شيوخهم وأقنعوهم بأن هذا هو الوجه الحقيقي للإسلام ومنزه
أهل البيت الكرام - رضي الله عنهم وأرضاهم - بما نشروهم في
كتبهم المعتمدة من أباطيل فأخرجوهم من الدين رأسا .
- إلى المخدوعين من أهل السنة الذين نجح وعاء الشيعة في
خداعهم والتغدير بهم وأوقعوهم بأساليبهم المختلفة .
إلى هؤلاء جميعا أهري بحثي هذا .

الباحثة:

زمايلية حبيبة

تقررة

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، وأشهد أن لا إله إلا الله قص على نبيه أحسن القصص ليثبت فؤاده ويقوي حجته، ويكبت أعداءه وخصومه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحابته الغر الميامين والتابعين لهم ولستنهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

تحتل القصة مكانة سامية في نفوس البشر على اختلاف مشاربهم، وذلك لما لها من أثر بالغ في المتلقي، ولما في أسلوبها من مسaire للفطرة يستوجب الولوع بها والحرص على تحصيلها والانتفاع بها لما لها من مقاصد وتوجيهات وأمثلة تبرز المعاني الدقيقة بعيدة عن الخيال والأسطورة.

ولا ينكر أحد أبدا ما جاء به القصص القرآني من توجيهات دينية لكل ما جاء به الإسلام من مبادئ وعقائد، ولكل ما أنكره الإسلام من خلق وعادات وأراء زائفة وعقائد باطلة، وكل تلك التوجيهات تشكل في مضمونها هدايات القرآن، ولاشك أن هذه الأخيرة هي أساس دعوته وأصل أصوله وعنهما تفرعت آدابه وشرائعه وبها قامت أركان علومه ومعارفه وعلى دعائمها نهضت حكمه وأحكامه، لذا تعدُّ الهداية هي الغاية المنشودة في كتاب الله تعالى إليها المنتهى في تدبر آياته وفهم معانيه وتجليه أسرارها، وهي الثمرة المتوخاة والهدف الأسمى لاستخراج درر وأسرار القرآن بغية الانتهاج بها في حياتنا حتى تتحقق السعادة الدنيوية والأخروية.

لذا اعتبر القصص القرآني من الكنوز الثمينة التي حواها القرآن العظيم، حيث أبرز القصة شخصية ووصفا، وحوارا، ودلالة، إبرازا واضحا ضمن إطار اعتقادي ديني وتوجيهي.

لذلك كانت القصة القرآنية مقصد العديد من الدارسين والباحثين في مجال القرآن الكريم وبالأخص المفسرين له، فاستخرجوا منها العبر والقيم، والهدايات ومختلف التوجيهات.

ولأنّ الباحثين والمفسّرين للقرآن الكريم تختلف مشاربهم ومذاهبهم، لذلك اختلفت توجيهات القصة من مفسّر لآخر ، ومن فرقة لأخرى، فمنهم من أصاب وخدم مقاصد القرآن السامية ومنهم من كان خلاف ذلك

لذا اخترت الشيعة الإمامية محورا لدراستي وذلك لاختاذهم من كتاب الله وسيلة لنشر معتقدتهم واستقطاب الناس من جهة ، ومن جهة ثانية اعتبارهم للقصص القرآني وسيلة دعوية محفزة باعتباره ذو تأثير فعال في المتلقي، لهذا شدني الفضول العلمي للبحث في مسلكهم في تفسير القصص القرآني ، والنظر هل تحققت مقاصد القرآن السامية من خلال تفاسيرهم في القرن العشرين الذي يعتبر عصر التجديد والاجتهاد الفعلي .

عنوان البحث:

جاء الاختيار للكتابة في هذا الموضوع، قصد تتبّع لنماذج من القصص القرآني في تفاسير الشيعة في القرن العشرين، ولقد جُذبت أن يكون العنوان : القصص القرآني في تفاسير الشيعة الإمامية في القرن العشرين – دراسة نقدية تحليلية

الإشكالية:

إذا كانت القصة القرآنية وسيلة من وسائل القرآن الكريم في الدعوة والجدال، والتربية والتوجيه

فهل تعاملت الشيعة الإمامية مع القصص القرآني بما يكشف عمّا فيه من نواح إعجازية وتربوية ؟ والذي يتفرع عنه مجموعة من التساؤلات هي: ما هو مسلك الشيعة الإمامية في تناول القصص القرآني؟ وماهي مواردهم التفسيرية في ذلك؟

- وهل وُفق مفسرو الشيعة الإمامية في معالجتهم للقصص القرآني بالشكل الذي يتناسب مع الغرض الذي سبقت له القصة القرآنية ؟

— ماهي السمة والصبغة البارزة على تفاسير القرن العشرين هل حققت مقاصد القرآن السامية ؟

-هل اعتمد مفسرو الشيعة الإمامية في مواردهم التفسيرية للقصص القرآني على تفاسير أهل السنة والجماعة؟

-ماهي معالم القصة القرآنية من خلال تفاسير الإمامية في القرن العشرين؟

مصطلحات البحث

إنّ هذا البحث لا يخلو من المصطلحات، وإنّ أبرز ما يمكن أن يظهر من خلال هذه الدراسة:
أولاً: **قصص القرآن**: هذا المصطلح يقصد به تتبع آثار وأخبار الأمم الماضية، وإيراد مواقفهم، وأعمالهم وبخاصة مع رسلهم، مع إظهار آثار الدعوات فيهم، وذلك بأسلوب حسن جميل مع التركيز على مواطن العبرة والعظة.

ثانياً: **التفسير**: هو علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج حكمه وأحكامه

ثالثاً: **الشيعة الإمامية**: سميت بالإمامية و بالاثني عشرية: نسبة إلى الأئمة الاثني عشر من أهل البيت وهم: الإمام عليّ بن أبي طالب، الحسن بن عليّ، الحسين بن عليّ، عليّ بن الحسين زين العابدين، محمد بن عليّ الباقر، جعفر بن، محمد الصادق، موسى بن جعفر الكاظم، عليّ بن موسى الرضا، محمد بن عليّ الجواد، عليّ بن محمد الهادي، الحسن بن عليّ العسكري، محمد بن الحسن المهدي المنتظر.

رابعاً: **تفاسير الشيعة الإمامية في القرن العشرين**: هي تلك المؤلفات عنيبت بتفسير كتاب الله تعالى في الفترة الممتدة من 1317- 1400هـ الموافق لـ: 1901- حتى 2000م، والتي سأتناولها بالدراسة في الجانب التطبيقي من رسالتي .

أسباب اختيار الموضوع:

اخترت القصص القرآني في تفاسير الشيعة الإمامية في القرن العشرين " عنواناً لموضوع رسالتي لنيل درجة الدكتوراه؛ لأسباب عديدة منها:

- توجيه الأذهان إلى الحق والتحذير من المنحرف وتقويم المعوج وتعديله، فما تزال الجادة فيه رطبة وما زالت الأغصان منه لينة.

- إنّ ما اختص به هذا القرن من بين القرون السالفة كلّها، هو سهولة نشر المؤلفات وعرضها على الناس في وقت قصير مما كان له الأثر في كثرة المؤلفات وسرعة انتشارها بين الناس، فكانت دراسة هذه التفاسير وعرضها أولى من غيرها نظراً للحاجة إلى ذلك.

- أحببت أن ينالني بعض الأجر من الله رب العالمين بالذبح عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.
- إن هذا الموضوع لم يسبق بحثه - فيما أعلم -؛ لذلك فإن الكتابة فيه تعد إضافة جديدة في البحث العلمي، وإثراء للمكتبة الإسلامية.
- ازدياد خطر طائفة الشيعة الإمامية - خاصة بعدما قامت دولتهم بمحاولتهم استدراج الكثير من المسلمين الغافلين بنسختي أنواع الإغراءات إلى معتقد الرفض وغيره من المعتقدات الشيعية الباطلة.
- كون هذه الدراسة نقدية تحليلية، مما يجعل الباحث يتفحص ويطل على الكثير من الكتب والمراجع .
- أن وسائل التفسير لم تكن فيه كما كانت من قبل بالكتابة والتدوين، بل جد فيها وسائل الإعلام الحديثة كالإذاعة والصحافة والندوات والمؤتمرات وغير ذلك، فكانت الحاجة ماسة لوضع المقاييس الصحيحة في أيدي الناس يزنون بها ما يسمعون، وينقدون بها ما يقرءون.

أهمية الموضوع:

- تظهر أهمية هذه الدراسة من خلال ما يلي:
- تتجلى أهمية الدراسة في كونها خادمة لكتاب الله جلّ وعلا ، حيث خصت موضوع تبوأ مكانة كبرى من كليات القرآن ومحاوره ألا وهو محور القصص القرآني
- خُصت هذه الدراسة بتحليل ونقد العديد من كتب التفسير عند الإمامية في القرن العشرين في كيفية معالجتها وتحليلها للقصص القرآنية.
- كون موضوع فرقة الشيعة الإمامية من أهم المواضيع التي مست بالعمق، فهذا أمر يجب العناية به، لأن العقيدة من أسس وقواعد الدين الإسلامي التي لا يمكن السكوت عنها.
- تساعدنا هذه الدراسة الجادة الهادفة في عرض نماذج من القصص القرآني من خلال تفاسير الشيعة الإمامية ومن ثم توجيهها توجيهاً صحيحاً .
- توضيح بعض الإشكالات التي طرحت أثناء الإشكالية والإجابة عنها.
- الرد على الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام بأدلة من الكتاب والسنة .
- الوصول إلى دراسة أكاديمية تثري مجال البحث العلمي.

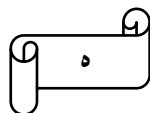
أهداف البحث

- خدمة للقرآن الكريم والقصة القرآنية على وجه أخص.
- استهدفت هذه الدراسة النظر في تفاسير الإمامية، وذلك من خلال تتبع نماذج من القصص القرآني من خلال تفاسيرهم في القرن العشرين.
- دراسة أهم كتب التفسير لدى الشيعة الإمامية في النصف الأول والثاني من القرن العشرين بغية الوقوف على مواردهم التفسيرية للقصص القرآني.
- يسهم في التعريف بتفاسير الشيعة الإمامية في القرن العشرين من خلال عرض ونقد لمسلكهم في تناول القصص القرآني.
- نقد الكثير من الخرافات والأباطيل التي علقتم بالقصص القرآني، والتي أفرغت القصة من محتواها ، ومن ثم توجيهها صحيحا خدمة لمقاصد القرآن السامية.
- بيان مسلك مفسري الشيعة الإمامية في معالجة القصص القرآنية، مع النظر هل حققت الهدف الذي سبقت من أجله.
- تدوين أهم الأسس الواجب إتباعها في التعامل مع القصة القرآنية للوصول إلى المنهج الأمثل في دراستها من أجل محافظة على أغراضها وفوائدها التي سبقت لها.

الدراسات السابقة:

لقد تعددت وتنوعت الدراسات حول القصص القرآني لأهميته ولصلته الوثيقة بواقع الناس، فهو يبين لنا أحوال الأمم الغابرة، يعتبر من أهم الوسائل الدعوية المحفزة ذات التأثير الفعال على الأفراد عن طريق عنصر التشويق، كما تعددت وتنوعت الدراسات الخاصة بالشيعة وتاريخ ظهورها وأصولها العقديّة، إلا أنني لم أقف على دراسات أكاديمية أو علمية معاصرة، اختصت بدراسة القصص القرآني عند الشيعة الإمامية بشكل مستقل، إلا بعض الدراسات التي تتقاطع مع بحثي في بعض الجزئيات المتناثرة عبر الكتب، وسأقتصر على ذكر أهم هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر:

- ومن الأجدى أن نشير للرسائل الأكاديمية التي قدمت في الجامعة الجزائرية فمنها أطروحة دكتوراه تحت عنوان: مناهج المفسرين في تناول القصص القرآني: للدكتور عبد العزيز ثابت المقدمة بجامعة



الأمير عبد القادر قسنطينة والمناقشة سنة 2013م، تناول فيها الباحث جميع مناهج المفسرين في تناول القصص القرآني على اختلاف مشاربهم، ومن بينهم فرقة الشيعة الإمامية حيث استعنت بها في بداية البحث .

- كما أن هناك دراستين حول منهج الإمامية في التفسير وهما في الأصل رسالتا دكتوراه الأولى: الشيعة الإمامية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم: للدكتور محمد إبراهيم العسال، والثانية: منهج الشيعة الإمامية الاثني عشرية في القرآن الكريم: للدكتور عبد الرحمان النجدي، وقد استفدت منهما في الجانب النظري إثر مناقشتي للنماذج القصصية .

- ومن المهم أيضا ذكر كتاب مهم جدا وهو في الأصل رسالة علمية المعنونة بـ: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد: تقدم بها ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، لنيل درجة الدكتوراه من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد أجزيت هذه الرسالة بمرتبة الشرف الأولى، مع التوصية بطبعتها، وتبادلها بين الجامعات وكان ذلك سنة 2008م.

- كما نذكر كتاب ذا قيمة ترك بصمته في القرن العشرين وهو رسالة دكتوراه بعنوان: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، وقد أفرد فيه فصول مهمة حول التعريف بالشيعة الإمامية وعقائدها ونماذج من المفسرين وطريقتهم في ذلك .

- كتاب وهو في الأصل رسالة دكتوراه المعنون بـ: مع الاثني عشرية في الأصول والفروع - دراسة مقارنة في العقائد للدكتور علي السالوس، وجزى الله صاحبه خير الجزاء حيث استعنت به خاصة في الجانب النظري الخاص بضبط المصطلحات والتعريف بالشيعة وتاريخها وعقائدها .

أما فيما يخص المراجع الخاصة بالقصص القرآني فهي متوفرة جدا ومتنوعة عند الفريقين شيعة وسنة: فمن بين المراجع الشيعية نذكر:

- التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب محمد هادي معرفة باحث إثني عشري ، فلد فيه صاحبه طريقة محمد حسين الذهبي وسار على نفس طريقته ، من خلال عرضه لبعض مؤلفات المفسرين على اختلاف مشاربهم، ولقد استعنت بهذا المؤلف من خلال الوقوف على مسلك مفسري الشيعة الإمامية وطريقتهم في التفسير .

- التمهيد في علوم القرآن: لنفس مؤلف التفسير والمفسرون - محمد هادي معرفة-، يعد أكبر موسوعة كتبت حول علوم القرآن في الآونة الأخيرة، حيث يقع في ستة أجزاء، ويناقش الكتاب الوحي، ونزول القرآن وتاريخه وإعجازه، والقراءات المختلفة له، والناسخ والمنسوخ، ويعد هذا الكتاب موسوعة قرآنية ملأت فراغا كان يشعر بها في أوساط الشيعة .
- القصص القرآني وتاريخ الأنبياء في تفسير الميزان: محمد حسين الطباطبائي، هذا المرجع سهل علي مهمة جمع القصص القرآني من تفسير الميزان محمد حسين الطباطبائي.
- قصص القرآن مقتبس من تفسير الأمثل: لناصر مكارم الشيرازي إعداد: حسين الحسيني، و هذا المرجع سهل علي حصر النماذج القصصية في تفسير الأمثل.
- بالإضافة إلى الكتب الثمانية التي تناولتها في الجانب التطبيقي من رسالتي

أما تفاسير السنة في القصص التي استعنت بها:

- قصص الأنبياء: محمد متولي الشعراوي، استعنت بهذا الكتاب في الجانب التطبيقي إثر مناقشة النماذج القصصية الواردة في كتب الشيعة الإمامية
- مع قصص السابقين في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي عرض فيه صاحبه قصص الأنبياء، ومجموعة من القصص القرآني مثل قصة أصحاب الكهف، وصاحب الجنتين، وقصص الأنبياء بالتفصيل، كما وضع الخطوط العريضة في عدم الأخذ من الإسرائيليات، وقد رجعت إلى هذا الكتاب عند مناقشة النماذج القصصية لدى الإمامية.
- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: لعبد الكريم الخطيب، تناول هذا الكتاب فصولا مهمة حول القصة القرآنية وخصائصها الفنية، و قد وظفت ما جاء فيه في الجانب النظري الخاص بضبط المفاهيم.
- قصص القرآن الكريم: فضل حسن عباس، يشكل هذا الكتاب مادة دسمة لأي باحث في مجال القصص القرآني في الدراسات المعاصرة، وذلك لاهتمام صاحبه بتحقيق كثير من القضايا التي اختلف فيها آراء الباحثين، منها بعض أخبار آدم، وطوفان نوح، وقصص هود وصالح ... وكذلك يمتاز الكتاب بالتوسع في رد بعض الشبهات والآراء، كالنظريات التي افترت بها بعض الناس.

كما جاء في هذا الكتاب بعض قضايا الإعجاز في القصة القرآنية ليجمع القارئ بين متعة النفس والروح وامتعة الفكر، مع تفسير الكلمات والعبارات التي تحتاج إلى تفسير، والتنبيه على الربط بين القصة القرآنية، وواقعنا المعيش، لاستنباط الدروس العلمية من القصص القرآني، وعليه لقد استعنت به في بعض المباحث النظرية والتطبيقية من بحثي.

- بحوث في قصص القرآن: عبد الحافظ عبد ربه هذا الكتاب تناول فيه صاحبه عدة محاور منها جماليات وحقيقة القصص القرآني، كما تطرق للمقاصد والأغراض من القصص القرآني، والتكرار والحكمة منه وغيرها، مع سرد بعض الدلالات النفسية لبعض النماذج القصصية، وعليه جاءت استفادتي منه عبر هذه المحاور المهمة.

- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله - عزّ وجل - عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، يعتبر من بين الكتب التي حفلت بها المكتبة القرآنية، يعتبر كتاب فريد في بابه، مميز في صياغة مادته، وترتيب موضوعاته، وقد بذل المؤلف في كتابه هذا جهدا مشكورا عليه لجمع ما أمكن من قواعد تدبر كتاب الله، وقد تضمن كتابه قواعد ذم المفسرين.

-مدخل إلى القرآن الكريم: محمد عبد الله دراز، يعتبر صاحبه من المحددين في القرن العشرين، يشكل مادة دسمة لباحثي العلوم القرآنية، وهو من منشورات دار العلم، مايميز هذا الكتاب أن مؤلفه في طرحه للمواضيع جاء بشكل متناسق والاجابات تخاطب العقل وتقنعه، وقد استعنت به إثر مناقشة بعض النماذج القصصية .

منهج البحث:

- إنَّ البحث في مسلك مفسري الشيعة الإمامية في القرن العشرين في تناول القصص القرآني يقتضي تتبع المنهج القائم على تتبع المنهج القائم على تقصي طرائق مفسريهم في كتبهم وجمع النماذج القصصية للوقوف على مسلك كل مفسر في تناول القصص القرآني وهذا ما يعرف بالمنهج الاستقرائي.
- كما تقتضي هذه الدراسة المنهج التحليلي النقدي لبيان بعض المآخذ الواردة في تفاسير الإمامية في النصف الأول والثاني من القرن العشرين.

منهجية البحث :

وأما عن منهجية في هذا البحث، فيتلخص فيما يلي:

- 1- حاولت في هذه الرسالة استقصاء معظم القصص القرآني، وذلك من خلال تفاسيرهم المعتمدة في الفترة الممتدة من 1901م إلى 2000م.
- 2- لقد تبعت في تصنيف وترتيب التفاسير في الباب الثاني والثالث والذنان يمثلان الجانب التطبيقي من رسالي بالنظر إلى تاريخ التأليف لا إلى سنة الوفاة، لأنه يوجد من المفسرين لا يزال على قيد الحياة حتى بعد القرن العشرين الذي ينتهي سنة 1420هـ الموافق: 2000م.
- 3- قمت بعزو القصص القرآني من مصادر ومراجع الشيعة الإمامية مباشرة، دون اللجوء إلى الوسطة.
- 4- قمت بتوثيق المصادر الشيعية التي رجعت إليها في هذه الرسالة من كتب الشيعة أنفسهم الذين أثنوا عليها، وأشادوا بمصنفها.
- 5- قمت بعزو الآيات القرآنية الواردة في الرسالة إلى مواضعها من القرآن الكريم، بذكر السورة، ورقم الآية.
- 6- قمت بتخريج الأحاديث النبوية الواردة في الرسالة من كتب السنة ناقلة حكم العلماء عليها- إن وجد- إذا لم يكن الحديث في الصحيحين كليهما، أما إذا ذكر فيهما أو في واحد منهما فأكتفي بالعزو فقط.
- 7- قمت بالترجمة لبعض الأعلام غير المشهورين والوارد ذكرهم في الرسالة سواء كانوا شيعة أو سنة، بشيء من الاختصار، وذكرت في فهرس الأعلام من وردوا في البحث دون تقييد بالترجمة من عدمها.
- 8- حاولت أن أختم كل مبحث أو مطلب بأهم النتائج المتوصلّة من خلاله، على أن أحييها وأختصرها في خاتمة الدراسة.
- 9- أنهيت البحث بخاتمة سجّلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.
- 10 - ذيلت الرسالة بفهارس فنيّة للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأعلام المترجم لهم، والمصادر الشيعية، والمصادر السنية، وختمتها بفهرس تفصيلي للموضوعات.

11- وفي حال المناقشة والتوجيه الصحيح للقصة القرآنية اكتفيت بمقارعة الحجة بالحجة، والدليل بالدليل محاولةً بذل جهدي للابتعاد عما يشوه أسلوب الرد العلمي.

12- قمت بالرد ومناقشة القصة القرآنية من خلال تفاسير الشيعة الإمامية، بنصوص من الكتاب والسنة، ومن ثم توجيهها توجيهاً صحيحاً علمياً بعيداً عن الذاتية، مع كشف ما في كتبهم من تناقض يبطل معتقداتهم ويجعلها غير صالحة للاستدلال.

خطة البحث :

وأما بالنسبة للخطة التي سرت عليها في رسالتي المعنون لها بـ: القصص القرآني في تفاسير الشيعة الإمامية في القرن العشرين، فقد قسّمت البحث إلى مقدمة، وثلاث أبواب وخاتمة. ذكرت في المقدمة: سبب اختياري للموضوع، ومنهجي في البحث والخطة التي سرت عليها، مع عزو النماذج القصصية من مصادر ومراجع الشيعة الإمامية مباشرة، دون اللجوء إلى الوساطة.

ثم قسّمت البحث إلى ثلاثة أبواب:

أما في الباب الأول: ضبّطت من خلال مفاهيم الدراسة ومصطلحات البحث، وتناولت فيه القصة القرآنية من حيث الماهية والمقصد ثم عرفت بالشيعة الإمامية جذورها التاريخية وأصولها، وبيان أشهر فرقهم، وقد قسّمته إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته ومزايه

الفصل الثاني: مقاصد القصص القرآني

الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجذورها التاريخية، وألقابها

الفصل الرابع: عقائد الشيعة وأثرها في تفاسيرهم في القرن العشرين

أما الباب الثاني والثالث يمثلان الجانب التطبيقي لرسالتي

الباب الثاني: عنوانه بـ: القصص القرآني من خلال تفاسير الشيعة الإمامية في النصف

الأول من القرن العشرين

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: بيان السعادة في مقامات العبادة: لمحمد بن حيدر الجنازدي

الفصل الثاني: مواهب الرحمان في تفسير القرآن: لعبد الأعلى الموسوي السبزواري

الفصل الثالث: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: لمحمد بن جواد البلاغي

الفصل الرابع: الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي
الفصل الخامس: البيان في تفسير القرآن: لعبد الله أبو القاسم الخوئي.
أما الباب الثالث عنونته —: القصص القرآني من خلال تفاسير الشيعة الإمامية في
النصف الثاني من القرن العشرين، وفيه خمسة فصول وهي:
الفصل الأول: تفسير الكاشف: لجواد مغنية
الفصل الثاني: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ل ناصر مكارم الشيرازي
الفصل الثالث: من وحي القرآن: لمحمد حسين فضل الله
الفصل الرابع: من هدى القرآن —: تقي الدين المدرسي
الفصل الخامس: تسنيم في تفسير القرآن: لعبد الله الجواد الأملي
و في الأخير خاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الباب الأول:

ضبط مفاهيم الدراسة وتحديد مصطلحات البحث

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته ومزاياه

الفصل الثاني: مقاصد القصص القرآني

الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها جذورها التاريخية،
والتقابها

الفصل الرابع: أصول وعقائد الشيعة الإمامية وأثرها على
تفاسيرهم في القرن العشرين

الفصل الأول:
القصص القرآني ماهيته ومزاياه

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: القصة في لغة العرب

المبحث الثاني: القصة القرآنية في الاصطلاح

المبحث الثالث: مزايا القصص القرآني

الباب الأول:.....الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته وزياده

تعتبر القصة من أفضل أساليب التربية وعامل مهم لجلب انتباه المستمعين، فهي أسلوب تربوي تعليمي، ناجح سلكه المربون والمصلحون والأدباء والمعلمون في كل زمان ومكان قديما وحديثا، وإذا كان لزاما في تعريف القصة أن نحيط بمفاهيمها اللغوية كمدخل إلى معناها الاصطلاحي أولا والذي يحدد بدوره المقصود بصورة كافية وافية.

المبحث الأول: القصة في لغة العرب

مأخوذ من الجذر الثلاثي قصص وقد أشار إلى معناها ابن منظور (ت711هـ) في اللسان بقوله: الْقَصُّ فِعْلُ الْقَاصِّ إِذَا قَصَّ الْقِصَصَ، وَالْقِصَّةُ مَعْرُوفَةٌ. وَيُقَالُ: فِي رَأْسِهِ قِصَّةٌ يَعْنِي الْجُمْلَةَ مِنَ الْكَلَامِ، وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقِصَصِ ﴾¹؛ أَي بُيِّنَ لَكَ أَحْسَنَ الْبَيَانِ.

وَالْقَاصُّ: الَّذِي يَأْتِي بِالْقِصَّةِ مِنْ فَصَّهَا. وَيُقَالُ: قَصَصْتُ الشَّيْءَ إِذَا تَبَعْتُ أَثْرَهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾²؛ أَي اتَّبِعِي أَثْرَهُ.

وَالْقِصَّةُ: الْخَبْرُ وَهُوَ الْقِصَصُ. وَقَصَّ عَلَيَّ خَبْرَهُ يَقْصُهُ قِصًّا وَقِصَصًا: أَوْرَدَهُ. وَالْقِصَصُ: الْخَبْرُ الْمَقْصُوصُ، بِالْفَتْحِ، وَوَضِعَ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ حَتَّى صَارَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ. وَالْقِصَصُ، بِكَسْرِ الْقَافِ: جَمْعُ الْقِصَّةِ الَّتِي تُكْتَبُ.

وَتَقَصَّصَ كَلَامَهُ: حَفِظَهُ. وَتَقَصَّصَ الْخَبَرَ: تَبَعَهُ. وَالْقِصَّةُ: الْأَمْرُ وَالْحَدِيثُ. وَاقْتَصَّصَتْ الْحَدِيثَ: رَوَيْتَهُ عَلَيَّ وَجْهَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْخَبَرَ قِصَصًا، وَفِي حَدِيثِ الرَّوْيَا عَنْ وَكَيْعِ بْنِ عَدَسٍ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّوْيَا عَلَى طَائِرٍ مَا لَمْ تَعْبُرْ إِذَا عَبَرْتَ رَفَعْتَ" وَالرَّوْيَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ، قَالَ: وَأَحْسَبُهُ قَالَ: لَا يَقْصِهَا إِلَّا عَلِيُّ وَادُ الَّذِي رَأَيْتُ³ أَي لَا يَحْدُثُ بِهَا.⁴

وَالْقَاصُّ: الَّذِي يَأْتِي بِالْقِصَّةِ عَلَيَّ وَجْهَهَا كَأَنَّهُ يَتَّبِعُ مَعَانِيهَا وَأَلْفَاطَهَا... وَالْقَصُّ: هُوَ التَّبَعُ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الْقَصُّ إِتْبَاعُ الْأَثْرِ. وَيُقَالُ: خَرَجَ فُلَانٌ قِصَصًا فِي أَثْرِ فُلَانٍ وَقِصًّا، وَذَلِكَ إِذَا اقْتَصَّ أَثْرَهُ. وَقِيلَ: الْقَاصُّ يَقْصُ الْقِصَصَ لِإِتْبَاعِهِ خَبْرًا بَعْدَ خَبْرٍ وَسَوْفَهُ الْكَلَامَ سَوْفًا.⁵

¹ سورة يوسف: الآية 3.

² سورة القصص: الآية 11.

³ أخرجه: أبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء في الرويا، حديث رقم: 5020، ج4/ص305. / ابن ماجه، السنن كتاب تعبير

الرويا باب: الرويا إذا عبرت وقعت فلا يقصها إلا على واد، حديث رقم: 3914، ج2، ص 1288

⁴ ينظر لسان العرب: ابن منظور، الناشر: دار صادر - الطبعة الأولى بيروت، ج 7، ص73.

⁵ ينظر: المصدر نفسه: لسان العرب: ابن منظور الناشر: دار صادر - الطبعة الأولى بيروت، ج7 ص73.

الباب الأول:..... الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته وزياده

وأما صاحب القاموس المحيط: فزاد على تفسير ابن منظور فقال: « قَصَّ أَثْرَهُ قَصًّا وَقَصِيصًا: تَبَّعَهُ، وَالخَبَرَ: أَعْلَمَهُ. ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾، أي: رَجَعَا مِنَ الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَاهُ يُقْصَانِ الأثرَ ﴿مَنْ نَقَضَ عَلَيْهِ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾: نُبِّئُ لَكَ أَحْسَنَ البَيَانِ. والقاصُّ: مَنْ يَأْتِي بالقِصَّةِ. قَصَّ أَثْرَهُ، يُقْصُهُ قَصًّا وَقَصِيصًا، هَكَذَا فِي النُّسخِ، وَصَوَابُهُ قَصًّا»¹

وصاحب التاج أضاف قاتلا القصة بمعنى: تتبع الأثر والإخبار والإعلام، والبيان، وسوق الخبر جزءا جزءا بعد آخر. ²... و«نهى رسول الله ﷺ عن تقصيص القبور»³

جاء في الصحاح: ق ص ص: (قَصَّ) أَثْرَهُ تَبَّعَهُ مِنْ بَابِ رَدٍّ وَ(قَصَصًا)... وَكَذَا (اِقْتَصَّ) أَثْرَهُ وَ(تَقَصَّصَ) أَثْرَهُ... وَ(الْقِصَصُ) بِالْكَسْرِ جَمْعُ (القِصَّةِ) الَّتِي تُكْتَبُ. وَ(القِصَاصُ) القَوْدُ وَقَدْ (أَقَصَّ) الأَمِيرُ فُلَانًا مِنْ فُلَانٍ إِذَا (اِقْتَصَّ) لَهُ مِنْهُ فَجَرَحَهُ مِثْلَ جَرَحِهِ أَوْ قَتَلَهُ قَوْدًا.⁴

وفي التهذيب: القص اتباع الأثر ويقال خرج فلان قصصا في أثر فلان وقصا وذلك إذا اقتص أثره وفي قوله تعالى ﴿قالت لأخته قصيه﴾ أي تتبعي أثره، وقيل الفعل تتبع الأثر شيئا بعد شيء، ومنهم من خص في القص تتبع الأثر بالليل والصحيح في أي وقت كان.

من خلال إمعان النظر في المعاني اللغوية للقصصة نخلص إلى أنها وردت بعدة معاني وهي:

- بمعنى الأمر والحديث والخبر والمتتبع ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا

اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁵ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ

¹ القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط8، 1426 هـ - 2005 م، ج1، ص627.

² تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، دط، ج18، ص106.

³ المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1 - 1412 هـ، ج1، ص67

⁴ مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5، 1420 هـ / 1999 م ج1، ص560

⁵ سورة آل عمران: الآية 62.

1 ﴿ فَلَاقُوا الظَّالِمِينَ ﴾¹ ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعَلْمٍ وَّمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾²

-معنى البيان والإعلام ومنه قوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا

الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾³

-معنى المتابعة والتتبع للأثر ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّبِي فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنِ جُنُبٍ وَهَمَّ لَا

يَشْعُرُونَ ﴾⁴ ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾⁵ وعلى هذا فإن معنى

القصة عند أقطاب التفسير اللغوي لها قواسم مشتركة في المعنى فهي تدور حول: البيان، تتبع الأثر، الخبر الحديث، الرواية، الإعلام وكلها معان متقاربة.

¹ سورة القصص: الآية 25.

² سورة الأعراف: الآية 7.

³ سورة يوسف: الآية 3.

⁴ سورة القصص: الآية 11.

⁵ سورة الكهف: الآية 64.

المبحث الثاني: القصة القرآنية في الاصطلاح

إذا أردنا أن نوضح مفهوم القصة اصطلاحاً وجب علينا التمييز أولاً بين نوعين من القصة أحدهما أدبي والآخر قرآني وإن تشابها في تسمية القصة إلا أن بينهما اختلافاً كبيراً لما تتمتع به القصة القرآنية من خصائص ومزايا عديدة لا تصل إليها القصة الأدبية بأي حال من الأحوال، بالإضافة إلى وجود مواطن عديدة للاختلاف بينهما، فالقصة الأدبية بعيدة عن القصة القرآنية من حيث الخصائص الفنية والأهداف المترتبة عنها والتي جاءت من أجلها وإن كان في الظاهر لهما قواسم مشتركة من شخصيات عقدة وحوار وهذا ما سأوضحه بشيء من الإيجاز في هذا المطلب.

المطلب الأول: القصة الأدبية

هي الحكاية عن خبر وقع في زمن مضى لا يخلو من بعض عبره مع شيء من التطويل في الأداء. كما عرفها سيد قطب: " على أنها التعبير عن الحياة، بتفاصيلها وجزئياتها كما تمر في الزمن ممثلة في الحوادث الخارجية والمشاعر الداخلية بفرق واحد، هو أن الحياة لا تبدأ من نقطة معينة ولا تنتهي إلى نقطة معينة، ولا يمكن بتر لحظة منها لتبتدئ فيها حادثة ما، بكل ملابتها، أما القصة فتبدأ أو تنتهي في حدود زمنية معينة وتتناول حادثة أو طائفة من الحوادث بين دفتي هذه الحدود".¹

وأما إميل يعقوب عرفها بقوله: " القصة لون من ألوان الأدب القصصي الذي يروي الأخبار على أنواعها ويعرض الأحداث ويسوق الحكايات والنوادر وينسج الأساطير والخرافات طلباً للمتعة والفائدة"²، فالقصة فن من الفنون الأدبية تقوم على سرد مجموعة من الحوادث مستمدة إما من الواقع أو الخيال، أو منهما معا وتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي والقواعد الجمالية"³

كما عرفها صاحب كتاب التعبير الفني في القرآن⁴ "هي عرض لفكرة مرت بخاطر الكاتب أو تسجيل لصورة تأثرت بها مخيلته، أو بسط لعاطفة اختلجت في صدره فأراد أن يعبر عنها بالكلام، ليصل بها إلى أذهان القراء محاولاً أن يكون أثرها في نفوسهم مثل أثرها في نفسه"⁵

¹ النقد الأدبي أصوله ومناهجه: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة ط1990، ص72.

² المعجم المفصل في اللغة والأدب: إميل يعقوب، دط، بيروت دار العلم للملايين، دت، ج2، ص979.

³ ينظر قاموس المصطلحات اللغوية، إميل يعقوب مي شيخان، ط1، بيروت دار الملايين، ط1987، ص317.

⁴ التعبير الفني في القرآن: أمين بكري، دار الشروق - بيروت - ص215.

⁵ وضع بعض النقاد شروطاً وقواعد للقصة الفنية ومن هذه القواعد التي يقررونها كالاتي: أن تكون للقصة وحدة فنية.

- أن يراعى في عرضها جانب التلميح ما أمكن. - أن يكون للقصة هدف ومغزى. - ألا تظهر فيها الموعظة أو الحكمة ظهوراً مباشراً.

الباب الأول:..... الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته ونزايه

المطلب الثاني: القصة في القرآن الكريم

هي الإخبار عن قضية ذات مراحل يتبع بعضها بعضاً،¹ وقيل: هي إنباء من القرآن أو الحاضر المشهود أو خلافه، والمستقبل بإطلاق يتضمن العبر التي تخدم الغرض الديني، وتسمى القصة القرآنية،² وعرفها ابن عاشور بقوله: " هي الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصاً مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم،³ في حين عبد الكريم الخطيب يرى بأن " القصص القرآني كله عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمن.... فهو وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق فيما جاء فيه من أشخاص وأحداث، وما يتصل بالأشخاص والأحداث من أمكنة وأزمنة.. هكذا أطلق القرآن لفظ القصص على ما حدث به من أخبار القرون الأولى في مجال الرسائل السماوية وما كان يقع في محيطها في صراع بين قوى الحق والظلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام."⁴

أما محمد حجازي فعرفها بقوله: "فالاشتقاق اللغوي للقصة يفيد أنها كشف عن آثار مضت وتنقيب عن أحداث نسيها الناس أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد من ذلك هو إعادة عرضها من جديد، لتذكير الناس بها، ولفتحهم إليها، لتكون العبرة والعظة"⁵ ومعنى هذا أن المعنى اللغوي يقصد به البحث عن الآثار وتقصي الأخبار وعليه فإن ما قصه الله علينا فإنما هو من أحوال الأمم الغابرة وهو حقيقة وواقع دون أدنى شك وعرضه القرآن بغية العبرة والعظة.

بينما عرف مناع القطان قصص القرآن بأنها « أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه»⁶

– ألا تخلو من عنصر التشويق. – أن يكون أسلوبها طبيعياً لا هو بالمتهافت، ولا بالبالغ الصعوبة. وهذه الشروط والقواعد لا يمكن أن تطبق على القصة القرآنية لأنها مقاييس بشرية قابلة للخطأ والصواب، فهي ناقصة ولا يمكن أن ترقى إلى كلام الخالق. (ينظر التعبير الفني في القرآن: أمين بكري، دار الشروق - بيروت - ص215)

¹ أصول التفسير: ابن عثيمين، تحقيق: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م، ج1، ص50.

² المصدر السابق: مفردات القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة بيروت لبنان ط1 98م، ص405

³ التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م

ج1 ص64.

⁴ القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، مطبعة السنة المحمدية القاهرة/ط1 1964م/ص41-42

⁵ الوحدة الموضوعية في القرآن: محمد الحجازي، دار الكتب الحديثة القاهرة/طالأولى 1970 /ص289.

⁶ مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ط1982م، مطابع الجمعية العلمية الملكية الأردن، ص300.

الباب الأول:..... الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته وزياده

وعرفت أيضا «هي كل خبر موجود بين دفتي المصحف أخبر به الله تعالى رسوله محمد ﷺ بحوادث الماضي بقصد العبرة والهداية، سواء أكان ذلك بين الرسل وأقوامهم، أم بين الأمم السابقة أفرادا وجماعات»¹

وعرفت كذلك «إخبار الله عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم أفرادا وجماعات من كائنات بشرية، أو غير بشرية، بهدف الهداية والعبرة».²

وخير ما أختتم به هذا المطلب تعريف القصة القرآنية لمريم السباعي: «هي تتبع آثار وأخبار الأمم الماضية، وإيراد مواقفهم، وأعمالهم وبخاصة مع رسلهم، مع إظهار آثار الدعوات فيهم، وذلك بأسلوب حسن جميل مع التركيز على مواطن العبرة والعظة»³

إن هذا التعريف هو بمثابة تعريف توفيقى بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للقصة القرآنية حيث أنه جاء موافقا موافقة تامة للمعنى اللغوي من جهة تتبع الأحداث والأخبار، ومن جهة التعريف فله قواسم مشتركة مع التعاريف السابقة في كون القصص حديث عن الأمم الماضية والنبوات السابقة ووصف أخبار السابقين وأعمالهم.

-وقد تضمن تعريف مريم السباعي عدة نقاط جوهرية أهمها:

أ-تتبع الآثار والأخبار الماضية كما وقعت.

ب-إيراد ما حدث للدعوات والرسل مع هؤلاء الأقوام.

ج- إظهار النتائج التي ظهرت كعاقبة المتقين، وجزاء العصاة.

د- مجيء القصة القرآنية في إطار أسلوب حسن جميل كشأن أسلوب القرآن الكريم كله.

ه- ارتباط القصة بهدف إيرادها وهو الاتعاض، والاعتبار، والتذكر.⁴

¹ معالم القصة في القرآن: محمد خير محمود العدوي، دار العوي، عمان الأردن، ط 1 1988 ص33

² القصص القرآني: بلبول عبد الباسط إبراهيم محمد، دت، جامعة الأزهر القاهرة ص36.

³ ينظر القصة في القرآن الكريم: مريم السباعي، ط1404، دط، ص39.

⁴ بتصرف

المبحث الثالث: مزايا القصص القرآني

يعتبر القرآن الكريم دستور المسلمين ومنهج حياتهم، الموجه لجميع البشرية على اختلاف أجناسها وألوانها، في شتى مناحي الحياة، الزاخر بوسائل وأدوات غايتها تحقيق الأهداف التي دعت إليها التعاليم القرآنية، بأسلوب بليغ وشيق، والقصة القرآنية إحدى هذه الوسائل لها مميزات متعددة نحصرها في العناصر الآتية:

المطلب الأول: الإعجاز اللغوي والبياني

مادة عجز في القاموس المحيط أوردها الفيروز آبادي على النحو التالي: «العجز مؤخر الشيء والجمع أعجاز، وأعجزه الشيء فاته، وأعجز فلانا وجده عاجزا وصيره عاجزا، والتعجيز التثييب والنسبة إلى العجز... ومعجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء للمبالغة وعاجز فلان ذهب فلم يوصل إليه، وفلاناً سابقه فعجزه فسبقه، وإلى ثقة مال إليه. وتعجزت البعير ركبت عجزه»¹.

أما الإعجاز عند أهل الاصطلاح: «فهو الحجة التي يقدمها القرآن إلى خصومه من المشركين ليعجزهم بها»² وعرف الرازي في محصله المعجز بأنه: «أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة»³، واقتضت سنة الله في خلقه أن يؤيد رسله بالآيات التي هي معجزات في مواجهة تحديات الجاحدين الذين ينكرون رسالات الله عنادا واستكبارا، كما يمثل الإعجاز إمداد للمؤمنين على مدى الزمن بطاقات من قوة اليقين ونور البصيرة وثبات القلوب في مواجهة التحديات المادية الهائلة التي يهاجم بها المعاندون⁴.

ويبين الله تعالى في محكم تنزيله أن الإعجاز القرآني دليل قطعي وبرهان يقيني على صدق الوحي وصحة الرسالة قال تعالى: ﴿فَإِلَّا تَرَىٰ سَتَجِدُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ

¹ ينظر القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط 8 1426 هـ - 2005 م، ج 1 ص 515-516.

² الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م، ج 1، ص 75

³ الظاهرة القرآنية: مالك بن نبي، دار الفكر دمشق، ط 2000، ص 60.

⁴ ينظر أسرار التكرار في القرآن: الكرمانلي، ت: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، ص 28

مُسَلِّمُونَ¹

وعرف السيوطي المعجزة بقوله: « اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادهم وقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال إفهامهم ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراهها ذوو البصائر» فعن أبي هريرة — رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»²

قيل إن معناه أن معجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من العصور إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه، وقيل المعنى أن المعجزات الواضحة الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كنافقة صالح وعصا موسى ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا.³

إذا نظرنا إلى آيات القرآن الكريم الدالة على الإعجاز فإننا نجدها كثيرة، رغم أنها اقتصرنا على التحدي على طلب المعارضة. يمثل القرآن لقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾⁴ ثم الإتيان بعشر سور مفتريات، قال تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾⁵ الكثير من الآيات تلفت النظر وبذلك الله تعالى تحدى العرب وكبل ادعائهم وأبطل حيلهم وافتراءاتهم.

والمعجزات في القصص القرآني تناولت الجانب الحسي والعقلي، فخاطب الوجدان والعقل معا،

¹ سورة هود: الآية 14.

² أخرجه البخاري: باب فضائل القرآن، كيف نزل الوحي، ج4، ص 1906، رقم: 4696، وأخرجه مسلم، باب الإيمان: وجوب الإيمان برسالة سيدنا محمد ﷺ ج1، ص134.

³ الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ت: مصطفى ديب البغا، طبعة دار ابن كثير بدمشق 1407هـ، ج2، ص311.

⁴ سورة الإسراء: الآية 88.

⁵ سورة هود: الآية 13.

الباب الأول:.....الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته ومنزلياه

فمن الجانب الحسي مثل معجزة الإسراء والمعراج، وانشقاق القمر وإحياء الموتى... إلخ. أما الإعجاز العقلي في القصص تناول الإخبار عن الغيبات، وقد جرت سنة الله، أن يجعل معجزة كل نبي، من جنس ما اشتهر به قومه.

قال: الباقلاني (ت 403هـ)¹ عن الإعجاز في القرآن الكريم « لو لم تكن سورة واحدة لكفت عن الإعجاز، فكيف بالقرآن ولم لم يكن إلا من حديث من سورة لكفى وأشفى وأقنع... ولو عرفت قدر قصة موسى وحدها من سورة الشعراء، لما طلبت بينة سواها، فهو هنا لا ينظر إلى إعجاز في عدد سورته وإنما يغوص إلى المعنى، ولو كان في آية واحدة إذ يرى فيها ما يكفي من الإعجاز»، أما رأي السكاكي (ت 626 هـ)² فقال في حق كلام رب العزة ما قاله الوليد بن المغيرة: " إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه يعلو وما يعلو، وما هو بكلام البشر فتستغني بذلك عن قرع باب الاستدلال، وأن لا تتجاذبك أيدي الاحتمالات في وجه الإعجاز... اعلم أن قارعي باب الاستدلال بعد الاتفاق على أنه معجز³ مختلفون في وجه الإعجاز⁴.

¹ الباقلاني: هو القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي. (ولد 338هـ - ت 403هـ) فقيه بارع، ومحدث حجة، ومتكلم على مذهب أهل السنة والجماعة وطريقة الأشعري. انتهت إليه رئاسة المالكية بالعراق في عصره. قال أبو بكر الخوارزمي يصف سعة علم أبي بكر الباقلاني: كل مصنف في بغداد، إنما ينقل من كتب الناس إلى تصانيفه، إلا القاضي أبا بكر الباقلاني، فإن صدره يحوي علمه وعلم الناس. له مؤلفات كثيرة، وقد قال ابن كثير في البداية والنهاية: كان الباقلاني لا ينام حتى يكتب عشرين ورقة في كل ليلة مدة طويلة من عمره. ومن هذه المؤلفات الكثيرة التي كتبها الباقلاني: شرح الإبانة؛ شرح الملح؛ الإمامة الكبرى والإمامة الصغرى؛ إعجاز القرآن؛ مناقب الأئمة؛ كتاب في الرد على الباطنية الفاطمية توفي ببغداد. 403هـ. ينظر سير أعلام النبلاء: الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م، ج17، ص19

² السكاكي (555هـ - 626هـ) يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، سراج الدين: عالم بالعربية والادب. مولده ووفاته بخوارزم. من كتبه " مفتاح العلوم - ط " و " رسالة في علم المناظرة - خ " نقلا عن: الأعلام للزركلي.

³ السكاكي رحمه الله دافع عن سر إعجاز القرآن الكريم بكل جرأة وأبطل حجج وبراهين المعاندين وعلى رأسهم النظام المعتزلي الذي تبين نظرية الصرفة والتي مفادها أن الله صرف الناس على أن يأتوا بمثل القرآن كما رد على من يقول " وجه الإعجاز لاشتماله على الغيوب لكنه يستلزم قصر التحدي على السور المشتملة على الغيوب دون ما سواها واللازم بالإجماع أيضا منتف " كذلك رد على " من يقول وجه إعجازه سلامته عن التناقض لكنه يستلزم كون كل كلام إذا سلم من التناقض وبلغ مقدار سورة من السور أن يعد معارضة واللازم بالإجماع وقال في الأخير بعبارة صريحة أن وجه الإعجاز هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة.

⁴ مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر السكاكي، ط 1987، بيروت لبنان، ج1، ص512-513.

الباب الأول:.....الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته ومزايها

وقال عبد القاهر الجرجاني¹ « لقد أعجز القرآن العرب بمزايها ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام، وتذكير وترغيب وترهيب ومع كل حجة برهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أن تأملوه سورة سورة وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكائها، ولفظة ينكر شأها أو يرى أن غيرها كان أصلح هناك أو أشبه... بل وجدوا اتساقا بهر العقول وأعجز الجمهور ونظاما والتقانا وإحكاما لم يدع في نفس بليغ منهم، حتى خرست الألسن²».

المطلب الثاني: العرض التصويري

تنوعت الدراسات القرآنية في دراسة هذه الظاهرة قديما وحديثا فبدأية ركزت على الجانب البياني الذي هو سر الإعجاز، أما الدراسة الحديثة ركزت على الصورة الفنية "العرض التصويري" ومن أقطاب هذه الدراسة: سيد قطب، حيث أفرد كتابا مستقلا في هذا المضمار، فكان أول من لفت الأنظار إلى مثل هذه الظاهرة "الإعجاز أو ما أطلق عليه "التصوير الفني. حيث قال أن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، وهو بهذا يجد أن التصوير هو قاعدة التعبير القرآني.

وهنا تنجلي حكمة الخالق سبحانه وتعالى في العرض الفني للقصة، فمثلا أثناء تصويره للحالات النفسية والمعنوية يكون عرضها بطريقة واضحة للعيان، تُؤثر تأثيرا وجدانيا في المتلقي، فهو لا يعرضها عرضا مجردا بل يعرضها بأسلوب تصويري، يتناول جميع المشاهد والمناظر، فترى القصة كأنها مشهد حي في عرضها لا مجرد حادثة تروى، فتتحرك المشاعر والأحاسيس وتُؤثر تأثيرا وجدانيا وعقليا في القارئ والسامع. فمثلا في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِرِجْمِ

¹ عبد القاهر الجرجاني هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، وُلِدَ وتوفي في جرجان (400 - 471هـ) ويُعد عبد القاهر واحداً من الذين تفخر بهم الحضارة الإسلامية في مجال الدرس اللغوي والبلاغي، من مؤلفاته نظرية النظم، ودلائل الإعجاز، أراد عبد القاهر بكتابه دلائل الإعجاز أن يرد على من كانوا يرجعون إعجاز القرآن إلى الألفاظ، ورفض أن يكون الإعجاز راجعاً إلى المفردات أو حتى معانيها؛ أو جريئها وسهولتها وعدوبتها وعدم ثقلها على الألسنة. كما رفض أن يكون الإعجاز راجعاً إلى الاستعارات أو المحازات أو الفواصل أو الإيجاز، وإنما رد إعجاز القرآن إلى حسن النظم. ومجمل نظريته أنه لا اعتداد بمعاني الكلمات المفردة إن لم تنتظم في سياق تركيبى، يلاحظ المشتغلون بعلم اللغة أن عبد القاهر قد سبق في دلائل الإعجاز الكثيرين من الباحثين الغربيين بعدة قرون في عديد من الأفكار؛ فقد سبق الفيلسوف الإنجليزي جون لوك (JONNE LOOK) في الإشارة إلى عملية الاتصال اللغوي، وسبق العالمين دي سوسير (DE SOUSSIER) وأنطوان ميه (ANTWANE MEIER) في كثير من أصول التحليل اللغوي، وسبق العالم الألماني فنت في أصول مدرسته الرمزية، وسبق العالم الأمريكي تشومسكي (TCHOUMISKER) في الكثير من أصول مدرسته التحليلية التوليدية.

² دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني: ، ت: محمد شاكر، ط 1992، القاهرة، ج1، ص39.

الباب الأول:..... الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته ومنزلياه

رِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أُنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَجْنَبْتَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ¹ فمعنى هذه الآية أن الإنسان لا يعرف ربه إلا في ساعة الحرج والضيق حتى إذا جاءه الفرج نسي ربه، ولم يقل ذلك في كلمات فقط بل تم عرض الأحداث في صورة مشاهدة ملموسة. وطريقة العرض التصويري في هذه الآية كما بينه "سيد قطب" صور كشف عما فيها من جمال في وبين القدرة الفائقة التي تصور بالألفاظ المجردة ما تعجز عن تصويره الريشة الملونة والعدسة الشخصية فقال: « وفي هذا الرخاء الآمن، وفي هذا السرور الشامل، تقع المفاجأة، فتأخذ الغارين الآمنين الفرحين... وتناوحت الفلك واضطربت بمن فيها، ولاطمها الموج وشالها وحطها، ودار بها كالريشة الضائعة في الخضم.. وهؤلاء أهلها في فرع يظنون أن لا مناص، عندئذ فقط، وفي وسط هذا الهول المتلاطم، تتعري فطرتهم مما ألم بها، وتنفض قلوبهم ما ران عليها من تصورات، وتنفض الفطرة الأصيلة السليمة بالتوحيد وإخلاص الدينونة لله دون سواه! وتهدأ العاصفة ويطمئن الموج، وتهدأ الأنفاس اللاهثة، وتسكن القلوب الطائرة، وتصل الفلك آمنة إلى الشاطئ، ويوقن الناس بالحياة، وأرجلهم مستقرة. على اليابسة... هكذا بغتة ومفاجأة! إنه مشهد كامل، لم تفتنا منه حركة ولا خالجة.. مشهد حادث، ولكنه مشهد نفس، ومشهد طبيعة ومشهد نموذج بشري لطائفة كبيرة من الناس في كل جيل.»²

ومن بدائع القرآن الكريم في تجسيم المعنويات قوله تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾³ الكلمة الطيبة هنا التوحيد، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وهي كلمة طيبة يترتب عليها أثر حسن، وأعمال جلييلة النفع، تُثمر الأفعال والأقوال الحسنة، وقد صور القرآن أثرها بصورة شجرة طيبة مثمرة أصلها، والعبادات والمعاملات المشروعة، وقد صور القرآن أثرها بصورة

¹ سورة يونس: الآية 22-23.

² ينظر المرجع السابق في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، دط، ج3، ص 1774-1775

³ سورة إبراهيم: 24-26

الباب الأول:.....الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته وزياده

طيبة مثمرة أصلها ثابت في الأرض وفرعها صاعد إلى السماء.¹ أما نور الدين عتر فعبر عن العرض التصويري للقصة بقوله: « أما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر فيرده شاخصة حاضرة فيها الحياة وفيها الحركة »²

المطلب الثالث: لإيجاز وقوة التأثير.

الإيجاز هو اشتغال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة، وهذا ما نجده في القرآن الكريم وفي قصصه، ويشكل الإيجاز، بوصفه صورة من صور البلاغة القرآنية، سمة من سمات كتاب الله (عز وجل) إذ يتميز النص القرآني عموماً بالتركيز والتكثيف، والوصول إلى جوهر المعنى عبر القول الموجز والإشارة الدالة، لذا فإنّ الفهم الدقيق لمعاني القرآن الكريم يستدعي نظراً ثاقباً وفكراً واعياً لتدبر معانيه وفهم إيجازاته وإشارته، لقد تكلم النبي ﷺ عن هذه الخصيصة، فقال: " بعثت بجوامع الكلم"³، وجوامع الكلم، كما قال الهروي: «يعني به القرآن جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة وكلامه ﷺ كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني»⁴

والإيجاز على ضربين:

الضرب الأول: الإيجاز بالحذف، وهو ما يحذف منه المفرد والجمله؛ لدلالة فحوى الكلام على المحذوف، ولا يكون فيما زاد معناه على لفظه.

الضرب الثاني: ما لا يحذف منه شيء وهو ضربان: أحدهما: ما ساوى لفظه معناه، ويسمى "التقدير"، والآخر: ما زاد معناه على لفظه، ويسمى "القصر".

فأما القسم الأول -الذي هو الإيجاز بالحذف- يتنبه له من غير كبير كلفة في استخراج له مكان المحذوف عنه.

وأما القسم الثاني فإنّ التنبيه له عسر؛ لأنه يحتاج إلى فضل تأمل، وطول فكرة، خفاء ما يستدل عليه، ولا يستنبط ذلك إلا من رسخت قدمه في ممارسة علم البيان، وصار له خليقة ومملكة، والإيجاز بالحذف عجيب الأمر شبيه بالسحر، وذاك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وأما الإيجاز بالقصر، فإنه ينقسم قسمين:

¹ علوم التفسير: عبد الله شحاته، طبعة دار الشروق الأولى 2001م، ص 102.

² علوم القرآن: نور الدين عتر، ط 1993م دمشق، ص 224

³ أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: قول النبي ﷺ نصرت بالرعب مسيرة شهر، ح: 2977، "ج: 4، ص: 54."

⁴ صحيح مسلم: ت محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم الحديث: 523، ج 1، ص 371

الباب الأول:.....الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته ومزايها

أحدهما: ما دل لفظه على احتمالات متعددة، وهذا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها، والآخر: ما يدل لفظه على احتمالات متعددة، ولا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها، لا، بل يستحيل ذلك¹.

والقرآن زاخر بمثل هذه المزايا والسمات البلاغية ومثاله قصة يوسف عليه السلام حيث جاءت في السورة عبر مجموعة من المشاهد، التي ترتبط فيما بينها ترابطاً عضوياً، فالانتقال من موقف إلى آخر في القصة يتم - غالباً - دون رابط سردي، غير أن الارتباط برابط السببية بين المشاهد، يعنى عن السرد المحذوف، ويقوم بدوره، ويخلق في الوقت ذاته حالة من الحركية التعبيرية، وتتجلى ظاهرة الإيجاز في قصة سيدنا يوسف عليه السلام في عنصرين أساسيين هما:

أ/ الإيجاز في اللفظ

ب/ الإيجاز بالحذف

وهذان العنصران متداخلان، متشابكان، لا ينفصل أحدهما عن الآخر، ولذا فإن الحديث عن الإيجاز في القصة يقتضي بالضرورة دراسة هذين العنصرين في سياق واحد.

ومثاله: قضية الرؤيا الوارد في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾² بذكر قضية الرؤيا تبدأ قصة يوسف عليه السلام هكذا دون تمهيد أو مقدمات غالباً ما تحفل بمثلها القصص الأدبية، وفي حذفها هنا، والبدء بذكر قضية الرؤيا إشارة بليغة إلى أنها قضية جوهرية ومحور رئيس في البناء القصصي، وبذلك يكون البدء بذكرها أدعى إلى لفت النظر إليها، والتركيز عليها، وهذا ما لا يكون لو أن ذكرها سبق بتمهيد أو مقدمات!!!

وقول سيدنا يوسف ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ ثم توكيده بـ ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ ليس فيه ما يشير إلى أن ما رآه كان على وجه الحقيقة /من الرؤية/ وذلك من قبيل المعجزة التي لن تكون غريبة على بيت النبوة، أو أنه في المنام /من الرؤيا/ ذلك أن الفعل (رأيت) يصلح في حالتي (الرؤية) و(الرؤيا).

ولكن يأتي قول سيدنا يعقوب ﴿قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ﴾³ إذ لم يقل

¹ ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي بدوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، - القاهرة، ج2، ص217، 219، 260، 280.

² سورة يوسف: الآية 4.

³ سورة يوسف: الآية 5.

الباب الأول:..... الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته ومنزلياه

(رؤيتك) ليدلنا على أن الرؤيا كانت في المنام، ولو ذكر سيدنا يوسف ذلك لكان في قول أبيه تكرر لما سبق ذكره، فكان حذف السابق لدلالة ما سيأتي عليه، وهذه سمة من سمات الأسلوب القصصي في سورة يوسف عليه السلام¹

وأما في قوله تعالى: ﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ (١) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ² هنالك ثلاثة آراء إذا (اقتلوا يوسف _ اطرحوه أرضاً _ القوه في غيابة الجب) ولا تشير الآية الكريمة، إلى الطريقة التي أجمعوا عليها، والقرار الذي توصلوا إليه، بل انتهى الأمر بهم في هذا المجلس حسب ما جاء في الآية عند حدود طرح الآراء والتشااور الذي لم يأت من بعده اتفاق نهائي أو إجماع مطلق، حسب نص الآية... وهذا حذف يثير التساؤل حول ما ينوون فعله³

المطلب الرابع: الجزالة والرقعة

إذا تتبعنا المعاني اللغوية للجزالة نجد أنها تدور حول الشدة والقوة، يقول ابن فارس: "الجيم والزاي واللام أصلان: أحدهما عظم الشيء من الأشياء، والثاني القطع.

فالأول الجزل، وهو ما عظم من الحطب، ثم استعير، فقليل: أجزل في العطاء. ومنه الرأي الجزل، وأما الأصل الآخر فيقول العرب: جزلت الشيء جزلتين، أي قطعتاه قطعتين⁴، جاء في اللسان: «الجزل: الحطب اليابس، وقيل الغليظ، وقيل ما عظم من الحطب ويس ثم كثر استعماله حتى صار كل ما كثر جزلا، والجزالة في الرأي جودته، والجزالة في الكلام قوته وشدته»⁵.

والناظر إلى فواصل هذه الآيات الكريمة، ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ جَاءَتْهُ وَاهِلُهُ جَمْعِيًّا إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَائِبِينَ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ وَإِنَّا لَنُؤْتِيهِمْ مِنْهُمْ مِصْرِينَ وَبِالْبَيْتِ الْأَقْلَقِ لَنَقُولُكَ ⁶ فمع هذا الإيجاز إلى أن معالم القصة اكتملت واتضح معناها، فهي تدل على أن قوم لوط عليه السلام استحقوا العقاب

¹ ينظر الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم: علي بن نايف الشحود، دط، دت، ص 201.

² سورة يوسف: الآية 9-10.

³ ينظر المرجع السابق الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم: علي بن نايف الشحود، دط، دت، ص 202.

⁴ ينظر: معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس ت: عبد السلام محمد هارون، د: الفكر، دط، ت ط: 1399هـ / 1979م، ج 1، ص:

453.

⁵ ينظر: المصدر السابق: لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار صادر - الطبعة الأولى بيروت، ج: 11، ص: 109.

⁶ سورة الصافات: الآية 133-138

الباب الأول:..... الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته ومنزلياه

والنكال، على معاصيهم فنجنا من تلك العقوبة لوطا وابنه ماعدا زوجته كانت من الغابرين، وفي نهاية

القصة، في ﴿ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴾¹ فهذه كلمة قليلة حرفها غزيرة معانيها¹

فالجزل من الألفاظ، قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتْ بِالْيَتِيمَنِ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾²، فتأمل هذه الآيات المضمنة ذكر الحشر على تفاصيل أحواله، وذكر النار والجنة، وانظر هل فيها لفظة إلا وهي سهلة مستعذبة على ما بها من الجزالة، وأما مثال الثاني: وهو الرقيق اللفظ،³ فقوله تعالى في مخاطبة النبي ﷺ: ﴿ وَالضُّحَى وَالْيَلِيلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾⁴

وإذا تتبعنا هذا المصطلح - الجزالة والرقعة - نجد أن الباحثين اصطلمحوا عليها - ائتلاف اللفظ مع المعنى - وذلك عندما يكون اللفظ ملائما للمعنى، فإن كان الموضع موضعا للوعد والبشارة كان اللفظ رقيقا كقوله تعالى ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ هُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾⁵ وقوله تعالى: ﴿ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾⁶ وإذا كان الموضع موضعا للوعيد والندارة كان اللفظ جزلا كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نَرُدُّ وَلَا نَكُذِّبُ يَا أَيُّهَا رَبَّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾⁷ وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾⁸ فألفاظ القرآن الكريم تكون على هذه الصفة، وهذا إنما يدرك بالقريجة الصافية والذوق السليم.

¹ ينظر الجانب الفني في قصص القرآن الكريم: عمر محمد عمر باحاذق، دار المأمون للتراث، ط1، 1994م ص175.

² سورة الزمر الآية: 68-69.

³ ينظر المرجع السابق المثل السائر: ابن الأثير، ت: أحمد الحوفي بدوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، - القاهرة، ج1، ص187.

⁴ سورة الضحى: الآية 3

⁵ سورة التوبة: الآية 21.

⁶ سورة الصف: الآية 13

⁷ سورة الأنعام: الآية 27.

⁸ سورة القصص: الآية 62.

الباب الأول:.....الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته وزياده

ومنّه تناسب الفاصلة مع الكلمات والموضوع، فالقاعدة الأساسية في فواصل الآيات أن فاصلة الآية متوافقة مع كلماتها ومتناسبة مع موضوعها، فأيات البشارة تحتّم بالرحمة، وآيات التهديد تحتّم بالترهيب، وآيات التخويف تحتّم بالرجاء... وهكذا.

ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (١١) ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٢) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾¹ فجيء بالفاصلة: ﴿ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ لأن الفساد والإفساد أمر مشاهد محسوس عند الناس، لكن المنافقين معطلو الحواس والمشاعر، فلا يشعرون بأنهم لا يفسدون. وجيء بالفاصلة التالية: ﴿ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ لأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقاً له.²

المطلب الخامس: التكرار وفوائده في القصص القرآني

يعتبر التكرار من أساليب البلاغة في اللغة العربية لما ينطوي عليه من فوائد في الكلام، فإذا كان كلام البلغاء لا يتكرر عبثاً وإنما لفوائد ومعان جديدة. ولما كان هذا حال كلام العرب، فكلام الله أولى بذلك فإنك لا ترى كلمة أو آية تكررت إلا للحكمة وفائدة، وهذه الظاهرة ملفتة للنظر داعية للتساؤل عن سر هذا الإعجاز البياني والذي دون أدنى شك لم يذكر عبثاً بل لغاية محددة مقصودة وهادفة.

وقد استعمل التكرار في القرآن جرياً على عادة العرب في كلامهم، قال الزركشي (ت 794هـ)³: " وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ظناً أنه لا فائدة له، وليس كذلك، بل هو من محاسنها لا سيما إذا تعلق بعبئه ببعض، وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذا أجمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه، كررته توكيداً، وكأها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه، حيث تقصد الدعاء، وإنما نزل القرآن بلسانهم "⁴.

¹ سورة البقرة: الآية 11-13.

² ينظر الكشف عن حقائق غوامض التزويل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر الزمخشري: دار الكتاب العربي — بيروت، ط: 1407 هـ، ج1، ص65

³ الزركشي هو: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. ت سنة 794 هـ فقيه أصولي، مفسر، شافعي، له تصانيف كثيرة. تركي الأصل مصري المولد والوفاء. (ينظر الأعلام: الزركلي 6 ص 286).

⁴ ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار إحياء الكتب العربية، ط 1 1975، ج3، ص9.

الباب الأول:..... الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته وزياده

وهذا ما أشار إليه فهد الرومي بقوله: «إذا كان الله سبحانه وتعالى يعرض من القصة ما يلائم موضوع السورة فإن هذا يقتضي تكرار عرض القصة في أكثر من سورة سواء كان عرضاً كاملاً أو جزئياً»¹ ولعل من أقدم الذين تعرضوا لقضية التكرار وأوضحوا الحكمة منه ابن قتيبة رحمه الله بقوله: وأما تكرار الأنباء والقصص، فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجوماً في ثلاث وعشرين سنة بفرض بعد فرض، تيسيراً منه على العباد، وتدرجاً لهم إلى كمال دينه، ووعظ بعد وعظ تنبيهاً لهم من سنة الغفلة وشحذاً لقلوبهم بتجدد الموعظة، وناسخ بعد منسوخ، استعباداً لهم، واختباراً لبصائرهم « يقول الله عز وجل: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ۝ ٢ ۝ ﴾

ثم تابع ابن قتيبة قوله فقال: « وكانت وفود العرب ترد على رسول الله ﷺ للإسلام فيقرئهم المسلمون شيئاً من القرآن فيكون ذلك كافياً لهم، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم، فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض، ويلقيها في كل سمع ويشتها في كل قلب»³ وقبل أن أجمل أغراض وفوائد التكرار في القرآن الكريم أسوق نماذج لمختلف صور التكرار أوجزها فيما يلي:

إن التكرار نوع من التأكيد وله مواطن ومواقع متعددة فهو في السور المكية أكثر من السور المدنية، لأن الله عز وجل أعلم بما يتناسب مع حال المخاطب حسب الإطار الزمني والمكاني ويأتي بصور مختلفة منها: تكرار الجمل والآيات، تكرار اللفظ والكلمة، تكرار القصة الواحدة.. الخ

¹ دراسات في علوم القرآن: فهد بن سليمان الرومي، ط2007م، ص609

² سورة الفرقان: الآية 32.

³ تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ط1954م، دار إحياء الكتب العربية، ص179-180.

الباب الأول:.....الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته ومنزلياه

النوع الأول: تكرار الجمل والآيات

مثاله في قوله عز وجل ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ ۖ لَأَيُّ يَوْمٍ أَجَلَتْ ۗ ۝۱۱ ۚ لَيَوْمِ الْفَصْلِ ۗ ۝۱۲ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۗ ۝۱۴ ۚ وَيَلُومِذِ اللَّكْذِبِينَ ۗ ۝۱۵ ۚ أَلَمْ تَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۗ ۝۱۶ ۚ ثُمَّ نَبِّئَهُمُ الْآخِرِينَ ۗ ۝۱۷ ۚ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۗ ۝۱۸ ۚ وَيَلُومِذِ اللَّكْذِبِينَ ۗ ۝۱۹ ۚ 1 هذه الآيات من أولها إلى آخرها تعرض مشهد الدنيا والآخرة وحقائق الكون والنفس ومظاهر الهول والعذاب فيتكرر مقطع ﴿ وَيَلُومِذِ اللَّكْذِبِينَ ۗ ۝۱۹ ۚ ﴾ عشر مرات... فهذا يوقع على النفس تأثيرا حيث نراه يفجأ المكذبين بكذبهم فيفجعهم بمآل أعمالهم، كذلك في سورة القمر فمن أولها إلى آخرها نلاحظ تكرار ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ۗ ۝۲ ۚ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۗ ۝۳ ۚ 3

وهذا فيه دعوة هادئة للتدبر والتفكر بعد أن يعرض عليه حلقة من العذاب الأليم الذي حل بالمكذبين. 4 وفي إعادة الآية: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرِ ۗ ۝۵ ۚ ﴾ تكرر ثلاث مرات فبثلاث مرات حصل التأكيد وقد بينا أنه تعالى ذكر: فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي فِي حكاية نوحٍ للتعظيم وفي حكاية ثمود للبيان وفي حكاية عاد أعادها مرتين للتعظيم والبيان جميعا واعلم أنه تعالى ذكر: فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي فِي ثلاث حكايات أربع مرات فالمرة الواحدة للإنداز، والمرة الثلاث للإذكار، لأن المقصود حصل. 6

وقوله تعالى: ﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ۗ ۝۷ ۚ ﴾ ذكره مرة للبيان وأعادها ثلاثين مرة غير المرة الأولى كما أعاد: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرِ ۗ ۝۳ ۚ ﴾ ثلاث مرات غير المرة الأولى فكان ذكر الآء عشرة أمثال ذكر العذاب إشارة إلى الرحمة 8 التي قال في بيانها ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالْسَيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمْثَالَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۗ ۝۹ ۚ 9

1 سورة الرسائل: الآية 11-19.

2 سورة القمر: الآية 39.

3 سورة القمر: الآية 17.

4 ينظر المرجع السابق في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، دط، ج3، ص6، ص3430.

5 سورة القمر: الآية 16.

6 ينظر مفاتيح الغيب: الفخر الرازي، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000 م ج29، ص313.

7 سورة الرحمن: الآية 13.

8 ينظر المصدر السابق: مفاتيح الغيب: الفخر الرازي، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000 م

ج29، ص313

9 سورة الأنعام: الآية 160.

النوع الثاني: دقة الكلمة القرآنية

ولا أعني بذلك الكلمة القرآنية المفردة، وإنما مكانة الكلمة في النظم القرآني المعجز لأن قيمة المفردات ليست ذاتية وإنما تعود قيمتها إلى مكانها من النظم المعجز الأخاذ، ومعلوم أن التحدي لم يحصل بالكلمة بل أقل ما حصل بسورة. ويظهر الإعجاز اللغوي في الكلمة القرآنية من عدة وجوه:

الأول: الكلمة في القرآن مسوقة في موقعها المناسب لتؤدي المعنى المراد وتتلاءم من الناحية

اللفظية والمعنوية مع ما قبلها وما بعدها خذ مثالا لذلك قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ ﴿وَلِيَالٍ عَشْرٍ﴾ ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ﴾ ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ﴾ فلو استبدلت كلمة الفجر بكلمة الصبح أو كلمة الوتر بكلمة الفرد أو كلمة الحجر بكلمة العقل لاختل حسن نظم الكلمات. فكلمة يسر إثر تأملها نجد أن الياء حذفت منها للانسجام مع كلمة الفجر، عشر، الوتر، الحجر.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾¹ فلو تقدمت كلمة مني على كلمة العظم لاختل النظم في الآيات ولأحسست بما يشبه الكسر في وزن الشعر²

الثاني: أن الكلمة القرآنية مسوقة في موقعها المناسب بحيث تعطي بمدلولها ما تلقيه من ضلال المعنى المراد بكماله وتماه مع ما فيه من إيجاعات، ولو استبدلت بغيرها ما استفيد المعنى المراد. وقد تجد كلمة في القرآن الكريم تعبر عن معنى يعجز البشر عن التعبير عنه إلا بعدة كلمات.

خذ مثالا لذلك، كلمة استقاموا في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾³ فقد جمعت هذه الكلمة الإتيان بالخير كله والبعد عن الشر كله.

ومن أمثلة ذلك أننا لو أردنا بيان فوائد النار في حياة الناس نقول: إنها مما يحتاج إليها في الحضر والسفر وفي طهي الطعام عند الجوع ثم نعم بدفنتها في برد الشتاء القارص⁴. كل هذه المعاني ذلك

عليها كلمة (المقوين) في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ

¹ سورة مريم: الآية 2-4.

² ينظر المرجع السابق: مجلة البحوث الإسلامية: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 238

³ سورة فصلت: الآية 30.

⁴ ينظر المرجع السابق: مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 239.

الباب الأول:..... الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته وزياده

الْمُنشُوتُ ﴿﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمْتَعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿﴾ إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة في هذا النوع.

الثالث: إن هناك بعض الكلمات يظن القارئ أنها مترادفة، فإذا تأملت استعمالها في القرآن رأيت بعضها استعمل في موطن والبعض الآخر في موطن آخر، وفي كل موضع يبلغ التعبير القرآني ذروته في حسن الصياغة ودقة التعبير.

و كمثل لذلك، كلمتي (هامة)، (خاشعة) استعملت في القرآن للدلالة على الأرض قبل نزول المطر وخروج النبات منها، قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْتِقُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْضِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿﴾¹ وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا الْمُجِي الْمَوْقِعُ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿﴾²

قال سيد قطب: « وعند التأمل السريع في هذين السياقين يتبين وجه التناسق في (هامة) و(خاشعة). إن الجو في السياق الأول جو بعث وإحياء وإخراج فمما يتسق معه تصوير الأرض بأنها (هامة) ثم تهتز وتربو، وتنبت من كل زوج بهيج.

وإن الجو في السياق الثاني هو جو عبادة وخشوع وسجود، يتسق معه تصوير الأرض بأنها "خاشعة" فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت..»³

ومن أمثلة ذلك التمام والكمال، فالفرق بينهما أن الإتمام لإزالة نقصان الأصل، والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل، ولذلك كان استعمال كلمة (كاملة) أبلغ من استعمال كلمة (تامة) في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴿﴾ لأن التمام علم من العدد وإنما جاءت كلمة (كاملة) لنفي احتمال نقص في الصفات⁴.

¹ سورة الحج: الآية 5.

² سورة فصلت: الآية 39.

³ ينظر التصوير الفني في القرآن الكريم: سيد قطب، دار الشروق ، ط 1988م ، ص 76-78.

⁴ ينظر معترك الأقران في إعجاز القرآن: السيوطي، تحقيق: محمد علي البجاوي ، دار الفكر العربي - مصر - ج3، ص 605.

الباب الأول:..... الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته وزياراه

ومن ذلك أيضا القعود والجلوس، فالأول يستعمل لما فيه لبث بخلاف الثاني، ولهذا قال تعالى:

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴾¹ إشارة إلى أنه لا زوال لذلك، وقال في آية أخرى:
﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾² لأن مثل هذه
الجلسات لا تحصل إلا في زمن يسير.³

النوع الثالث: تكرار الموضوع الواحد

وهذا النوع ورد بكثرة في القرآن المكي وفيه دعوة لنبذ الشرك وبرائين الجاهلية وتوحيد الله
الواحد القهار وللتكرار في هذا الموضوع حكمة على نفس النبي ﷺ فهو تسلية له لما لقيه الأنبياء من
قبله فكان لابد من التأسي والصبر حتى يصل إلى الهدف المنشود.

والتكرار الموضوعي: يتكرر كثيرا مثل في سورة الأعراف هود الشعراء والمؤمنون وغيرها فترى
أن الموضوع نفسه يتكرر في نفس السور بكيفيات مختلفة، ففي سورة المؤمنون مع رسوله نوح قوله
تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾⁴ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾⁵
فتكرر الموضوع نفسه في سورة الأعراف في قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن
قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^١ قَالَ يَتَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ
مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كذلك عند عرض
القرآن لقصة إبراهيم نجدها في قوله تعالى في سورة الشعراء ﴿ وَأَقْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾^٦ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنكِفِينَ ﴿٨﴾ قَالِ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٩﴾⁷

¹ سورة القمر: الآية 55.

² سورة المجادلة: الآية 2.

³ ينظر المصدر السابق معترك الأقران في إعجاز القرآن: السيوطي، ت: محمد علي الجاوي، دار الفكر العربي، مصر ج3، ص
605.

⁴ سورة الأعراف: الآية 59.

⁵ سورة المؤمنون: الآية 23.

⁶ سورة نوح: الآية 1-4.

⁷ سورة الشعراء: الآية 69-72.

الباب الأول:.....الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته ومنزلياه

النوع الرابع: تكرر القصة الواحدة

ومن أنواع التكرار في القرآن الكريم تكرر قصة الرسول الواحد في عد من سور القرآن الكريم وهذا أمر موجود مع قصة كل رسول ما عدا سورة يوسف حيث وردت قصته مفصلة في السورة التي سميت باسمه، وهذا التكرار لا يكرر كل القصة في كل سورة، وإنما تجدد كل سورة تؤكد على جانب ما وتفصله وتجعل الجوانب الأخرى محافظة على بلاغة القرآن الكريم وتركيزا على الهدف المقصود من كل سورة، وأبرز مثال على هذا النوع من التكرار قصة نوح عليه السلام وخوفهم من إصرارهم وعنادهم على الكفر، ولكن طريقة العرض تختلف من سورة إلى أخرى بل توجد إضافات في سورة تكمل سابقتها، ففي سورة الأعراف نداء نوح إلى قومه فقال: ﴿ فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۚ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾¹ وفي سورة هود: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾² وفي سورة المؤمنون ﴿ فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾³ ويبقى المقصد نفسه الدعوة إلى التوحيد.⁴

النوع الخامس: فائدة التكرار وتناسقه

للتكرار فوائد جمّة أو جزئها فيما يلي:

أولاً: تقرير المعنى وتوكيده، فإن الكلام إذا تكرر تقرر، وقد ظهر هذا الأمر في المواطن التالية:

أ/ في الآيات المسوقة للوعيد والتهديد، كقوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣٢ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣٣ ﴾⁵ وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۝١٨ ﴾⁶

ب/ في الآيات المسوقة في مقام التعظيم والتهويل أو التعجب، كقوله تعالى: ﴿ الْقَارِعَةُ ۝١ ﴾⁷

﴿ وَالْحَاقَّةُ ۝١ ﴾⁸ وقوله تعالى

¹ سورة الأعراف: الآية 59.

² سورة هود: الآية 25.

³ سورة المؤمنون: الآية 23.

⁴ ينظر المرجع السابق القصة في القرآن: مريم السباعي، ط 1404هـ، ج 1، ص 101.

⁵ سورة النكاثر: الآية 3-4.

⁶ سورة الإنفطار: الآية 17-18.

⁷ سورة القارعة: الآية 1-2.

⁸ سورة الحاقة: الآية 1-2.

الباب الأول:..... الفصل الأول: القصص القرآني ماهيته وزياده

ج/ في الآيات المسوقة في التنبيه على ما ينفي التهمة حتى يتلقى الكلام بالقبول، كقوله تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾¹ ﴿ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾²

د/ في الآيات المسوقة في مقام الاتعاض، كقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ وقوله ﴿

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ ﴾

ه/ في الآيات المسوقة في مقام إنعام الله على عباده وبيان قدرته كقوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾

﴿ وَقَوْلِهِ ﴾ ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ وقوله ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾

ثانيا: إذا طال الكلام وحشي تناسي الأول أعيد ثانيا تجديدا لعهدده، كقوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ

النَّارَ الَّتِي تُوْرُونَ ﴾ وقوله تعالى في نفس السورة: ﴿ ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا

فِتْنُوا ثُمَّ جَٰهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾³ وغيرها من الأمثلة كثير.⁴

بيان إعجاز القرآن للعرب فإن من عجز عن الإتيان بالمعنى بصورة واحدة فإنه يعجز من باب

أولى عن الإتيان بالمعنى الواحد بصور وقوالب لفظية غاية في الفصاحة والبيان.

إفادة معنى جديد فإن بعض الآيات تكررت في كتاب الله وفي كل مرة تكون متعلقة بما قبلها،

كقوله تعالى: ﴿ فَإِنِّي آءَاءُ رَبِّكَ مَا تَكْذِبَانِ ﴾ كررت هذه الآية في سورة الرحمن إحدى وثلاثين

مرة، ثمان مرات عقيب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم

فناسب ذكر الآلاء عقيب كل ذلك. ثم تلتها سبع آيات فيها ذكر النار وأهوال يوم القيامة، فحسن

ذكر الآلاء عقيبها لأن في صرف المؤمن عن عذاب النار أكبر نعمة، وبعد هذه السبع ثمان آيات في

وصف الجننتين وأهلها ونعيمهم فيهما فحسن أن يذكر عقيبها نعم الله على المؤمنين أن وفقوا للعمل

الصالح فاستحقوا الجننتين، ثم بعد ذلك ثمان آيات للجننتين اللتين دونهما، ومن استحقها بتوفيق الله

¹ سورة غافر: الآية 38.

² سورة غافر الآية 39.

³ سورة النحل: الآية 110.

⁴ ينظر المصدر السابق البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار إحياء الكتب العربية، ط 1

1975، ج3، ص14-15.

ناسب ذكر نعمة الله عليه.¹

- ونختتم هذا المطلب أهم الفوائد بإيجاز
- بيان أهمية تلك القصة لأن تكرارها يدل على العناية بها.
- تأكيد تلك القصة لتثبيت في قلوب الناس.
- مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها، ولهذا تجد الإيجاز والشدة غالباً فيما أتى من القصص في السور المكية والعكس فيما أتى في السور المدنية.
- بيان بلاغة القرآن في ظهور هذه القصص على هذا الوجه وذاك الوجه على ما تقضيه الحال
- ظهور صدق القرآن، وأنه من عند الله تعالى، حيث تأتي هذه القصص متنوعة بدو تناقض.²

¹ ينظر مجلة البحوث الإسلامية: المؤلف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ص 239

² المرجع السابق: أصول في التفسير: ابن عثيمين، ت: قسم التحقيق المكتبة الإسلامية، الناشر المكتبة الإسلامية، ط 1، 200م ص 52

الفصل الثاني: مقاصد القصص القرآني

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: تصحيح العقائد وإيضاح أسس الدعوة

المبحث الثاني: تثبيت فؤاد النبي ﷺ

المبحث الثالث: تأكيد وحدة الرسالة وصدق الأنبياء

المبحث الرابع: التأسّي والاعتبار

المبحث الخامس: القيمة التاريخية للقصة القرآنية

تمهيد:

مما لا شك فيه أن القصص القرآني مقصده الأسمى، دعوة الناس إلى توحيد الله تعالى، لذا جاءت مقاصده تعريف الناس بالله، هذا الرب العظيم المتكلم بالقرآن جل جلاله، كما يعتبر أحد الأساليب التي حملها القرآن الكريم ليحاج الناس بها وليقطعهم على الجدل والمحاكمة شأنه شأن ما جاء به القرآن الكريم من المناظرة، والاستدلال والتعجيز والوعد والوعيد والتهديد وغيرها سواء أكان ذلك في القصار أو الطوال من سور القرآن الكريم.¹

وعليه فقد وظف القرآن القصص لتحقيق مقاصده، فعدت القصص وسيلة لتحقيق المقاصد العليا للقرآن الكريم، لذلك يمكن القول إن كل ما كان مقصدا للقصص فهو مقصد للقرآن الكريم، فالقصة القرآنية إذن ليست عملاً فنياً مطلقاً مجرداً عن الأغراض التوجيهية، بل سبقت من أجل تحقيق أغراض دينية بحتة فهي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق أغراضه الدينية الربانية، ناهيك أنها إحدى الوسائل لإبلاغ الدعوة الإسلامية وتثبيتها.

وقد تنوعت اجتهادات العلماء في ضبط تلك المقاصد، فنجد أبا حامد الغزالي يحددها بثلاثة أساسية وثلاثة متممة، كالاتي: أما الثلاثة المهمة فهي تعريف المدعو إليه وهو الله تعالى، وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، وتعريف الحال عند الوصول إليه.

وأما الثلاثة المتممة فهي تعريف أحوال السالكين، وحكاية أحوال الجاحدين وكشف فضائهم بالمجادلة والمحااجة على الحق، وتعريف عمارة منازل الطريق وكيفية أخذ الزاد والأهبة والاستعداد والملاحظ لتلك المقاصد يلفى القصص مقصدا من المقاصد، وذلك في المقاصد المتممة وهي أحوال السالكين، وحكاية أحوال الجاحدين.

ونجد المقاصد عند البقاعي ثلاثة هي العقائد والأحكام والقصص، فقال: «مقاصده كلها محصورة في بيان العقائد والأحكام والقصص»، فعّد القصص مقصدا من مقاصد القرآن الكريم.

كما صنف ابن عاشور المقاصد ثمانية، فقال: «لنلم بما الآن بحسب ما بلغ إليه استقرارنا وهي ثمانية أمور: الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح... الثاني: تهذيب الأخلاق... الثالث: التشريع... الرابع: سياسة الأمة... الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم... السادس: التعليم... السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير... الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون

¹ من المكتبة القرآنية: يوسف حسن نوفل، دار الشروق، ط1968، ص181.

الباب الأول:.....الفصل الثاني: مقاصد القصص القرآني

آية دالة على صدق الرسول» وإذا كانت مقاصد القصص في القرآن هي: الهداية والعبرة والرحمة وصدق الرسالة، فهي تخدم المقاصد العليا للقرآن إذ ما في القرآن هداية ورحمة، واعتبار وحجية، فهي تخدم مقصد التوحيد من خلال إبراز حضور القدر في القصص، ولطف الله وعونه وغضبه ولعنته، وجزائه وعقوبته، وتخدم مقصد التزكية ببسط نماذج الكمال البشري الذي بلغ درجة عالية من الزكاة، ونماذج التسفل والتردي"¹

وبهذا يكون القصد من القصص القرآني ليس السرد والرواية، وإنما أخذ المواعظ والعبر، حتى يتبع القارئ سبل الفلاح والرشاد، ويتبعه عن طريق الزيغ والضلال، قال أبو عبيد: " أن القصص التي قصها الله تعالى عن الأمم الماضية وما عاقبهم به ظاهرها الإخبار بملاك الأولين إنما هو حديث حدث به عن قوم، وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعالهم فيحل بهم مثل ما حل بهم."² وقريب من هذا ما ذكره ابن عاشور من "أن من مقاصد القرآن في ذكر القصص الماضية أن يعتبر بها المسلمون في الخير والشر". والتعبير القرآني مع ذلك يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني، ومقاصد القصص جزء من مقاصد القرآن الكريم، وبهذا امتازت القصة القرآنية بمميزات تربوية وفنية، وهي كالآتي:

¹ ينظر مقاصد القصص القرآني: محمد بن داود تمزغين، دط، دت، ج1، ص7

² الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، ت: مصطفى ديب البغا، طبعة دار ابن كثير بدمشق 1407 هـ، ج2، ص486.

المبحث الأول: تصحيح العقائد وإيضاح أسس الدعوة

دعا القرآن الكريم إلى الكثير من المبادئ والمقاصد التي لا تصلح الإنسانية بغيرها والتي من أهمها تصحيح العقائد مع إيضاح أسس الدعوة، فتوضيح العقيدة الصحيحة والدعوة إليها هو أهم الأمور وأكد الواجبات؛ لأنها الأساس الذي تنبني عليه صحة الأعمال وقبولها؛ كان اهتمام الرسل عليهم السلام يتمحور حول إصلاح العقيدة لأنها المحرك الإيماني للإنسان، وعليه جاءت أساليب القرآن في غاية التفنن والإبداع، تلتطفاً في استدعاء الناس إلى التوحيد، وتأليفاً لقلوبهم، ولفناً لأسماعهم وأبصارهم، وإقامة للحجة عليهم بكل الأساليب، وذلك لبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي ما من أمة إلا وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بتوحيد الخالق سبحانه وتعالى والإيمان به واجتناب الطاغوت والكفر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.¹ **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾²، وإن غاية الرسالات السماوية دعوة الناس إلى توحيد الله تعالى وعبادته وتوجيههم للاستخلاف في الأرض بما يعمرها ويحقق التوازن العقدي والتسامح الفكري البشري فكل نبي نادى قومه: **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾³ فالقرآن العظيم من أوله إلى آخره دعوة إلى التوحيد وإنكار للشرك وبيان لحسن عاقبة المشركين في الدارين وقد اعتبر القرآن الشرك أعظم جريمة يقترفها الإنسان.⁴ **قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾⁵ وإن حقيقة الشرك انحطاط بالإنسان من مرتبة السيادة على الكون — كما أراد الله له، إلى مرتبة العبودية والخضوع للمخلوقات، سواء كانت جماداً أو نباتاً، أو حيواناً، أو إنساناً إلى غير ذلك⁶******

قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَجَلْتَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُشَلَّىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ

¹ الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية: علي محمد الصلّابي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، ج1، ص49.

² سورة النحل: الآية36.

³ سورة الأنبياء: الآية25.

⁴ المرجع السابق: لإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية، علي محمد الصلّابي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، ص62.

⁵ سورة النساء: الآية48.

⁶ المرجع السابق: الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية: محمد الصلّابي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، ج1، ص50.

الباب الأول:.....الفصل الثاني: مقاصد القصص القرآني

مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿١﴾
وقد لخص ابن عاشور في مقدمة تفسيره مقاصد القرآن فقال من بين المقاصد الأصلية التي جاء بها القرآن، إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح. وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما، وقد أشار إلى هذا المعنى² قوله تعالى ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ﴾³

¹ سورة الحج: الآية 30-31.

² ينظر التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت -، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م

ج1ص12.

³ سورة هود: الآية 101.

المبحث الثاني: تثبيت فؤاد النبي ﷺ

كما هو معلوم أن الرسول ﷺ بُعث في قوم جفاة شديدي العداوة كما قال تعالى ﴿ لتندر قوم لدا ﴾ وكانوا لا يكادون ينتهون من مكيدة أو حيلة حتى يشرعوا في تدمير أخرى مثلها أو أشد أو أمر فكانت تزيلات القرآن بين الفنية والأخرى تواسيه وتسليه وتشد أزره وعزيمته على تحمل الشدائد والمكاره، فتجديد الوحي يوماً بعد يوم وحالاً بعد حال يمثل لوناً من ألوان الرعاية الإلهية التي تمده بأسباب الثبات والمُضيِّ فيما اختاره الله تعالى له لما فيها أولاً من تجديد الاتصال بالملاء الأعلى... ثم ما هناك بالتذكير بالأسوة والأنبياء السابقين وأحوالهم مع أقوامهم، والمستقرئ لكتاب الله بنظر ثاقب وبحكمة يدرك ذلك¹، وكان لتثبيت قلب الرسول ﷺ صور متعددة منها:

أولاً: إخباره أن ما جرى له من الأذى والتكذيب قد جرى للأنبياء السابقين ولقد قصَّ الله علينا في كتابه الكريم قصصاً كثيرة لأجل العبرة والعظة، والحكمة ولمقصود من وراء ذلك تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتقوية قلبه، وتسليته عما أصابه، وتبشيريه بأن العاقبة له ولأتباعه، وحثهم على الصبر على دين الله عز وجل عن طريق قصص الأنبياء السابقين، فنراه في آيات كثيرة: كقوله الحق²: ﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾³

جاء في تفسير «ابن كثير»: وكل أخبار نقصها عليك، من أنباء الرسل المتقدمين قبلك مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين، ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أسوة⁴.

قال السعدي - رحمه الله - ليطمئن قلبك ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالافتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهد، وكثرة من قام به⁵.

¹ ينظر علوم القرآن الكريم: نور الدين عتر، ط1993م دمشق، ص29.

² ينظر دراسات في علوم القرآن الكريم: فهد الرومي، ط2007م، ص229.

³ سورة هود: الآية 120.

⁴ تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2

1999 ج 4، ص363.

⁵ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحي: مؤسسة

الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000م، ص392.

الباب الأول: الفصل الثاني: مقاصد القصص القرآني

ثانياً: أمر الله تعالى لنبيه ﷺ بالصبر. وإذا ما تأملنا مقدمة القصة القرآنية فإننا نجد أن الخطاب في الغالب يكون موجهاً للنبي عليه الصلاة والسلام باعتباره واجه من قومه أول الأمر عنادا ونفوراً وجفوة وأذى وهو راغب في دعوتهم إلى دين الحق، فاحتاج إلى إمداد رباني للتصدي، ولهذا حشد القرآن بقصص الأنبياء السابقين وما لاقوه من أعدائهم من صنوف العناد والاستكبار والأذى ثم كانت العاقبة لهم بالنصر والتأييد والتمكين، وهو مصير كل من تمسك بدين الله تعالى. فقد كان ﷺ شديد الاهتمام بهداية الناس إلى الحق، قوي الحرص على نجاتهم، عميق الحزن كثير الأسى على انحرافهم، فمن خلاله يوجه الخطاب لعامة المؤمنين، وإلى هذا المعنى يلحح¹ قوله تعالى ﴿ **إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ** ﴾² وقال أيضاً: ﴿ **نَتَلَوُا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾³ جاء في تفسير «السمرقندي» وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ كان المشركون يؤذونهم، فيشككون إلى رسول الله ﷺ، فتزلت هذه السورة في شأنهم لكي يعرفوا ما نزل في بني إسرائيل من فرعون وقومه، ليصبروا كصبرهم وينجيهم، رهم كما أنجى بني إسرائيل من فرعون وقومه⁴. وهذا كقوله: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ** ﴾⁵ وقال تعالى: ﴿ **وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾⁶

ثالثاً: نفيه عن الحزن وذلك أن حبس النفس والتضييق عليها بالهم من أقوى الدواعي لفتورها ويأسها، وبهذا ندرك أن الحكمة من نهي الرسول ﷺ عن الحزن والضيق مما يمكرون لما لهذا أثر في إعاقعة مسار الدعوة ولما في أمره بالصبر ونفيه عن الحزن تجديداً للعزيمة. وكان للقصص القرآني أبلغ الأثر في نفس الرسول ﷺ وذلك بمواساته وإزاحة معاني الغربة والضعف عنه، وقد ثبت الله فؤاد المصطفى عليه الصلاة والسلام في أشد المواقف وأحرجها، فانظر إلى قول أبي بكر فيما حكاه عنه الله تعالى: ﴿ **لَا تَحْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾⁷، وما ذلك إلا من قوة يقينه ووثوقه بنصر الله تعالى مع ما يحيط

¹ ينظر: التيسير في أحاديث التفسير: محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1405 هـ - 1985 م ج3/ص331.

² سورة النحل: الآية 37.

³ سورة القصص: الآية 3.

⁴ تفسير السمرقندي - بحر العلوم - ت: علي محمد معوض، عادل، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1993 م : ج2/ص597.

⁵ سورة البقرة: الآية 214.

⁶ سورة يونس: الآية 56.

⁷ سورة التوبة: الآية 40.

الباب الأول:.....الفصل الثاني: مقاصد القصص القرآني

به من الأعداء، ودعوته إلى الصبر على الأذى تأسياً بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين.

رابعاً: إخباره بأن الله يعصمه من الناس: وذلك أنه إذا علم أن ما جرى للأنبياء السابقين من قبله، وأنهم صبروا فوطن نفسه على الصبر واستمر في الدعوة ولم يصبه الهم والحزن، لكنه خشى أن يقتله قومه قبل أن يتم دعوته وهو الحريص عليهم الرحيم بهم فأخبره المولى بالعصمة في ذلك¹، فقال سبحانه « وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ » قيل: معناه أظهر التبليغ، لأنه كان في أول الإسلام يخفيه خوفاً من المشركين، ثم أمر بإظهاره في هذه الآية، وأعلمه الله أنه يعصمه من الناس. وكان عمر رضي الله عنه أول من أظهر إسلامه وقال: لا نعبد الله سراً² وقال الطبري: " وهذا أمر من الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ، بإبلاغ هؤلاء اليهود والنصارى من أهل الكتابين الذين قصَّ تعالى ذكره قصصهم في هذه السورة، وذكر فيها معانيهم وخبث أديانهم، واجترأهم على ربهم، وتوثبهم على أنبيائهم، وتبدلهم كتابه، وتحريفهم إياه، ورداءة مطاعهم وماكلهم وسائر المشركين غيرهم، ما أنزل عليه فيهم من معانيهم، والإزراء عليهم، والتقصير بهم، والتهجين لهم، وما أمرهم به ونهاهم عنه، وأن لا يُشعر نفسه حذراً منهم أن يُصيبوه في نفسه بمكروه ما قام فيهم بأمر الله، ولا جزعاً من كثرة عددهم وقلة عدد من معه، وأن لا يتقى أحداً في ذات الله، فإن الله تعالى ذكره كافيه كلَّ أحد من خلقه، ودافع عنه مكروه كل من يبغي مكروهه. وأعلمه تعالى ذكره أنه إن قصر عن إبلاغ شيء مما أنزل إليه إليهم، فهو في تركه تبليغ ذلك، وإن قلَّ ما لم يبلغ منه، فهو في عظيم ما ركب بذلك من الذنب بمثلته لو لم يبلغ من تزيله شيئاً".³ فكانت هذه بشرى من أعظم الدوافع لاستمرار الدعوة.⁴

¹ ينظر المرجع السابق: دراسات في علوم القرآن الكريم: فهد الرومي، ط2007م، ص230.

² الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد شمس الدين القرطبي، ت: سمير البخاري: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2003م، ج6، ص242.

³ جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، ت: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة، ط2000/1، ص467.

⁴ ينظر المرجع السابق: دراسات في علوم القرآن الكريم: فهد الرومي، ط2007م، ص230.

المبحث الثالث: تأكيد وحدة الرسالة وصدق الأنبياء

إنّ المتدبر في القصص القرآني يتجلى له أن من أغراضه الأساسية التأكيد على وحدة العقيدة في دعوة الأنبياء، وإثبات أن الدين كله لله سبحانه، وأن الأساس الذي جاء به الأنبياء واحد لا يختلف فيه نبي عن آخر، وكما أن الدين واحد فإن مصدره واحد أيضاً.

ذكر الله تعالى أن قصص القرآن قصص نابع من مشكاة ونور الحق، وهذا يستلزم أن حقيقة دين الرسل واحدة وأصله واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له وطاعته في أمره ونهيه.

و من المقاصد الهامة للقصة القرآنية التنبيه على أن الدين الذي بعث الله به الأنبياء والمرسلين واحد وأن جميع الشرائع المترلة لا تعارض فيها ولا اختلاف، وتحقيقاً لهذا الغرض نجد القرآن الكريم يورد قصص عدد من الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة¹، وكما قال الزرقاني «إن القرآن تفرّوه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، آخذٌ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه، كأنه سبيكة واحدة ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تحاذل، كأنه حلقة مفرغة، أو كأنه سمطٌ وحيد وعقدٌ فريد يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جملة وآياته، وجاء آخره مساوفاً لأوله، وبدا أوله موافياً لآخره»²، وهذا دليل على أنه من لدن حكيم خبير، فدين الأنبياء واحد، وإن تنوعت شرائعهم، فالدين الذي أوحى به إلى محمد ﷺ هو الدين الذي أوحى به إلى نوح وإلى إبراهيم وموسى، وعيسى ووصاهم بإقامته ودعوة الناس إليه وعدم التفريق فيه، وقامت فيه حجة كل رسول على قومه، ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾³

إنّ من جملة ما يهدف إليه القصص القرآني إبراز الصلة الوثيقة بين الإسلام الحنيف وسائر الأديان الإلهية الأخرى التي دعا إليها الرسل والأنبياء، يحتل منها الإسلام مركز الخاتمية التي يجب على الإنسانية الانتهاء إليها ولتظهر الدعوة على أنها ليست بدعاً في تاريخ الرسالات بل هي وطيدة الصلة

¹ الواضح في علوم القرآن: مصطفى ديب البغا، دار الكلم الطيب - دمشق/ط2 1998 م ص184

² مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه: الطبعة الثالث ، ج1، ص53-54.

³ سورة الشورى: الآية 13.

الباب الأول:.....الفصل الثاني: مقاصد القصص القرآني

في أهدافها ومفاهيمها، كما أنها تمثل امتداد لتلك الرسائل الإلهية، وتلك الرسائل تمثل الجذر التاريخي للرسالة الإسلامية فهي رسالة لها امتداد في التاريخ الإنساني، ولها هذا القدر من الأنصار والأتباع والمؤمنين الذين يضحون في سبيلها، ولكن الناس كبر عليهم حقدا وحسدا، أن يؤمنوا بتلك الحقيقة المتحددة فأنكروها، أو فرقوها، وزعموا أن الأديان تتعدد بتعدد الرسل، إن لكل دين أصولا وأتباعا وأخذوا باسم الدين يتسافكون ويتحاربون، والدين منهم برئ والله من ورائهم محيط فالدين لله الواحد، وإنكاره من أحد الأنبياء إنكار له من جميعهم. وقد عرض القرآن كثيرا في مكيه ومدنيه لتقرير الوحدة الدينية، وقرر الإيمان بكل الرسل وكل الكتب في كثير من القصص واضحة جلية.¹

دين الأنبياء هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره، وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك وأهله: قال تعالى عن نوح ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾² وقال عن إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾³ وقال عن موسى ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾⁴ وقال عن عيسى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ﴾⁵ وقد قال تعالى فيمن تقدم من الأنبياء وعن التوراة: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ ءَاسَلُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾⁶ وقال تعالى عن ملكة سبأ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁷

إن صلة الإسلام برسول الله وثيقة كما ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « قال: رسول الله ﷺ أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد». ⁸ إن الإسلام جاء لتجديد وتصحيح انحراف الأديان السابقة وردها إلى

¹ إلى القرآن الكريم: محمود شلتوت، دار الشروق ، دت، ص136.

² سورة يونس: الآية 72.

³ سورة البقرة: الآية 131

⁴ سورة يونس الآية 83.

⁵ سورة المائدة الآية 111.

⁶ سورة المائدة: الآية 44.

⁷ سورة النمل: الآية 44.

⁸ أخرجه: محمد بن إسماعيل البخاري كتاب الأنبياء، باب قول الله: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، رقم 3274 ، ص 849 ،

دار الفكر، 1424 ط 2003م

الباب الأول: الفصل الثاني: مقاصد القصص القرآني

أصولها أصول الإسلام قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾¹ وقال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾² فالعلاقة بين الإسلام والرسالات السماوية علاقة تكامل قال ﷺ مَثَلِي فِي النَّبِيِّنَ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، فَأَحْسَنَهَا، وَأَكْمَلَهَا، وَحَمَلَهَا، وَتَرَكَ مِنْهَا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِالْبِنَاءِ، وَيَعْجَبُونَ مِنْهُ، وَيَقُولُونَ: لَوْ تَمَّ مَوْضِعُ تِلْكَ اللَّبْنَةِ؟ وَأَنَا فِي النَّبِيِّينَ بِمَوْضِعِ تِلْكَ اللَّبْنَةِ³.

فالإسلام هو دين الأنبياء جميعا، وهو الاستسلام لله وحده؛ والاستسلام لله يتضمن عبادته وحده وأن يطاع وحده، وذلك بأن يطاع في كل وقت وحين، فالرسل دينهم واحد، وإن تنوعت الشريعة والمنهاج قال تعالى ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾⁴

إن معرفة جوانب من حياة الرسل والأنبياء الذين يمثلون صفوة البشرية شيء عظيم يسمو بالإنسانية إلى المستوى الكريم ويذكر الدعاة الله بواجبهم في التبليغ قال تعالى ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آقْتَدَهُ ﴾⁵

وتبقى غاية الرسل والرسالات هي دعوة الناس إلى عبادة الله وتوجيههم للاستخلاف في الأرض، فالمصدر والغاية وجهان لعملة واحدة هي الدعوة إلى توحيد الله عزّ وجل والأيمان به.

¹ سورة آل عمران: الآية 19.

² سورة المائدة: الآية 48.

³ أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في فضل النبي ﷺ ج 5/ ص 586 حديث رقم: 3613

3613

⁴ سورة المائدة: الآية 48.

⁵ سورة الأنعام: الآية 90.

المبحث الرابع: التأسي والاعتبار

المقصد الأسمى للقصص القرآني حتى يقتدي المقتدون، ويعتبر المعتبرون، ويلفت أنظارهم إلى ما آلت إليه عاقبة المكذبين، وعصيانهم وتمردهم على أنبياء الله تعالى، فهو يخاطب وجدانهم وعقولهم بالتفكير والتدبر في الديار التي يمرون عليه مصبحين وممسين، ليكون منها الدرس والعبرة والذكرى. جاء ذلك في كثير من الآيات البيّنات في كتاب الله العظيم. ففي أعقاب قصة نوح عليه السلام، وهلاك قومه

المكذّبين بالطوفان، ونجاته ومن آمن معه بالسفينة¹، **﴿ قَالَ تَعَالَى ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مَن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾**² والآيات التي تحت على النظر والتأمل، والدراسة والاعتبار. بمصير الأمم السابقة كثيرة منها قوله تعالى:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾³

قال ابن كثير: « أي فكروا في أنفسكم وانظروا ما أنزل الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوه من العذاب والنكال، والعقوبة في الدنيا مع ما ادخر لهم من العذاب الأليم في الآخرة، وكيف نجّى رسله وعباده المؤمنين»⁴ وقال الفخر الرازي: فإن قيل: ما الفرق بين قوله

﴿ فَانظُرُوا ﴾ وبين قوله: **﴿ ثُمَّ انظُرُوا ﴾** ؟ قلنا: قوله: **﴿ فَانظُرُوا ﴾** يدل على أنه تعالى جعل

النظر سبباً عن السير، فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر، ولا تسيروا سير الغافلين. وأما قوله **﴿ قُلْ سِيرُوا**

فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا ﴾ فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة، وغيرها من المنافع، وإيجاب النظر في

آثار الهالكين، ثم نبه الله تعالى على هذا الفرق بكلمة (ثم) لتباعد ما بين الواجب والمباح، والله أعلم

⁵ وقوله تعالى: **﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ ﴾**⁶

¹ ينظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام: حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي/ عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية/ ط1 1424هـ/ 2004م/ ج1، ص 495.

² سورة العنكبوت: الآية 20

³ سورة الأنعام: الآية 11

⁴ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1999م، ج3، ص243.

⁵ المصدر السابق: مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3- 1420 هـ، ج25، ص105.

⁶ سورة الروم: الآية 42.

الباب الأول:.....الفصل الثاني: مقاصد القصص القرآني

قال ابن جرير الطبري: « يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: سيروا في البلاد فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم، وكذبوا رسله، كيف كان آخر أمرهم، وعاقبة تكذيبهم رسل الله وكفرهم، أنا أهلكتناهم بعذاب منا، وجعلناهم عبرة لمن بعدهم، يقول فعلنا ذلك بهم، لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم»¹.

إن في حث الله تعالى إلى النظر والسير والتدبر في أحوال الأمم السابقة، ليس الغرض منها الدعوة إلى مجرد التنقل والسياحة والترويح عن النفس، وإنما القصد هو التأمل وأخذ الدروس والعبر والاتعاظ بالنواميس الإلهية في الكون، حتى لا يقع اللاحقون فيما وقع فيه السابقون.²

¹ جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، ت: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، عدد الأجزاء: 24، ج 20، ص 110.

² بتصرف

الباب الأول:.....الفصل الثاني: مقاصد القصص القرآني

المبحث الخامس: القيمة التاريخية للقصة القرآنية

مما لا شك فيه أن التاريخ هو الصيرورة الزمنية للإنسان فهل ما قصه الله علينا يعتبر تاريخ؟ عرف ابن خلدون التاريخ بقوله: « هو إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأولى».

أما الإمام السخاوي رحمه الله فقد توسع في تعريف التاريخ من بدء الخليقة وقصص الأنبياء وغير ذلك من أمور الأمم، وأحوال القيامة ومقدماتها، وعليه فإن القرآن الكريم كتاب هداية وليس كتاب علوم ولا تاريخ، بل إن مادة " أرخ " لم تأت في القرآن مطلقاً.

و القصص القرآني حين يتحدث عن وقائع تاريخية إثر نزول الوحي يجرد الواقعة من أبعادها التاريخية " الزمان والمكان والأسماء والأشخاص " ويرتقي بها إلى مستوى الإنسانية لتكون عبرة لجميع البشر على وجه المعمورة.

ومن هنا يتضح ويبرز لنا سمو منهج القصص القرآني، فليست القصة القرآنية مفتعلة ومجهولة. بل حقائق ثابتة تصاغ في صور بديعة حصلت في الأزمنة الماضية وليس هدف القرآن من ذكرها تسلية الناس، بل الهدف هو أخذ العبرة والعظة، لذلك يصف الله سبحانه وتعالى القصة القرآنية بأنها حق وأحسن القصص: ﴿وَأَنْتَ عَلَيهِمْ نَبَأٌ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ﴾، بخلاف القصة البشرية التي تستمد قوتها وأدلة إقناعها من الخيال وترسم أبطال إلى جانب الحق، مركزة حل اهتمامها على الأبعاد التاريخية للقصة من زمان ومكان وأشخاص وأسماء، لغرض شد القارئ، كما تظهر البراعة البيانية لمؤلفها قصد التأثير في المتلقي.¹

القصص القرآني ينفرد بمزايا عن القصص الإنساني، من ذلك أن القصص القرآني هو أصدق القصص: مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾² وقال عز وجل ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾³

فالقصة القرآنية واقعية حقيقية لعدة اعتبارات منها:

• القرآن الكريم مصدره الله تعالى، فالقصة تبعا للقرآن الكريم ولها من الخصائص ما للقرآن

¹ ينظر الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، دار الكلم الطيب - دمشق/ط2 1998 م ص181 وما بعدها.

² سورة النساء: الآية 87

³ سورة آل عمران: الآية 62

الباب الأول:..... الفصل الثاني: مقاصد القصص القرآني

نفسه، وليس للرسول فيها إلا البلاغ ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾¹ فهو أكبر حجة ودليل دامغ أن كل ما جاء فيه من خبر فهو صادق، والصدق يستلزم المطابقة للواقع.

- غاية القصص القرآني واحدة وهي توحيد الله تعالى، ما جاء بين دفتيه عبرة يقتدي بها الناس.
- مطابقة الواقع والصدق وأنها حقيقة لا خيال: الحقيقة أن كل ما جاء في القرآن الكريم من قصص وحقائق وأخبار حقيقة كما أخبر عنها الله تعالى وليس من نسج الخيال لأنه كلام العليم الخبير، والقصص الخيالي يلجأ إليه لعجز عن التصوير أو لعوزه للحقائق، ويلجأ أصحاب الاتجاه الخيالي بأن القصة القرآنية خيالية وذلك للتشكيك في مصدرها واتهام الرسول ﷺ بتأليفها وهذا حسدا من عند أنفسهم. وقد وصف الله تعالى قصص القرآن بقوله تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾² ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ الْقَافِلِينَ ﴾³

● وقد وُصف القرآن الكريم بأنه أحسن، وأنفع القصص، وذلك لقوة تأثيره في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق، علاوة على ذلك، فإن القصص القرآني يمتاز بسمو الغاية، وشريف المقصد، وصدق الكلمة والموضوع، وتحري الحقيقة، بحيث لا يشوبها شائبة من الوهم أو الخيال أو مخالفة الواقع.⁴

● الاختبار للعظة والعبرة: القصة القرآنية مهمتها ليست تسجيل الحدث التاريخي من زاوية تدوينية بحتة وإنما يكون التركيز على مواطن العظة والعبرة وهي تتحقق من غير ذكر للزمان والمكان في أغلب الأحيان، وحتى الأسماء أحيانا كما هو في قصة أصحاب الكهف وصاحب الجنتين وصاحب موسى ﷺ.⁵

● القرآن حجة الله على خلقه جملة وتفصيلا، وإطلاقا وعموما، وهذا يأتي أن يحكى فيه ما ليس بحق ثم لا ينبه عليه، فكل ما ورد فيه على وجه الإخبار فهو حق موافق للواقع.

¹ سورة النجم: الآية 4

² سورة آل عمران: آية 62

³ سورة يوسف: آية 3

⁴ ينظر المرجع السابق: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، دار القلم دمشق، ط3، 2000م ج1، ص 290-300

⁵ ينظر المرجع نفسه: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، دار القلم دمشق، ط3، 2000م، ج1/ص 303.

الباب الأول:.....الفصل الثاني: مقاصد القصص القرآني

هذه الأدلة- وغيرها كثير- حجة و يقين ثابت على أن القصة القرآنية حقيقة تاريخية لا تحوم حولها شبهة. لذلك فقد كانت القصة التاريخية مرجع للعديد من المؤرخين في كل ما ألفوه من أبحاث تاريخية سواء تعلق بوقائع حدثت أثناء نزول الوحي، أو تعلقت بأحوال الأمم الغابرة، وتوصلوا إلى أن القرآن " أصح مصدر عرفه التاريخ في هذا المجال، يشهد بذلك أن الباحثين- على اختلاف مذاهبهم ونحلهم- اعتمدوا القرآن أول وثيقة تاريخية يُتَعَرَفُ بها أحداث الجزيرة العربية وأوضاعها في صدر الإسلام، وإذا كان كذلك فما هو عمدة في حقبة هو عمدة في كل الحقب. ويشهد لذلك أن التاريخ والمؤرخين عاجزون عن أن يأتوا برواية قريبة أو بعيدة تعارض ما جاء به القرآن من أخبار، وإذا ثبت هذا فلا يلتفت إلى الهراء الذي يطلقه البعض، مما لا تقوم عليه أثارة من دليل عقلي أو نقلي، إلا الحقد على الإسلام والكيد لدعوته"¹

وعليه فإن القرآن باعتباره كلام الله تعالى المتزل على محمد ﷺ بلسان عربي مبين فإن التاريخ والسردي التاريخي يستمد قوته من القرآن وليس العكس.. وحسبنا في ذلك قول الله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾²

¹ ينظر الواضح في علوم القرآن: مصطفى ديب البغا، دار الكلم الطيب - دمشق/ط2 1998 م ج1 ص 182.

² سورة يوسف: الآية 111

الفصل الثالث:

الشيعة الإمامية نشأتها وجورها التاريخية وأهم ألقابها.

وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للشيعة الإمامية

المبحث الثاني: نشأة الشيعة الإمامية وجورها التاريخية

المبحث الثالث: الفلسفات القديمة وأثرها على عقيدة

الإمامية

المبحث الرابع: ألقاب الشيعة الإمامية وأهم فرقها

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

يعالج هذا المبحث مدلول كلمة التشيع في لغة العرب مع تتبع أهم التعريفات الاصطلاحية عند مختلف المذاهب، ويتحدث عن نشأة هذه الفرقة وعن أهم الآراء التي أرّخت لظهور فكرة التشيع، وكذا أهم المراحل التي سائرت تشكل المذهب وتطوره. مع تسليط الضوء على أبرز عقائدهم، ولا يخفى على أحد أن نشأة الشيعة والتشيع قد أخذ حظه من الدراسة عند الباحثين خاصة في الدراسات المعاصرة لذلك سأكتفي بعرضه بنوع من الإيجاز. ليعين القارئ على استيعاب موضوع البحث من جميع جوانبه.

المبحث الأول: المفهوم اللغوي والاصطلاحى للشيعة الإمامية

المطلب الأول: مدلول كلمة التشيع في لغة العرب

إن المطلع على مصادر ومعاجم اللغة العربية يتبين له أن لفظ الشيعة ورد بعدة تعريفات منها ما عرفه ابن منظور - رحمه الله - بقوله: «شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره، يقال: شايعه كما يقال: والاه من الولي.. وتشيع الرجل أي: ادعى دعوى الشيعة، وتشايح القوم صاروا شيعاً، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع.. أي بأمثالهم من الأمم الماضية.¹ وقد ذكر ابن فارس أن اللفظ المكون من الشين والياء والعين له أصلان، أحدهما يدل على المعاضدة والمساعدة والآخر على بث وإشادة، ومن الأصل الأول الشيعة أي الأعوان والأنصار.²

يقول ابن دريد فلان من شيع فلان أي ممن يرى رأيه، وشيعت الرجل على الأمر تشييعاً إذا أعتته عليه، وشايحت الرجل على الأمر مشايعة وشياعاً إذا مالته عليه.³ ويقع على الواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث.⁴ وجاء في المصباح المنير: «والشيعة: كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة نبراً - أي وصفاً - لجماعة مخصوصة، والجمع: شيع مثل سدرة وسدر، والأشباع جمع الجمع، وشيعت رمضان بست من شوال أتبعته بها»⁵.

¹ المصدر السابق: لسان العرب: ابن منظور، الناشر: دار صادر - الطبعة الأولى بيروت، مادة شاع، ج 10، ص 55.

² المصدر السابق معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ت عبد السلام محمد هارون، دط، (1399هـ الموافق 1979 م) دار الفكر ج 3 ص 235. وينظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: الفيومي، الناشر المطبعة الميمنية ط 1325هـ، ج 1، ص 329.

³ جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، ط 1، ت رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين ط 1987م ج 2، ص

⁴ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة

الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الغامنة، 1426 هـ - 2005، مادة شاع (47/3)

⁵ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: الفيومي، الناشر المطبعة الميمنية ط 1325هـ، ج 1، ص 329.

الباب الأول..... الفصل الثالث: الشيعة للإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

وكل قوم اجتمعوا على أمر فهو شيعة... وكل من عاون إنسانا وتحزب له فهو له شيعة¹ وقال الأزهري ت 370هـ... "والشيعة قوم يهون هوى عترة² النبي محمد ﷺ ويوالوهم... وشيعت النار إذا ألقيت عليها ماتذكيها به ويقال شيعت فلانا أي خرجت معه لأودعه والشيعة الفرق التي يتبع بعضهم بعضا وليس كلهم متفقين.³

فالشيعة والتشيع والمشايعة من حيث مدلولها اللغوي تعني: المناصرة والمتابعة والموافقة بالرأي والاجتماع على أمر، أو التحزب لشخص، أو أنهم القوم الذين يتبع بعضهم بعضا، وليس كلهم متفقين وهذا ما أضافه الأزهري بقوله عدم وجود الوفاق التام بينهم، ولكن الغالب كما ذكره العلماء والمؤرخون أن الشيعة: هم أتباع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأهل بيته.

وقد وردت هذه المعاني في الكتاب العزيز ففي معنى القوم والأتباع والأنصار قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾⁴ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَدَكِيرٍ﴾⁵، وقوله تعالى: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ﴾⁶، وقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾⁷ وجاء في معنى الفرقة والأحزاب ورد قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾⁸، وقوله تعالى ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾⁹، قال ابن جرير الطبري في تفسير الآية "يعني بالتشيع: الفرق"

¹ — تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، دط، 405/5

² العترة: قال ابن الأثير: "عترة الرجل، أحص أقاربه"، وقال ابن الأعرابي: "العترة، ولد الرجل وذريته، وعقبه من صلبه"، قال فعترة النبي ﷺ ولد فاطمة -رضي الله عنها- قال الخطابي: العترة: ولد الرجل لصلبه، ويكون العترة للأقرباء وبني العمومة، وقيل عترة الرجل أحص أقاربه. وعترة النبي ﷺ بنو عبد المطلب وقيل أهل بيته الأقربون، وهم أولاده وعلي وأولاده. (ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر (ت: الحلبي) من المعاجم والقواميس المؤلف: المبارك بن محمد الجزري بن الاثير مجد الدين أبو السعادات ت: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الناشر: دار ابن الجوزي ج3، ص177)

³ تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 1 2001م، ج3، ص61.

⁴ سورة الصافات: الآية 83.

⁵ سورة القمر: الآية 51

⁶ سورة سبأ: الآية 54

⁷ سورة القصص: الآية 15

⁸ سورة الأنعام: الآية 159

⁹ سورة القصص: الآية 4

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

وقوله تعالى ﴿ **وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَاتِ** وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾¹ وقوله

تعالى ﴿ **وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّريبٍ** ﴾²

المطلب الثاني: مدلول كلمة الشيعة في الاصطلاح

من خلال تتبعنا للفظ الشيعة عند أساطين اللغة وجدناها تدور حول المتابعة والمناصرة، ولقد أصبحت هذه الكلمة مصطلحا في تاريخ الإسلام، وللوقوف على المدلول الصحيح للكلمة يحسن بنا أن نعرض مختلف المذاهب مع مراعاة نسبة كل تعريف إلى طائفته.

الفرع الأول: معنى الشيعة عند أهلها

يمكن القول بأن لفظ التشيع والشيعة قد غلب استخدامه للدلالة على جماعة وطائفة تولت عليا وأهل بيته واعتقدت فيهم الإمامة والعصمة وأن النبي صلى الله عليه وسلم عين عليا ليكون خليفة عنه وأن الخلافة والإمامة لا تكون إلا في عقبه دون غيرهم بالوصية والتعيين وأن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام.

وحول هذا المفهوم تواترت أقوال من كتب الشيعة من داخل المذهب الإمامي ومن خارجه.

أما لفظ الشيعة في الاصطلاح فقد وردت بعدة تعريفات عند علماء الشيعة، منها ما عرفه القمي³ (ت301هـ) بقوله أن لفظ الشيعة تطلق على: "شيعة علي بن أبي طالب"، وفي موضع آخر يقول: "الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمان النبي ﷺ، وبعده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته"⁴. ويوافقه على هذا التعريف النوبختي (ت310هـ)⁵ بقوله: "الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب عليه السلام المسمون شيعة علي عليه السلام في زمن النبي ﷺ وما بعده، معروفون بانقطاعهم إليه، والقول بإمامته، منهم المقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبو ذر جندب

¹ سورة الأنعام: الآية 105

² سورة سبأ: الآية 54.

³ القمي: هو سعد بن عبد الله القمي هو عند الشيعة جليل القدر، واسع الأخبار، له كثير من التصنيف، ثقة. من كتبه: الضياء في الإمامة، ومقالات الإمامية. توفي سنة 301هـ، وقيل 299هـ.

⁴ ينظر: المقالات والفرق: سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري القمي، الناشر مركز انتشارات طهران، ط1982م ص: 15، وفرق الشيعة: النوبختي ص: 18.

⁵ النوبختي: (ت310هـ) — وهو من معاصري الإمام الحسن العسكري، ومن كبار علماء الشيعة — متكلم رافضي فيلسوف ثقة عند الإمامية، كان حسن المعرفة بالنجوم.

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة للإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

بن جنادة الغفاري وعمار بن ياسر، ومن وافق مودّته مودة عليّ وهم أول من سميّ باسم التشيع في هذه الأمة، لأنّ اسم التشيع، عرف قديماً، شيعة إبراهيم، وموسى، وعيسى، والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين¹.

يقول المفيد (ت 413هـ)² في سياق بيانه للفظه التشيع: "التشيع في أصل اللغة الإتيان على وجه التدين والولاء للمتبع،... فأما إذا أدخل فيه علامة التعريف فهو على التخصيص لا محالة لأتباع أمير المؤمنين على سبيل الولاء والاعتقاد بإمامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل ونفي الإمامة عن تقدمه في مقام الخلافة وجعله في الاعتقاد متبوعاً لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء" ثم يضيف المفيد أمراً وهو أن الأصل الذي يستحق به المرء اسم التشيع هو الاعتقاد بإمامة علي رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ يقول: "ويستحق اسم التشيع ويغلب عليه من دان بإمامة أمير المؤمنين ﷺ على حسب ما قدمناه وإن ضم إلى ذلك من الاعتقاد ما ينكره كثير من الشيعة وبآبائه"³

إنّ لفظ الشيعة بعلامة التعريف هو على التخصيص لأتباع أمير المؤمنين على سبيل الولاء والاعتقاد بإمامته بعد الرسول بلا فصل، ونفي الإمامة عن تقدمه في مقام الخلافة، وجعل الاعتقاد متبوعاً لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء، ثم يذكر أنه يدخل في هذا التعريف الإمامية والجارودية⁴ الزيدية⁵، بقوله: " السمة بالتشيع وجبت للإمامية والزيدية الجارودية لانتظامهم بمعناها وحوصلهم على موجبها ولم يخرجوا عنها وإن ضموا إليها وفاقاً بينهم أو خلافاً في أنحاء من

¹ فرق الشيعة: النويحي، ت عبد المنعم الحنفي، ط 1 1992، ص 28.

² المفيد: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الكوفي ولد بإحدى قرى بغداد سنة (336هـ) الملقب بالشيخ المفيد، يعتبر من متكلمي الشيعة الذي انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، له أكثر من 200 مصنف، فإمام الرافضة ولسان الإمامية، قال عنه النجاشي " شيخنا وأستاذنا فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والرواية والكلام والعلم والرواية" (ت 413هـ) ينظر: الأعلام للزركلي، ج 7، ص 21، والفهرست للطوسي، ص 238.

³ أوائل المقالات: المفيد، ت: إبراهيم الأنصاري، الطبعة الثانية 1993م، ص 35

⁴ الجارودية: فرقة من فرق الزيدية وتنسب إلى أبي الجارود زياد بن المنذر الهمداني الأعمى الكوفي. قال عنه أبو حاتم: كان رافضياً، يضع الحديث في مثالب أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم... ومن مقالة الجارودية: أن رسول الله ﷺ نص على علي - رضي الله عنه - بالإشارة والوصف دون التسمية والتعيين، وأن الأمة ضلت وكفرت بصرفها الأمر إلى غيره، ينظر أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، طبعة 1414هـ، ص 36.

⁵ الزيدية: وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وسموا بالزيدية نسبة إليه، وقد افترقوا عن الإمامية حينما سئل زيد عن أبي بكر وعمر فترضى عنهما فرفضه قوم فسموا رافضة.

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

المعتقدات "أما باقي فرق الزيدية فليسوا من الشيعة، ولا تشملهم سمة التشيع"¹.

ولا شك أن هذه التعاريف قاصرة، ذلك أن فيها إغفالا لأصول وتعاليم الشيعة التي استقر عليها المذهب، وكذلك في هذه التعاريف قدر من المغالطات البينة، ومنها دعوى وجود شيعة علي بن أبي طالب في زمن النبي ﷺ وهذه الدعوى تحتاج إلى سند وبرهان أما جواد مغنية ذهب إلى أن الشيعة: "عَلِمَ على مَنْ يُوْمَنُ بأنَّ علياً هو الخليفة بنص النبي ﷺ"² ومن خلال ما سبق ذكره نسجل الملاحظات الآتية:

أولاً: أن شيوخ الشيعة في القديم والحديث (القمي والنوبختي المفيد وجواد مغنية) حصروا التشيع بالإمامة فقط ولم يذكروا الأصول الأساسية في التشيع كالنص، والعصمة، والرجعة وغيرها من أصولهم العقدية، وربما يرجع السبب أنه من باب التقية، أو أن الإيمان بالإمامة عندهم نتيجة حتمية لها تبعات عقدية من عصمة ورجعة وغيرها.

ثانياً: وما يلاحظ على تعريف المفيد للشيعة، أنه سار مسار القمي والنوبختي، إلا أنه ربط التشيع بالاعتقاد متبعاً شيخ الطائفة الطوسي.

ثالثاً: بالنسبة لتعريف النوبختي تعريف لغوي محض حيث حصر التشيع بمعنى المناصرة ولا تبايع أمّا الشيخ المفيد فقد أعطى تعريفاً عاماً لكل من ينتسب إلى التشيع فدخل في تعريفه الزيدية والإمامية والجارودية، وغيرها.

رابعاً: جواد مغنية: يعتبر أن الإيمان بالنص على إمامة علي - رضي الله عنه - هو لباب التشيع عندهم.

والنتيجة المهمة التي أحتتم بها ما ذكره الأستاذ عبد الكريم مقيدش هي: أن مسائل العقائد عند الشيعة الإمامية في تغير مستمر، فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده، وأن القضية بدأت مسألة سياسية اجتهادية، وانتهت بعقيدة شاذة وعدوانية تُكفّر كل المجتمعات الإسلامية، وترد النصوص الدينية، بل توصل بهم الأمر إلى إنكار كل ما نقله الصحابة ومن بعدهم. وبالتالي أصبح مذهبهم في آخر الأمر يجمع كل شذوذ فكري، وانحراف عقائدي³.

¹ أوائل المقالات: المفيد، ت: إبراهيم الأنصاري، الطبعة الثانية 1993م، ص 34-38.

² ينظر التفسير المبين: محمد جواد مغنية، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية 1983م، ج 3، ص 902.

³ ينظر موقف الشيعة من مرويات أهل السنة: عبد الكريم مقيدش، ج 1، ص 32.

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

الفرع الثاني: تعريف الشيعة عند علماء السنة

يعتبر الإمام أبو الحسن الأشعري (324هـ) أول من عرّف الشيعة كفرقة من الفرق بقوله: «وإنما قيل لهم الشيعة: لأنهم شايعوا علياً - رضي الله عنه - ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ»¹.

وقال أبو محمد بن حزم الظاهري² رحمه الله (ت 456هـ) "وأما الشيعة فعمدة كلامهم في الإمامة والمفاضلة بين أصحاب النبي ﷺ...ومن وافق الشيعة في أن علياً أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي وإن خالفهم فيما عدا ذلك فيما اختلف فيه المسلمون."³

ولكن من يقرأ كلام الشيعة عن عقائدهم كالإمامة، والعصمة، والتقوية وغيرها يرى أنهم يغالون في كل عقيدة من عقائدهم بحيث يربطون وصف التشيع بالإيمان بتلك العقيدة.

ويقرر أبو الفتح الشهرستاني (548هـ)⁴ وقد أتم بشيء من التشيع⁵ - أن الشيعة هم الذين يعتقدون بإمامة علي وأبنائه دون غيرهم، وذلك بالنص والوصية من رسول الله ﷺ، ويثبتون لهم العصمة مثل سائر الأنبياء والمرسلين، يقول: "الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إماماً جلياً وإماماً خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من

¹ مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، تحقيق: هلموت ريتز، ج1/ص65
² ابن حزم الظاهري: (384هـ - ت 456هـ) شاعر وكاتب وفيلسوف وفقيه. ولد في مدينة قرطبة وكان يلقب القرطبي إشارة إلى مولده ونشأته. اختلف في نسبه، أينحدر من أصول فارسية أم من أصل أسباني أم هو عربي صميم النسب؟! وعلى كل، فقد كانت أسرته من تلك الأسر التي صنعت تاريخ الأندلس. عَمُرَت حياته في صباه بالدرس والتحصيل، فأخذ المنطق عن محمد بن الحسن القرطبي، وأخذ الحديث عن يحيى بن مسعود، وأخذ الفقه الشافعي عن شيوخ قرطبة، ونشأ شافعي المذهب ثم انتقل إلى المذهب الظاهري حتى عرف بابن حزم الظاهري. من مؤلفاته: الملل والنحل (ينظر المالسابق سر أهلام النبلاء: الذهبي ت : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، 1405 هـ / 1985 م، ج18، ص184.

³ الفصل في الملل والأهواء والنحل :ابن حزم الظاهري، دار صادر للطباعة والنشر، دط، ج2ص270

⁴ الشهرستاني: هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتوح المعروف بالشهرستاني قال السبكي: كان إماماً مبرزاً مقدماً في علم الكلام والنظر، برع في الفقه والأصول والكلام، ومن تصانيفه: الملل والنحل، نهاية الإقدام، وغيرهما، توفي سنة 548هـ، وكانت ولادته عام 467، وقيل 479هـ. ينظر طبقات الشافعية: 128/6-130، امرأة الجنان: 284/3-290.

⁵ يقول الإمام ابن تيمية عنه في سياق حديثه عن الشيعة: "بل هو يميل إلى أشياء من أمورهم.. وقد يقال هو مع الشيعة بوجه ومع أصحاب الأشعري بوجه (ينظر منهاج السنة النبوية :ابن تيمية ت : د. محمد رشاد سالم ، الناشر : مؤسسة قرطبة ، الطبعة لأولى ، ج4، ص316)

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده وقالوا ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين لا يجوز للرسول عليهم السلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيب وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتوالي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حالة التقية¹»

والحقيقة أن هذان التعريفان يعتبران من أجمع التعاريف لأصول التشيع وأكثرها شمولاً لتعاليمه.

أما عبد الرحمن بن خلدون فقال: «اعلم أن الشيعة لغة هم الصاحب والأتباع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه -رضي الله عنهم- ومذهبهم جميعاً متفقين عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر، وإن علياً -رضي الله عنه- هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة»².

وذهب الجرجاني إلى أن: «الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه: قالوا: إنه الإمام بعد رسول الله ﷺ واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده»³

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله معرفاً للتشيع بقوله: «والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه ويطلق عليه رافضي، وإلا فشيوعي، فإن انضاف إلى ذلك السب والتصريح بالبعض فغال في الرفض وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو»⁴.

وأشار ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد أن لفظ الشيعة من الشيع التي هي ضد الاختلاف والاجتماع ولهذا لا يطلق لفظ الشيع إلا على فرق الضلال لتفرقهم واختلافهم⁵.

فهذه التعاريف تتقارب في مدلولها لمعنى الشيعة، فقد أوضحوا فيها أن الشيعة طائفة من الناس

¹ الملل والنحل: الشهرستاني، ت: عبد العزيز محمد الوكيل، الناشر مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع القاهرة، دت ج1، ص144

² مقدمة ابن خلدون، مؤسسة الرسالة ط1377هـ، ص197، 196

³ التعريفات الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ص1405، ص129.

⁴ هدي الساري مقدمة فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، ت: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى 2021هـ، ص459.

⁵ بدائع الفوائد: ابن القيم الجوزية، ت: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز -

مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1416 - 1996، ج1، ص47

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجذورها التاريخية...

يعتقدون أفضلية علي رضي الله عنه على سائر الصحابة وأحققته هو وبنوه بالإمامة وأنها لا تخرج عنهم «إلا في حال التقية إذا خافوا بطش ظالم»¹ كما يزعمون.

كلمة «شيعة» اتخذت معنى اصطلاحياً مستقلاً، حيث أطلقت على جماعة اعتقدوا أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي ترجع إلى نظر الأمة، ويتعين القائم بها بتعيينهم، بل إنها ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفالها ولا تفويضها إلى الأمة، بل يجب عليه أن يعين الإمام للأمة².

اشتهرت كلمة الشيعة - للدلالة على الفرقة: أو الفرق - الذين يتولون ويشايعون الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وآل بيته، حتى صار مصطلح الشيعة اسماً خاصاً بهم³.

و بهذا نقول أن التشيع في بداية النشأة اقتصر على المعنى لغوي فقط وكان بمعنى الأنصار والأتباع هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول: أهم الذين يقدمون علياً على عثمان فقط ولهذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن: الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد علي كانوا يفضلون أبا بكر وعمر⁴، أما التشيع بعد مقتل علي والحسين تطور من مفهوم لغوي إلى تطور فكري وعقدي، ولم يبقى بذلك النقاء والصفاء بل أصبح قناعاً يستتر به كل من أراد المكيدة للإسلام والمسلمين وتبين أن هذا الدين دين خرافات وأساطير⁵.

ولهذا قال الإمام الذهبي في معرض الحديث عن رمي ببدعة التشيع من المحدثين: "إن البدعة على ضربين: فبدعة صغرى: كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو، فهذا كثير في التابعين وأتباعهم مع الدين والورع والصدق، فلو رُدَّ حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بيّنة... ثم بدعة كبرى: كالرفض الكامل، والغلو فيه، والحطّ على أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتاج بهم ولا كرامة، وأيضاً فما أستحضر - الآن في هذا الضرب - رجلاً صادقاً، ولا مأموناً، بل الكذب شعارهم، والتقية والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقل من هذا حاله؟"⁶.

المبحث الثاني: نشأة الشيعة الإمامية وجذورها التاريخية

¹ ينظر الملل والنحل: للشهرستاني: ، ت: عبد العزيز محمد الوكيل ، الناشر مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع القاهرة ، دت ج1ص146.

² المصدر السابق: مقدمة ابن خلدون، مؤسسة الرسالة ط1377هـ: ص196و197.

³ موسوعة المفاهيم الإسلامية: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مصر إعداد عويسيان التميمي البصري، ج1، ص47

⁴ منهاج السنة: ابن تيمية، ت محمد رشاد سالم، الناشر دار الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1986م، ج2، ص60.

⁵ بتصرف

⁶ ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين الذهبي ت: علي محمد الجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1963م، ج5، ص1-6.

المطلب الأول: نشأة الشيعة الإمامية

كما هو معروف أن لفظ الشيعة مصطلح فكري وعقدي لم يظهر فجأة بل تتطور ونمى عبر مراحل تاريخية وزمنية حتى وصل إلى ما عليه الآن نتج عنه تباين واختلاف كبيرين تعددت من خلاله الآراء والأقوال، وإن الأمانة العلمية الحقة لا تكون انطلاقاً من مسلمة ذاتية مسبقة على هذه الطائفة، بل تكون باتباع المنهج العلمي والموضوعية ولأخذ بآراء أصحاب هذه الفرقة أولاً، ووسنحاول عرض هذه الآراء بشيء من الاختصار.

الفرع الأول: الرأي القائل بأن التشيع منذ الخليفة

يرى علماء الشيعة أن التشيع موجود منذ أن خلق الله الخليفة، وأن الله أشهد الخلائق حين أقامهم أشباحاً، وأشهدهم على ولاية علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وأنه ما من نبي ولا رسول إلا وقد عُرض عليه الإيمان برسالة محمد ﷺ، وولاية علي - رضي الله عنه - واستدلوا على ذلك بما رواه رضي الدين بن رجب الحافظ البرسي¹ عن ابن عباس قال: كُنّا عند رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له - النبي ﷺ - مرحباً بمن خلقه الله قبل أبيه آدم بأربعين ألف سنة².

وعن الحسن بن محبوب عن جابر بن عبد الله عن أبي عبد الله (ع) أن رسول الله ﷺ قال لعلي (ع): يا علي أنت الذي احتج الله بك على الخلائق حين أقامهم أشباحاً في ابتدائهم، وقال لهم: ألسنُ بربكم؟ قالوا: بلى، فقال: ومحمد نبيكم؟ قالوا: بلى، قال: وعلي إمامكم؟ قال: فأبى الخلائق جميعاً عن ولايتك والإقرار بفضلك، وعتوا عنها استكباراً إلا قليلاً منهم، وهم أصحاب اليمين، وهم أقل القليل³.

وقد وضع الشيعة أساطير كثيرة لإثبات هذا الشأن، ومن ذلك ما جاء في الكافي عن أبي

¹ البرسي: رضي الدين بن محمد بن رجب الحافظ البرسي: أديب شاعر ومحدث شيعي، وهو من علمائها الكبار عُرف بالعلو والتعصب لمذهبه، له العديد من المؤلفات منها: كتاب مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، وله رسائل في التوحيد وغيرهما، توفي في أواخر المائة الثامنة (ينظر معجم رجال الحديث للخوئي ج8، ص187). (و) ينظر أمل الأمل الحر العاملي ج2، ص117)

² مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين للحافظ رجب البرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، دت، ص40

³ المصدر نفسه: مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين للحافظ رجب البرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، دت، ص18.

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة للإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

الحسن قال: «ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد - صلى الله عليه وآله -، ووصية علي عليه السلام»¹ وعن أبي جعفر في قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا آلَ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾² قال: «عاهدنا إليه في محمد والأئمة من بعده فترك ولم يكن له عزم»³.

وجاء في بحار الأنوار: أنه رسول الله صلى الله عليه وآله قال - كما يزعمون - : «يا علي، ما بعث الله نبياً إلا وقد دعاه إلى ولايتك طائعاً أو كارهاً»⁴. وإنما سُمي "أولو العزم" بأولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد الأوصياء من بعده والمهدي وسيرته، وأجمع عزمهم أن ذلك كذلك والإقرار به.⁵

¹ ينظر أصول الكافي: الكليني، دار المرتضى بيروت، الطبعة الأولى 2005م، ج 1، ص 437.

² سورة طه: الآية 115

³ قال الإمام الشنقيطي رحمه الله في بيان قوله ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا آلَ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ أي أوصيائه ألا يقرب تلك الشجرة. وهذا العهد إلى آدم الذي أحمله هنا بينه في غير هذا الموضع، كقوله في سورة «البقرة» ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ هو عهده إلى آدم المذكور هنا. وقوله في «الأعراف» ﴿وَيَعَادِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وقوله تعالى ﴿فَنَسَىٰ﴾ فيه للعلماء معروفان: أحدهما - أن المراد بالنسيان الترك، فلا ينافي كون الترك عمداً. والعرب تطلق النسيان وتريد به الترك ولو عمداً، ومنه قوله تعالى تعالى ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْمَانُ فَنَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ لُنْسَى﴾ فالمراد في هذه الآية: الترك قصداً... وعلى هذا فمعنى قوله: ﴿فَنَسَىٰ﴾ أي ترك الوفاء بالعهد، وخالف ما أمره الله به من ترك الأكل من تلك الشجرة، لأن النهي عن الشيء يستلزم الأمر بضده. والوجه الثاني هو أن المراد بالنسيان في الآية: النسيان الذي هو ضد الذكر، لأن إبليس لما أقسم له بالله أنه له ناصح فيما دعاه إليه من الأكل من الشجرة التي نهاه ربه عنها - غره وخدعه بذلك، حتى أنساه العهد المذكور، كما يشير إليه قوله تعالى ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَذَلَّهُمَا بِرُؤُوسِهِ﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فنسي رواه عنه ابن أبي حاتم، أما في قوله تعالى "ولقد وصينا آدم وقلنا له ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَزَوْجُكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (أي ترك) ولو كان له عزم ما أطاع عدوه إبليس الذي حسده. قال قتادة: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ أي صبراً".

ينظر أضواء البيان: الشنقيطي، ج 4، ص 104

⁴ ينظر: بحار الأنوار: البحراني ج 11، ص 60، وهذه الرواية موجودة في بصائر الدرجات للصفار، وفي الاختصاص للمفيد.

⁵ أصول الكافي: الكليني، دار المرتضى بيروت، الطبعة الأولى 2005م، ج 1، ص 416

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

وقال الحر العاملي¹ (ت 1104 هـ) وهو من أعلام الشيعة عن الأحاديث الواردة في وجود التشيع منذ أن خلق الله الخليفة، وأن الله تعالى أشهد الخلائق على ذلك: " وعن الصادق عليه السلام قال: قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ أن إبراهيم عليه السلام من شيعة علي².

الفرع الثاني: القائلون بأن التشيع نشأ في زمن الرسول ﷺ

يزعم الرافضة أن التشيع بدأ في حياة النبي ﷺ أن الرسول ﷺ هو الذي وضع بذرة التشيع، وأنه ظهر في عصره، وأن هناك بعض الصحابة الذين يتشيعون لعلي، ويوالونه في زمنه ﷺ. منهم المقداد بن الأسود الكندي، وسلمان الفارسي، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، وعمار بن ياسر المدحجي.. وهم أول من سُموا باسم التشيع من هذه الأمة.

وقد قرر محمد آل كاشف الغطاء أن النبي ﷺ هو أول من وضع بذرة التشيع منذ أن بدأ دعوته إلى الإسلام ولا زال يرعى هذا الأساس الذي وضعه حتى توفاه الله تعالى، وحول ذلك يقول: إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية، يعني أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب وسواء بسواء ولم يزل غارسها يتعاهد بها بالسقي والعناية حتى نمت وازدهرت في حياتها ثم أثمرت بعد وفاته³.

ويوضح كل من محمد باقر الصدر⁴ وجعفر السبحاني⁵ حقيقة هذا الرأي فيقرر أن التشيع

¹ الحر العاملي: أبو جعفر محمد بن الشيخ الحسن بن علي الحر العاملي: ولد في رجب 1033 هـ ت 1104 هـ، رجل دين وفقه، ومحدث، يسمى الحر العاملي، والعامل نسبة إلى جبل عامل، وكذلك يشتهر بلقب صاحب الوسائل، لتأليفه الكتاب الروائي تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، وقد لعب دوراً دينياً مهماً في الدولة الصفوية حيث تقلد المناصب الدينية والقضائية، فأصبح في فترة ما قاضي قضاء خراسان، وهو من أبرز علماء المدرسة الأخبارية، التي لها بعض المياني والمسلكيات في استنباط الأحكام الشرعية تختلف بها عن المدرسة الأصولية - التي ينتمي إليها الغالبية العظمى من علماء الشيعة -؛ حيث تعتد المدرسة الأخبارية بعلم الفقه وقواعده وحده، بالإضافة لبعض الاختلافات الطيفية في جوانب أخرى كعلم الرجال، (ينظر الحر العاملي <https://ar.wikipedia.org/wiki/CITE>)

² الفصول المهمة في أصول الأئمة: الحر العاملي، ت: محمد بن الحسن القائيني، الناشر مؤسسة معارف الإمام الرضا، الطبعة الأولى 1379 هـ، ج1، ص425.

³ أصل الشيعة وأصولها: آل كاشف الغطاء، الناشر دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط1، 1932م، ص109.

⁴ محمد باقر الصدر: ولد 1935م ت 1980م، مرجع ديني ومفكر وفيلسوف عراقي، يعد أبرز مؤسسي حزب الدعوة له العديد من المؤلفات: منها بحوث في شرح العروة الوثقى، العمل الصالح ي القرآن، دور الأئمة في الحياة السياسية، أعدمه النظام السابق عام 1982م أثناء حكم صدام حسين بتهمة العمالة والتخابر مع إيران، (محمد باقر الصدر <https://ar.wikipedia.org/wiki/>)

⁵ محمد جعفر السبحاني: ولد 1308 هـ، مرجع شيعي إيراني معاصر له بروز واضح في مجالات الكلام والتفسير والفلسفة، وهو مؤسس مؤسسة الإمام الصادق والمشرق عليها، وهي من المؤسسات الثقافية الإسلامية الكبيرة في قم، وتتبعها مؤسسات ومراكز فرعية أخرى، ألف أكثر من 150 كتاباً ورسالة تشمل على موسوعات وكتب دراسية وكراريس خاصة بالشباب وشرايح المجتمع المختلفة، وتتميز مصنفاًته

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

هو الامتداد الطبيعي لحقيقة الإسلام وقواعده وأركانه، وبناء على ذلك كانت نشأة التشيع
متزامنة مع ظهور الإسلام¹ "

ويرى السبحاني أن عدم فهم الامتداد العقائدي للإسلام هو ما دفع المخالفين لافتراض
تصورات خاطئة عن نشأة التشيع.

يقول السبحاني: "ولعل هذا التصور الخاطئ لمفهوم التشيع هو ما دفع أصحاب هذه
الآطروحات إلى التخبط والتعثر في فهمهم لحقيقة نشوء هذا المذهب ومحاولاتهم الرامية لتقديم التفسير
الأصوب، ولو أن أولئك الدارسين شرعوا في دراستهم لتاريخ هذه النشأة من خلال الآطروحات
العقائدية والفكرية التي ابنتى عليها التشيع لأدركوا بوضوح ودون لبس أن هذا المذهب لا يؤلف في
جوهر تكوينه وقواعده أركانه إلا الامتداد الحقيقي للفكر العقائدي للدين الإسلامي والذي قام عليه
كيانه،... فإذا اعتبرنا بأن التشيع يرتكز أساسا في استمرار القيادة بالوصي فلا نجد له تاريخا سوى
تاريخ الإسلام² "

يقول القمي: "فأول الفرق الشيعة، وهي فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمان
النبي ﷺ وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته³
وقال السيد محمد حسين الطباطبائي: « يجب أن نعلم أن بداية نشوء الشيعة كان في زمن النبي
الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم»⁴.

الفرع الثالث: القائلون بأن التشيع ظهر بعد وفاة الرسول ﷺ

إن بداية التشيع كانت بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة وذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم عندما
اجتمعوا لاستخلاف أحدهم بعد رسول الله ﷺ وقع الخلاف بينهم في تحديد الخليفة ثم اجتمعوا على
أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال أصحاب هذا القول: إلا بعض محبي علي بن أبي

بتنوع هائل، فقد خاض في أكثر العلوم الإسلامية لاسيما الفقه والأصول والتاريخ والسيرة والكلام والفلسفة والاقتصاد والحديث ومن مؤلفاته:
الحصول في علم الأصول، والموجز في أصول الفقه، ونظام القضاء والشهادة في الشريعة الإسلامية الغراء (جعفر السبحاني <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

¹ ينظر أضواء على عقائد الشيعة: جعفر السبحاني، الناشر دار مشعر، الطبعة الأولى 1379هـ، ص 17-18.

² أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: جعفر السبحاني، الناشر دار مشعر، الطبعة الأولى 1379هـ، ص 17-18.

³ المرجع السابق المقالات والفرق: سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري القمي، الناشر مركز انتشارات طهران، ط 1982م ص: 15.

⁴ الشيعة في الإسلام: محمد حسين الطباطبائي، بيت الكاتب للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1999م، ص 17.

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

طالب عليه السلام فقد رأوا أنه هو الأحق بالخلافة، ومن هنا نشأ التشيع لعلي عليه السلام، حيث وجد من يرى أن أحقية علي عليه السلام بالإمامة والخلافة، فوجد من الصحابة من يرى أحقية علي رضي الله عنه بالإمامة، منهم: سلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار ابن ياسر، والمقداد بن الأسود وهذا الرأي قال به طائفة من القدامى والمعاصرين، منهم العلامة ابن خلدون، وأحمد أمين، وبعض المستشرقين، وهذا القول منهم مبني على ما نقله البعض من وجود رأي يقول بأحقية قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله بالخلافة بعده. يقول ابن خلدون: "اعلم أن مبدأ هذه الدولة - يعني دولة الشيعة - أن أهل البيت لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا يرون أنهم أحق بالأمر، وأن الخلافة لرجالهم دون من سواهم"¹

وقد أشار المسعودي² إلى هذا فقد روى في حوادث وفاة النبي صلى الله عليه وآله أن عليا أقام ومن معه من شيعته في منزله بعد أن تمت البيعة لأبي بكر الصديق³.

وذكر أحمد أمين أن البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله أن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه"⁴:

كما قال: أن التشيع قد بدأ من فرقة من الصحابة كانوا مخلصين في حبهم لعلي يروونه أحق بالخلافة لصفات رأوها فيه، ومن أشهرهم سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود"⁵

¹ ينظر العبر: ابن خلدون، مؤسسة الرسالة ط 1377هـ، ج3 ص 107.

² المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي. وكنيته أبو الحسن، ولقبه قطب الدين، وهو من ذرية عبد الله بن مسعود، ولد (283هـ - 346هـ) الموافق لـ: (896م - 957م) (ينظر الفهرست لابن النديم ص 171)، مؤرخ جغرافي ورائد نظرية الانحراف الوراثي، من أشهر علماء العرب والمعروف ب هيروذتس العرب، وقد ورد ذلك في كتابه مروج الذهب والتنبيه والاشراف يذكر به أهمية العراق وبغداد كونها مسقط رأسه بينما ورد في الفهرست لابن النديم أنه من أهالي المغرب (ينظر المرجع السابق الفهرست لابن النديم، ص 117). عالم فلك وجغرافيا. ولد ببغداد وتعلم بها، وكان كثير الأسفار وقد زار بلاد فارس (الهند وسيلان وأصقاع بحر قزوين والسودان وجنوب شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام والروم وانتهى به المطاف إلى فسطاط مصر) معجم الأدباء يقوت الحموي، ج13، ص91-93) وتوفي بالقسطنطينية.

³ ينظر إثبات الوصية: المسعودي، الناشر المطبعة الحيدرية ط 1988م، ص 121

⁴ فجر الإسلام: أحمد أمين، الدار المصرية اللبنانية ط 2014م، ص: 266، وينظر: ضحى الإسلام: أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة مصر، ط 2006م، ج 209/3، وقال د. علي الخربوطلي: "ونحن نرى أن التشيع بدأ بعد أن آلت الخلافة إلى أبي بكر دون علي بن أبي طالب" (الإسلام والخلافة ص: 62). كما يقول بهذا الرأي محمد عبد الله عنان (انظر: تاريخ الجمعيات السرية ص: 13).. كما قال يمثل ذلك بعض المستشرقين (ينظر: دائرة المعارف الإسلامية: 58/14.

⁵ ينظر: ضحى الإسلام: أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة مصر، ط 2006م، ج 209/3

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة للإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

الفرع الرابع: التشيع ظهر في أواخر عهد عثمان وبداية عهد علي - رضي الله عنهما -

إن أول ظهور التشيع كان في أواخر عهد عثمان بن عفان وبداية عهد علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما -، وذلك بظهور حركة عبد الله بن سبأ وإحداثه القول بفرض الإمامة لعلي رضي الله عنه، وهذا هو الذي عليه أكثر من كتب عن الفرق ومقالا تهم.

ومما جاء في كتبهم "الذي بدأ غرس بذرة التشيع هو عبد الله بن سبأ اليهودي¹ الذي كان يدعو الناس إلى وجود ما يسمى بالإمام والوصي، وجمع الناس على حب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وآل بيت النبي ﷺ، وظهر جلياً عند تولي علي بن أبي طالب الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وذهب العلامة أبو زهرة إلى أن فتنة ابن سبأ وزمرته كانت من أعظم الفتن التي نبت في ظلها المذهب الشيعي، وهو الذي أظهر بدعة الرجعة، والوصية، والعصمة وغيرها من العقائد الفاسدة، التي انتحلها الروافض.²

¹ عبد الله بن سبأ: أصله من اليمن وكان يهودياً يتظاهر بالإسلام، رحل لنشر فتنته إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة، ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان ﷺ فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر وجهر ببدعته.
أولاً: أراء علماء السنة فيه: قال ابن حجر: "عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ضال مضل، أحسب أن علياً حرقة بالنار" وقد تكاثر ذكر أخبار فتنته وشذوذه وسعيه في التآمر هو وطائفته في كتب الفرق والرجال والتاريخ وغيرها من مصادر السنة والشيعة جميعاً. (ينظر لسان الميزان: ابن حجر، ص52).

ثانياً: أراء الشيعة في عبد الله بن سبأ: قول الكشي عن عبد الله بن سبأ: والشاهد ما قاله الكشي عن ترجمة ابن سبأ اليهودي حيث قال: "وذكر بعض أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم، ووالى علياً(ع) وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بالغو، فقال في إسلامه في علي مثل ذلك، وكان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفه وكفرهم. ينظر رجال الكشي، ص111
وذكر المامقاني في كتابه تنقيح المقال في معرفة الرجال، أكبر كتاب في الجرح والتعديل عند الشيعة، نفس المقال في ترجمة عبد الله بن سبأ (ينظر تنقيح المقال: المامقاني، ج2، ص184).

وقال أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي صاحب كتاب "فرق الشيعة" من أعلام القرن الثالث هجري والشيعة توثقه وتبالغ في توثيقه قال: "عبد الله ابن سبأ كان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وقال إن علياً ﷺ أمره بذلك فأخذه علي فسأله عن قوله هذا فأقر به فأمر بقتله، فصاح الناس يا أمير المؤمنين أتقتل رجلاً يدعوا إلى حاكم آل البيت وإلى ولايتكم والبراءة من أعداكم؟ فسيره علي على المدائن، وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي ﷺ أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً ﷺ وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة النبي ﷺ في علي مثل ذلك، وهو أول من أشهر القول بفرض إمامة علي ﷺ وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفه. ينظر فرق الشيعة: النوبختي، ص43.

² ينظر تاريخ المذاهب السياسية: أبو زهرة، دار الفكر العربي القاهرة، ط2007م، ص31-32.

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة للإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

وقد ذهب ابن حزم إلى القول أن التشيع لعلي بدأ بمقتل عثمان - رضي الله عنه -، فقال: « ثم ولي عثمان، وبقي اثني عشر عاماً، وبموته حصل الاختلاف، وابتدأ أمر الروافض»¹، ويمثل قول ابن حزم هذا قال طائفة من العلماء والباحثين مثل: الشيخ عثمان بن عبد الله الحنفي صاحب الفرق المتفرقة بين أهل الزيغ والزندقة.²

الفرع الخامس: التشيع ظهر عقب قضية التحكيم

إن التشيع أطل على الناس عقب قضية التحكيم التي قامت بسبب القتال الذي جرى بين علي وأتباعه ومعاوية وأتباعه، إذ تحزب كل فريق لإمامه ونصرت كل طائفة متبوعها وقامت بينهم مكافحات، ثم لما مات علي واستتب الأمر لمعاوية رضي الله عنه مالت قلوب المخلصين لأبناء علي وأضمرُوا نصرهم وتخليص حقهم، وظاهر أن هذا الرأي يرجع أصل التشيع إلى عامل سياسي.

الفرع السادس: التشيع بعد مقتل الحسين بن علي - رضي الله عنهما -

إن بداية التشيع كانت مترامنة مع مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما إذ بعثت هذه الحادثة روح التشيع في قلوب الخاصة والعامة، وتشكلت بسببها حركات للدفاع عن آل بيت النبي ﷺ وظهرت وجهات نظر تقول بأن الإمامة خاصة لعلي بن أبي طالب وأبنائه من بعده، وذلك بوصية رسول الله ﷺ وقد أشار إلى هذا الرأي المسعودي وأيده بعض المستشرقين³

وقد نصر هذا القول الدكتور علي سامي النشار فأوضح أن المذهب الشيعي لم يتكون التكوين الحقيقي الديني إلا بعد مقتل الحسين رضي الله تعالى عنه.⁴

الفرع السابع: آراء المستشرقين حول نشأة التشيع

نحنا المستشرق وات منتوجمري ((Montgomery Watt)) منحى آخر هو أن التشيع يرجع إلى سنة 37هـ، حيث يذكر "أن بداية حركة الشيعة هي أحد أيام سنة (37هـ الموافقة لـ: 658م)"⁵ أما المستشرق شتروتمان يقول بان التشيع ولد إثر مقتل الحسين.⁶

¹ الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الظاهري، دار صادر للطباعة والنشر، دط، ج2، ص8

² ينظر: الفرق المتفرقة بين أهل الزيغ والزندقة: عثمان بن عبد الله الحنفي، ط1961، ص 6.

³ ينظر مروج الذهب: المسعودي، ت: يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، دت، ج3، ص100-102

⁴ ينظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: علي سامي النشار، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط2013م ج2، ص34.

⁵ Islam and the Integration of Society: Montgomery Watt p، 104

⁶ رودلف شتروتمان من المستشرقين المتخصصين في الفرق ومذاهبها، وله عنها مباحث. من آثاره: الزيدية، وأربعة كتب إسماعيلية.

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

والذي يظهر لي رجحانه من هذه الأقوال هو القول بأن نشأة التشيع ظهرت في أواخر عهد عثمان وبداية عهد علي رضي الله عنهما، ذلك أن الشيعة لا تزال تعتقد بكثير مما جاء به ابن سبأ، وهذه العقائد هي أساس المذهب الشيعي ولو أزيلت هذه العقائد من المذهب لأصبح مسمى لا حقيقة له، ولذلك فإن هذا الارتباط الوثيق بين اللقب الشيعي وبين العقائد التي نادى بها ابن سبأ يدل دلالة واضحة على أن منشأ المذهب الشيعي مرتبط بنشأة الحركة السبئية.

وأما القول بأن التشيع نشأ قبل بعثة الرسول ﷺ فإنه معلوم الفساد بالضرورة فإن الروايات التي استندوا عليها من الكذب البين.

وأما القول بأن نشأة التشيع كانت في زمن الرسول ﷺ فكذلك قول فاسد، فإنه ليس ثمة دليل على ذلك، بل الدليل على ضد قولهم فإن النبي ﷺ حارب العصبية وأوضح أنها منتنة فكيف يقال أنه صلى الله عليه وسلم خصص هذا الأمر لعلي عليه السلام، وقد استفاض عنه في الصحاح وغيرها أنه كان يدعو الناس إلى الإسلام وكان الناس إذا أسلموا أجرى عليهم أحكام الإسلام الظاهرة ولم يذكر لهم أمر التشيع لعلي رضي الله عنه ولا دعاهم إلى عقائد الشيعة أو بعضها.

وأما القول بأن نشأة التشيع كانت بعد اجتماع الصحابة في سقيفة بني ساعدة فإنه لا يستقيم، ذلك أن الصحابة اجتمع أمرهم على أبي بكر وبايع له الصحابة بمن فيهم علي رضي الله عنه، ثم إنه بعد أن تمت البيعة لأبي بكر سار بالناس سيرة حسنة ولم يعلم له مخالف ولا ظهر بين الناس من يقول بنصرة علي ومشايعته بل إن الأمر كان على الاتفاق والألفة بين أبي بكر وبين رعيته.

وأما القول بأن التشيع ظهر عقب قضية التحكيم ففيه تفصيل، فإن أريد بالتشيع معناه اللغوي فهذا صحيح وإن أريد به معناه الاصطلاحي والمذهبي الطائفي فلا يسلم لهم بذلك، فإن مشايعة أصحاب علي¹ له بعد قضية التحكيم لم يكن يقصد به التشيع المذهبي الطائفي المنطوي على عقائد وأفكار منحرفة وإنما كان المراد به التشيع بمعناه اللغوي الذي يتحقق به النصرة والمؤازرة والإتباع.

وأما القول بأن منشأ التشيع كان متزامنا مع مقتل الحسين فإنه لا يصح، ذلك أن التشيع برزت أصوله بظهور الحركة السبئية.

¹ ينظر الروايات الواردة في النص والوصية في الكتب الحديثية عند الشيعة الإمامية إبراهيم بن محمد عيسى الشاعرني إشراف: عثمان علي حسن علي، جامعة أم القرى كلية أصول الدين - السعودية - ص 28 وما بعدها.

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

ويمكن القول أن مقتل الحسين بعث روح التشيع في قلوب محبي علي وأبنائه، وقد يكون حينها حصل شيء من التكوين المذهبي المشتمل على عقائد وأفكار الشيعة.

ونخلص في الأخير إلى أن خلاف العلماء في نشأة التشيع يدل على، أن الأصول الفكرية للتشيع لم تولد صدفة بل مرت بمراحل وأطوار زمنية عملت من خلالها على ترسيخ عقائدها الضالة وخرافاتها الأسطورية الدينية حتى تبرز من خلالها كاتجاه ديني له مكانة على الصعيد الإسلامي... وما ساعد على بروز هذه الفرقة السيئية وذلك باعتراف كتب الشيعة التي قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي، وأن علياً وصي محمد، وهذه عقيدة النص على علي بالإمامة، وهي أساس التشيع كما يراه شيوخ الشيعة، وشهدت كتب الشيعة بأن ابن سبأ وجماعته هم أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان أصحاب رسول الله ﷺ وأرحامه وخلفائه وأقرب الناس إليه - رضي الله عنهم - والطعن في الصحابة الآخرين، وهي مسجلة في كتبهم المعتمدة¹.

¹ ينظر المرجع السابق الروايات الواردة في النص والوصية في الكتب الحديثية عند الشيعة الإمامية: إبراهيم بن محمد عيسى الشاعرى إشراف: عثمان علي حسن علي، جامعة أم القرى كلية أصول الدين - السعودية-ص28 وما بعدها.

المبحث الثالث: الفلسفات القديمة وأثرها على عقيدة الإمامية

الشيعة فرقة إسلامية، ولكن مع ذلك اشتملت آراؤها على أفكار فلسفية اختلفت على إثرها أنظار العلماء والباحثين في مرجعها العقدي، فأرجعا البعض لتأثير المذاهب الفلسفية والدينية السابقة عليها فمنهم من يقول بأنها ترجع لأصل يهودي، وآخرون بأنها ترجع لأصل فارسي، وفريق ثالث يقول بأن المذهب الشيعي أصله العقائد الآسيوية القديمة كالبودية.

المطلب الأول: التشيع منشؤه الديانة اليهودية

من الباحثين من يرى أن التشيع استقى مبادئه من اليهودية، وذلك باعتبار أن ابن سبأ كان أول من قال بالنص والوصية، والرجعة، وابن سبأ يهودي، وهذه الآراء صارت من أصول المذهب الشيعي، وهذا ما أشار له شيوخ الشيعة القدامى كالقمي، والنوبختي، والكشي وذلك حينما استعرضوا آراء ابن سبأ والتي أصبحت فيما بعد من أصول الشيعة، قالوا: "فمن هنا قال من خالف الشيعة: إن أصل الرفض كان مأخوذاً من اليهودية"¹

كما أشار ابن حزم الأندلسي إلى وجود تشابه في الأصول الفكرية بين اليهود والشيعة، فقال: "سار هؤلاء الشيعة في سبيل اليهود القائلين.. إن إلياس -عليه السلام-، وفتحاس بن العازار بن هارون -عليه السلام- أحياء إلى اليوم"² وسلك هذا بعض الصوفية فزعموا أن "الخضر" و"إلياس" حيان إلى يومنا هذا³ وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن في الشيعة من الجهل والغلو واتباع الهوى ما أشبهوا فيه النصارى من وجه واليهود من وجه، وأن الناس مازالوا يصفونهم بذلك⁴ وقد قال بهذا الرأي جمع من العلماء، منهم المفكر والأديب العربي أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام، حيث قال: "فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة، وقالت الشيعة: إن النار محرمة على الشيعي إلا قليلاً كما قال القرآن عن اليهود: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُمْ أَمْ نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾"⁵

¹ ينظر المقالات والفرق: سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري القمي، الناشر مركز انتشارات طهران، ط1982م، ص: 20 وينظر فرق الشيعة: النوبختي ص: 22، رجال الكشي ص: 108.

² الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الظاهري، دار صادر للطباعة والنشر، دط، ج5، ص37

³ المصدر السابق: لفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الظاهري، دار صادر للطباعة والنشر، دط، ج4، ص180.

⁴ منهاج السنة النبوية: ابن تيمية ت: محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة لأولى، ج1، ص6

⁵ سورة البقرة: الآية 80.

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم: إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه¹، ويرى المستشرق اليهودي جولد تسيهر أن فكرة الرجعة تسربت إلى التشيع من طريق المؤثرات اليهودية والنصرانية² وكذلك يرى فريد لندر أن التشيع قد استمد أفكاره الرئيسة من اليهودية.³

المطلب الثاني: التشيع منشؤه فارسي

يرى بعض العلماء والباحثين المختصين في تاريخ الأديان أن التشيع نزعته فارسية، وذلك لعدة عوامل ساعدت ترسيخ الفكر الشيعي الفارسي، منها أن العرب تدين بالحرية، والفرس يدينون بالملك والوراثة في البيت المالكي، ولا يعرفون معنى الانتخاب للخليفة، وقد انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ولم يترك ولداً، فأولى الناس بعده ابن عمه علي بن أبي طالب، فمن أخذ الخلافة كأبي بكر وعمر وعثمان، فقد اغتصب الخلافة من مستحقها، وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى التقديس، فنظروا هذا النظر نفسه إلى علي وذريته، وقالوا: إن طاعة الإمام واجبة، وطاعته طاعة الله سبحانه وتعالى⁴ كذلك ما قاله ابن حزم والمقريزي من أن الفرس كانت من سعة الملك، وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة الخطر في أنفسها بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسباد، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، كان العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً، تعاضمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالحاربة في أوقات شتى، وفي كل ذلك يظهر الله الحق.. فرأوا أن كيده على الحيلة أنجح، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع، بإظهار محبة أهل البيت، واستبشاع ظلم علي - بزعمهم - ثم سلكوا بهم مسالك حتى أخرجوهم عن طريق الهدى⁵

كذلك الكثير من الفرس دخلوا في الإسلام ولم يتجردوا من كل عقائدهم السابقة التي توارثوها أجيالاً، وبمرور الزمان صبغوا آراءهم القديمة بصبغة إسلامية، فنظرة الشيعة إلى علي وأبنائه هي نظرة آبائهم الأولين إلى الملوك الساسانيين.

قال الشيخ محمد أبو زهرة: "إننا نعتقد أن الشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسية حول الملك والوراثة، والتشابه بين مذهبهم ونظام الملك الفارسي واضح، ويزكي هذا أن أكثر أهل فارس من

¹ ينظر: فجر الإسلام: أحمد أمين، الدار المصرية اللبنانية ط2014م، ص: 276

² ينظر: العقيدة والشريعة: أجناس جولد تسيهر، دار الرائد العربي، تاريخ النشر 1946، ص 215.

³ ينظر المرجع نفسه: العقيدة والشريعة: أجناس جولد تسيهر، دار الرائد العربي، تاريخ النشر 1946، ص 100.

⁴ ينظر تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي القاهرة، ط2007م، ج 1، ص 38.

⁵ الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الظاهري، دار صادر للطباعة والنشر، دط، 273/2

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

الشيعة، وأن الشيعة الأولين كانوا من فارس¹ أما السبب الأكثر تأثيراً على طائفة الشيعة وهو، حينما فتح المسلمون بلاد الفرس تزوج الحسين بن علي - رضي الله عنه - ابنة يزيدجرد أحد ملوك إيران، بعدما جاءت مع الأسرى فولدت له علي بن الحسين، وقد رأى الفرس في أولادها من الحسين وارثين لملوكهم الأقدمين، ورأوا أن الدم الذي يجري في عرق علي بن الحسين وفي أولاده دم إيراني من قبل أمه ابنة يزيدجرد والذي من هو من سلالة الملوك الساسانيين المقدسين عندهم² نسب كثير من الراويات والخرافات إلى الصحابي الجليل سلمان الفارسي حيث افتروا عليه بكثير من الأباطيل والأكاذيب حيث جاء في أخبارهم: "أن سلمان باب الله في الأرض، من عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً"³.

المطلب الثالث: التشيع منشؤه الديانة البوذية

ذهب الشيخ أبو زهرة أن المذهب الشيعي كان مبأة ومستقراً للعقائد الآسيوية القديمة كالبوذية⁴ وغيرها⁵. يقول أحمد أمين: "وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح⁶، وتجسيم الله، ووصفه جل شأنه بصفات المخلوقين، وقد وجد هذا عند طوائف من الشيعة كالهشامية أتباع هشام بن الحكم وغيرها، والحلول⁷. ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند

¹ المرجع السابق تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة دار الفكر العربي القاهرة ، ط2007م، 38/1.

² ينظر الزندقة والشعبية: عبد الله الغريب، دط، دت، ص 56.

³ رجال الكشي: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - كربلاء - ط1931م، ص 15.

⁴ البوذية: هي فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد. وكانت في البداية تناهض الهندوسية، وتوجه إلى العناية بالإنسان، كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة، ونبد الترف، والمناذرة بالحب والتسامح وفعل الخير. وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة، ذات طابع وثني، ولقد غالى أتباعها في مؤسسها حتى ألوهه .

وهي تعتبر نظاماً أخلاقياً ومذهباً فكرياً مبنياً على نظريات فلسفية، وتعاليمها ليست وحيها، وإنما هي آراء وعقائد في إطار ديني. وتختلف البوذية القديمة عن البوذية الجديدة في أن الأولى صبغتها أخلاقية، في حين أن البوذية الجديدة هي تعاليم بوذا مختلطة بآراء فلسفية وقياسات عقلية عن الكون والحياة. (أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية: سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار الحجاز، دت، ص65)

⁵ ينظر تاريخ المذاهب الإسلامية : محمد أبو زهرة، الناشر دار الفكر العربي ، ط2009م، ص38.

⁶ تناسخ الأرواح: انتقال الروح بعد الموت من بدن إلى آخر؛ إنساناً أو حيواناً. قال بمذه النظرية بعض الهنود، وفيثاغورس من اليونان، وتسربت للعالم الإسلامي. (ينظر: المعجم الفلسفي ص 55، التعريفات للجرجاني: تحقيق : إبراهيم الأبياري ، الناشر :

دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى ، 1405ص93)

⁷ الحلول: هو الزعم بأن الإله قد يحل في جسم عدد من عباده، أو بعبارة أخرى أن اللاهوت يحل في الناسوت (المعجم الفلسفي: ص76)

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

البراهمة¹. والفلاسفة والمجوس². قبل الإسلام³. ويشير بعض المستشرقين إلى تسرب الكثير من العقائد غير الإسلامية إلى الشيعة ويقول: "إن تلك العقائد انتقلت إليها من المجوسية، والمناوية⁴. والبوذية وغيرها من الديانات التي كانت سائدة في آسيا قبل ظهور الإسلام"⁵.

ويذكر صاحب مختصر التحفة: "أن مذهب الشيعة له مشابهة تامة مع فرق اليهود والنصارى والمشركين والمجوس"، ثم يذكر وجه شبه المذهب الشيعي بكل طائفة من هذه الطوائف⁶.

وعليه فإن التشيع القائل بالنص والوصية ليس هو التشيع الحقيقي، بل هو وليد مؤثرات أجنبية، وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن المنتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس والروم، واليونان، والنصارى، واليهود، وغيرهم أموراً مزجوها بالتشيع⁷، بل إن التشيع الحق لآل البيت وحبهم أمر طبيعي، وهو حب لا يفرق بين الآل، ولا يغلو فيهم، ولا ينتقص أحداً من الصحابة، كما تفعل الفرق المنتسبة للتشيع، وقد نما الحب وزاد للآل بعدما جرى عليهم من المحن والآلام بدءاً من مقتل علي، ثم الحسين رضي الله عنهم. إلخ. هذه الأحداث فجرت عواطف المسلمين، فدخل الحاقدون من هذا الباب، ذلك أن آراء ابن سبأ لم تجد الجو الملائم؛ لتنمو وتنتشر إلا بعد تلك الأحداث، قد ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام، وأهله، وكل من احتال ليعيش في ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام، من يهودي، ونصراني، ومجوسي، وغيرهم⁸.

¹ البراهمة: هم المنتسبون إلى رجل مهم يقال له: براهم أو: برهام من ملوك الفرس. يقرون بالله، ويحدثون الرسل.. وهم فرق مختلفة (ينظر الملل والنحل: 251/2) و(ينظر المنية والأمل: ص 72).

² المجوس: هم عبدة النار، ويقولون بأصلين؛ أحدهما: النور، والآخر: الظلمة. والنور أزلي، والظلمة محدثة. ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين، إحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة، والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا الامتزاج مبدأ، والخلاص معاداً. (ينظر المرجع السابق: تاريخ تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة، الناشر دار الفكر العربي، ط2009م، ص38. ص277)

³. ينظر: فجر الإسلام: أحمد أمين، الدار المصرية اللبنانية ط2014م، ص277.

⁴ المناوية: أصحاب ماني بن فاتك، كان في الأصل مجوسياً، ثم أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، وقد خالفته المجوس وسعت في قتله، حتى قتله بمرام بن هرمز بن سابور وذلك بعد عيسى عليه السلام وبقي مذهبه في أتباعه. والمناوية يقولون بالأصلين: النور والظلمة، وأن العالم صدر عنهما، وأن النور خير من الظلمة وهو الإله الحمود. (ينظر: الملل والنحل: 1/244 وما بعدها) (ينظر المنية والأمل: ص60، شرح الطحاوية: ص18)

⁵ ينظر: السيادة العربية، فلوتن، الناشر مطبعة السعادة، ط1934م، ص83-84.

⁶ ينظر مختصر التحفة، الاثني عشرية: الدهلوي، ترجمة: الألويسي محمود شكري، المطبعة السلفية القاهرة، ط1373هـ، ص298 وما بعدها.

⁷ منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ت: د. محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ج4، ص113

⁸ بتصرف.

المبحث الرابع: ألقاب الشيعة الإمامية وأهم فرقها

المطلب الأول: ألقاب الشيعة الإمامية

اختصت فرقة من الشيعة بجملة أسماء، فيطلق عليها: الاثنا عشرية - والإمامية - والجعفرية - والروافض وسنشير إلى كل اسم من هذه الأسماء، ونبين سبب تسميتهم به

الفرع الأول: الاثنا عشرية

وهم أكثر فرق الشيعة " هم القائلون بإمامة علي عليه السلام بعد النبي نصّاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين¹ " وسميت بالاثني عشرية لكونها تدين بإمامة اثني عشر إماماً من آل البيت، ابتداءً بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وانتهاءً بمحمد بن الحسن العسكري، يلقبونه بالحجة القائم المنتظر ويزعمون أنّ الإمام الثاني عشر قد دخل سرداباً في دار أبيه سر من رأى ولم يعد، ويطلقون عليه لقب المعلوم أو الموهوم. - والذي سيظهر في آخر الزمان فيملاً الأرض نورا وعدلاً² وهؤلاء الأئمة هم:

1- علي بن أبي طالب عليه السلام³ (ت 40هـ) يلقبونه بالمرتضى وهو رابع الخلفاء الراشدين.

¹ المصدر السابق: الملل والنحل الشهرستاني، ت: عبد العزيز محمد الوكيل، الناشر مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع القاهرة
د1ص161

² ينظر مانع بن حماد الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان، المذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية، دت، ص55.
³ هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، رضي الله عنه وأرضاه، كُنيتُه: أبو الحسن، وكناه النبي صلى الله عليه وآله بأبي تراب. وُلِدَ قبل البعثة بعشر سنين، وتربى في حجر النبي صلى الله عليه وآله ولم يفارقه. وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشية الهاشمية. (ينظر الطبقات الكبرى: ابن سعد، ج3، ص17-18)

فضائله جمّة ومناقبه كثيرة، قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: باب ذكر شيء من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: فمن ذلك أنه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة نسبا من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه أول الصبيان إسلاماً، ومن الأحاديث التي وردت في فضله ما رواه مسلم في فضائله من قوله صلى الله عليه وآله:

"والذي فلق الحبة وبرأ النَّسَمَةَ إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله إلي أن لا يجني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق. (أخرجه مسلم في الصحيح، برقم: 78). وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال في حق علي رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له وقد خلفه في غزوة تبوك فقال له علي: يا رسول الله خلقتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي. (أخرجه مسلم في الصحيح، برقم: 2404) وهذا يدل على محبة أهل السنة لعلي رضي الله عنه، وأهل السنة يعتقدون أن محبة علي رضي الله عنه دين وإيمان... وقد احتلق الرافضة أحاديث في فضائل علي رضي الله عنه، ومنها أنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة. (الحدائق الناظرة: البحراني، ج10، ص519)، وكل ذلك من الغلو في حق أمير المؤمنين. وفاته رضي الله عنه: قُتِلَ في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة النبوية.

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

- 2 - الحسن بن علي - رضي الله عنه¹ - ويلقبونه بالمجتبى ت 50 هـ
- 3 - الحسين بن علي - رضي الله عنهما² - يلقبونه بالشهيد ت 61 هـ
- 4 - زين العابدين³ بن الحسين ويلقبونه بالسجاد ت 95 هـ

قَتَلَهُ عبد الرحمن بن مُلَجَم المرادي، وهو من كبار الخوارج، وهو أشقى الناس بالنص الصريح، وقد قتله أولاد علي، وذلك في شهر رمضان سنة أربع وأربعين. (البداية والنهاية: ابن كثير ج7، ص327-327)

¹ الحسن بن علي: هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأما خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وقد كانت ولادته في المدينة في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة النبوية، ويلقبه الشيعة بالتقي، وقد تربي الحسن ﷺ في حجر النبي ﷺ، ومات عليه والصلاة - والسلام والحسن غلام في السابعة أو الثامنة من عمره.

وعن صفاته الخلقية والشكلية فقد كان أشبه الناس برسول الله ﷺ، فقد روى البخاري عن عقبه بن الحارث قال: رأيت أبا بكر ﷺ يحمل الحسن وهو يقول: بأبي شبيه بالنبي ليس شبيه بعلي، وعلي يضحك وذكر الشيعة الكنجي عن أنس بن مالك أن الحسن كان أشبه الناس برسول الله ﷺ في خلقته وهديه وسمته وسؤدده (المصدر السابق البداية والنهاية: ابن كثير، ج8، ص28)

ومع أن الشيعة تقول أن الحسن مشابه للنبي ﷺ في أخلاقه إلا أنهم قد وصفوه ببعض الصفات الذميمة، ومنها وصفهم له بأنه رجل مطلق، كما نص على ذلك البحراني في الحدائق، ونسب البحراني إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مطلق" (الحدائق الناظرة: البحراني ج 25، ص148) ورد في فضائل الحسن أحاديث ومنها ما رواه الترمذي في جامعه عن البراء بن عازب ﷺ أن رسول الله ﷺ أبصر حسنا وحسينا فقال: "اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبه (أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين، ج5، ص 661 رقم: 3782 وقال الحديث حسن صحيح)

² هو الحسين بن علي بن أبي طالب شقيق الحسن الأصغر، ولد سنة أربع من الهجرة النبوية في المدينة، ويكنى بأبي عبد الله، ويلقبه الشيعة بألقاب كثيرة، ومنها: الشهيد والزكي والرشيد والطيب والوفي والسيد المبارك، توفي في كربلاء في العاشر من محرم سنة إحدى وستين من الهجرة، وقتل معه ستة عشر فردا من أهل بيته.

وموقف أهل السنة من مقتل الحسين هو أنه مات مظلوما ولم يكن يريد القتال، وحول ذلك يقول ابن تيمية: "وقد أكرمهم الله بالشهادة، وأهان بذلك من قتله أو أعان على قله أو رضي بقتله، وله أسوة حسنة بمن سبقه من الشهداء، فإنه وأخوه سيدي شباب الجنة، وقد كانا قد تربينا في عز الإسلام لم ينالنا من الهجرة والجهاد والصر والأذى في الله ما ناله أهل بيته، فأكرهما الله بالشهادة تكميلا لكرامتهما ورفعنا لدرجتهم، وقتله مصيبة عظيمة، والله سبحانه وتعالى قد شرع الاسترجاع عند المصيبة" (مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ج4، ص511)

وقد كان سبب مقتل الحسين رضي الله عنه غدر الشيعة به، وذلك أنهم كتبوا إليه أن يوافيهم في الكوفة، وتوالت عليه الكتب من أجل الحضور حتى يقوموا معه بتغيير الأحوال ورد الظلم والفساد، وعن ذلك يقول عباس القمي: "وتواترت الكتب حتى اجتمع عنده في يوم واحد ستمائة كتاب من عديمي الوفاء أولئك، وهو مع ذلك يتأني ولا يجيبهم، حتى اجتمع عنده اثنا عشر ألف كتاب" (منتهاي الآمال: عباس القمي، ج1، ص430)

³ ولد علي بن الحسين زين العابدين في المدينة في 38هـ في أيام جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ.

ألقابه كثيرة عند الشيعة أشهرها زين العابدين ويلقب أيضا بسيد العابدين وسيد الساجدين وزين الصالحين ووارث علم النبيين ووصي الوصيين وخازن وصايا المرسلين وإمام المتقين ومنار القانتين والخاصين والمتهجذ والزكي الأمين والزاهد والعايد والعدل والبكاء والسجاد وإمام الأمة وأبو الأئمة وابن الخيرتين.

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

5— محمد الباقر¹ بن علي بن زين العابدين، ويلقبونه بالباقر ت 114هـ

6 — جعفر الصادق² بن محمد الباقر: يلقبونه بالصادق ت 148هـ

7— موسى الكاظم بن جعفر الصادق³: يلقبونه بالقادم ت 183هـ

وقد ذكر الشيعة الإمامية أن العلة في تعدد أسماءه هي تنوع عباداته وصفاته الحميدة التي كان يتحلى ونسبوا إليه جملة من الأدعية التي زعموا أنه كان يتعبد بها، ووسمها بالصحيفة السجادية وقالوا بأنها زبور آل محمد (ينظر مقدمة الصحيفة السجادية: زين العابدين، تحقيق المرعشي، ص28)

عرف رحمه الله تعالى بالفضل والعلم والدين والسيادة، وشهد له بذلك أهل العلم، قال الزهري: "لم أر هاشميا أفضل من علي بن الحسين" (تهذيب التهذيب: الزهري، ج7، ص305) وقال ابن تيمية: "أما علي بن الحسين فمن كبار التابعين وسادام علما وديننا" (منهاج السنة، ج4، ص143) وقال الذهبي: "كبير القدر من سادة العلماء العاملين يصلح للإمامة، وله نظراء وغيره أكثر فتوى منه وأكثر رواية" (المصدر السابق منهاج السنة النبوية: شيخ الإسلام ابن تيمية ت: د. محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة لأولى

ج4، ص144) وقد غلا الشيعة فيه حتى نسبوا إليه من الفضائل ما لا يستقيم عقلا ولا شرعا، ومم ذكروه في مناقبه أنه كان يصلي في كل يوم ليلة ألف ركعة (كشف الغمة...، ج2، ص293)

¹ محمد الباقر: هو أبو جعفر محمد الباقر بن علي زين العابدين، 57هـ، عرف بسعة العلم والفقهِ ولذلك لقبه الشيعة بالباقر لأنه بقر العلم، ويلقب عند الشيعة بالشاكر والمهادي، وحول ذلك يقول الإمام ابن تيمية: "وقيل سمي الباقر لأنه بقر العلم لا لأجل بقر السجود جبهته.. ونقل تسميته عن النبي ﷺ لا أصل له عند أهل العلم بل هو من الأحاديث الموضوععة" (المصدر السابق:) منهاج السنة: ابن تيمية، ج4، ص144)

وفضل الباقر عند أهل السنة معروف محفوظ، فقد حكى عنه غير واحد من العلماء أنه كان لا يقبل شيئا من أقوال أهل البدع والانحراف، وورد عنه: إنكاره علي من يقول بقول الرافضة (الطبقات الكبرى: ابن سعد، ج1، ص236) وقال عنه ابن سعد في طبقاته: "كان كثير العلم والحديث." (طبقات ابن سعد، ج5، ص324) وقال ابن تيمية: "أبو جعفر محمد بن علي من خيار أهل العلم والدين" (المصدر السابق منهاج السنة ابن تيمية، ج4، ص144)

² جعفر الصادق: هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين، ولد بالمدينة المنورة سنة 83هـ، نشأ في المدينة النبوية في بيت علم ودين وخلق، وقد أخذ العلم عن أبيه محمد الباقر.. عاش جعفر الصادق زاهدا عابدا ورعا بعيدا عن غمار السياسة ومتاعبها.. وعلى الرغم من شيوع الفتن والدساتس في عصره، إلا أنه عاش مكرما مبعجلا نظرا لبعده عن بساط الأمراء والخلفاء، وكانت وفاته في خلافة أبي جعفر المنصور في الخامس والعشرين من شوال سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة، ودفن في البقيع بالمدينة النبوية.

"و بالنسبة لموقفه من الرافضة ونبذه لهم يقول الذهبي: " وكان يغضب من الرافضة ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجدده أبي بكر ظاهرا وباطنا، هذا لأريب فيه،.. حدثنا الحسين بن إسماعيل حدثنا محمد بن خدش حدثنا أسباط بن محمد حدثنا عمرو بن قيس الملائي سمعت جعفر بن محمد يقول: برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر، قلت: هذا القول متواتر عن جعفر الصادق" (السير: الذهبي، ج6، ص256)

³ هو أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين، وبالمدينة النبوية، عام 123هـ ت 183هـ ودفن بالكاظمية، وقد عاش رحمه الله مع والده عشرين سنة ثم أقدمه الخليفة المهدي إلى بغداد ثم رده إلى المدينة النبوية، وأقام بها إلى أيام هارون الرشيد فأعاد الرشيد إلى بغداد وظل بها إلى أن توفي.

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

8 — علي الرضا بن موسى الكاظم¹: يلقبونه بالرضاء ت 203هـ —

9 — محمد الجواد بن علي الرضا²: يلقبونه بالتقي ت 220هـ —

10 — علي الهادي بن علي الجواد³: يلقبونه بالنقي ت 254هـ —

11 — الحسن العسكري بن علي الهادي⁴: يلقبونه بالزكي ت 260هـ —

ويقرر الشيعة أن الكاظم وقعت له محنة إذ حبسه الرشيد وظل في محبسه حتى مات مسموما، ولذلك سمي بالكاظم لصبره على الظلم الذي أصابه (تاريخ الشيعة: المظفرى، ص47) ويؤكد ابن تيمية أن الكاظم مات محبوسا في بغداد (المصدر السابق: منهاج السنة، ابن تيمية، ج4، ص145) وقد أثنى علماء السنة على الكاظم ثناء عظيمًا، قال الذهبي: "موسى الكاظم كبير القدر جيد العلم، أولى بالخلافة من هارون، وله نظراء في الشرف والفضل" (السير: الذهبي، ج13، ص130)

¹ علي الرضا بن موسى الكاظم: هو أبو الحسن علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي زين العابدين، ولد سنة 153هـ، ت 203هـ، وقد كان علي الرضا صاحب علم ودين ومكارم وجمالة قدر، حتى أصبح ولي عهد الخليفة المأمون، وكان يقصده البعيد والقريب من مختلف الطبقات، وقد ذاع صيته وعظم تعلق الناس به مما أثار مخاوف المأمون وتوجسه من أن يفتن الناس به وأن ينفلت زمام الأمر من يديه على عكس ما كان يتمناه من ولاية العهد، قال عنه الإمام ابن تيمية رحمه الله: "إن علي بن موسى له من المحاسن والمكارم المعروفة والممدوح المناسبة لحاله اللاتقة به ما يعرفه بها أهل المعرفة، وذكر الشيعة الإمامية في فضائله أنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة (سفينة البحار: الشاهروردي، ج6، ص328)، وذكروا كذلك أن الناس كانوا يتأثرون بالنظر إليه، فمنهم من يجيل إليه أن السماء والحيطان تتجاوب معه ومنهم من ينهار ويسقط إلى الأرض لرؤيته ومنهم من تعلقه الحشية ومنهم من يذكر الله تعالى (ينظر أعيان الشيعة: ج2، ص21-22)

² محمد الجواد بن علي الرضا: هو محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين، ولد سنة 159هـ ت 220هـ، له ألقاب ومنها: الجواد والتقي وابن الرضا والقانع والمرضى، وقد كان لمحمد الجواد منزلة عند أهل السنة فهم يعدونه من أهل الفضل والسيادة والسخاء وله باع في العلم والفقه، قال عنه الإمام ابن تيمية: "إن محمد بن علي الجواد كان من أعيان بني هاشم وهو معروف بالسخاء والسؤدد ولهذا سمي الجواد" (المصدر السابق منهاج السنة ابن تيمية، ج4، ص148) قال الحافظ الذهبي: "محمد الجواد من سادة قومه لم يبلغ رتبة آباءه في العلم والفقه" (السير: الذهبي، ج13، ص121)

³ علي الهادي بن علي الجواد: هو أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين، يلقب بالهادي والعسكري ويكنى بأبي الحسن، ولد في المدينة سنة 214هـ ت: 254هـ) أطال الشيعة في تعداد فضائله ومحامده وعند نقاش الإمام ابن تيمية لكلام الشيعة أبطل نسبة هذه الفضائل إليه بالأدلة التاريخية والعقلية، ولم يذكر له شيئا من الفضائل كما ذكر لسابقيه من أئمة الشيعة الإمامية، يقول الإمام ابن تيمية في سياق نقاشه لابن المطهر الحلبي: "فيقال: هذا الكلام من جنس ما قبله لم يذكر منقبة بحجة صحيحة، بل ذكر ما يعلم أنه من الباطل" (المصدر السابق منهاج السنة النبوية: ابن تيمية ت: د. محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى

، ج4، ص149) وأما الحافظ الذهبي فإنه عند تعرضه للحديث عن علي الهادي ذكره بثناء موجز، وعن ذلك يقول: "علي الهادي شريف جليل" (سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج13، ص121) ويقول عنه الحافظ ابن كثير: "وأما أبو الحسن علي الهادي فهو... أحد الأئمة لاثني عشر، وهو والد الحسن بن علي العسكري، وقد كان عابدا زاهدا (المصدر السابق: البداية والنهاية ابن كثير، ج11، ص15)

⁴ الحسن العسكري بن علي الهادي: هو أبو محمد الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين، ولد في المدينة النبوية سنة 233هـ ت 260هـ، ويلقب الحسن

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

12 — محمد المهدي بن الحسن العسكري¹، ولد سنة 256هـ ويلقبونه بالحجة القائم، وقد اختلفوا في سنة ووقت وفاته فقيل في أربع سنوات وقيل في ثماني سنوات² غير أنّ معظم الباحثين يذهبون إلى أنه غير موجود أصلاً وأنه من اختراع الشيعة³

المطلب الثاني: فرق الشيعة الإمامية

الفرع الأول: فرق الشيعة الاثني عشرية القديمة

أولاً: الإمامية

تعتبر الإمامة عند الاثني عشرية أصل من أصول الدين ولا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، وأن الله تعالى حصرها في اثني عشر إماماً، والأئمة من بعد علي بن أبي طالب في أولاده من فاطمة - رضي الله عنها - وهي كالنبوة لا تكون إلا بالتص من الله تعالى على لسان رسوله، أو لسان الإمام

بألقاب كثيرة وأشهرها العسكري، ولقب بهذا لأن الحلة التي كان يسكنها في سامراء كانت تسمى عسكرياً... وعن عقبه فقد قرر الشيعة الإمامية أنه أنجب محمداً المهدي، غير أنه وردت نصوص عن غير واحد من أهل العلم بالأنساب والتواريخ أن الحسن لم يكن له عقب، خلافاً لما ذهب إليه عامة الإمامية. وحول ذلك يقول الإمام ابن تيمية: "قد ذكر محمد بن جرير الطبري وعبد الباقي بن قانع وغيرهما من أهل العلم بالأنساب والتواريخ أن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب" (المصدر السابق: منهاج السنة ابن تيمية، ج4، ص151)

¹ محمد المهدي بن الحسن العسكري: قالت الشيعة الإمامية عن نسب إمامهم الثاني عشر لأبيه أنه محمد المهدي بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين (أصول الكافي: الكليني، دار المرتضى بيروت، الطبعة الأولى 2005م، ج1، ص591-592) جاء في مراجع الإمامية أنه ولد سنة 258هـ، لقبه الشيعة بألقاب كثيرة ومنها: المهدي والقائم وصاحب الزمان والحجة والخلف والناحية المقدسة والشريد وصاحب الكرة البيضاء والغوث، (ينظر النجم الثاقب في أحوال الحجة الغائب: النوري الطبرسي، ص266)

يعتقد الإمامية أن إمامهم الثاني عشر غاب غيبة كبرى بشخصه وإمامته، وسوف يظهر في يوم من الأيام، وعن موضعه يذكرون: أنه دخل سرداب سامراء وهو ابن خمس سنين ولا يزال حياً غائباً، وقيل إنه في جبل رضوى، وقيل إنه في المدينة النبوية في مكان غير محدد، ولذلك جرت العادة عندهم أن يقال عند ذكره: عجل الله فرجه (المصدر السابق: بحار الأنوار المجلسي، ج52، ص152)

² وجاء في مختصر التحفة الاثني عشرية للدهلوي أن الشيعة الإمامية بقوله: "وهذه المتبادرة عند الإطلاق من لفظ الإمامية، وهم القائلون بإمامة علي الرضا بعد أبيه موسى الكاظم، ثم إمامة ابنه محمد التقي المعروف بالجواد، ثم إمامة ابنه علي النقي المعروف بالهادي، ثم إمامة ابنه الحسن العسكري، ثم إمامة ابنه محمد المهدي معتقدين أنه المهدي المنتظر، ولم يختلفوا في ترتيب الإمامة على هذا الوجه، نعم ثم اختلفوا في وقت غيبة المهدي وعامها وسنة يوم غاب، بل قال بعضهم بموته وأنه سيرجع إلى الدنيا إذا عم الجور وفسأ، والعياذ بالله من الجور بعد الكور، وقد ظهرت هذه الفرقة سنة مائتين وخمسة وخمسين، وهي قائمة بالبداء، ولذا تراها تنادي بأعلى صوت عند زيارة روضة موسى الكاظم: أنت الذي بدا الله فيه، يعنون ما كان بزعمهم من نصب أخيه إسماعيل إماماً بعد أبيه، وموته من قبل أن ينال الإمامة، ونصب أبيه إياه إماماً. (ينظر مختصر التحفة الاثني عشرية: الشاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، المطبعة السلفية القاهرة، ط1373هـ، ص21.

³ ينظر المرجع السابق: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، دت، ص55.

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

المنصوب بالنص إذا أراد أن ينص على الإمام من بعده¹ ولقد أصبح هذا الاسم منذ أوائل القرن الخامس الهجري مرادفا لكلمة " الاثنا عشرية"، وعلمنا على هذه الفرقة بالذات.

ثانيا: الجعفرية

يسمون بالجعفرية نسبة إلى جعفر الصادق إمامهم السادس، أو أتباع محمد الباقر بن علي زين العابدين قالوا بإمامتهما وإمامة والدهما زين العابدين، إلا أن منهم من توقف على واحد منهما وما ساق الإمامة إلى أولادهما ومنهم من ساق، وإتّما ميّزنا هذه الفرقة دون الأصناف المتشعبة التي نذكرها لأن من الشيعة من توقف على الباقر وقال برجعتة، كما توقف القائلون بإمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق...²

ثالثا: الرافضة

اختلف العلماء في سبب تسمية هذه الفرقة بهذا الاسم: فقيل: أنهم طائفة من طوائف الشيعة ويعرفون كذلك الإمامية³ فعن عبد الله بن أحمد قال: قلت لأبي: من الرافضة؟ قال: الذي يشتم ويسب أبا بكر وعمر- رضي الله عنهما وقال: أيضا وهم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد ﷺ ويسبونهم وينتقصونهم⁴ والذي عليه جمهرة العلماء والباحثين أن ذلك لرفضهم زيد بن علي، لتركهم إياه. قال شيخ الإسلام- رحمه الله: وأما لفظ (الرافضة) فهذا اللفظ أول ما ظهر في الإسلام لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك⁵ واتبعه الشيعة، فسأل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما، فرفضه قوم فقال: رفضتموني رفضتموني، فسموا الرافضة ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى زيدية ورافضة إمامية وهناك أقوال أخرى في سبب التسمية: منها أن ذلك لرفضهم الحق أو لرفضهم إمامة الشيخين أو لرفضهم الدين..⁶

الفرع الثاني: فرق الشيعة الاثني عشرية المعاصرة

انبثق عن الاثني عشرية فرق كثيرة في عصرنا الحالي حيث نجدنا منقسمة إلى:

- ¹ ينظر عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر الناشر مكتبة الأمين-النجف- ط1968م، ص 63
- ² ينظر المصدر السابق: الملل والنحل الشهرستاني، ت: عبد العزيز محمد الوكيل، الناشر مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع القاهرة، ج1، ص165.
- ³ المصدر السابق: مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، تحقيق: هلموت ريتز ج1، ص89.
- ⁴ طبقات الحنابلة: ابن أبي يعلى، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ج1، ص33.
- ⁵ هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو الوليد القرشي الأموي، بويع له بالخلافة بعد أخيه يزيد سنة 105 وكان ذكيا مدبرا، له بصر بالأمر جليلها وحقيرها، (ت 125هـ) ينظر البداية والنهاية ج13 ص101.
- ⁶ موقف الأئمة الأربعة من الرافضة: عبد الرزاق بن عبد الله الأرو، إشراف عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر 1422هـ، ج1، ص57

الباب الأول:..... الفصل الثالث: الشيعة الإمامية نشأتها وجزورها التاريخية...

أولاً: الشيخية: يقال لها الأحمديّة وهم أتباع الشيخ أحمد الإحسائي (ت 1241هـ) وهو

من شيوخ الاثني عشرية.

ثانياً: الكشفية: وهم أصحاب كاظم بن قاسم الرشتي (ت 1259هـ) وهو تلميذ الإحسائي وسميت بالكشفية لما ينسب إلى زعيمها من الكشف والإلهام.¹

ثالثاً: الركنية: أتباع ميرزا محمد كريم بن إبراهيم خان الكرمانى، من تلامذه الرشتي وعلى مذهبه، سميت بذلك؛ لقولها بالركن الشيعي الكامل، واعتباره من أصول الدين والمتمثل في شخص زعيمهم.

رابعاً: القرتية: لقبها بذلك كاظم الرشتي في مراسلاته إذ كانت من أصحابه، وهي ممن قلدت الباب بعد موت الرشتي ثم خالفته في عدة أشياء منها: التكليف، فقيل: إنها كانت تقول بحل الفروج ورفع التكليف بالكلية

خامساً: — البابية: أتباع ميرزة علي محمد الشيرازي ادعى أنه الباب الإمام الذي ينتظرونه. وهناك فرق أخرى مثل: الكوهريّة والنورجشّية، والأصولية، والقزلباشية، وكريماخانية وغيرها من فرق الشيعة الإمامية.²

¹ ينظر أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، طبعة 1414هـ، ج1، ص 113

² ينظر المرجع السابق أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، طبعة 1414هـ، ج1، ص 114 وما بعدها.

الفصل الرابع:

أصول وعقائد الشيعة الإمامية وأثرها على تفاسيرهم في القرن العشرين.

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول: الإمامة والولاية وأثرهما في تفاسير الشيعة الإمامية
المبحث الثاني: عقيدة الممدية والغيبية أثرها في تفاسير الشيعة
الإمامية

المبحث الثالث: الرجعة أثرها في تفاسير الشيعة الإمامية
المبحث الرابع: التقية وأثرها في تفاسير الشيعة الإمامية.

المبحث الخامس: عصمة الأئمة وأثرها في تفاسير الشيعة الإمامية
المبحث السادس: تعريف القرآن وأثره في تفاسير الإمامية

الباب الأول:..... الفصل الرابع: أصول وعقائد الشيعة الإمامية....

تميزت الشيعة الإمامية عن باقي الفرق الإسلامية ببعض المعتقدات التي أثرت سلباً في جميع علومهم ومعارفهم، وخاصة تلك المتعلقة بكتاب الله تعالى، عن طريق تأويلاتهم وخوضهم في تفسيره وفق أصولهم العقديّة، لذا سعت جاهدة من خلال هذا الفصل لأوضح باختصار ودون البسط في القول، معتقدات هذه الطائفة وأثرها على التفسير، في الفترة الممتدة بين (1317هـ-1420هـ الموافق لـ: 1901 م - 2000م) المصطلح عليها بالقرن العشرين¹، والنظر إذا كان مفسري الإمامية لا يزالون على منهجهم رغم موجة التجديد التي انتهجوها ورغم تباعد الأمصار والأزمان.

المبحث الأول: الإمامة والولاية وأثرهما في تفاسير الشيعة الإمامية

تعد الإمامة أصل الأصول وركن الإسلام العظيم عندهم، ومنها انبثقت جميع المعتقدات التي خالفوا بها جميع الأمة، وهي: "هي منصب إلهي يختاره الله تعالى بسابق علمه بعباده كما يختار النبي، ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليه ويأمره باتباعه"².

وقد عرفها عالمهم المعاصر الزنجاني الملقب عندهم بآية الله بقوله: "تعتقد الشيعة الإمامية، أن الإمامة رئاسة في الدين والدنيا، ومنصب إلهي يختاره الله بسابق علمه، ويأمر النبي ﷺ بأن يدل عليه الأمة، ويأمرهم باتباعه"³.

ويقرر محمد حسين آل كاشف الغطاء أحد مراجع الشيعة في هذا العصر: أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيد بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه فكذلك يختار من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه وأن ينصبه إماماً للناس من بعده والإمامة لا تكون إلا بالنص وأن الرسول نص على علي وأولاده فهم أئمة إلى أن تكون الساعة.⁴

ومن خلال التعريفات المشار إليها نخلص أن:

¹ القرن العشرين: هو الفترة الزمنية التي تبتدئ من أول جانفي 1901م وينتهي في 2000/12/13 يعتبر هذا القرن عصر الإحتهاد والتأليف في العالم الإسلامي بصفة عامة والشيعة بصفة خاصة وهو مترامن مع الصحوة الإسلامية في العالم العربي الإسلامي.

² ينظر أصل الشيعة وأصولها: آل كاشف الغطاء: الناشر دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، الطبعة، 1932م ص

68

³ عقائد الإمامية الاثني عشرية: إبراهيم الموسوي الزنجاني النجفي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت-لبنان ط1973م، ج1، ص72.

⁴ المرجع السابق: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط1 1407هـ- 1986م،

ج1، ص188.

الباب الأول:.....الفصل الرابع: أصول وعقائد الشيعة الإمامية....

-الإمامة عندهم رئاسة عامة إلهية، أي أنها منصب إلهي كالنبوة.

-أن هذا الإمام لا ينوب عنه أحدا مادام حيا، وإن كان نص على من بعده.

-أن هذه الرئاسة حاصلة لشخص من الأشخاص، وهو المسمى ب(الإمام)، وتعيينه حاصل من قبل الله تعالى، كتعيين الله تعالى للأنبياء والرسل.

-أن اتباع الإمام واجب على جميع الأمة، في أمور الدين والدنيا.

المطلب الأول: أدلة الشيعة العقلية والنقلية على الإمامة والولاية

أولا: الأدلة العقلية

-أن اللطف واجب على الله تعالى، وتنصيب الإمام لطف.

-أن فعل الصلاح والإصلاح واجب على الله، ووجود الإمام أصلح للعباد، وحيث لا يتم

انتظام أمر العباد في المعاش والمعاد، والدنيا إلا بنصب الإمام.

- أن العقل يحيل على الله أن يهمل الناس بغير إمام، يبين للناس ما جاء به الرسول.

-كان النبي إذا سافر عين على المدينة خليفة فلا يجوز له أن يرحل عن الدنيا من غير أن يعين

إمام، يرجع إليه الناس في جميع شؤونهم الدينية والدنيوية.

-أن مرتبة الإمامة كالنبوة، وكما لا يجوز للناس اختيار نبي، فلا يجوز لهم اختيار إمام، ولا

تعيينه، لأنهم قاصرون عن معرفة ما يصلح به حالهم.¹

من خلال ما تقدم نقول أن الأدلة التي اعتمدت عليها الشيعة كلها باطلة فاسدة، لقيامها على

وجوب اللطف والصلاح والأصلح ووجوب بعثة الرسل والله لا يجب عليه ذلك، قال تعالى: ﴿لَا

يُسْئَلُ عَمَّا يَعْمَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾² ويبدو أن الشيعة في هذه القاعدة تأثروا بالمعتزلة القدرية، إذ هو

أصل من أصولهم العقديّة، والملاحظ أن الشيعة أخذوا بهذا الأصل وبالغوا في تبنيه، بل اعتبروه أصل

من أصولهم العقديّة، بحيث لا تستقيم عقيدتهم بدونه.

¹ ينظر المرجع السابق عقائد الإمامية الاثني عشرية: إبراهيم الموسوي الزنجاني النحفي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت-لبنان

ط1973م، ج1، ص305-306

² سورة الأنبياء: الآية23.

ثانيا: الأدلة النقلية

اعتمدت الإمامية على أدلة نقلية حيث عقد الكليني في كتابه الكافي بابا سماه - كتاب الحجّة - فعنون له بـ: إن الأرض لا تخلوا من حجّة، جاء فيه: بسنده إلى أمير المؤمنين أنه قال: " اللهم إنك لا تخلّي الأرض من حجّة لك على خلقك" وبسنده عن أبي الحسن عليه السلام قال: " إن الأرض لا تخلوا من حجّة وأنا والله ذلك الحجّة"، وبسنده عن أبي عبد الله الصادق وقد سئل: أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت بغير إمام لساخت¹.

المطلب الثاني: نماذج عن الإمامة والولاية في تفاسير الإمامية

أما ما يروونه دليلا من القرآن قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾² يرى الشيعة أن الأسماء أسماء الأئمة الذين هم حجج الله على خلقه، يقول البلاغي في تفسيرها: روي الصدوق بسنتين معتبرين عن الصادق عليه السلام قال: " إن الله تبارك وتعالى علم آدم أسماء حججه كلها ثم عرضهم، وهم أرواح على الملائكة ليعرفوا فضلهم الفائق، ويظهر لهم شيء من وجه الحكمة في خلق الله للبشر، وعلمه بالذين تشرق الأرض بنورهم وتقوم بهم الحجّة على الملائكة"³.

وعليه فإن قول البلاغي من أن المراد بالأسماء فيها هم أسماء حججه الاثني عشر من آل البيت، قولاً مرفوضاً جملة وتفصيلاً فلا سياق الآية ولا لحاقها يقول بذلك.

وقوله ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾⁴ كذلك الشيعة في هذه الآية تستدل بها على تنصيب الإمام، فقال البلاغي في " جاعلك للناس" متعلق بجاعل وفيه، وفيه إشارة إلى الامتتان على الناس، وأن الإمامة لطف من الله، ومن أكبر المصالح لأموهم"⁵

¹ المرجع السابق أصول الكافي: الكليني، دار المرتضى بيروت، الطبعة الأولى 2005م، - كتاب الحجّة- باب إن الأرض لا تخلوا من حجّة - ج1، ص178.

² سورة البقرة: الآية 31

³ آلاء الرحمان في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفي فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقرى ، ط2010م، ج1، ص84.

⁴ سورة البقرة: الآية: 124

⁵ المرجع السابق آلاء الرحمان في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفي فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقرى، ط2010م، ج1، ص123.

الباب الأول:.....الفصل الرابع: أصول وعقائد الشيعة الإمامية....

لا يخفى أن الله يخبر نبيه عما أنعم به على إبراهيم حين ابتلاه بكلمات، فآتمهن لكي يتأسى به النبي ﷺ وليس فيه على ما يدل على انه امتنان على الناس، ولأن الإمامة لطف وواجب من الله، لأنها لو كانت واجبة لما ساغ أن يمتن بها، إذ لا منة بفعل واجب، كما أن إمامة إبراهيم ليست كإمامة الشيعة، لأن الله تعالى جعل إمامة إبراهيم ﷺ للأنبياء، وليس إماما يخلف نبيا قبله على أمته.¹

لذا نجد أغلب تفاسير الشيعة في القرن العشرين هي امتداد بطريقة أو بأخرى للقديم التي تحوي بين دفتيها بلايا ورزايا ابتلي بها المسلمون منذ القرن الثالث الهجري، ومن جملة ما ورد فيها تعظيم شأن الإمام والأئمة، فهم يؤولون ويجرون جميع آيات القرآن على هذا النسق، ويكفرون كل من لم يؤمن بأصلهم هذا.

فالصراط عندهم الإمامة، والعروة الوثقى إمامة، والأمانة التي عرضت على السموات والجبال فأبين أن يحملها هي الولاية، وهذا ما ذهب إليه الخراساني مقتديا بالقدماء من طائفته، وكأبرز مثال ورد في تفسيره فكلمة - الكتاب - أينما حل محلها في القرآن في نظره هو علي بن أبي طالب، وجمعها كتب وهم الأئمة من ولده²

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ﴾³ قالوا: معنى إمام مكان إمام، والجمع الآية آيات ويراد بها الأئمة من ولد علي. وقوله تعالى ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾⁴ يعني لا تغيير للإمامة.

و حسب زعمهم سبب تسمية الأنبياء بأولي العزم من الرسل وذلك بعزمهم على الولاية لآل البيت، وما وقع نبي في محنة إلا بالتهاون في شأن وولايتهم، مثل ابتلاء آدم بالأكل من الشجرة، ومثل نار إبراهيم وطوفان نوح ﷺ، وجب يوسف وسجنه، وفتنة سليمان، ولتقام الحوت لسيدنا يونس ﷺ، ونجوا جميعهم من هذه الحن بسبب توسلهم بالأئمة في الكلمات التي تلقى آدم ﷺ من ربه وهي التوسل بحق الخمسة - محمد علي فاطمة الحسن والحسين، وهي نفسها الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم ﷺ فآتمهن فصار إماما لأجل ذلك، وقس عليها جميع ابتلاءات الأنبياء والرسل نجاهم الله بتوسلهم بالأئمة، هذا على العموم، تبقى هذه افتراءات وتلفيق من الشيعة، ويبقى كتاب الله تعالى مزه عن ذلك.

¹ ينظر الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم: محمد إبراهيم العسال ط1427/1هـ، ص398

² ينظر بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج1 ص.101

³ سورة النحل: الآية 101

⁴ سورة يونس: الآية 64

المبحث الثاني: عقيدة المهدي والغيبية أثرها في تفاسير الشيعة الإمامية

من معتقدات الامامية الإيمان بالمهدي المنتظر وهو خاتم أئمتهم محمد بن الحسن العسكري هو المهدي المبشر بخروجه قبل نهاية العالم، ولما كان المهدي في زعمهم قد ولد في القرن الثالث الهجري (ت 256هـ) سارعوا إلى اختراع أسطورة أخرى تعرف عندهم بالغيبية، وتعني أن مهديهم هذا غاب وتوارى عن الأنظار في سرداب مدينة سامراء وينتظر من ذلك الحين الإذن الإلهي بالخروج، ليملاً الأرض عدلاً بعد أن كانت قد ملئت جوراً¹ وإذا سئلوا عن السبب في اختفائه كل هذه المدة قالوا: خوفه على نفسه من القتل² والغيبية عند الشيعة صغرى وكبرى: فالغيبية الصغرى قد امتدت نحو سبعين عاماً من حين وفاة والده سنة 260هـ هي التي كان له فيه سفراء أو أبواب بينه وبين الخلق، يتصل من خلالها بشيعته؛ فيأخذون عن طريق هؤلاء السفراء الأجوبة عن كل ما يسألون عنه من المشكلات والمعضلات، وعددهم أربعة: هم عثمان بن سعيد العمري، وابنه محمد الحسين بن روح النوبختي، وعلي بن محمد السامري.³

الغيبية الكبرى: وهي أطول، ولا تعلم نهايتها، إذ تنتهي بظهور المهدي نفسه فهي التي أعقبت الصغرى وفيها ارتفع أشخاص السفراء والوسائط بموت السفير الرابع والأخير؛ علي بن محمد السمرى سنة 329هـ فالغيبتان متصلتان ليس بينهما ظهور كما أنهم أحدثوا بعد طول الانتظار فكرة نيابة المجتهد أو الفقيه عن المنتظر حتى في غيبته الكبرى.⁴ ومما جاء من أساطيرهم روايات عن القائم وللقائم غيبتان: إحداهما قصيرة والأخرى طويلة الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه⁵ كذلك «أنه إذا قام هدم معظم مساجد الدنيا وأمر بإخراج الشيخين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - من قبريهما»⁶. أضف إلى ذلك ما رووه عن أبي عبد الله الصادق أنه قال: «إن قائمنا إذا قام مدّ الله عزّ وجلّ لشيعتنا في أسماعهم

¹ ينظر آلاء الرحمان في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفي فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقرى، ط 2010م، ج 1، ص 84

² كتاب الغيبة: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الطبعة الأولى تبريز- إيران -، ص 19.

³ ينظر المصدر السابق كتاب الغيبة: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الطبعة الأولى تبريز- إيران - ص 213 وما بعدها

⁴ ينظر المرجع السابق: موقف الأئمة الأربعة من الرفض: عبد الرزاق بن عبد الله الأرو، إشراف عبد الرزاق بن عبد الحسن البدر 1422هـ،

ج 1، ص 79.

⁵ المرجع السابق أصول الكافي: الكليني، دار المرتضى بيروت، الطبعة الأولى 2005م، ج 1، ص 340.

⁶ كتاب الرجعة: أحمد زين الدين الإحسائي، إشراف مجتبى إسماعيل و راضي الإحسائي، طباعة ونشر فكر الأوحى الطبعة الأولى 2006م،

ج 1، ص 186

الباب الأول: الفصل الرابع: أصول وعقائد الشيعة الإمامية...

وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم يريد يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه»¹
«ويرون حتى حرمة إقامة صلاة الجمعة والجهاد في سبيل الله طوال فترة غيبته التي امتدت حتى الآن
نحو أحد عشر قرناً»² وروى ابن بابوي القمي فمثل من آمن بالقائم في غيبته مثل الملائكة الذين
أطاعوا الله عز وجل في السجود لآدم، ومثل من أنكر القائم في غيبته مثل إبليس في امتناعه عن
السجود لآدم.³ وغيرها كثير من الروايات التي لا يقبلها عقل ولا منطق.

أورد الكاشاني في مقدمة تفسيره الصافي خبر طويل عن الكافي عن قيس الهلالي عن أمير
المؤمنين، بشأن تعليم الرسول ﷺ له القرآن وتفسيره ودعائه له بعدم النسيان، فقال: علي: "قلت: يا
رسول الله!.. أتتخوف عليّ النسيان فيما بعد؟.. فقال ﷺ: لست أتخوف عليك نسياناً ولا جهلاً،
وقد أخبرني ربي عز وجل أنه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك، قلت: يا
رسول الله!.. ومن شركائي من بعدي؟.. قال: الذين قرنهم الله عز وجل بنفسه وبني، فقال:
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾⁴ قلت: يا رسول الله!.. ومن هم؟..
فقال: الأوصياء مني إلى أن يردوا عليّ الحوض، كلهم هاد مهتد، لا يضرهم من خذلهم، هم مع
القرآن والقرآن معهم، لا يفارقهم ولا يفارقونه، فيهم تُنصر أمّتي، وبهم يُمطرون، وبهم يُدفع عنهم
البلاء، وبهم يُستجاب دعاؤهم، قلت: يا رسول الله!.. سمّهم لي فقال: ابني هذا ووضع رأسه على
رأس الحسن، ثم ابني هذا ووضع يده على رأس الحسين، ثم ابن له يقال له عليّ، سيولد في حياتك
فأقرته مني السلام، ثم تكلمة اثني عشر إماماً، قلت: بأبي أنت وأمي!.. فسّمهم لي فسّمهم رجلاً
رجلاً، فقال ﷺ: فيهم والله يا أبا بني هلال!.. مهديّ أمة محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً
كما ملئت ظلماً وجوراً، والله إني لأعرف من يباعه بين الركن والمقام، وأعرف أسماء آبائهم
وقبائلهم.⁵

¹ روضة الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، ج8، ص201.

² ينظر الشيعة والتصحيح: موسى الموسوي، الناشر دار عمار للنشر والتوزيع، ط1988م، ص127.

³ إكمال الدين وإتمام النعمة: محمد بن الحسين بن باويه القمي الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم،
طبعة: 1405هـ - 2000م ص13.

⁴ سورة النساء: الآية 59

⁵ تفسير الصافي: ملا محسن فيض كاشاني، ت: حسين الأعلمي، مؤسسة الهادي قم المقدسة طهران الطبعة الثانية رمضان 1416هـ،

ج1، ص1، وينظر المصدر السابق إكمال الدين وإتمام النعمة: الصدوق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم،
طبعة: 1405هـ - 2000م، ج1، ص401

الباب الأول:.....الفصل الرابع: أصول وعقائد الشيعة الإمامية....

المطلب الأول: نماذج عن عقيدة المهديّة في تفاسير الإمامية:

ومن أمثلة تأثير هذه العقيدة على تفاسيرهم لقوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾¹ قال: في الخصال عن الصادق: " هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهي أنه قال: يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي فتاب عليه، ف قيل له يا بن رسول الله فما معنى ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ قال أتمهن إلى القائم اثني عشر إماما تسعة من ولد الحسين"²

وفي تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾³ أورد مفسري الإمامية عدة روايات في معنى الآية، ينتصرون من خلالها لعقيدتهم في المهديّة، حيث أوردوا حديثا عن حسين بن يزيد بن عبد علي قال: حدثني عبد الله بن الحسن عن أبيه عن الحسن عليه السلام قال: " خطب رسول الله صلى الله عليه وآله يوما فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه: معاشر الناس كأني ادعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا فتعلموا منهم ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم لا تخلوا الأرض منهم ولو خلت لانساخت بأهلها. ثم قال (صلى الله عليه وآله): اللهم إني أعلم أن العلم لا يبید ولا ينقطع وأنك لا تخلي الأرض من حجة لك على خلقك ظاهرا ليس بالمطاع أو خائف مغمور كيلا تبطل حججتك ولا تضل أوليائك بعد إن هديتهم أولئك الأقلون عددا الأعظمون قدرا عند الله فلما نزل عن منبره قلت له: يا رسول الله أما أنت الحجة على الخلق كلهم؟ قال: يا حسين أن الله يقول: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ فأنا المنذر وعلي الهادي قلت: يا رسول الله قولك: إن الأرض لا تخلوا من حجة قال: نعم علي هو الإمام والحجة بعدي وأنت الإمام والحجة بعده والحسين الإمام والحجة والخليفة من بعدك ولقد نبأني اللطيف الخبير أن يخرج من صلب الحسين ولد يقال له: علي سمي جده فإذا مضى الحسين قام بعده علي ابنه وهو الإمام والحجة بعد أبيه ويخرج الله من صلب علي ولدا سمي وأشبه الناس بي علمه علمي وحكمه حكمي وهو الإمام والحجة بعد أبيه ويخرج الله تعالى من صلب محمد مولودا يقال له: جعفر أصدق الناس قولاً وفعلاً وهو الإمام الحجة بعد أبيه"⁴

¹ سورة البقرة: الآية 31

² تفسير الصافي: ملا محسن فيض كاشاني، ت: حسين الأعلمي، مؤسسة الهادي قم المقدسة طهران الطبعة الثانية رمضان 1416هـ،

ج1 ص 138

³ سورة الرعد: الآية 7

⁴ المرجع السابق: تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 143هـ، ج1، ص359

الباب الأول:.....الفصل الرابع: أصول وعقائد الشيعة الإمامية....

ولا شك أن هذه خرافات معششة في عقول الإمامية دون سواهم، ولا علاقة لكتاب الله بهذه الخرافات، فمقصد القرآن الكريم دعوة الناس إلى توحيد الله عزّ وجلّ وحده لا شريك له دون سواه، ولم يتزل لتقديس أشخاص بعينهم.

المبحث الثالث: الرجعة أثرها في تفاسير الشيعة الإمامية

يعتقد الإمامية في رجعة الموات إلى الدنيا، قبل يوم القيامة، وهي على ثلاثة أنواع كما بينها العلماء، وهي على ثلاثة أصناف:

الأول: يعتقد الإمامية أن إمامهم الثاني عشر محمد المهدي سيرجع بعد غيبته الكبرى فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وهم ينتظرون خروجه حتى الآن رغم مضي أكثر من ألف عام هم ليسوا أول من قال برجوعه فأكثر فرق الشيعة رأت أن الأئمة سيعودون بعد موتهم أو غيبتهم والإمامية عقيدة أخرى خاصة بالرجعة وهي رجعة النبي ﷺ وأهل بيته قبل يوم القيامة وكذلك رجعة أعدائهم ومن اغتصبوا حقهم بحسب زعمهم ليقصوا منهم.¹

الثاني: ولاية المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة - في نظرهم - من أصحابها الشرعيين (الأئمة الاثني عشر) فيبعث خلفاء المسلمين وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان.. من قبورهم ويرجعون لهذه الدنيا - كما يلجم الشيعة - للاقتصاص منهم بأخذهم الخلافة من أهلها فتجري عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب.

الثالث: عامة الناس، ويخص منهم: من محض الإيمان محضاً، وهم الشيعة عموماً، لأن الإيمان خاص بالشيعة، كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم ومن محض الكفر محضاً، وهم كل الناس ما عدا المستضعفين² ومستندهم في الرجعة آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾³ وقوله تعالى: ﴿ وَحَرَّمَ عَلَيَّ قَرِيْبَهُ أَهْلَكُنَّهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾⁴ ولهم في الاستدلال على هذه الرجعة وتطبيقاتها على القرآن، طرق متعددة، كلها

¹ المرجع السابق: مع الاثني عشرية في الأصول والفروع: علي أحمد، ط7، دار النشر الفضيلة بالرياض، سنة: 1424هـ الموافق 2003م، ص 310 وما بعدها.

² المرجع السابق: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية: ناصر القفاري، طبعة 1414هـ، ج2، ص 899

³ سورة النمل: الآية 83.

⁴ سورة الانبياء: الآية 95.

الباب الأول:.....الفصل الرابع: أصول وعقائد الشيعة الإمامية....

تم عن عقلية سقيمة استولى عليها الجهل والخرافات، فمثلا عند تفسيرهم لقوله تعالى خاصة القصص القرآني يؤولونها بالرجعة، فمثلا عند تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾¹ تكاد تجمع تفاسير الشيعة قديما وحديثا على إدخال الرجعة، في الإيمان بالغيب، إن لم يكن خاصا بها، يقول الكاشاني أي ما غاب عن حواسهم من توحيد الله تعالى، ونبوة الأنبياء، وقيام القائم والرجعة.² ونحوها فسرهما البلاغي والخرساني، وقال الأصفهاني، عن ابن بابويه عن الصادق قال فيها: من آمن بقيام القائم أنه حق، وفي الغيب أنه الحجة الغائب... ثم قال: " طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين على محبته"³

المعروف أن هذه الآية ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁴ واردة في بني إسرائيل قوم موسى لما أخذتهم الصاعقة لكن، وهم ينظرون ثم بعثهم الله، لكن الشيعة ذهبت بعيدا عن هذا وأولتها لنصرة معتقدها في الرجعة، فقال الجنابذي في تفسيره بيان السعادة في مقامات العبادة: " وهذه الآية تدل على جواز الرجعة كما ورد في الأخبار عنها وصارت كالضروري في هذه الأمة، وقد احتج أمير المؤمنين بها على ابن الكواء في إنكار الرجعة"⁵

وقال الطبرسي استدلل بها قرونا على جواز الرجعة، وقول من قال: لا تجوز إلا في زمن النبي لتكون معجزة له ودلالة على نبوته باطل، لأن عندنا بل وعند أكثر الأمة يجوز إظهار المعجزات على أيدي الأئمة والأولياء والأدلة على ذلك مذكورة في كتب الأصول⁶

وعند قوله تعالى ﴿وَأَمَّا نُزُوتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ نُنَوِّقُكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾⁷ يقول القمي في معنى نعدهم من الرجعة وقيام القائم⁸

¹ سورة البقرة: الآية 3

² المرجع السابق: تفسير الصافي: ملا محسن فيض كاشاني، ت: حسين الأعلمي، مؤسسة الهادي قم المقدسة طهران الطبعة الثانية رمضان 1416هـ، ص 323

³ المرجع السابق تفسير الراغب الأصفهاني، دراسة وتحقيق عادل بن علي الشدي، الناشر المكتبة الأزهرية دت، ص 191

⁴ سورة البقرة: الآية 3

⁵ المرجع السابق بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنابذي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج 1، ص 54

⁶ مجمع البيان: الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى - بيروت - الطبعة الأولى 2006م، ج 1، ص 257

⁷ سورة يونس: الآية 46

⁸ المرجع السابق تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ، ج 1، ص 286

الباب الأول:.....الفصل الرابع: أصول وعقائد الشيعة الإمامية....

وعند قوله تعالى ﴿ **وَحَرَّمَ عَلَى قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** ﴾¹ قال القمي وهذه الآية من أعظم الدلالة على الرجعة لأن أحدا من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم يرجعون يوم القيامة من هلك ومن لم يهلك"² وقال شبر " ممتنع عليهم عدم رجوعهم إلى الدنيا"³

و قال الطبرسي " عن أبي جعفر قال: كل قرية أهلكتها الله بعذاب فإنهم لا يرجعون"⁴

و قال مغنية عند تفسير قوله تعالى ﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾⁵

و قال أيضا: "المراد بهذا الغيب كل ما خفي وغاب عن علم العباد مما نزل على قلب النبي محمد ﷺ كالبعث والنشور والجنة والنار وما إلى ذلك مما لا ينكره العقل، أما ما يرفضه العقل السليم فلا يسمى غيبا بل أسطورة وخرافة"⁶ وقال أيضا عند تفسير قوله تعالى ﴿ **وَحَرَّمَ عَلَى قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** ﴾⁷ كأن قائل يقول: هل يبعث الله ثانية الذين أهلكتهم في الدنيا بكفرهم ؟ الجواب: أجل لا استثناء من البعث، وممتنع من الذين هلكوا ألا يرجعوا إلى الله، بل يرجعون إليه لا محالة، ويحاسبهم على ذنوبهم وكفرهم، اجل لا يعاقبهم على تكذيب الأنبياء من حيث هو، لأن الإهلاك في الدنيا هو العقاب على هذا التعذيب، وما عداه يشمل الحساب والعذاب، هذا هو ما ندركه بعقلنا من حيث الاستحقاق في ظاهر الأمر والواقع لله وحده"⁸

مغنية في تفسيره لهذه الآية أولها برجوع الكفار الذين أهلكوا في الدنيا بسبب تكذيبهم للرسول، وهو من قبيل الجري، والانتصار لعقيدة مذهبه القائل بالرجعة.

¹ سورة الأنبياء: الآية 95

² المرجع السابق: تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ، ص321

³ المرجع السابق تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ، ج1، ص433

⁴ المرجع السابق مجمع البيان: الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى - بيروت- الطبعة الأولى 2006م، ج17، ص59

⁵ سورة البقرة: الآية3

⁶ المرجع السابق التفسير المبين: محمد جواد مغنية، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية 1983م، ص7

⁷ سورة الأنبياء: الآية 95

⁸ المرجع السابق التفسير المبين: محمد جواد مغنية، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية 1983م، ج3، ص374

المبحث الرابع: التقية وأثرها في تفاسير الشيعة الإمامية.

معنى التقية¹ أنّ الله سبحانه وتعالى أباح للمؤمنين إذا خافوا شر الكافرين أن يتقوهم بألسنتهم فيوافقوهم بأقوالهم وقلوبهم مطمئنة بالإيمان وقد اتخذت الشيعة التقية مبدأ من مبادئها ومعنى التقية التي قالوا بها أن تقول وأن تفعل غير ما تعتقد لتدفع الضرر عن نفسك أو مالك أو لتحتفظ بكرامتك، كما لو كنت بين قوم لا يدينون بما تدين وقد بلغوا الغاية في التعصب بحيث إذا لم تجارهم في القول والفعل تعمدوا إضرارك والإساءة إليك فتماشيهم بقدر ما تصون به نفسك وتدفع الأذى عنك لأنّ الضرورة تقدر بقدرها ويرى الإمامية أنّ العمل بالتقية له أحكامه الثلاثة فتارة تكون واجبة إذا كان تركها يستوجب تلف النفس من غير فائدة وأخرى يكون رخصة لو كان في تركها والتظاهر بالحق نوع تقوية له فله أن يضحى بنفسه وله أن يحافظ عليها وإحياء الظلم والجور² ومستندهم في التقية هو قوله تعالى ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾³ ومن الراويات التي يستدلون بها على درجة وجوب التقية قول شيخهم المفيد: «إنّ التقية جائزة في الدين عند الخوف على النفس، وقد تجوز في حال دون حال للخوف على المال ولضروب من الاستصلاح، وأقول لها قد تجب أحيانا وتكون فرضا، وتجوز أحيانا من غير وجوب،

¹ لماذا التقية عند الشيعة: لجأت الشيعة إلى استعمال التقية وجعلها عقيدة لازمة للشيعة لتحقيق عدة أمور:

أولا: لما كانت خلافة الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - جميعا غير معتررة عند الشيعة ولا مرضية لهم، ولما كان علي - رضي الله عنه - بايعهم وتابعهم على ذلك، وهم يرون أن من بايعهم وتابعهم ووقف في معسكرهم كافر، لجأوا إلى هذه العقيدة كتبرير لفعل علي بن أبي طالب ومبايعتهم وجهاده معهم فقالوا: إنما كان ذلك منه - رضي الله عنه تقية. ثانيا: أن الأئمة عندهم معصومون لا يخطئون ولا ينسون ولا يسهون، فإذا ثبت عنهم أمر يخالف ما أصلوه في دينهم قالوا: إنما صدر ذلك منهم على سبيل التقية.

ثالثا: من المسلمات التي يعترف بها الجميع ولا يمكن إنكارها أن أي إمام من أئمة الشيعة ابتداء من علي - رضي الله عنه - وحتى الإمام الحادي عشر حسن العسكري لم يعلن أحدا منهم في أمي مجمع عن عقيدة الإمامة، فإذا سألتهم لماذا لم يعلن عن عقيدة الإمامة عن طريق الأئمة أحابوا بجواب مضحك كان ذلك تقية!! أي أن الإمام لم يصرح بذلك صراحة لأنه كان خائفا!! وهذا يتنافى مع ما هو معروف عن كثير ممن يدعون أنهم أئمتهم مثل: علي الحسن والحسين - رضي الله عنهم - من الشجاعة والجرأة وبذل النفس في سبيل إعلاء كلمة الحق وكذلك يتنافى مع معتقدتهم في كون الإمام مؤيدا من عند الله تعالى، وأنه حجة الله على عباده، وأنه كان سبب إمامته هو المحافظة على الدين وهداية الناس إلى طريق الحق، إذ فكيف يخاف الإمام المؤيد ومن من يخاف؟ سؤال ليس لديه إجابة عندهم. (ينظر المرجع السابق: منهج القمي في التفسير: أمل بنت إبراهيم الشيخ، إشراف: محمد عطية باشا، جامعة أم القرى ص381)

² المرجع السابق: مع الاثني عشرية في الأصول والفروع: علي أحمد السالوس، ط7، دار النشر الفضيلة بالرياض، سنة: 1424هـ - الموافق 2003م ص311 وما بعدها.

³ سورة آل عمران: الآية 28

الباب الأول:.....الفصل الرابع: أصول وعقائد الشيعة الإمامية....

وتكون في وقت أفضل من تركها ويكون تركها أفضل، وإن كان فاعلها معذورا ومغفوا عنه متفضلاً عليه بترك اللوم عليها»¹

وتارك التّقية عند الإمامية كتارك الصلاة، وأنّ عصر القرون الأولى المفضّلة كان عهد تّقية، فكانت إمامة أمير المؤمنين بعد النبي ﷺ ثلاثون سنة، منها أربع وعشرون سنة وستة أشهر ممنوعاً من التصرف في أحكامها مستعملاً للتّقية والمداراة، ومنها خمس سنين وستة أشهر ممتحناً بجهاد المنافقين، من التّاكثين والقاسطين والمارقين ومضطهداً بفتن الضّالّين»²

المطلب الأول: نماذج عن التّقية في تفاسير الشيعة الإمامية

عند تفسير قوله تعالى ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ اللَّهُ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾³ قال: القمي: "الرحيم بعباده المؤمنين من شيعة آل محمد وسع لهم في التّقية، يجاهرون بإرضاء موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه إذا قدروا ويسرونها إذا عجزوا"⁴ وقال في مقدمة تفسيره "وأما الرخصة التي ظاهرها خلاف باطنها، يعمل بظاهرها، ولا يدان بباطنها، فإن الله تبارك وتعالى نهى أن يتخذ المؤمن الكافر ولياً فقال: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁵ ثم رخص عند التّقية أن يصلي بصلاته، ويصوم بصيامه ويعمل بعمله في الظاهر، وأن يدين لله في باطنه بخلاف ذلك فقال: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ ثَقَفًا﴾ وفي معناه قول الصادق: إن الله يجب أن يؤخذ برخصته، كما يجب أن يؤخذ بعزائمه"⁶

و قال الحسن العسكري في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ﴾⁷ نظر الباقر إلى بعض شيعته، وقد دخل خلف بعض المنافقين في الصلاة، وأحس الشيعي بأن الباقر قد عرف ذلك منه فقصده وقال: أعتذر إليك يا بن رسول الله عن صلاتي خلف فلان فإنها

¹ المرجع السابق أوائل المقالات: المفيد، ت: إبراهيم الأنصاري، الطبعة الثانية 1993م، ص118.

² الإرشاد: المفيد، دار المفيد، ط2 1993م ج1، ص9

³ سورة البقرة: الآية 163

⁴ المرجع السابق تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ، ص15

⁵ سورة آل عمران: الآية 28

⁶ المرجع السابق تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ، ص15

⁷ سورة البقرة: الآية 173

الباب الأول:..... الفصل الرابع: أصول وعقائد الشيعة الإمامية....

تقية ولولا ذلك لصليت وحدي، قال له الباقر يا أخي إنما كنت تحتاج أن تعتذر لو تركت، يا عبد الله المؤمن مازالت ملائكة السموات السبع والأرضيين السبع تصلي عليك وتلعن إمامك ذاك، وإن الله تعالى أمر أن تحسب صلاتك خلفه للتقية بسبعمئة صلاة لو صليتها لوحدك فعليك بالتقية"¹

و عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَأْتُوا بِالْحَسَنَاتِ وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾² نقل الكاشاني قول الصادق بقوله: " قال الصادق: قولوا للناس حسنا كلهم مؤمنهم ومخالفهم، أما المؤمنون فييسط لهم وجهه وبشره، وأما المخالف فيكلمهم بالمداراة لاجتداهم، إن مداراة أعداء الله من أفضل صدقة المرء على نفسه وإخوانه"³

و بهذا نقول أن التقية عند الإمامية خديعة ومكر ونفاق.

¹ المرجع السابق: التفسير المنسوب للحسن العسكري،، ت: مدرسة الإمام المهدي، الطبعة الأولى 1409هـ ص254

² سورة البقرة: الآية 83

³ المرجع السابق تفسير الصافي: ملا محسن فيض كاشاني، ت: حسين الأعلمي، مؤسسة الهادي قم المقدسة طهران الطبعة الثانية رمضان 1416، ج1، ص96.

المبحث الخامس: عصمة الأئمة وأثرها في تفاسير الشيعة الإمامية

يعتقد الشيعة الإمامية أن أئمتهم معصومون، وهذا ما ذهب إليه المجلسي بقوله: "اعلم أن الإمامية اتفقوا على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلا لا عمدا ولا نسيانا، ولا الخطأ في التأويل، ولا الإسهاء من الله سبحانه"¹ ومعناه أن الإمام يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمدا أو سهوا كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان. وعرفها الصدوق في التمهيد: "وأئمة معصومون من الخطأ والزلل وأئمة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"²

ويعتقد الشيعة الإمامية أنه من نفى عن الأئمة صفة العصمة فهو كافر.

قال ابن بابويه القمي: «اعتقادنا في الأئمة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنبا صغيرا ولا كبيرا، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم ومن جهلهم فهو كافر، واعتقادنا فيهم أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم وأواخرها، لا يوصفون بشيء من أحوالهم بنقص ولا عصيان ولا جهل»³

المطلب الأول: نماذج من عقيدة العصمة في تفاسير الشيعة الإمامية:

عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَيَمُنُّ دُرِّيُّ قَالَ لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾⁴ قال صاحب ألاء الرحمان: " في الكافي والمفيد عن هشام بن سالم عن الصادق في تفسير الآية: " من عبد صنما أو وثنا أو تمثالا لا يكون إماما" وفي أمالي الشيخ مسندا وابن المغازلي في المناقب مرفوعا عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ في الآية: " من سجد لصنم دوني لا أجعله إماما"، وقال ﷺ انتهت الدعوة علي وإلى أخي علي لم يسجد أحدنا لصنم قط"

¹ ينظر بحار الأنوار: المجلسي، ط 3 1983 بيروت دار إحياء التراث العربي، ج 25، ص 211.

² عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر، الناشر مكتبة الأمين النجف، ط 1968م ص 70.

³ الاعتقادات: ابن بابويه القمي، تحقيق: مؤسسة الإمام الهادي، الطبعة الثانية 1432هـ، ص 107-109.

⁴ سورة البقرة: الآية 124

الباب الأول:..... الفصل الرابع: أصول وعقائد الشيعة الإمامية....

وعن الكافي مسندا، والشيخ المفيد مرفوعا عن الصادق قال: " لا يكون السفيه إمام تقي " ثم قال: فيكون ذكر عبادة الصنم من باب النص على أحد المصاديق، من موانع الإمامة، وهي ما تنافي العصمة، التي يدل عليها العقل على اعتبارها في هذه الإمامة"¹

وهذا التأويل من الجري وتبرز من خلاله عقيدة الشيعة في تجريح الصحابة، فمن لوازم العصمة عندهم أن الإمام لا يكون قد سجد لصنم، بخلاف الصحابة أبو بكر وعثمان وعمر و فقد سجدوا في الجاهلية للأصنام، فلا يكون أحدهم إماما.

وفي تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ لَا يَأْتِلَ عَلَيْهِمُ الظَّلْمِينَ ﴾² قال مغنية ويدل هذا على أن الإمام يجب أن يكون معصوما³

و في تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾⁴ جاء في تفاسير الاثني أن آل إبراهيم هم آل محمد، ويجب أن يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين مترهين عن القبائح، لأنه تعالى لا يختار ولا يصطفى إلا من كان كذلك، ويكون ظاهره مثل باطنه في الطهارة والعصمة، فعلى هذا يختص الاصطفاء بمن يكون معصوما من آل إبراهيم وآل عمران سواء كان نبيا أو إماما⁵

و قال شير اصطفاهم بالنبوة، والإمامة والعصمة، وآل إبراهيم إسماعيل وإسحاق وأولادهما دخل فيهم النبي - صلى الله عليه وآله -، تلا الباقر الآية وقال: نحن منهم ونحن بقية تلك العترة⁶ أما جواد مغنية فحددها بقوله: ومن اصطفاه على العالمين من خلقه، يجب أن يكون معصوما، ومعنى هذا أن المراد بالآل هنا من كان نبيا، أو إماما، وليس مطلق الآل⁷

¹ ينظر المرجع السابق آلاء الرحمان في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفي فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقری، ط2010م، ج1، ص124، وينظر مواهب الرحمان: السبيزوري، ط2010/5 ج1، ص101.

² سورة البقرة: الآية 124

³ المرجع السابق التفسير المبين: محمد جواد مغنية، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية 1983م. ج1، ص25

⁴ سورة: آل عمران الآية 33

⁵ ينظر تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة: الجنابدي، ج3، ص712. ينظر مواهب الرحمان السبيزوري، ط2010/5 ج5 ص280 وينظر البيان في تفسير القرآن: الخوئي، ج2، ص301.

⁶ تفسير شير: عبد الله شير، ت: حامد حنفي داوود الناشر مرتضى الرضوي، ط1966م، ص89.

⁷ المرجع السابق: التفسير المبين: محمد جواد مغنية، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية 1983 ج1، ص60.

و **علق على العسال على هذا التفسير** بقوله: "و لا شك أن هذا باب يفتح المجال للقريشي، حتى أبي جهل، وأبي لهب ليدخلوا في هذه العصمة لأنهم من نسل إبراهيم! لكن جواد مغنية لما شعر بهذا الخطر حاول أن يرفع هذا الخرق.¹

المبحث السادس: تحريف القرآن وأثره في تفاسير الشيعة الإمامية

يعتقد الرافضة أن القرآن الذي بين أيدينا ليس بحجة، وأنه محرف ومبدل وأن ثمة قرآنا آخر أكمل مما بين دفتي المصحف، وهذا ما ذهب إليه القمي بقوله: فالقرآن منه ناسخ، ومنه منسوخ، ومنه محكم، ومنه متشابه ومنه عام، ومنه خاص.. ومنه على خلاف ما أنزل الله² ومستنده على ذلك قوله: وأما ما هو محرف منه فهو: لكن الله يشهد بما أنزل إليك في علي أنزله بعلمه والملائكة يشهدون³

وقال شيخهم المفيد: " إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان"⁴

ويقول نعمة الله الجزائري عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله " فإنهم بعد النبي صلى الله عليه وآله قد غيروا وبدلوا في الدين ما هو أعظم من هذا، كتغييرهم القرآن، وتحريف كلماته، وحذف ما فيه من مدائح آل الرسول والأئمة الطاهرين وفضائح المنافقين وإظهار مساوئهم"⁵

بل الأدهى من ذلك ادعاؤهم أن فاطمة رضي الله عنها لها مصحفا ثالثا خاص بها غير الذي عند زوجها وعند عموم المسلمين، ففي رواية عن أبي بصير قال: " سألت أبا جعفر محمد بن علي عن مصحف فاطمة فقال: أنزل عليها بعد موت أبيها، قلت: ففيه شيء من القرآن؟ فقال: ما فيه شيء من القرآن.. قلت: جعلت فداك فما فيه؟ قال: فيه خير ما كان وخير ما يكون إلى القيامة، وفيه خير سماء سماء، وعدد ما في السماوات من الملائكة، وغير ذلك، وعدد كل من خلق الله مرسلًا

¹ المرجع السابق الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم : محمد إبراهيم العسال ط1/1427هـ، ص500

² تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ، ج1، ص5.

³ سورة النساء: الآية 166 بدون ذكر " في علي " والآية الصحيحة قوله تعالى: " لَكِنَّ اللّٰهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيدًا" (النساء 166)

⁴ أوائل المقالات للمفيد، ت: إبراهيم الأنصاري، الطبعة الثانية 1993م، ص91.

⁵ الأنوار النعمانية في بيان النشأة الزهرانية: نعمة الله الجزائري، ج1، ص97.

الباب الأول:.....الفصل الرابع: أصول وعقائد الشيعة الإمامية....

وغير مرسل، وأسمائهم، وأسماء من أرسل إليهم، وأسماء من كذب ومن أجاب، وأسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين من الأولين والآخرين، وأسماء البلدان، وصفة كل بلد في شرق الأرض وغربها»¹

بل الحقيقة أن جميع متقدمي علماء الرافضة والأغلبية الساحقة من متأخر يهيم هم القائلون بالتحريف عدا أشخاصا يعدون على الأصابع.

المطلب الأول: نماذج من تفاسير الشيعة الإمامية الدالة على فرية التحريف

فعند تفسير قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾² قال: إنما نزلت " أئمة وسطا" وكذلك ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾³ قال: إنما نزلت: خير أئمة"⁴

و عند قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾⁵ قال: إنما نزلت: وإذا قيل لهم ما ذا أنزل ربكم في علي"⁶

و في تفسير قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾⁷ يرى الخراساني أن القراءة الصحيحة " فإن تنازعتم في شيء فأرجعوه إلى الله والرسول وإلى أولي الأمر منكم"⁸ وكذلك ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾⁹ نجد الخراساني يدعي كغيره من علماء فرقته أن القراءة الصحيحة كانت: بلغ ما أنزل إليك من ربك في علي ويحمل التبليغ

¹ دلائل الإمامة: محمد بن جرير بن رستم الطبري، منشورات مؤسسة الأعلمي ، الطبعة الثانية 1988م ، ص 2.

² سورة البقرة: الآية 143

³ سورة آل عمران: الآية 110

⁴ تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ.

ص، 98-99

⁵ سورة النحل: الآية 24

⁶ تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ.

ص 358

⁷ سورة النساء: الآية 59

⁸ المرجع السابق: بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنابذي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج1، ص206.

⁹ سورة المائدة: الآية 67

الباب الأول:..... الفصل الرابع: أصول وعقائد الشيعة الإمامية....

المأمور به النبي على ذلك فحسب، ويمنع إرادة العموم ويقوم الأدلة على ذلك في محاولة فاشلة¹

و هكذا نرى أن مفسري الإمامية قديما وحديثا ينتصرون للقول بالتحريف، بمكر وتعصب، ولا لشيء إلا لنصرة مذهبهم المزعوم القائم على الافتراء.

و حسبي أن أكون في هذا الباب قد بسطت القول في الجانب النظري، بإيجاز دون تفصيل، وفي الباب الموالي سأتوسع في بيان مسلك الشيعة الإمامية، في تناول القصص القرآني في القرن العشرين، والذي يعتبر عمدة بحثي، بغية الوقوف على منهج مفسري الشيعة في كيفية التعامل مع القصص القرآني، والنظر هل حققت مقاصد القرآن السامية .

¹ المرجع السابق: بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنايذي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج1، ص343

الباب الثاني:

القصص القرآني من خلال تفاسير الشيعة الإمامية في النصف الأول من القرن العشرين

و فيه خمسة فصول:

الفصل الأول: بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر
الجنابذي

الفصل الثاني: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى
الموسوي السبزواري

الفصل الثالث: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد بن جواد
البلانخي

الفصل الرابع: الميزان في تفسير القرآن محمد حسين الطباطبائي

الفصل الخامس: البيان في تفسير القرآن عبد الله أبو القاسم
الخنوي

الفصل الأول:

بيان السعارة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنابزي

و فيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

المبحث الثاني: التعريف بتفسير بيان السعادة في مقامات
العبادة

المبحث الثالث: مسلك الجنابزي في تناول القصص القرآني

المبحث الرابع: موارد الجنابزي في تفسيره للقصص
القرآني

من بين المواضيع التي لاقت رواجاً عند الإمامية موضوع القصص القرآني، ويظهر ذلك جلياً من خلال تفاسيرهم للقرآن الكريم، في بدايات القرن العشرين الذي يعتبر عصر التحديد الفعلي للاجتهد، حيث زحرت مكتباتهم بمؤلفات لا تعد ولا تحصى فمنها ما كان شاملاً للقرآن الكريم كله، ومنها ما اقتصر على تفسير سورة واحدة أو سور محددة، ومنها ما لم يكمل فصدرت بعض أجزائه دون الباقي، وليس من السهل أن أذكر كل هذا، وكل ما ألف فيه، ولعلي أكتفي ببعض ما اشتهر عندهم في الفترة الممتدة من (1317هـ-1420هـ الموافق: 1901م إلى 2000م) المصطلح عليها بالقرن العشرين.

لذا سأسلط الضوء في هذا الباب على أبرز تفاسير الشيعة الإمامية، في النصف الأول من القرن العشرين، وذلك بغية الوقوف على مسلكهم في معالجة القصص القرآني، ومن بين المؤلفات التي سأختصها بالدراسة: تفسير بيان العبادة في مقامات السعادة للجنازي، يليه مواهب الرحمن للسيزوري، والآء الرحمن في تفسير جواد البلاغي، ثم الميزان في تفسير القرآن محمد حسين الطباطبائي، وأخيراً تفسير البيان في تفسير القرآن عبد الله أبو القاسم الخوئي

يعالج هذا الفصل تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة للجنازدي، لتحديد عناصر منهجه التفسيري، والعقدي، بغية الوقوف على مسلكه في معالجة القصة القرآنية.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

هو سلطان محمد بن حيدر محمد بن سلطان محمد الجنازدي (كنازدي) الخراساني، من علماء الشيعة الإمامية، المعروف في أصحابه بسلطان علي شاه، ولد في 28 من شهر جمادى الأولى 1251هـ - 1835م، وحين بلغ ثلاث سنين، سافر والده إلى بعض بلاد إيران والهند ولم يعرف منه خبر، فأصبح تحت حضانة أخيه مولى محمد علي، واشتغل بتحصيل العلوم الأدبية في المشهد الرضوي، ثم ارتحل إلى النجف لتكميل العلوم الدينية والعلوم العقلية والفلسفية، ثم إلى سبزوار واستفاد من الحكيم الحاج ملا هادي السبزواري، ثم سافر إلى أصفهان لأخذ الأذكار القلبية والدخول في طريقة النعمة الإلهية عند المولى حاج محمد كاظم سعادت علي شاه، وفي سنة 1284هـ صار مفتخراً بأخذ إجازة الإرشاد وتلقين الأذكار القلبية، وفي سنة 1293هـ توفي شيخه وأصبح هو في مقامه، توفي سنة 1327هـ، ودفن في مقابر بيدخت من قرى الجنازدي (كنازاد)¹، قال عنه محمد حسين الذهبي: مؤلف هذا التفسير هو سلطان محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني أحد متطرفي الإمامية الإثنا عشرية في القرن الرابع عشر الهجري².

ترك عدة مؤلفات منها:

1. مجمع السعادة (بالفارسية).
2. سعادتنامه (بالفارسية).
3. بشارة المؤمنين.
4. الايضاح (بالعربية).
5. بيان السعادة في مقامات العبادة (التفسير الذين نحن بصدده تعريفة).
6. تنبيه النائمين

¹ المفسرون منهجهم وحياتهم: محمد علي أيازي، الطبعة الأولى طهران -1386هـ، ج1، ص318-323

² التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ج3، مكتبة وهبة القاهرة، ط2000، ج4، ص219.

المبحث الثاني: التعريف بتفسير بيان السعادة في مقامات العبادة

المطلب الأول: الوصف العام لكتابه

يعتبر تفسير "بيان السعادة في مقامات العبادة" لمحمد بن حيدر الجنازدي بوابة القرن العشرين ، يقع في مجلدين كبيرين، فرغ منه مؤلفه في الرابع عشر من شهر صفر السنة الحادية عشرة بعد الثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية، وتم طبعه في الرابع عشر من شهر رمضان المبارك "سنة 1314هـ" في طهران،¹ والكتاب مطبوع في جزأين وموجود بدار الكتب المصرية.²

وقد ابتدأ في أول تفسيره بمقدمة في بيان حقيقة العلم، والجهل المشابه للعلم، وفي شرافة هذا العلم وخساسة الجهل، وفي أن العلم كلما ازداد ضعفت الأنانية؛ وتلازم العلم والعمل، وفضل قراءة القرآن وفضل التوسل به؛ وفي آداب القراءة وكيفيةها، وجواز تفسير القرآن والنظر فيه، والتأمل في مفاهيمه والتفكير في معانيه، والفرق بين الظاهر والباطن، وفي تحقيق التفسير بالرأي، وانحصار علم القرآن بتمام مراتبه بمحمد ﷺ وأوصيائه عليهم السلام، وفي تحقيق أن القرآن ذو وجوه، وجواز نزول القرآن بوجوه مختلفة، ووقوع الزيادة والنقيصة في القرآن، وفي أن القرآن نزل تمامه في الأئمة الاثني عشر.

وقال في غرضه من تأليف الكتاب: "وقد كنت نشيطاً منذ أوان اكتسابي للعلوم وعنفوان شبابي بمطالعة كتب التفاسير والأخبار ومدارستها، ووقفتني الله تعالى لذلك، وقد كان يظهر لي بعض الأحيان من إشارات الكتب وتلويحات الأخبار، لطائف ما كنت أجدها في كتاب ولا أسمعها في خطاب، فأردت أن أثبتها في وريقات، وأجعلها نحو تفسير للكتاب، لتكون تذكرة لي وإخواني المؤمنين وتنبهاً لنفسي وجملة الغافلين"³

وقد ترددوا في نسبة هذا التفسير إلى مؤلفه، بدعوى أنه انتحال من التفاسير الأخرى.⁴

¹ ينظر مقدمة بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج 2 ص 7

² ينظر المرجع السابق التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ج 3، مكتبة وهبة القاهرة، ط 2000، ج 2، ص 148.

³ المرجع السابق بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج 1، ص 2

⁴ قال آقا بزرگ الطهراني صاحب الذريعة في حق هذا التفسير ما ملخصه: (نبهني العالم البارع المعاصر السيد حسين القزويني الحائري بانتحال وقع في هذا التفسير يكشف عن كونه لغيره ولو في الجملة، فان ما أورده في أوله من تحقيق وجوه إعراب فواتح السور من الحروف المقطعات، وإنهاء تلك الشقوق إلى ما يبهر منه العقل، توجد بتمام تفاصيلها وعين عبارتها في رسالة الشيخ علي بن أحمد المهامبي الكوكبي النوائين (المولود سنة 776هـ والمتوفي سنة 835) المشهور بـ(مخدوم علي المهامبي) صاحب تفسير: (تبصير الرحمن وتيسير المنان) المطبوع في دلهي سنة 1286هـ وطبعة بولاق سنة 1295هـ (وله شرح لفصوص الحكم لمحي

المطلب الثاني: منهجه التفسيري

افتتح الجنازدي تفسيره بيان السعادة ومقامات العبادة بمقدمة بين من خلالها الخطوط العريضة لمنهجه التفسيري والعقدي وهي كالآتي :

الفرع الأول: خطوات منهجه التفسيري

أولاً: نزول القرآن في شأن الأئمة وأشياهم وأعدائهم

يرى الخراساني أن القرآن نزل بتمامه في الأئمة الإثنا عشر نزل أثلاثاً: ثلث فيهم وفي أعدائهم، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام، فقال: "لما كان جميع الشرائع الإلهية والكتب السماوية لتصحيح الطريق الإنسانية، وتوجيه الخلق إلى الولاية، وكان أصل المتحققين بالطريق الإنسانية والولاية والمتحقق بالولاية المطلقة محمداً ﷺ وعلياً وأولادهما، صح أن يقال: حملة الشرائع الإلهية وجميع الكتب السماوية نزلت فيهم وفي توجيه الخلق إليهم، وهو أيضاً وصف وتبجيل لهم.

ولما كان كثير من آيات القرآن نزلت فيهم تصريحاً أو تعريضاً أو تورية، وما كان في أعدائهم لم يكن المقصود منه إلا الاعتبار بمخالفيهم والانزجار عن مخالفتهم ليكون سبباً للتوجه إليهم وللمعرفة قدرهم وعظمة شأنهم، وكان سائر آيات الأمر والتبهي والقصص والأخبار لتؤكد السير على الطريق الإنسانية إلى الولاية... والآية الدالة على أخبار الأخيار والأشرار الماضين كلها تعريض بالأئمة وأخيار هذه الأمة وأشراهم، مع قطع النظر عن رجوعها إليهم وإلى أعدائهم بسبب كونهم أصلاً في الخير وكون أعدائهم أصلاً في الشر، بل كل آية ذُكر فيها خير كان المراد بها أخيار الأمة، وكل آية

الدين عربي). وبالجملة المقدار المذكور من رسالة المهامي في هذا التفسير ليس هو جملة وجملتين أو سطر وسطرين حتى يحتل فيه توارد الخاطرين وتوافق النظرين. فهذا الانتحال ثبطينا عن الإذعان بصدق النسبة إلى من اشتهر بأنه له، والله العالم) (الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج3/182)، وقد أنكر هذا الانتحال أحد أحفاده في مقدمة التفسير أشد الإنكار، وقال ما ملخصه: (وان كان لازم كل تأليف أن يذكر من أقوال المتقدمين وتحقيقاتهم ويتشهد بها، وهذا لا يكون مخالفاً للتأليف ونحن نقول: أن جميع ما ذكر من التحقيقات من مبتكرات فكره، بل نقول أن كثيراً من هذه التحقيقات مما سنح بفكره الكامل ولا يكون مذكوراً في كتب المتقدمين) (بيان السعادة، ج1، مقدمة الكتاب والحق لحفيده، لأن الرسالة المذكورة لا يمكن أن ينطبق مع تفسير كبير قد ألف في أربع مجلدات كبيرة ومأخوذاً منه من غير إضافة وتكميل، مضافاً إلى ذلك إنا قايسنا موارد متعددة من التفسير والتفسير المهامي ولم نجد شيئاً مما ذكره وبديهي أن ينقل الكتاب والمؤلفين من كتاب أو رسالة آخر وهذا بالنسبة إلى تفسير بيان السعادة أمر لا يصدق عليه الانتحال، وإنما نقلنا كلام صاحب الذريعة بطوله وكلام صاحب التقديم - حفيده، ليتضح الحق ويرفع الإبهام عما نسب إلى صاحب التأليف ويمكن أن يكون نسبة الانتحال من الخلفيات المذهبية.

الباب الثاني: ... الفصل الأول: بيان السعادة في مقامات العباد: محمد بن حيدر الجنازدي.....

ذُكر فيها شر كان المراد بها أشرار الأمة، لكون الآية فيهم أو تعريضاً بهم، أو لكونهم وكون أعدائهم أصلاً في الخير والشر¹.

ثانياً: الأئمة هم ورثة علم محمد ﷺ

يرى الخراساني أن الأئمة هم ورثة محمد ﷺ فقال في مقدمة تفسيره: "إن علياً أول العشرة ووارث علم محمد ﷺ وبعده الأحد عشر من ولده، وإن الحادي عشر منهم غائب قائم منتظر لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج، ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وإن هؤلاء الاثني عشر أئمتهم وشفعاؤه يوم القيامة"².

ثالثاً: علم القرآن جميعه عند محمد والأوصياء

و مفادها أن علم القرآن جميعه عند محمد والأوصياء، وهي نظرية فلسفية صوفية شيعية تبناها الخراساني، اصطلاح عليها بـ: نظرية تفاوت المقامات، ووضحها في الفصل العاشر من الكتاب فقال: "إن علم القرآن بتمام مراتبه منحصر في محمد ﷺ وأوصيائه الإثنا عشر وليس لغيرهم إلا بقدر مقامه، قد مضى أن بطون القرآن وحقائقه كثيرة متعددة، وأن بطنه الأعلى وحقيقته العليا هو محمدية محمد، وعلوية عليّ، وهو مقام المشيئة التي هي فوق الإمكان، وكل نبي ووصي كان لا يتجاوز مقامه الإمكان سوى محمد ﷺ وأوصيائه، ومن لم يبلغ إلى مقام المشيئة لا يعلم ما فيه، ولا يتبين من ذلك المقام شيئاً، لأن المفسّر لا يتجاوز في تفسيره حد نفسه، فكل من علم من القرآن شيئاً أو فسّر منه شيئاً وإن بلغ من المقامات لا يكون علمه وتفسيره بالنسبة إلى علم القرآن إلا كقطرة من بحر محيط، فإن حقيقة القرآن - التي هي حقيقة محمد وعليّ - هي مقام الإطلاق الذي لا نهاية له.. ولما كان مقام محمد ﷺ وعليّ وأولاده المعصومين مقام المشيئة كان علم القرآن كله عندهم، وكان عليّ هو من عنده علم الكتاب"³.

رابعاً: الإمامة

الخراساني يقرر في تفسيره إمامة عليّ رضي الله عنه، وخلافته للنبي ﷺ بدون فصل، فمثلاً في

تفسيره لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾⁴

¹ المرجع السابق، بيان السعادة في مقامات العباد: محمد بن حيدر الجنازدي، ج1، ص10

² المرجع نفسه: بيان السعادة في مقامات العباد: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج1، ص2

³ ينظر المرجع نفسه مقدمة بيان السعادة في مقامات العباد: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج1،

ص5

⁴ سورة المائدة: الآية 55

قال: أن الآية نزلت في حق عليّ عليه السلام، وأن المراد من الولاية ولاية التصرف لا ولاية المعاشرة، ويرد على من يخالف ذلك بما يظهر له من الدليل، كما يبين السر الذي من أجله ذكر عليّ بوصفه دون اسمه. وذلك حيث يقول: "قد ورد من طريق العامة والخاصة أو الولاية نازلة في عليّ حيث تصدّق في المسجد في ركوع الصلاة بخاتمه أو بحلته التي كانت قيمتها ألف دينار، ومفسرو العامة لا ينكرون الأخبار في كونها نازلة في أمير المؤمنين وقد نقلوا بطرق عديدة من رواهم أنها نزلت في عليّ، ومع ذلك يقولون في تفسيرها: إن الآية نزلت بعد النهي عن اتخاذ أهل الكتاب أولياء¹"

خامسا: الرجعة

الجنازدي كغيره من علماء الإمامية يتأثر بعقيدة الرجعة، فلهذا نراه عندما فسّر قوله تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾² يستدل بهذا البعث على جواز الرجعة فيقول: "وهذه الآية تدل على جواز الرجعة كما ورد الإخبار عنها وصارت كالضرورة في هذه الأمة، وقد احتج أمير المؤمنين عليه السلام بها على ابن الكواء في إنكاره الرجعة"³

سادسا: قوله بتحريف القرآن

عقد الخراساني الفصل الحادي عشر من مقدمته في القول بتحريف القرآن فقال: "في وقوع الزيادة والنقيصة والتقديم والتأخير والتحريف والتغيير في القرآن الذي بين أظهرنا الذي أمرنا بتلاوته وامتنال أوامره ونواهيه، وقد استفاضت الأخبار عن الأئمة الأطهار "ع" بوقوع الزيادة والنقيصة والتحريف والتغيير فيه بحيث لا يكاد يقع شك في صدور بعضها منهم، وتأويل الجميع بأن الزيادة والنقيصة والتغيير إنما هي في مدركاتهم من القرآن لا في لفظ القرآن كلفة، ولا يليق بالكاملين في مخاطبتهم العامة؛ لأن الكامل يخاطب بما فيه حظ العوام والخواص وقد استفاضت الأخبار بتزول بعض السور وبعض الآيات في العام الآخر، وما ورد من أنهم جمعوه بعد رحلته وأن عليا جلس في بيته مشتغلا بجمع القرآن أكثر من أن يمكن إنكاره"⁴

وهكذا نرى الخراساني ينتصر للقول بتحريف القرآن ويضعف رأي من قال غير ذلك، ولهذا نجد في تفسيره حريصا على تصويب الآيات بزعمه التي يعتقد أنها من التحريف، فمثلا عند تفسيره

¹ المرجع السابق التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ج3، مكتبة وهبة القاهرة، ط2000، ج4، ص229.

² سورة البقرة: الآية 56

³ ينظر المرجع السابق بيان السعادة في مقامات العباد: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج2، ص211.

⁴ ينظر المرجع نفسه بيان السعادة في مقامات العباد: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج1، ص9

لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾¹ نجده يدعي كغيره من الشيعة أن القراءة الصحيحة كانت بلغ ما أنزل إليك من ربك في على ويحمل التبليغ المأمور به النبي على ذلك فحسب، ويمنع إرادة العموم وقيم الأدلة على ذلك في محاولة فاشلة²

و عندما اصطدم بقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾³ نجده يحاول أن يتخلص من هذا النص بقوله: "ولا ينافي حفظه تعالى للذكر بحسب حقيقة التحريف في صورة تدوينه، فإن التحريف وإن وقع وقع في الصورة المماثلة له كما قال الله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾"⁴

و هكذا نرى أن الحرساني ينتصر بعصية للقول بالتحريف ويجري عليه في تفسيره بعصية وعناد، شأنه شأن الجمهور من مفسري الإمامية

سابعاً: ملامح المنهج الصوفي في تفسيره:

ملامح المنهج الصوفي⁵ الإشاري يبدووا واضحا جليا ومثاله ما جاء في مقدمة تفسيره وقد كان

¹ سورة المائدة: الآية 67

² ينظر المرجع السابق بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازبي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج1، ص343

³ سورة الحجر: الآية 9

⁴ سورة البقرة: الآية 79

⁵ التصوف: جاءت كلمة التصوف من الكلمة اليونانية sofia أي الحكمة وليس من لبس الصوف كما يذهب البعض، (الرهبة والتصوف: محمد عبد الحميد الحمد، ص45).

واستعملت كلمة تصوف للدلالة على السلوك وكلمة متصوف للدلالة على السالك في الطريق. وقيل المراد بالتصوف التضحية في سبيل القيام بحقوق العبودية لله تعالى والاتصاف بالأوصاف الحمديّة والإقبال على الطاعات وبذل النفس والنفيس في سبيل الجهاد الأكبر والأصغر في سبيل الله عزّ وجل وقيل التصوف مشتق من الصفا.

أما التصوف اصطلاحاً: قال الجنيد: التصوف حفظ الأوقات وقال هو أن لا يطالع العبد غير حده ولا يوافق غير ربه. (الرسالة القشيرية: القشيري، باب التصوف، ت: أنس الشرفاوي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، دت ج1/ص127).

أما الغزالي رحمه الله عرفه بقوله: «فالذي يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أمر فيها بالاعتناء والتخلق بأخلاق الربوبية، حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله» (إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، ج4/ص324)

وقال الفتازاني: "الفناء في الحقيقة المطلقة وهو أمر يميز التصوف بمعناه الاصطلاحي الدقيق(الموسوعة الفلسفية العربية: ج1/ص259)، أما التصوف عند المتأخرين من الصوفية فعرفه زكي مبارك" التصوف هو كل عاطفة صادقة متينة الأواصر قوية الأصول لا يساورها ضعف ولا يطمع فيها ارتياب.

فالتصوف الإسلامي حركة زهديه ولجأ إليه جماعة من المسلمين تاركين ملذات الدنيا سعياً للفوز بالجنة واقتداءً بالنبي ﷺ وصحابه في الزهد ثم تطور وأصبح نظاماً له اتجاهات عقائدية وعقلية ونفسية وسلوكية. ومن مظاهر الزهد الإكثار من الصوم والتقشف في

يظهر لي بعض الأحيان من إشارات الكتاب وتلويحات الأخبار لطائف ما كنت أجدتها في كتاب ولا أسمعها من خطاب، فأردت أن أثبتها في وريقات، وأجعلها نحو تفسير للكتاب.¹

والمعروف عن المنهج الصوفي نزوغه إلى الشطحات والتأويلات والإشارات المبهمة الغامضة التي يعرفها إلا صاحب الطريقة الصوفية فتنسيهه مليء باصطلاحات الصوفية ورموزها فمن ذلك:

أ/ القرية: في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾.²

فسرها بقوله: "إن كان التزول في ضعفاء مكة فلا اختصاص لها بهم كما في الخبر فالقرية مكة، وكل قرية لا يجد الشيعة فيها وليا من الإمام ومشايخهم، وكل قرية وقع بها الأئمة بين منافقي الأمة وقرية النفس الحيوانية التي لا يجد الجنود الإنسانية فيها وليا، ويطلبون الخروج منها إلى قرية الصدور ومدينة القلب ويسألون الحضور عند إمامهم أو مشايخهم في بيت القلب خاليا عن مزاحمة الأغيار³ بقولهم:

﴿ وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾⁴

ب/ اليتيم: اليتيم كالرحم روحاني وجسماني، فالجسماني من انقطع من صغره عن أبيه الجسماني، والروحاني من انقطع عن إمامه الذي هو أبوه الروحاني كما ورد تصريحاً وإشارة.

واليتيم عن الإمام إما بغيبته عن شهود حسه بموت وغيره أو بغيبته عن شهود بصيرته بعدم استعداد الحضور وعدم حصول الفكر الذي هو مصطلح الصوفية، فإن من لم يتمثل مثال الشيخ في صدره ولم يشاهد صورته المثالية بعين بصيرته كان منقطعاً عن إمامة وحقه الخدمة والمواساة والمحبة والنصيحة التي يعطون الميثاق عليها، هذا هو اليتيم الروحاني في العالم الكبير. وأما في العالم الصغير فالقوى الحيوانية والبشرية ما لم تبلغ في التبعية للنفس إلى مقام التمتع والالتذاذ بشهود النفس لشيخها تكون يتامى وما لها وحقها التلذذ بمشيتها ومقتضياتها في الحلال، فإن التلذذ في الحلال جعل قسيماً لتزود المعاد في الأخبار¹

المأكل والملبس ونبد ملذات الحياة والتجرد عن ضروراتها. إلا أن الزهد في الإسلام لا يعني هجر الدنيا وترك العمل فالإسلام دين وسط واعتدال "لا يدعو للرهبانية والتطرف" (أسعد الحمراي: التصوف منشؤه ومصطلحاته، ص18)

¹ ينظر المرجع السابق: بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج1 ص12-13.

² سورة النساء: الآية 75

³ المرجع السابق: بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج1 ص190.

⁴ سورة النساء: الآية 75

¹ المرجع السابق: بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج1 ص190.

الفرع الثاني: خطوات منهجه التفسيري

أولاً: يذكر أولاً اسم السورة وعدد آياتها، ومكيها ومدنيها، وفضلها وفضل قراءتها، ثم يشرع في تفسير الآيات، مبتدئاً بقراءتها ونحوها ولغتها، والأقوال التي فيها، ثم تفسيرها، والاستشهاد بمأثورها عن طريق أهل البيت.

ثانياً: ربط الآيات وجعل الآيات اللاحقة مربوطة بالسابقة، والاعتقاد بأن الآيات في الواقع كلها مرتبطة ومنتظمة.

ثالثاً: ومن منهج صاحب التفسير أنه لم يذكر ما اعتمده من التفاسير، وإذا نقل شيئاً من مصدر لم يعين موضعه، وكذا في نقل الأحاديث والروايات عن النبي وأئمة أهل البيت عليهم السلام، مكتفياً بذكر اسم الكتاب أو مؤلفه.

رابعاً: اهتمام المفسر بالجمع والتطبيق بين الأخبار المختلفة في تفسير الآيات وعدم طرح الحديث (ولو كان ضعيفاً، أو لا يمكن الأخذ به).

خامساً: اعتماده على أخبار الضعاف، والموضوع من القول بتحريف القرآن.

سادساً: اشتماله على الغلو وعدم تمييز الأخبار الضعيفة وما نسب إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام.

سابعاً: احتواؤه على شطحات الصوفية، وانطباق النظريات التأويلية العرفانية على القرآن، وتوجيه روايات الضعاف والإسرائيليات على الرموز والإشارات حتى لا يوجب طرح حديث¹.

¹ ينظر: المرجع السابق، التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ج3، مكتبة وهبة القاهرة، ط2000، ج2/199.

المبحث الثالث: مسلك الجنازدي في تناول القصص القرآني

نعالج في هذا المبحث مسلك الجنازدي في تناول القصص القرآني، خاصة أنه أقرّ في كتابه فصلاً حول القصص القرآني حيث قال: أن القصص القرآني وما ورد في شروحه من الروايات على اختلافها وتضاربها، ليس المقصود منه ظاهره الذي يتبادر إلى الذهن، بل هو من قبيل المرموزات التي رمزوا بها لأشياء يعلمونها ويريدونها، كما يقرر أن من يريد حملها على الظاهر فلا بد وأن يتبحر فيها، وليس بمن له أن يصل إلى حقيقتها، لذا لزم علي أن أسوق نماذج قصصية لتوضيح الطريقة والمسلك الذي جرى عليه الجنازدي، ومقدار تأثيره بتزعمه الصوفية وهواه الشيعي الاثني عشري.

النموذج الأول: قصة موسى عليه السلام

بدأ تفسير القصة بقوله: "إن اتخذهم العجل كان بتهاونهم بالصلاة على محمد ﷺ وآله (ع) وبترك التوسل بهم: ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾¹ بتوسلكم بمحمد ﷺ وآله عليه السلام بعد ذلك اذكر إذ ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾² ما به يفرق بين الحق والباطل والحق والمبطل، والمراد بالكتاب النبوة والتوراة صورتها وبالفرقان الرسالة والمراد بالكتاب النبوة والرسالة وبالفرقان الولاية فإنها الفارقة بين الخير والشر والخير والشرير والتوراة صورتها ولذا فسر الكتاب بالتوراة أو النبوة يعني التي كانت في موسى عليه السلام والفرقان بالإقرار بمحمد ﷺ والطيبين من آل الله عليه السلام فإنه كالولاية فارق... ألا به قال موسى عليه السلام ما هو يارب؟ قال الله: يا موسى تأخذ عليهم أن محمد ﷺ خير النبيين وسيد المرسلين وأن أخاه ووصيه علياً خير الوصيين، وأن أوليائه الذين يقيمهم سادة الخلق، وإن شيعته المنقادين له ولخلفائه نجوم الفردوس إلا على وملوك جنات عدن فأخذ عليهم موسى ذلك، فمنهم من اعتقد حقاً ومنهم من أعطاه بلسانه دون قلبه، فالفرقان النور المبين الذي كان يلوح على جبين من آمن بمحمد ﷺ وعلي عليه السلام وعترتهما وشيعتهما وفقده من جبين من أعطى ذلك بلسانه دون قلبه. أقول الإقرار بهذه المعاني والمراتب المذكورة ليس إلا بقبول الولاية فإنه بالولاية يتبين مراتب الوجود وأن بعضها أفضل من بعض ومراتب الرسل والأوصياء وأن بعضهم أكمل من بعض لا غيرها. ولعلكم تهتدون إلى مقامات الأنبياء والرسل ومراتب الوجود ومراحل السلوك وعوالي العوالم¹.

¹ سورة البقرة: الآية 56.

² سورة البقرة: الآية 53.

¹ المرجع السابق: بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج1، ص 94.

وفي قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ

نَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ¹ قال في تفسيرها: "ثم بعثناكم من بعد موتكم إشارة إلى أن البعثة كانت عن موت لا عن إغماء، وهذه الآية تدل على جواز الرجعة، كما وردت الأخبار بها وصارت كالضروري في هذه الأمة وقد احتج أمير المؤمنين بها على ابن الكواء في إنكار الرجعة"²

مناقشة:

اعتمد الخراساني في عرضه لهذه القصة على التأويل الباطني اعتمادا كلياً، فلا يترك شاردة ولا واردة في القصة إلا اغتنمها لنصرة مذهبه أو في إثبات معتقد من معتقده، من إمامة وعصمة ورجعة... فقله: " أن اتخاذهم العجل كان بتهاونهم بالصلاة على محمد ﷺ وآله (ع) وبترك التوسل بهم. وقوله: " ثم بعثناكم من بعد موتكم وهذه الآية تدل على جواز الرجعة، كما وردت الأخبار بها وصارت كالضروري في هذه الأمة وقد احتج أمير المؤمنين بها... " فمثل هذه التأويلات كلها باطلة لا يدل عليها سياق الكلام، فالكلام موجه لبني إسرائيل فهم المعنيون به، والبعث المقصود في الآية هو بعثهم بعد موتهم، وقد وقع ذلك من قدرة الله تعالى، وأما ما قاله صاحب التفسير فهو غير صحيح وإنما أراد أن يخدم معتقده فحمل الآيات على غير معناها الصحيح. ولا يخفى أن هذه خرافات يتزده كتاب الله عنها، ولو صحت نسبتها لكانت أكبر دليل على خفة عقول القوم وأنه لا علم لهم كيف يعقل ربط ما حدث في زمن موسى ﷺ بزمن خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

و بهذا نقول أن الجنازدي سلك مسلك الصوفية، مع لون من مذهب الإمامية بنقل أحاديث الأئمة الاثني عشر من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، فمزج التفسير الصوفي الذي يقوم على الرموز والإشارات والبحوث الفلسفية، مع المبحث اللفظي والدلالي، هذا ما جعله يفرغ القصة من محتواها ويصرفها عن مقاصدها السامية.

¹ سورة البقرة: الآية 56.

² المرجع السابق: بيان السعادة في مقامات العباداة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج1، ص 95.

النموذج الثاني: قصة آدم عليه السلام

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾¹ قال الخراساني: " روي في تفسير الإمام علي أنها شجرة علم محمد عليه السلام وآل محمد الذين آثرهم الله تعالى به دون سائر خلقه فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ شجرة العلم فإنها لمحمد وآله دون غيرهم، ولا يتناول منها بأمر الله تعالى"²

مناقشة:

من خلال ما تم عرضه لقصة آدم عليه السلام يتبين أن الخراساني أغفل المعنى الحقيقي واعتمد على أسلوب الجري وأول الآية تأويلا باطنيا على أن الشجرة هي شجرة علم محمد وآل بيته بيد أن المعنى الحقيقي والواضح وضوح الشمس من الآية أنها شجرة حقيقية، كذلك من بين المآخذ المسجلة على هذه القصة اعتماده اعتمادا كلياً على قول الأئمة وما نسب إليهم من تفسير.

بالإضافة حوضه في الغيبات دون علم ودليل ولا لشيء إلا لنصرة اتجاهه العقدي الاثني عشري الذي ينص على العصمة والإمام... إلخ

و ما يلاحظ أيضا مخالفته سياق الآية فقد ورد فيها النص على أن آدم وزوجه أكلا من الشجرة التي فاهما الله عنها، فلو كانت شجرة محمد عليه السلام وآله في هذا العلم الذي خصهم الله تعالى به، وهذا ما لا يقول به الرافضة، كما أن السياق ينص على أن سوءاتهما قد بدت لهما بمجرد أكلهما من الشجرة، ولو كانت شجرة علم وبركة لمحمد عليه السلام وآله لما كان هذا أثر الأكل منها.³

النموذج الثالث: قصة الذبيح إسماعيل عليه السلام

عند تعرضه لقصة إسماعيل عليه السلام، ووقفاً عند قوله تعالى: ﴿ وَقَدَيْتَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾¹ قال: وفديناه بذبح عظيم أي عظيم الجثة، أو عظيم القدر، قد اختلفت الأخبار في أن الذبيح كان إسماعيل أو إسحاق - عليهما السلام - والمشهور من الأخبار أنه كان إسماعيل عليه السلام، وأنه كان جد نبينا محمد

¹ سورة البقرة: الآية 35

² المرجع السابق: بيان السعادة في مقامات العباداة: محمد بن حيدر الجنابزي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج1، ص81.

³ ينظر الإتجاهات المتحرفة في العصر الحديث: عادل بن عدي الشدي، الناشر مدار الوطن للنشر بالرياض، الطبعة الأولى 2010م

ج1، ص40

¹ سورة الصافات: الآية 107

ﷺ وأن السلطنة كانت في أولاد إسماعيل عليه السلام والنبوة في أولاد إسحاق، وإن البشارة كانت أولا بإسماعيل، وثانيا بإسحاق من سارة، وإن هاجر كانت جارية لسارة فوهبتها لإبراهيم، وإن هاجر حملت بإبراهيم وولده اغتاضت سارة لأنها لم يكن لها ولد حينئذ فكانت تؤذي إبراهيم فاشتكى إلى الله فقال: الله تعالى: إن المرأة مثل عظم الضلع، لو ذهبت تقيمها كسرتها ولو أبقيتها استمعت بها نجا هاجر وإسماعيل من عندها فذهب بها وبولدها بأمر الله ودلالة جبرائيل عليه السلام إلى مكة ولم يكن بها ماء ولا عمارة ولا أحد وإن بين بشارة إبراهيم بإسماعيل وبين بشارته بإسحاق كانت خمس سنين، ووري عن الصادق أنه سئل كم كان بين بشارة إبراهيم عليه السلام بإسماعيل وبين بشارته بإسحاق؟ قال كان بين البشارتين خمس سنين، قال الله سبحانه " وبشرناه بغلام حلیم " يعني إسماعيل وهو أول بشارة بشر الله بها إبراهيم عليه السلام في الولد ولما ولد لإبراهيم عليه السلام إسحاق من سارة وبلغ إسحاق ثلاث سنين أقبل إسماعيل إلى إسحاق - عليهما السلام - وهو في حجر إبراهيم فتحاه وجلس مجلسه فبصرت سارة فقال: " يا إبراهيم ينحني ابن هاجر ابني من حرك ويجلس هو مكانه لا والله لا تجاورني هاجر و ابنها في بلاد أبدا فنحهما عني، وكان إبراهيم مكرما لسارة ويعزها ويعرف حقها، وذلك لأنها كانت من ولد الأنبياء، وبنت خالته فشق ذلك على إبراهيم، واغتم لفراق إسماعيل فلما كان في الليل أتى إبراهيم آت من ربه فأراه الرؤيا في ذبح ابنه إسماعيل موسم مكة فأصبح إبراهيم حزينا للرؤيا فلما حضر موسم ذلك العام حمل إبراهيم عليه السلام هاجر وإسماعيل في ذي الحجة من أرض الشام.¹

فانطلق بهما إلى مكة ليدبجه في الموسم فبدأ بقواعد البيت الحرام، فلما رفع قواعده خرج إلى منى حاجا وقضى نسكه ثم رجع إلى مكة فطاف بالبيت أسبوعا فلم صار في السعي قال لإبراهيم عليه السلام لإسماعيل عليه السلام يا بني إني أرى أي أذبحك في الموسم عامي هذا فانظر فماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر".²

مناقشة:

إن قول الجنازدي: "و المشهور من الأخبار أنه كان إسماعيل عليه السلام، وأنه كان جد نبينا محمد ﷺ... هو المتداول بين أهل التفسير، ولكن رغم أن ما ذكره صحيحا إلا أن السمة الغالبة على تفسيره هي كثرة التأويلات الباطنية والشطحات الصوفية التي أغرق بها التفسير، فنتج عن ازدواجية التشيع والتصوف طامات ورزايا أخرجت التفسير عن دائرة المؤلف، ولعل القارئ يلمس أن عرض

¹ المرجع السابق: بيان السعادة في مقامات العباد: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج 3، ص 345.

² المرجع نفسه: بيان السعادة في مقامات العباد: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج 3، ص 345.

الباب الثاني:.... الفصل الأول: بيان السعارة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازي.....

الخراساني للقصص القرآني في تفسيره جاء غريبا لا يحقق مقصد القصص القرآني، فهو بمثابة هدم صريح لمعان القرآن ومقاصده السامية فهذا ليس غريبا على الشيعة فهي تعول كثيرا على المعاني

الباطنية لأن فيها خدمة لمعتقداتها حتى تؤثر من خلالها على الجهلة وخفاف العقول. فمثل هذا التأويلات محاولات فاشلة غرضها خدمة المذهب حتى ولو كانت بأدلة وحجج واهية.

فالخراساني مفسر إمامي متطرف يعتقد أن عليا وارث علم محمد ﷺ وبعده الأئمة الأحد عشر من ولده، وأن العترة هم المبينون للقرآن الكريم، وأن علم القرآن عندهم وما عداهم فعلمه قاصر ويعتقد بتحريف القرآن وتبديله، ويقول بالرجعة وجواز نكاح المتعة وبمسح الرجلين في الوضوء، وأن الأنبياء يورثون وينكر رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وغير ذلك من عقائد الشيعة، وعليه هذا الكتاب يمتاز بسرد آراء الأئمة الإمامية مع مزجه بالآراء الصوفية والأمور الفلسفية الدقيقة، مع شيء من التعصب المذموم للمذهب والإفراط الغالي في الرد على المخالف والإطالة في ذلك.

والذي نلاحظه في هذا التفسير : أنه يدافع عن أصول مذهبه ويطيل في دفاعه، مع تعصب كبير، وتطرف بالغ إلى درجة الغلو والعناد.

المبحث الرابع: موارد الجنازدي في تفسيره للقصص القرآني

المطلب الأول: مصادره التفسيرية والروائية

إن الرجوع إلى مصادر الجنازدي، والنقل منها، من الصعوبة بمكان، وذلك لعدم ذكره لها، بل أشار إليها في مقدمة تفسيره، والشيء الذي سهل نوعاً ما الوقوف على مصادره هو مسلكه الاثني عشري الصوفي، ومن جملة مصادره الإمامية، تفاسير القدماء التي ترجع إلى القرن الثالث الهجري والتي تعتبر لبنة التفسير عنده، إذ تؤسس لمعتقد فرقة، والمتمثلة في تفسير الحسن العسكري، القمي، العياشي، الصافي... إلخ¹

كذلك أشار الجنازدي بأسلوب بلاغي إلى مراجعه في التفسير والحديث، ولا يستطيع أحد أن يفك رموزه إلا إذا كان له باع في اللغة والمعاني، مما جاء في مقدمة كتابه قوله: " والصلاة والسلام علي ملائكته وأنبيائه ورسله خصوصاً علي من أنزل عليه القرآن، الذي هو مجمع البحرين للوجوب والإمكان، ومجمع البيان لكل ذكر وكتاب وتبيان، الصافي عن كل مین وخلف وارتياب، والوافي بكل وعد في خير وصواب والشافي لكل مرض وعناء في النفوس والأجسام، والكافي للبصير عن كل كتاب وخطاب وكلام" .. فذكر مراجعه بشكل ظريف وهي: مجمع البحرين في اللغة، مجمع البيان والتبيان والصافي في التفسير، الوافي والشافي والكافي في الحديث².

وبالإضافة إلى هذه المراجع، نراه يستشهد في الأبحاث الفلسفية والعرفانية بالأشعار الفارسية للشاعر جلال الدين الرومي المولوي.

سنعرض لهذه المصادر مفصلين القول في مصادره التفسيرية للقصص القرآني، فضلاً عن كون هذه المصادر تشكل جزءاً من مسلك المؤلف.

أولاً: التفسير المنسوب للحسن العسكري¹.

يعتبر هذا الكتاب من أهم مؤلفات الإمامية في القرن الثالث الهجري، وسفراً نفيساً رغم

¹ ينظر المرجع السابق مقدمة بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج 1 ص 9

² ينظر المرجع نفسه: بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج 1، ص 1

¹ الحسن العسكري: (231هـ - ت...) هو أبو محمد الحسن بن عليّ الهادي بن محمد الجواد ابن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، الإمام الحادي عشر عند الإمامية الإثنا عشرية، والمعروف بالحسن العسكري، نسبة إلى مدينة العسكر، والتي سميت فيما بعد بسامراء بالعراق وله فيها مشهد مشهور وهو والد المهدي المنتظر. الغائب الموهوم كما سماه إلهي ظهير. ينظر أعيان الشيعة ج 4 ص 288. والتفسير والمفسرون: محمد هادي معرفة، ج 12 ص 58.

صغر حجمه وذلك لأنه يؤصل لعقيدتهم وما يتصل بها من تقية وعصمة وولاية... إلخ¹

قال الذهبي: "عثرنا على هذا التفسير في دار الكتب المصرية فوجدناه منسوباً إلى الإمام أبي محمد الحسن العسكري، ومروياً عنه برواية أبي يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، وأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن سيار، وهما من الشيعة الإمامية، وقد تلقيا هذا التفسير وكتباه عن الحسن العسكري في سبع سنين".²

ومما أفاده الخراساني من تفسير الحسن العسكري: ما ورد ذكره في شأن قصة آدم عليه السلام قال: أطلق لهما الأكل من أي مأكول شاء أو في أي مكان وزمان أرادا، ونهيهما عن الأكل من شجرة مخصوصة، وتعليق النهي عن القرب من الشجرة للمبالغة في النثر هي الأكل أو للنهي عن القرب حقيقة، فإن القرب للشيء يورث توقان النفس إليه... روي في تفسير الإمام علي أنها شجرة علم محمد عليه السلام وآل محمد الذين آثرهم الله تعالى به دون سائر خلقه فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾³ شجرة العلم فإنها لمحمد وآله دون غيرهم، ولا يتناول منها بأمر الله إلا وهم منها، وما كان يتناوله النبي - صلى الله عليه وآله - وعلي عليه السلام وفاطمة، والحسن والحسين - عليهما السلام - بعد إطعامهم المسكين واليتيم والأسير، حتى لم يحسوا بجوع ولا عطش ولا تعب...⁴

ثانياً: تفسير علي بن إبراهيم القمي (ت 329هـ)⁵: يعتبر من أقدم تفاسير الإمامية النقلية، وأكثر روايات القمي تنتهي إلى محمد الباقر وجعفر الصادق، ومنها ما هو مروى عن علي بن الحسين وعلي بن أبي طالب، قال عنه الذهبي "علي بن إبراهيم، أبو الحسن الحمدي، رافضي جلد. له تفسير فيه مصائب، يروى عن ابن أبي داود، وابن عقدة، وجماعة"¹

¹ ينظر مقدمة الكتاب: التفسير المنسوب للحسن العسكري، ت: مدرسة الإمام المهدي، الطبعة الأولى 1409هـ ص 5

² ينظر المرجع السابق التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ج3، مكتبة وهبة القاهرة، ط2000، ج4، ص219.

³ سورة البقرة: الآية 35

⁴ ينظر المرجع السابق بيان السعادة في مقامات العباداة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج2، ص530 وينظر التفسير المنسوب للحسن العسكري، ت: مدرسة الإمام المهدي، الطبعة الأولى 1409هـ ج1، ص221.

⁵ القمي: هو علي بن إبراهيم بن هاشم القمي من أعلام القرن الثالث الهجري، راوي وفقه ومفسر شيعي، يعد من أشهر رواة الشيعة وأبرزهم وأوثقهم، وقد رُويت عنه العديد من الروايات في مجموعات روائية شيعية كبيرة، حيث بلغ عدد الروايات التي رواها عن والده إبراهيم بن هاشم فقط سبعة آلاف وثمانية وستين رواية. وقد روى الكليني أكثر من سبعة آلاف رواية عن أستاذه القمي في كتابه الكافي ت 329هـ ودفن في قم الإيرانية. ينظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين الذهبي ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1963 م، ج3/ص244

¹ ينظر المرجع السابق ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين الذهبي ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1963، ج3، ص244.

والنصوص التي أخذها الخراساني من هذا التفسير كثيرة مقارنة مما أخذه من بقية تفاسير الإمامية وأكثرها في أسباب التزول فالقمي يؤول الكثير من الآيات بفضائل أهل البيت ومثالب أعدائهم تفسيراً باطنياً، بالإضافة إلى بيان معاني المفردات، أسباب التزول، القصص القرآني، هذا المنهج في الحقيقة شكل مادة دسمة للخراساني ومن جاء بعده¹.

ومما نقله الخراساني في بحثه الروائي عن القمي قوله: "وفي تفسير القمي سئل الصادق -عليه السلام- عن جنة آدم من جنات الدنيا أم من جنات الآخرة؟ فقال: كانت من جنات الدنيا، تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنات الآخرة ما أخرج منها أبداً" أقول: تقدم ما يتعلق بها في سابقها² وما يلاحظ أثناء نقله من تفاسير القدامى كالقمي رغم غرابتها يردها دون تعليق أو تصحيح

ثالثاً: تفسير العياشي

هو لأبي النضر محمد بن مسعود العياشي³ وهذا التفسير يعدُّ من أقدم التفاسير الشيعية ذات المصادر الحديثية التي تعتمد على الروايات عن أهل البيت مما زاد تفسيره مكانة علمية عند مفسري الإمامية، وقد نقل منه الخراساني روايات في التفسير وأسباب التزول طارحاً إسنادها غالباً، مكتفياً بالإشارة إلى من رويت عنهم من الأئمة، وأكثر هذه الروايات عن محمد الباقر وجعفر الصادق، وبعضها عن علي بن الحسين وعلي بن أبي طالب.

وما أفاده أيضاً من تفسير العياشي قوله ما ورد في قصة آدم -عليه السلام-، عند تفسيره لقوله تعالى

﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾¹ قال: عن جابر عن أبي جعفر

-عليه السلام- قال: قال رسول الله ﷺ إن الله حين أهبط آدم إلى الأرض أمره أن يجرث بيده فيأكل من كده بعد

¹ ينظر موسوعة التفسير الدرر السنية: إشراف عبد القادر السقاف، ص58.

² ينظر المرجع السابق بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج 2، ص253. وينظر تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ.

ج1، ص123

³ العياشي: هو أبو النضر محمد بن مسعود العياشي السمرقندي، المعروف بالعياشي من أعيان علماء الشيعة ممن عاش في أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع من الهجرة، نشأ على مذهب أهل السنة ثم تشييع، فكان أحد أساطين العلم وأعيان الطائفة، واشتغل في حداثة سنه بتحصيل العلم حتى برع وتمهّر في شتى العلوم، كالفقه والحديث والطب والنجوم وغيرها... من تلامذته الشيخ محمد بن عمر الكشي، نجله الشيخ جعفر، من مؤلفاته تفسير العياشي (مجلدان) وقال عنه النجاشي: ثقة، صدوق، عين من أعيان هذه الطائفة، وكبيرها" ينظر (رجال النجاشي ص24، ط قم إيران)، وقال ابن النديم: من فقهاء الشيعة الإمامية، أوحد دهره وزمانه" (ينظر أعيان الشيعة" ج1 ص5).

¹ سورة البقرة: الآية 37

الجنة ونعيمها، فلبث بجار¹ ويكي على الجنة مائتي سنة ثم إنه سجد لله سجدة فلم يرفع رأسه ثلاثة أيام ولياليها، ثم قال أي رب ألم تخلقني؟ فقال الله قد فعلت، فقال: ألم تنفخ في من روحك؟ قال قد فعلت، قال ألم تسبق لي رحمتك غضبك؟ قال الله: قد فعلت فهل صبرت أم شكرت؟ قال آدم: لا إله إلا أنت سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم الله وتاب عليه إنه هو التواب الرحيم.²

وساق رواية أخرى: عن عبد الرحمان بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى عرض على آدم في الميثاق ذريته. فمر به النبي صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على علي عليه السلام وفاطمة صلوات الله عليهما تتلوهاما والحسن والحسين يتلوان فاطمة، فقال الله يا آدم إياك أن تنظر إليهم بحسد أهبطك من جواربي فلما أسكنه الله الجنة مثل له النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فنظر³ إليهم بحسد ثم عرضت عليه الولاية فأنكرها فرمته الجنة بأوراقها، فلما تاب إلى الله من حسده وأقر بالولاية ودعا بحق الخمسة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام غفر الله له⁴ " فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " .

وفي رواية أخرى: عن محمد بن عيسى بن عبد الله العلوي، عن أبيه عن جده، عن علي عليه السلام قال: الكلمات التي تلقاها آدم من ربه، قال: يا رب: أسألك بحق محمد لما تبت عليّ قال: وما علمك بمحمد؟ قال: رأيت في سرادقك الأعظم مكتوباً وأنا في الجنة.⁵

المطلب الثاني: مصادره التفسيرية والروائية السنية

أولاً: مصادره التفسيرية السنية

أ/ أنوار التزويل وأسرار التأويل: ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت 685هـ)

نقل الجنازدي من أنوار التزويل وأسرار التأويل المفردات اللغوية، ومن جملة ما اعتمد عليه أثناء عرضه لقصة أصحاب الكهف فقال في معنى: ﴿ إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾¹ فقال أصلها إحداث هيئة الشيء.²

¹: بجار: جار الرجل إلى الله عز وجل أي تضرع بالدعاء.

² ينظر المرجع السابق بيان السعادة ومقامات العبادة: الجنازدي، ج2، 221، تفسير العياشي، ج1، ص 130.

³ ينظر المرجع نفسه بيان السعادة ومقامات العبادة: الجنازدي، ج 2 ص: تفسير العياشي ج1، ص131

⁴ ينظر المرجع نفسه بيان السعادة ومقامات العبادة: الجنازدي، ج 2 ص تفسير العياشي، ج1، ص131.

⁵ ينظر المرجع نفسه بيان السعادة ومقامات العبادة: الجنازدي، ج 2 ص مرجع سابق: تفسير العياشي، ج1، ص 131..

¹ سورة الكهف: الآية 10

² ينظر المرجع السابق بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج11،

ص121.

ثانياً: الجنازدي شيعي اثني عشري لذلك نجد من المقلين بالاستشهاد بالأحاديث النبوية، وحتى إن أوردها من باب القدح والذم، بل أظهر الخراساني موقفه المعادي والمتعصب لصحابة رسول الله ﷺ وبدا هذا واضحاً في تفسيره، فجاء في الفصل الرابع عشر من المقدمة قوله: " إذا ذكر الخير كنتم - أي الأئمة أصله - و فرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه، وهكذا الحال في أعدائكم بحكم المقابلة، فإن ذكر الشر كانوا أوله وآخره وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه"¹

ولقد وقفت على بعض الأحاديث متناثرة في تفسيره، حيث يزعم أنها مروية عن الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، مثاله: حديث منسوب إلى الرسول ﷺ في شأن نبي الله يونس بن متى عليه السلام حيث قال: روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم وآله - عاش يوشع بن نون بعد موسى ثلاثين سنة، وخرجت عليه صفوراء بنت شعيب زوجة موسى عليه السلام، فقالت أنا أحق منك بالأمر فقاتلها فقتل مقاتليها وأحسن أسرها، وأن بنت أبي بكر ستخرج علي علي عليه السلام في كذا وكذا ألفاً من أمي فيقاتلها، فيقتل مقاتليها، ويأسرها ويحسن أسرها، وفيها أنزل الله ﴿ **وَقَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى** ﴾² يعني صفوراء بنت شعيب عليه السلام"³

كما ورد في تفسيره استشهاداً برواية: عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت قال رسول الله ﷺ " أن الله قد عهد إلي من خرج عليّ فهو كافر في النار" و قال أخرج الدار قطني في الأفراد عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: علي باب حطة من دخل فيه كان مؤمناً، ومن خرج كان كافراً" و حديث: نسب إلى النبي أنه قال العلم علمان فعلم في القلب إشارة، وعلم على اللسان، إشارة إلى الجهة الجهلية فذلك حجة الله علي"¹

المطلب الثالث: موقف الجنازدي من الصحابة - رضي الله عنهم -

المعروف عن الخراساني تعصبه الشديد، وقدحه في صحابة رسول الله ﷺ كما جاء في مقدمة تفسيره بيان السعادة ومقامات العبادة، وقد بدا هذا واضحاً خاصة عند تفسيره للقصص النبوي، حيث أخرج القصة عن أهدافها الحقيقة، ومثاله حادثة الإفك، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ**

¹ ينظر المرجع السابق، بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج 1، ص 13

² سورة الأحزاب: الآية 33

³ المرجع نفسه بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج 1، ص 296

¹ المرجع نفسه بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج 1، ص 210-

الَّذِينَ جَاءُوا بِإِلْفِكَ عُصْبَةٌ مِّنْكَ ¹ قال: "نقل الخاصة - يعني الشيعة - أنها نزلت في مارية القبطية، وما رمتها بها عائشة: لما روي عن الباقر قال: لما هلك إبراهيم بن رسول الله ﷺ حزن عليه حزنا شديدا، فقالت له عائشة: ما الذي يجزئك عليه، فما هو إلا ابن جريج، فبعث رسول الله ﷺ عليا الكليلا وأمره بقتله، فذهب علي الكليلا إليه ومعه السيف وكان جريج القبطي في حائط فضرب علي الكليلا باب البستان فأقبل إليه جريج ليفتح له الباب، فلما رأى علياً عرف في وجهه الشر فأدبر راجعاً ولم يفتح الباب، فوثب علي الكليلا على الحائط ونزل إلى البستان وأتبعه وولى جريج مديراً، فلما خشى أن يرهقه صعد في نخلة وصعد علي الكليلا في إثره، فلما دنا منه رمى جريج بنفسه من فوق النخلة فبدت عورته، فإذا ليس له: ما للرجال ولا له: ما للنساء، فانصرف علي الكليلا إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إذا بعثتني في الأمر أكون فيه كالمسمار المحمى أم أثبت؟ قال: لا بل أثبت، قال: والذي بعثك بالحق ماله: ما للرجال وماله: ما للنساء، فقال: الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت" ²

و الشاهد في هذا الطعن على عائشة بعد أن كانت معاني الآيات في فضلها أصبحت على هذا التحريف طعنا صريحا فيها.

كما بالغ عند تصريحه بمعاداته وطعنه في خيرة صحابة رسول الله ﷺ وذلك إثر تفسيره لقوله تعالى: **﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾** ³ فقال: "اعلم أن العامة جعلوا هذه الآية دالة على فضيلة أبي بكر حيث كان أول من هاجر وذكر بمصاحبة الرسول ﷺ ولا دلالة في الآية على فضيلة له، إن تكن دلالة على ذمه، فقد قال الباقر: إن رسول الله ﷺ أقبل على أبي بكر يقول له في الغار اسكن فإن الله معنا وقد أخذته الرعدة وهو لا يسكن، فلما رأى رسول الله ﷺ حاله قال له: "أتريد أن أريك أصحابي من الأنصار... الخبر الذي مر في كلام القمي" ¹

ولا شك أن هذه خرافة تحمل بطلانها في طياتها، وتصور عقيدة القوم في خيرة الصحابة، إذا كان هذا موقفه من الصحابة لذا لا نستغرب في عدم أخذه ورجوعه لأحاديثهم المروية عن رسول الله ﷺ.

¹ سورة النور: الآية 11

² ينظر المرجع السابق بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج2، ص66

³ سورة التوبة: الآية 40

¹ ينظر المرجع السابق بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج1، ص

المطلب الرابع: موقفه من الإسرائيليات

الخراساني لم يصرح بقبوله ورفضه للإسرائيليات، غير أن الذهبي وضح منهج الخراساني وتعامله مع الإسرائيليات فقال: "احتواءه على شطحيات الصوفية، وانطباق النظريات التأويلية العرفانية على القرآن، وتوجيه روايات الضعاف والإسرائيليات على الرموز والاشارات"¹

وهذا معناه أنه يستند إلى الإسرائيليات أثناء عرضه للقصص القرآني، إلا أنه يضيف عليها صبغة صوفية عن طريق المرموزات ومثاله: فعندما تكلم على قصة آدم في أول البقرة وجدناه يقول: "ولما كان قصة آدم وخلقته، وأمر الملائكة بسجده، وإبء إبليس عن السجود، وهبوطه من الجنة، وبكائه في فراق الجنة وفراق حواء، وخلقته حواء من ضلع الجنب الأيسر، وغرورة بقول الشيطان وحواء، وكثرة نسله، وحمل حواء في كل بطن ذكراً وأنثى، وتزويج كل بطن لذكر البطن الآخر من مرموزات الأوائل، وقد كثر ذكره في كتب السلف خصوصاً كتب اليهود وتواريخهم، وردت أخبارنا مختلفة في هذا الباب اختلافاً كثيراً، مرموزاً بها إلى ما رمزوه، ومن أراد أن يحملها على ظاهرها تحير فيها، ومن رام أن يدرك المقصود بقوته البشرية والمدارك الشيطانية منها طرد عنها، ولم يدرك منها إلا خلاف مدلولها"².

وأخيراً من خلال ما تم عرضه نقول أن تفسير بيان العباد ومقامات العباد للجنابدي سلك فيه مسلكاً مخالفاً، ذلك أن المؤلف لم يعتمد في تفسيره على أصول ومبادئ فرقته، بل جاء بلون جديد لم تعمده الشيعة الإمامية فزواج بين التفسير الصوفي الذي يقوم على الرموز والإشارات من جهة، ومن جهة أخرى نراه يخلط بالتفسير كثيراً من البحوث الفلسفية الدقيقة تأثراً بالمعتزلة، مما أفرغ القصة عن محتواه التي سبقت من أجلها، وبالتالي لم يحقق مقاصد القرآن السامية.

¹ ينظر المرجع السابق التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ج3، مكتبة وهبة القاهرة، ط2000، ج2/ 199

² المرجع السابق بيان السعادة في مقامات العباد: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران، ج1، ص101.

الفصل الثاني:

مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبر الأعلی
الموسوي السبزواري.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

المبحث الثاني: التعريف بتفسير مواهب الرحمن

المبحث الثالث: مسلك السبزواري في تناول القصص
القرآني

المبحث الرابع: موارد السبزواري في تفسيره للقصص
القرآني

يعد تفسير مواهب الرحمن من أحسن التفاسير المعاصرة للشيعة الإمامية، وأجمعها للفوائد اللفظية والمعنوية، بين فيه المؤلف المباحث العقائدية والاجتماعية والتاريخية والعقلية، لذلك هو محط بحثنا لأهميته ومكانته لدى الشيعة الإمامية، بغية الوقوف على مسلك صاحبه في معالجة القصة القرآنية مع الوقوف على موارده التفسيرية في ذلك.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

عبد الأعلى الموسوي السبزواري مفسر وفقهه شيعي إيراني، من كبار فقهاء الإمامية وعلماؤها، ولد في الثامن من شهر ذي الحجة 1329هـ الموافق لـ: 1911م بمدينة سبزوار الإيرانية والتي منها اكتسبت عائلتهم لقبها، وفيها نشأ وترعرع في كنف أبيه وتحت رعايته، فتعلم القراءة والكتابة في سن مبكرة ثم درس الأوليات في النحو والصرف والمنطق وبعض المتون حتى أكمل مرحلة السطوح، عند ذلك قرر والده إرساله إلى مدينة مشهد لإكمال دراسة السطوح فحضر دروس كبار علمائها آنذاك مثل الشيخ محمد حسن البرسي، والسيد آغا حكيم، والسيد محمد العصار، ثم شد الرحال إلى جامعة النجف، فدرس الفقه والأصول والتفسير، فحضر درس كبار العلماء هناك، ومنهم المحقق محمد حسين النائيني وضياء الدين العراقي، وأبو الحسن الاصفهاني، ثم استقل بتدريس البحث الخارج في الفقه والأصول في المسجد الذي كان يقيم فيه صلاة الجماعة في النجف، كما كان له دروس في التفسير والفلسفة فتخرج على يديه العديد من العلماء وأصبح من كبار مراجع الشيعة والمفسرين توفي يوم 26 من شهر صفر 1414هـ¹.

و قد ترك مؤلفات كثيرة منها:

- إفاضة الباري في نقض ما كتبه الحكيم السبزواري.
- مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام 1-30 مطبوع يعتبر من أكبر الموسوعات الفقهية الاستدلالية لدى الشيعة.
- حاشية على تفسير الصافي.
- حاشية على العروة الوثقى لمحمد كاظم الطباطبائي اليزدي، مطبوع.
- حاشية على جواهر الكلام.

¹ ينظر المرجع السابق، معالم المنهج التفسيري عند السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري: كاظم عودة الأسدي، ص13 وما بعدها.

• حاشية على بحار الأنوار، في جزأين مطبوع

• لباب المعارف . كتاب في أصول الدين الخمسة - عند الشيعة الإمامية - من التوحيد إلى آخر المعاد والخلود والجنة والنار، ويقع في مجلدين

و أخيراً مواهب الرحمن في تفسير القرآن موسوعة تفسيرية للقرآن الكريم.¹

المبحث الثاني: التعريف بتفسير مواهب الرحمن للسبزواري

يعتبر من أهم تفاسير الشيعة الإمامية وهو محط بحثنا لأهميته ومكانته لدى الإمامية وهو عبارة عن دراسة موضوعية شاملة لكتاب الله العزيز، عرض فيه جميع ما يتعلق بالقرآن الكريم من بحوث دلالية وفلسفية وروائية، وفقهية وأخلاقية، وأدبية وعرفانية، وغير ذلك، وقد ذكر السبزواري سبب تسميته بـ: مواهب الرحمن-وعزا ذلك إلى أنه قبل عدة سنوات رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم وآله -في عالم الرؤيا، وقد أعطاه نسخة من المصحف الشريف قائلاً له: " خذ مواهب الرحمن، وبناء على تلك الرؤيا المباركة سمي تفسيره الجليل بهذا الاسم، ويقع هذا التفسير في 30 مجلداً طبع منها لحد الآن إحدى عشر مجلداً فقط.²

وصفه علي أيازي في كتابه المفسرون منهجهم وحياتهم بقوله: " يعد من التفاسير الشاملة لجميع الآيات القرآنية، وجامعاً للأبحاث الأدبية واللغوية والبلاغية والفقهية والكلامية بعبارات سهلة صافية، وكلمات رائعة شيقة، جمع فيه المؤلف بين المأثور وما اتفق عليه الجميع من التفسير.³

وقد افتتح السبزواري تفسيره بمقدمة موجزة بعد خطبة الكتاب بين فيها منهجه ومواقفه في التفسير من دون ذكر لمقدمات التفسير من العلوم القرآنية والمباحث التفسيرية والنظرية.

ثم وضع منهجه وأسلوبه في التفسير ومما جاء في مقدمة تفسيره ، وعنون له بقوله : غاية القرآن وهدفه قوله: "فقد شملتني عنايته تعالى لتفسير هذا الكتاب العظيم الذي عجزت العقول عن درك كنهه، ففي كل سورة منه بحار من المعارف، ويتجلى من كل أية منه أنوار من الحقائق، وقد ظهر لي بعد مراجعتي لجملة من التفاسير أنه فسّر كل صنف من العلماء القرآن بما هو المأنوس عندهم، بالفلاسفة

¹ ينظر المرجع السابق: المفسرون منهجهم وحياتهم: محمد علي أيازي، الطبعة الأولى طهران -1386هـ ، ج2، ص691

وما بعدها

² ينظر المرجع السابق: معالم المنهج التفسيري عند السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري: كاظم عودة الأسدي، ص63

³ المرجع السابق المفسرون منهجهم وحياتهم: محمد علي أيازي، الطبعة الأولى طهران -1386هـ ، ج2، ص 693

والتكلمون فسروه بمذهبهم من الآراء الفلسفية والكلامية، والعرفاء والصوفية على طريقتهم، والفقهاء همهم تفسير الآيات الواردة في الأحكام، والمحدثون فسروه بخصوص ما ورد من السنة الشريفة في الآيات كما أن الأدباء كان منهجهم الاهتمام بجهاته الأدبية دون غيرها، والعجب أنه كلما كثر في هذا الوحي المبين والنور العظيم من هذه البيانات والتفاسير، فهو على كرسي رفعة ويزداد على مر العصر تألؤاً وجلالاً¹

وقد أشار إلى جملة من الشروط التي تفضل عاملاً رئيساً في الخروج بمستوى من الفهم للمعاني القرآنية، نوجزها في النقاط الآتية:

- 1- معرفة الأدب العربي (نحو وصرف وبلاغة...)
- 2- الاعتماد على أدلة من نفس القرآن، فهي التي تعين في معرفة المعاني.
- 3- الرجوع إلى المحكمات في تفسير المشابهات
- 4- عدم التأثير بالأجواء المحيطة بالمفسر داخلاً وخارجاً، فينبغي أن يكون متجرداً ليصل إلى المعنى المراد².
ومن المزايا أيضاً في هذا التفسير أن مصنفه لا يكثر من عرض الآراء للمفسرين بكل تفاصيلها، بل يكتفي في مواضع الحاجة بما تم طرحه من فوائد علمية وأدلتهم على آرائهم بعيداً عن الخوض في التفاصيل، بالإضافة إلى الاهتمام الكبير بما أثر عن أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم في مقام كشف البواطن وتحديد المعاني.

كما صرح من الهدف من نزول القرآن فيقول: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي

أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾³ فهذه القرآن هداية للناس عامة، وللمؤمنين خاصة، ويعني بالناس جميعهم من غير أي تخصيص أو تقييد، فهو هداية للعالم والجاهل وللمرأة والرجل وللمؤمن وغيره من دون فرق أصلاً، إلا أنه بينات من الهدى والفرقان للمتقين خاصة ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁴ وذلك لأن المتقين هم الذين يهتدون بتقبلهم للهداية، لأن القرآن

¹ المرجع السابق مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبيزوري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج1، ص6

² ينظر المرجع نفسه، مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبيزوري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج1، ص7.

³ سورة البقرة: الآية 185

⁴ سورة البقرة: الآية 2

يتطلب من كان له قلب مهياً أو ألقى السمع وهو شهيد¹.

المطلب الثاني: منهجه التفسيري

يعد تفسير مواهب الرحمن من أحسن التفاسير لكتاب الله تعالى العزيز وأجمعها للفوائد اللفظية والمعنوية، لدى الشيعة الإمامية، وذلك أن المؤلف بين فيه جملة من المباحث العقائدية والاجتماعية والتاريخية والعقلية، وقد قدم السبزواري قبل الابتداء في تفسير القرآن الكريم مقدمة موجزة ابتدأها بخطبة قصيرة بين فيها طريقته ومواقفه في التفسير وسوف سأبرزها وأجيزها في هذا المطلب من خلال مجموعة من النقاط أهمهما:

أولاً: موقفه من التأويل والمحكم والمتشابه

من المباحث التي تطرق إليها السبزواري مسألة التأويل ويظهر ذلك من خلال تفسيره لقول

تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ²﴾

حيث أشار إلى معنى التأويل والفرق بينه وبين التزويل، كما تناول من خلال الآية إلى المحكم والمتشابه، وأهما من الأمور النسبية، وذكر ما هو المدار في المحكم والمتشابه، وأسباب التشابه، ونسبة التشابه، والحكمة في اشتغال القرآن والسنة على المتشابه،³ وعلى سبيل المثال: تعريفه للمتشابه حيث قال: ما لا يعرف المراد منه إلا بقريئة مثل قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ⁴﴾ لا يعرف فحوى المراد منه إلا بالرجوع إلا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ⁵﴾ فيعرف أن المراد من القوة والإحاطة والقدرة بالملازمة وكذا قوله: ﴿وَجَاءَ رُبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا⁶﴾ يعرف المراد بالرجوع إلى ما تقدم من الآية المباركة من أنه الرحمة والغفران بالملازمة⁷

¹ ينظر المرجع السابق مقدمة مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ -

2010م، ج1، ص 13

² سورة آل عمران: الآية 7

³ ينظر المرجع السابق مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م

ج5، ص 77-83

⁴ سورة الفتح: الآية 10

⁵ سورة الشورى: الآية 11

⁶ سورة الفجر: الآية 22

⁷ ينظر المرجع السابق مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م،

ج5، ص 55.

وكذلك في تعريفه للمحكم قال: " من أنه ما يعرف المراد منه بلا، استعانة قرينة مثلاً: "قوله "

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾¹ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾² إلى غير من الآيات المباركة.³

ثانيا: اهتمامه بعلم المناسبات

اهتم السبزواري ببيان ترتيب السور حيث تعرض لبيان الترابط، والمناسبة بين ختام السورة التي تليها، واعتنى كثيرا بالترابط والمناسبة بين الآيات، ولا شك أنه لا تتم وحدة السياق بين الآيات ما لم يكن ترابط ومناسبة بينها تكشف عن ظروفها وملابساتها وتبين عن حالة المتكلم، وما يميز طريقته في التفسير غالبا يكون بيان الجو العام من مجموعة من الآيات وذكر تناسبها مع ما قبلها، إذا كان لها تناسب أو ذكر المباحث الكلامية بمناسبة الآية، وقد تطرق بمناسبة الآية لبحوث مستقلة اشتملت عليها الآية كالبحث الأخلاقي، أو الكلامي أو الروائي أو الفلسفي أو الاجتماعي وغيرها من البحوث.

و قد ذكرها تحت عنوان " البحث الدلالي" و أراد منها المعنى العام مما تشير إليه الآية المباركة من الدلالات الظاهرة أو الدقائق العلمية أو غيرها⁴

ثالثا: موقفه من آيات الأحكام

تعرض السبزواري لآيات الأحكام وعنون لها بقوله: " بحث فقهي"تناول خلالها مواضيع الأحكام الشرعية التي حددها القرآن الكريم، مع الاستدلال عليها بآيات أخرى، أو بما روي من أهل البيت عليهم السلام معتمدا في بيانه على فقه الشيعة الإمامية غير أنه يعرض للجوانب الفقهية عابرا، عدا سياقات خاصة، يحيل القارئ فيها إلى مؤلفاته الفقهية والأصولية، بل نجده أحيانا يكتفي بالإشارة إلى أقوال الفقهاء.⁵

¹ سورة الفاتحة: الآية4

² سورة البقرة: الآية 43

³ ينظر المرجع السابق معالم المنهج التفسيري عند السيد عبد الأعلى السبزواري: كاظم عودة الأسدي، ص69

⁴ ينظر المرجع نفسه، مواهب الرحمن: السبزواري، ج1، ص160 و ما بعدها، وينظر معالم المنهج التفسيري عند السيد عبد

الأعلى الموسوي السبزواري: كاظم عودة الأسدي، ص73

⁵ ينظر معالم المنهج التفسيري عند السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري: كاظم عودة الأسدي، ص102

رابعاً: موقفه من القراءات

السيبزواري لم يعط القراءات أهمية وحيزا أكبر في بحوثه التفسيرية من خلال مواهب الرحمن، غير أن سكوته عن التعرض للقراءات قد يكشف اطمئنانه للقراءة الصحيحة

المعتمدة في المصحف الشريف، ومن أبرز ما ورد في تفسيره من قراءات، قرائته لكلمة

(فَعِدَّةٌ) في قوله تعالى ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾¹

حيث قال: وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة أيام آخر وهذا على سبيل الرخصة، ولكنه موهون بأنه القراءة المتداولة والموجود في المصاحف الشريفة الرفع، والظاهر أن السبزواري كان يعتمد على ما هو

مشهور من القراءات كما في تفسيره لقوله تعالى ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ

أَلَّا تُقَاتِلُوا ﴾² حيث قال ﴿ عَسَيْتُمْ ﴾ بفتح السين، وهي القراءة المشهورة³

خامساً: موقفه من المكي والمدني:

يذكر اسم السورة وبيان المكي والمدني ثم يذكر عدد آياتها، ثم مضمونها ومفرداتها، ثم يبين

المباحث التي تتعلق بها، ومثاله ما ورد عند تفسيره لسورة الأنعام حيث نقل السبزواري عن ابن عباس

أنه قال: نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة، حولها سبعون ملك يجأرون بالتسييح " وعلق عليها

بقوله: " الروايات في نزولها بمكة جملة واحدة متضافرة ومروية في كتب الفريقين، وفي روايات أخرى

أنها نزلت بمكة باستثناء آيات نزلت بالمدينة هي ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنزَلْنَا مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾⁴

إلى آخر الآيات الثلاث 151-152-153 وآية ﴿ لَوْ أَنَّا نزلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ ﴾ ولا بد من حملها

على تعدد النزول.

وفي بيانه لنزول سورة المائدة قال: " هذه السورة المباركة نزلت في حجة الوداع فيما بين مكة

والمدينة وهو صلى الله عليه وآله -على ناقته، فبركت من ثقلها كما في بعض الأخبار، وعن بعض

المفسرين أنها مدنية إلى غاية آية ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع.⁵

¹ سورة البقرة: الآية 184

² سورة البقرة: الآية 246

³ ينظر المرجع السابق مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م

ج 4، ص 137

⁴ سورة البقرة: الآية 151

⁵ المرجع السابق مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م،

ج 10، ص 279

أما سورة النساء فقال عنها: " وأسلوب هذه السورة ومضامينها، تشهد أنها مدنية، نزلت بنحو ما حسب مقتضيات الظروف والحاجة.¹

سادسا: موقفه من النسخ:

أشار السبزواري إلى معنى النسخ لغة واصطلاحا فقال: النسخ في اللغة هو الإزالة، ويلازمها النقل والإبطال بالوجوه والاعتبار وبهذا المعنى كان معروفا في عصر النبي - صلى الله عليه وآله - وما بعده فكانوا يطلقونه على التخصيص والتقييد بل على كل قرينة دلت على الخلاف.

و أما بحسب اصطلاح العلماء فالمشهور بينهم أنه بيان انتهاء أمد الحكم ثابت سابقا.²

و مثاله عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾³ حيث تطرق إلى قضية النسخ في القرآن الكريم، فبين معناه وأشار إلى حقيقته، والحكمة فيه، كما بحث في وقوع النسخ وشرائطه وأقسامه، وتكلم عن نسخ الشرائع.⁴

ثامنا: موقفه من الآراء المتفردة في التفسير

من مواقفه التفسيرية اجتناب الأقوال المتفردة في التفسير، معللا بخوف التورط في التفسير بالرأي وقال في ذلك: " وقد بذلت جهدي في عدم التفسير بالرأي مهما أمكنني... وقد ذكرت ما يمكن أن يستظهر من الآيات المباركة بقرائن معتبرة، فإن هذا الحديث الشريف لا يشمل، إذ التفسير بالرأي غير الاستظهار من الآيات المباركة بقرائن وتركت التعرض للتفاسير النادرة، والآراء المزيفة والفروض التي تتغير بمرور الزمان.⁵

¹ ينظر المرجع السابق مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج7، ص226

² ينظر المرجع نفسه مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج1، ص527

³ سورة البقرة: الآية 106

⁴ ينظر المرجع السابق مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج1، ص527-540

⁵ المرجع نفسه مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج1، ص9

تاسعا: موقفه من المسائل العقدية

تعرض للمسائل الكلامية والعقدية وناقش الأدلة وعرضها من منطلق عقيدته الشيعية، كبحث الجبر والاختيار وعصمة الأنبياء، والإمامة والرؤية، وغيرها من المباحث المختلف فيها بين الشيعة والسنة.

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾¹ فبعد التفسير البياني للآية يتطرق لبحث الجبر والتفويض في سيره التاريخي قبل الإسلام، وبيان المذاهب الثلاثة في الجبر والتفويض يعني: مذهب الأشاعرة ومذهب العرفاء وأصحاب الصوفية، ومذهب من يقول بأن علم الله تعالى علة تامة لحصول معلوماته، ويذكر أدلة القائلين فيه ويناقشها.

و في ختام المذهب الكلامي يستعرض مذهب الإمامية في مسألة الجبر والاختيار، وهو الأمر بين الأمرين، يعني لا جبر ولا تفويض.

والمراد " بالأمر بين الأمرين " إن الله تعالى أودع القدرة في عباده وبها بعد وجود الدواعي يصدر الفعل من الفاعل وينسب إليه الفعل مباشرة، فهو غير مجبور لتعلق قدرته بطرفي الفعل معا...² ثم وضع معنى اصطلاح "الأمر بين الأمرين" و ذكر الأدلة من العقل والنقل وكذلك في غيرها من المباحث الكلامية والعقائدية، فإنه يستطرد في ذكرها ويبسط فيها³.

عاشرا: موقفه من التفسير الإشاري

قد يتعرض للمباحث العرفانية بالبيان الإشاري مع عدم الغفلة عن التفسير الظاهري، والعناية بالمسائل اللغوية والأدبية مثاله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوَى ﴾⁴ قال بحث دلالي: يمكن أن يكون تظليل الغمام إشارة إلى مقام تجلي صفاته المقدسة - لخلص عباده، وإنزال المن والسلوى إشارة إلى المقامات الحاصلة لهم من التخلي عن الرذائل والتجلي بالفضائل.

¹ سورة البقرة: الآية 26

² المرجع السابق مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبيزوري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م،

ج1، ص160

³ المرجع السابق: المفسرون منهجهم وحياتهم: محمد علي أيازي، الطبعة الأولى طهران -1386هـ، ج2، ص693

⁴ سورة البقرة: الآية 57

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾¹ إشارة إلى قول نبينا الأعظم - صلى الله عليه وآله وسلم - الله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها.

و في قوله ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾¹ إشارة إلى قوله تعالى في الحديث القدسي " من دنى إلي شبرا دنوت إليه ذراعا، ومن دنى إلي ذراعا دنوت منه باعا، ومن دنا إلي باعا دنوت إليه هرولة.² و أخيرا قسم تفسيره إلى عدة فقرات مع الاهتمام بالمنهج البياني واللون الأدبي حيث يذكر القضايا الصرفية والنحو والبلاغة.

المبحث الثالث: مسلك عبد الأعلى الموسوي السبزواري في تناول القصص القرآني النموذج الأول: قصة هاروت وماروت

مهد لقصة الملكين هاروت وماروت بقوله: " بين الله تعالى أعمالهم الفاسدة كالافتراء على أنبياء الله تعالى والسحر ثم أبطل ذلك، وحكم بكذبهم، وأمر باتباع طريق الحق، وإن التقوى خير لهم مما هم فيه، ثم شرع في بيان معنى القصة فقال: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ﴾³ اختلفت أقوال المفسرين في هذه الآيات المباركة، فصارت معترك الآراء والاحتمالات، وقلما يوجد مثلها في سائر الآيات الشريفة ومع ذلك فهي على فصاحتها لم يعتربها من تلك الاحتمالات إجمال.. ونحن نشير إلى ما يستفاد مما هو الظاهر منها: فنقول: مادة (ت ب ع) تأتي بمعنى التقفية في الأثر والافتداء والمتابعة سواء كان ذلك في الحق أو الباطل⁴ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ

مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁵ و الضمير يرجع لليهود الذين عمدوا إلى هذه المتابعة سواء كانوا منيهود عهد سليمان، أو من غيرهم، بل يشمل غير اليهود أيضا ممن ينطبق عليه عنوان المتابعة، وذلك أن اليهود زعموا أن ملك سليمان إنما قام على أساس السحر والكهانة والطلسمات، ونحو ذلك من الحيل التي نسبوها إليه كذبا وافتراء، فغلبت على الناس واعتادوا عليها، واتخذوا السحر وسيلة إلى مقاصدهم وأغراضهم، أو ليتوصلوا بها إلى الملك كما توصل بها سليمان

¹ سورة البقرة: الآية 58

² المرجع السابق: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج1، ص301

³ سورة البقرة: الآية 102

⁴ المرجع السابق: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج1، ص487

⁵ سورة الجاثية: الآية 18

بزعمهم، وهذا يدل على شدة انغماسهم في الماديات، وإعراضهم عن الحقائق وأحكام الله تعالى وأنبيائه ورسله، وهو لا يختص باليهود، فإن كل قوم أعرضوا عن آيات الله، واتبعوا أهوائهم، ولم يقتدوا بالعلماء الداعين إليه تعالى، صاروا مرتعا للشياطين ولوساوسهم فيعملون كلما يشاؤون في إبطال الحق وإفشاء الباطل، وذلك هو الخسران المبين.¹

وفي الآية المباركة إشارة إلى قبح السحر، وقد عبر في الأحاديث عن السحر بالكفر، فعن نبينا الأعظم - صلى الله عليه وآله " السحر والشرك مقرونان" وعن علي عليه السلام من تعلم شيئا من السحر قليلا أو كثيرا فقد كفر"، وقوله **﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمُرُوتَ ﴾**² قال بابل هي المدينة المعروفة في العراق، وعاصمة البابليين أعظم مملكة في المعمورة في ذلك الحين..و قد دلت التواريخ على أنها كانت أقوى مركز للسحر والكهانة...و عن أبي جعفر عليه السلام في وصف مسجد الكوفة " إنها سرّة بابل" و قبر هود وصالح مشهوران في ظهر الكوفة.

وعن علي في وقعة الخوارج أنه عليه السلام لما وصل إلى أرض بابل قال: " هذه أرض ملعونة، قد عذبت في الدهر مرتين، وهي تتوقع الثالثة، وهي إحدى المؤتفكات، وهي أول أرض عُبد فيها وثن" "والمكان هاروت وما روت" وقد أنزل الله هذين الملكين لتعليم الناس السحر وإنذارهم، عن مضاره، فيحذروا عن سحر السحرة وكيد الشياطين، وأنّ الأولى من الله والثاني من الشياطين وأعوانه"

فالمراد بالإنزال في الآية المباركة، إنما هو نحو من الإلهام، وإنما ألهمها الله تعالى ذلك لدفع المفاسد المترتبة على السحر، لا لموضوعية السحر حتى يكون من الإلهام الفاسد.³

و بعد عرض السبزواري للقصة أتبعها بملحق وهي بمثابة بحوث روائية تتضمن مرويات عن أئمة أهل البيت فعنون لكل بحث بقوله:

بحث روائي:

قال الطبرسي في الاحتجاج عن الصادق عليه السلام: وقد سُئل من أين علم الشياطين السحر؟ قال: من حيث عرف الأطباء الطب، بعضه تجربة وبعضه علاج".

¹ المرجع السابق مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج1، ص، 487- 489 .

² سورة البقرة: الآية 102.

³ المرجع السابق مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج1، ص490.

أقول: الحديث موافق للاعتبار، وهو شارح لجميع أخبار الباب مع غض النظر عن الإسناد.

وفي تفسير العياشي في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَنَ﴾¹ عن الباقر عليه السلام في الحديث " فلما هلك سليمان عليه السلام وضع إبليس السحر وكتبه في كتاب، ثم طواه وكتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم... من أراد كذا وكذا فليعمل كذا وكذا، ثم دفنه تحت سرير، ثم استنثاره لهم فقرأه فقال الكافرون ما كان يغلبنا الله إلا بهذا وقال المؤمنون بل هو عبد الله ونبيه فقال جل ذكره: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَنَ﴾

و رواه القمي أيضا:

وفي العيون في حديث الرضا عليه السلام مع المأمون: "وأما هاروت وماروت كانا ملكين علما الناس السحر ليحترزوا به عن سحر السحرة"²

أقول: هذا الحديث أيضا مبين وشارح لظاهر الآية المباركة ولجميع ما ورد في الباب من أخبار كما أنه ظاهر في الكفر العملي مضافا إلى كفرهم الاعتقادي أيضا.

و هناك روايات أخرى مروية عن نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وخلفائه المعصومين، أعرضنا عن ذكرها: لأن سياقها يدل على عدم صدورها عن المعصومين عليهم السلام بل هي من المفتعلات.

بحث علمي:

السحر ضرب من ضروب التأثير النفساني، وهو علمٌ كسائر العلوم، له قواعده وأحكامه، ورد في القرآن الكريم أكثر من ستين موضعا، وأكثره ورد في قصص موسى عليه السلام وفرعون، ولم يبين الله سبحانه حقيقته، ليرجع الإنسان إلى نفسه في البحث والاجتهاد في تحصيلها³

بحث كلامي:

لا ريب في أن ما يفاض على الممكنات لا بد أن ينتهي إليه سبحانه وتعالى بنحو الاقتضاء للأدلة العقلية والنقلية ففي الأثر المعروف المتواتر بين الفريقين عن نبينا العظيم صلى الله عليه وآله: " لا إله إلا الله وحده وحده وحده "فإن الوحدة الأولى إشارة إلى الوحدة الذات، والثانية إلى وحدة الصفات، أي سلب جميع النقائص عنه سبحانه وتعالى، وفي الثالثة إشارة إلى وحدة الفعل، أي أنه مبدأ الكل وأنه لا حول

¹ سورة البقرة: الآية 102

² المرجع السابق مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبيزوري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج1، ص 499-500

³ المرجع نفسه مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبيزوري، الطبعة الخامسة - 2010م، ج1، ص503.

ولا قوة إلا به، فهذه الجملة¹ المباركة جامعة لأنحاء التوحيد، ولكن ذلك لا ينافي قانون الأسباب والمسببات²، فإن الله أبي أن لا يجري الأمور إلا بأسبابها، ومن ذلك يعلم وجه انتساب المعجزة وخوارق العادات والكرامات والسحر والطلسمات إليه تعالى³

مناقشة:

لقد أحسن السبزواري في بداية عرضه لقصة هاروت وماروت، حيث مهد للقصة ببيان معناها اللغوي حتى يتضح المعنى للقارئ، وبعدها ذكر الهدف العام من القصة، إلا أنه بعد ذلك أخلط الغث بالسمين عند معالجته للقصة القرآنية حيث بدا جلياً منهجه التفسيري، فبرزت عقيدته الإمامية مع، انتصاره لمذهب آل البيت من جهة، وتبنيه للمنهج الصوفي الإشاري من جهة أخرى، مما أخرج القصة عن الهدف الذي سبقت من أجله.

كذلك سلك خطوات تفرد بها على غيره من المفسرين وهي بمثابة ملاحق تفصيلية للتفسير، التي عنون لها بحوث المقام، وهي متنوعة فمنها الدلالي، الأدبي، الفقهي، الروائي، الكلامي الفلسفي، العرفاني الأخلاقي، لاجتماعي، العلمي التاريخي، هذه الحقول تعقب كل مقطع يتناوله المفسر، فأفرغ القصة من محتواها جملة وتفصيلاً.

النموذج الثاني قصة موسى عليه السلام

عند عرض السبزواري لقصة موسى عليه السلام بدأ كعادته ببيان المعنى اللغوي فقال عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾⁴ معنى الاستسقاء: "هو طلب الماء، وذلك أن بني إسرائيل لما خرجوا من مصر وقعوا في صحراء فأصابهم ظمأ شديد فاستعانوا بموسى عليه السلام فطلب من الله تعالى أن يسقيهم، كما سبق أن طلبوا من موسى عليه السلام أن يظلمهم من حر الشمس، فظلل عليهم الغمام، وطلبوا الطعام فأنزل الله تعالى عليهم المن والسلوى، وجميع هذه

¹ المرجع السابق مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م ج1، ص 507

² المرجع نفسه مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م ج1، ص 499-500

³ المرجع نفسه مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج1، ص 507

⁴ سورة البقرة: الآية 60

الآيات وقعت في التيه قوله تعالى "أي أمرنا موسى أن يضرب الحجر بعصاه.

و قد ذكر بعض المفسرين: أن هذا الحجر لم يكن حجرا معيننا، بل أي حجر ضربه عليه السلام، انفجر منه الماء، ولكنه مخالف للآية المباركة، بل كان حجرا معيننا من أحجار الجنة على ما روي من أبي جعفر عليه السلام فإنه قال: " ثلاثة أحجار من الجنة: مقام إبراهيم، وحجر بني إسرائيل، والحجر الأسود، وهو موجود لدى خاتم الأوصياء - عليهم السلام - وسيكون لهذا الحجر شأن عند ظهوره عليه السلام، ويشهد له ما في التوراة، فإنه عبر عنه في سفر الخروج بالصخرة.¹

وعصا موسى عليه السلام معروفة في الكتب السماوية، وقد كانت مظهرا لمعجزات كثيرة، وأصلها من آس الجنة، كان آدم عليه السلام حملها معه من الجنة إلى الأرض كان طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام ولها شعبتان تتوقدان نورا في الظلمة وكانت تتوارث مع الأنبياء وأوصيائهم، حتى دفعها شعيب إلى موسى بن عمران عليه السلام وهي موجودة الآن، وستظهر حتى تلقف أساس الظلم والعدوان على يد خليفة²

من خلفاء الرحمن إن شاء الله تعالى و كانت عدد العيون بعدد الأسباط، لكل سبط مشرب

معين لا يتعداه إلى غيره كما في الآية المباركة **كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ**

مُفْسِدِينَ ³.. و ظهور الماء من الحجارة بعصا موسى مذكور في التوراة والقرآن الكريم، كما أن ظهور الماء من أنامل نبينا الأعظم -صلى الله عليه وآله- مذكور في كتب الفريقين، ومن الواضح أن الثاني أشد معجزة من الأول⁴.

و بعد عرض السبزواري للقصة أتبعها بعرض تفصيلي وهي بمثابة بحوث روائية تتضمن مرويات عن أئمة أهل البيت فبدأها بقوله:

¹ المرجع نفسه مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة 5 - 2010 م . ج 1، ص 362

² المرجع نفسه مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة 5 - 2010 م . ج 1، ص 362

³ سورة البقرة: الآية 60

⁴ المرجع السابق مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة 5 - 2010 م . ج 1، ص 363.

بحوث المقام:

بحث روائي:

وعن القمي " كان مع موسى حجر يضعه في وسط العسكر، ثم يضربه بعصاه فينفجر منه اثنتا عشرة عينا - كما حكى الله تعالى - فيذهب كل سبط في رحله، وكانوا اثني عشر سبطا.

بحث فقهي كلامي:

قد استدل بالآية الشريفة: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾¹

على إباحة الأشياء وحليتها وجعلوها أصلا عبروا عنه بأصالة الإباحة العقلية والنقلية²

بحث فلسفي:

ذكر الله تعالى في هذه الآيات جملة من المعجزات التي صدرت عن موسى عليه السلام وهي كلها من صنع الله تعالى، وإذا نسبت إليه تعالى لا يتصور فيها التحديد أو التقييد بوجه من الوجوه لعموم قدرته، وقد سئل أبو عبد الله عليه السلام: " هل يقدر على أن يجعل الدنيا في بيضة بحيث لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة؟

فقال عليه السلام: " إن الله قادر ولكن هذا لا يكون " فاتفق العقل والنقل على خروج الممانعات عن مورد المعجزات وخوارق العادات، وإنما يكون موردها الممكنات الذاتية، وإن كانت ممتنعة عادة بالأسباب العادية، لكنها ممكنة بالقدرة القاهرة الربوبية، ومنه يعلم الوجه في المعجزات الصادرة عن الأنبياء لا سيما نبينا الأعظم -صلى الله عليه وآله-... إنَّ الله تعالى أبي أن يجري الأمور إلا بأسبابها، ولذا كان جريان الماء بضرب الحجر بالعصا، وحمل مريم ابنة عمران بتمثل الروح الأمين لها، وتسبيح الحصى في يدي نبينا الأعظم -صلى الله عليه وآله-، مع أنه تبارك وتعالى قادر على إيجاد هذه الأمور بغير تلك الأسباب أيضا".³

بحث علمي:

إنَّ جميع القوانين العلمية والمخترعات الحديثة، وما يلحقها بعد ذلك لا ربط لها بالمعجزات

¹ سورة البقرة: الآية 60

² المرجع السابق مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م .

، ج1، ص372-373

³ المرجع نفسه: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م .

، ج1، ص374

وخارق العادة أصلاً، لأنها تجري وفق قوانين علمية، أو عملية ثابتة مطردة حاصلة من التجربة، بخلاف المعجزة فإنها سنة جديدة لم يألّفها الإنسان، ولا يعرف لها قاعدة مطردة، وإنما تكون بإذن الله تبارك وتعالى¹.

المناقشة:

السييزواري في هذا العرض القصصي اعتمد اعتماداً كلياً على التأويل الباطني، فلم يترك سائحة ولا لائحة في القصة إلا اغتتمها لنصرة معتقده الاثني عشري، فقلوه: "الحجر كان معينا من أحجار الجنة، واستدلّاه على ذلك ما روي من أبي جعفر عليه السلام فإنه قال: " ثلاثة أحجار من الجنة: مقام إبراهيم، وحجر بني إسرائيل، والحجر الأسود، وهو موجود لدى خاتم الأوصياء - عليهم السلام، ويشهد له ما في التوراة والإنجيل، فهذا باطل فلا سياق الآية ولا لحاقها يقول بذلك بل هو من الجري، وقلوه: " عصا موسى أصلها من آس الجنة، كان آدم عليه السلام حملها معه من الجنة إلى الأرض كان طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام ولها شعبتان تتوقدان نورا في الظلمة وكانت تتوارث مع الأنبياء وأوصيائهم، حتى دفعها شعيب إلى موسى بن عمران عليه السلام وهي موجودة الآن، وستظهر حتى تلقف أساس الظلم والعدوان على يد خليفة" فهذا من غرائب الأخبار والأساطير التي لا يقبلها نقل ولا عقل، والشيء الملفت للنظر أن علماء الإمامية سكتوا عن مثل هذه الخرافات والأساطير المحشوة في تفاسيرهم والملفقة، والتي هي من قبيل الإسرائيليات والموضوعات ولم يعقبوا عليها بكلمة واحدة، وهذا ليس بالغريب فمن عادة الاثني عشرية أن يتمسكوا بأي دليل يرون أنه يقوي مذهبهم ولو كان هذا الدليل لا صلة له في الحقيقة؛ وبهذا تكون القصة لم تحقق مقاصد القرآن وهداياته وتوجيهاته.

و يبقى التوجيه الصحيح للقصة كما بينه الشعراوي بقلوه: " هذه كلها نعم امتن الله بها على بني إسرائيل وهو سبحانه وتعالى يذكرهم بها، إما مباشرة وإما على لسان موسى عليه السلام، والحق يريد أن يذكر بني إسرائيل حينما تاهوا في الصحراء أنه أظلمهم بالغمام وسقاهم حين طلبوا السقيا، ولقد وصلت ندرة الماء عند بني إسرائيل لدرجة أنهم لم يجدوا ما يشربونه.. وهذا هو قمة الجفاف أو الجذب.. وموسى عليه السلام طلب السقيا من الله تبارك وتعالى، ولا تطلب السقيا من الله إلا إذا كانت الأسباب قد نفدت².

¹ المرجع السابق: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السيزواري، الطبعة 5- 2010م ج1، ص374 .

² تفسير الشعراوي - خواطر دار الجليل للطبع والنشر والتوزيع - 1992م، ص198.

وفي الأخير ورغم ما ورد في التفسير طرائف وغرائب إلا أن السبزواري أحسن في خاتمة القصة عند تعرضه لذكر المعجزات الواردة فيها، حيث قال إنها من صنع الله تعالى، وذكره لأمثلة عن معجزات الأنبياء والرسل عليهم السلام بقوله: "ولذا كان جريان الماء بضرب الحجر بالعصا، وحمل مريم ابنة عمران بتمثل الروح الأمين لها، وتسييح الحصى في يدي نبينا الأعظم -صلى الله عليه وآله - مع أنه تبارك وتعالى قادر على إيجاد هذه الأمور بغير تلك الأسباب أيضا.

و في نفس المعنى قال القشيري " إن الذي قدر على إخراج الماء من الصخرة الصماء كان قادراً على إروائهم بغير ماء ولكن لإظهار المعجزة فيه، وإيصال محل الاستغاثة إليه، ليكون على موسى عليه السلام - أيضاً في نقل الحجر - مع نفسه شغل، ولتكليفه أن يضرب بالعصا مقاساة نوع من معالجة ما أمضى حكمه عند استسقاؤه لقومه.

ثم أراد الحق سبحانه أن يكون كل قوم جارياً على سنت، ملازماً لحده، غير مُزاحمٍ لصاحبه فأفرد لكل سبطة علامة يعرفون بها مشربهم، فهؤلاء لا يردون مشرب الآخرين، والآخرون لا يردون مشرب الأولين وحين كفاهم ما طلبوا أمرهم بالشكر، وحفظ الأمر، وترك اختيار الوزر¹، فقال:

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾²

المبحث الرابع: موارد عبد الأعلى السبزواري في تفسيره للقصص القرآني

المطلب الأول: مصادره التفسيرية الشيعية

لم يذكر السبزواري المصادر والمراجع التي اعتمدها في التفسير إلا ما ذكره من الروايات، فإنه نقل عن التفسير المنسوب للحسن العسكري، وتفسير علي بن إبراهيم القمي، وتفسير العياشي، وكتاب الكافي للكليني، والإحتجاج للطبرسي، ولم ينقل أقوال المفسرين إلا نادراً، مثل ما نقله عن تفسير مجمع البيان للطبرسي، إلا أنه ذكر الوجوه والإحتمالات والأقول من دون ذكر لقائلها، أو مصدرها، كما كان دأبه في الروايات، فإنه لم يبين موضع نقلها، وعند نقله للأقوال المفسرين يكتفي بقوله ذكره بعض المفسرين³.

¹ لطائف الإشارات - تفسير القشيري - إبراهيم البسيوني : ت: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الناشر: الهيئة

المصرية العامة للكتاب - مصر - ط2003م، ج1، ص67

² سورة البقرة: الآية 60

³ ينظر المرجع السابق: المفسرون منهجهم وحياتهم: محمد علي آيازي، الطبعة الأولى طهران -1386هـ، ج2، ص690

المطلب الثاني: موقفه من مرويات الشيعة

وقد تعرض السبزواري في أبحاثه الروائية إلى جملة من المرويات عن أئمة أهل البيت، وعدها من قبيل الجري، ومما أفاده من مرويات الكافي أثناء تعرضه لقصة آدم عليه السلام فقال: في الكافي والعلل عن أبي عبد الله عليه السلام، سألته عن جنة آدم؟ فقال من جنات الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنات الآخرة ما خرج منها أبدا.¹

ثم علق على الرواية بقوله: "أقول: لا يستفاد من هذه الرواية مكانها، وإنما يستفاد أنها كانت من جنات الدنيا، ولا بد من التأمل في ذيل هذه الرواية " ولو كانت من جنات الدنيا ما خرج منها أبدا" لأن جنات الآخرة لا يخرج أهلها منها بعد عملهم وعمرانهم لها، وأما أن الحكم كذلك قبل العمل، وقبل كل شيء ففيه بحث وتفصيل.

و مما نقله في بحثه الروائي عن القمي قوله: "وفي تفسير القمي سئل الصادق عليه السلام عن جنة آدم من جنات الدنيا أم من جنات الآخرة؟ فقال: كانت من جنات الدنيا، تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنات الآخرة ما أخرج منها أبدا" أقول: تقدم ما يتعلق بها في سابقها

وما أفاده أيضا من تفسير العياشي قوله: " وقال العياشي عن أبي جعفر عليه السلام ولا تقربا هذه الشجرة، يعني لا تأكلا منها" أقول: قد مرّ أنه يمكن إرادة نفس القرب أيضا، اهتماما بالنهي فيكون ذكر الأكل من باب ذكر النتيجة "

في تفسير العسكري في قوله تعالى ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾: قال شجرة العلم، شجرة علم محمد، وآل محمد - صلى الله عليه وآله - الذين أثمرهم الله عزّ وجلّ دون سائر خلقه، فقال الله تعالى: " لا تقربا هذه الشجرة، شجرة العلم، فإنه لمحمد وآله خاصة، دون غيرهم، ولا يتناول منها أحد إلا بأمر الله أو منهم.

ثم قال عليه السلام: وكانت هذه الشجرة وجنسها تحمل البرّ والعنب والتين والعنّاب، وسائر أنواع الثمار والفواكه والأطعمة".

وفي العيون عن عبد السلام بن صالح الهروي: " قلت للرضا عليه السلام يا ابن رسول الله -صلى الله عليه وآله - أحرّني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من يروي أنها الحنطة، ومنهم من يروي أنها العنب، ومنهم من يروي أنها شجرة الحسد، فقال: عليه السلام

¹ المرجع السابق: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، ط5 - 2010م، ج1، ص262

كل ذلك حق..قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟¹

فقال: يا ابن الصلت: إن شجرة الجنة تحمل أنواعا، وكانت شجرة الحنطة، وفيها عنب، وليست كشجرة الدنيا²

وفي الكافي عن أبي الحسن عليه السلام " إن لله إرادتين ومشيتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، أو ما رأيت أنه نهي آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك، ولو لم يشاء أن يأكلا لما غلب مشيتهما مشية الله، وأمر إبراهيم أن يذبح إسماعيل، ولم يشأ أن يذبحه، ولو شاء لما غلبت مشية إبراهيم مشية الله "

وقال أيضا عن أبي عبد الله عليه السلام: " أمر الله ولم يشأ، وشاء ولم يأمر، أمر إبليس أن يسجد لآدم، وشاء ألا يسجد، ونهى آدم عن أكل الشجرة وشاء أن يأكل منها، ولو لم يشأ لم يأكل"³

وختم هذه القصة بقوله: بيان مثل هذه الأخبار يحتاج إلى شيء من الشرح والتفصيل

و في العلل عن الباقر عليه السلام والله لقد خلق آدم للدنيا وأسكنه الجنة ليعصيه فيرده إلى ما خلقه " أقول: هذه الرواية نحو شرح وبيان لجميع الأخبار الواردة في المقام، وهي دليل على ما قلناه مرارا من أن آدم عليه السلام من الأرض وللأرض، وفي إكمال الدين عن الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: " إن الله عزّ وجل عهد إلى آدم أن لا يقرب الشجرة، فلما بلغ الوقت الذي كان في علم الله أن يأكل منها نسي فأكل منها، وهو قول الله عزّ وجل ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾⁴ أقول: يصح أن يراد بالنسيان الإنساء، يعني أنساه الله تعالى لتجري مقاديره الأزلية، كما مرّ في حديث ذي الشمالين، في صلاة نبينا الأعظم - صلى الله عليه وآله -⁵

العياشي عن تفسيره عن أحدهما عليها السلام: وقد سئل كيف أخذ الله آدم بالنسيان؟ فقال: إنه لم ينس، وكيف ينسى وهو يذكره ويقول له إبليس ما نهاك ربك فعضى آدم ربه فغوى " أقول هذا الحديث قرينة واضحة على أن المراد بالنسيان الإنساء.

¹ المرجع السابق: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبيزوري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج1، ص262.

² المرجع نفسه: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبيزوري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج1، ص263.

³ المرجع نفسه: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبيزوري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج1، ص264.

⁴ سورة طه: الآية 115

⁵ المرجع السابق: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبيزوري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج1، ص265.

وفي العيون عن علي بن محمد بن الجهم قال: " حضرت مجلس المأمون، وعنده علي بن موسى عليه السلام - فقال: له المأمون يا ابن رسول الله - صلى الله عليه وآله - أليس من قولك أن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، قال: فما معنى قول الله تعالى ﴿فَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾.. أقول: مثل هذه الروايات الواردة عن الأئمة الهداة - عليهم السلام - خصوصاً مولانا الرضا عليه السلام في الجواب عن الإشكالات التي أوردت عنه عصمة الأنبياء صلوات الله عليهم، لا يختص بأن يجيب بها الإمام - عليه السلام - بل يمكن أن يجاب بكل وجه صحيح يجمع به بين الأدلة الدالة على العصمة، ومثل هذه الآيات الموهمة للتنافي بينها وبين العصمة.¹

المطلب الثالث: المصادر الروائية السنية

يعتبر السبزواري من المقلين بالاستشهاد بالأحاديث النبوية والسبب كما ذكره كاظم عودة الأسدي، في كتابه معالم المنهج التفسيري عند السبزواري يعود لكونه يتبع النحاة فقال: " لذا وجدنا السبزواري يتابع النحاة في قلة الإستشهاد بالحديث النبوي الشريف، إذا استشهد بمواضع قليلة منه أثناء تعرضه لتفسير قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْذِبَهُمْ أَجْرًا إِلَىٰ نَاسٍ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْزَقٍ مِنْهُ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾² إذ يقول: وعن جمع من الأدباء وتبعهم بعض المفسرين أن كلمة "لو" تستعمل في معاني منها التقليل كقول نبينا الأعظم - صلى الله عليه وآله - " اتقوا النار ولو بشق تمرة"³

و استشهد أثناء تفسيره لقوله تعالى بحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ فقال: " إشارة إلى قول نبينا الأعظم - صلى الله عليه وآله وسلم - في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها"، وفي قوله ﴿وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾⁴ إشارة إلى قوله تعالى في الحديث القدسي " من دنى إلي شبرا دنوت إليه ذراعاً، ومن دنى إلي ذراعاً دنوت منه باعاً، ومن دنا إلي باعاً دنوت إليه هرولة.¹

¹ المرجع السابق: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة 5 - 2010م، ج1، ص267

² سورة البقرة: الآية 96.

³ مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج1، ص337.

⁴ سورة البقرة: الآية 58.

¹ المرجع السابق: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م،

ج1، ص301.

- كذلك مما أفاد السبزواري من بأحاديث الرسول ﷺ عند تعرضه لقصة آدم عليه السلام فقال: "... نعم وردت في بعض الأخبار أنها خلقت من ضلع آدم عليه السلام، وقد ورد في الحديث "استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع أعوج"¹

المطلب الرابع: موقفه من خبر الواحد

نقل السبزواري معلقا على أحاديث السنة التي مفادها تحريم نكاح المتعة: " عن أمير المؤمنين علي أنه قال: نهي رسول الله عن نكاح المتعة" كما روي البيهقي عن جعفر بن محمد أنه سئل عن المتعة فقال هي زنا بعينه، " فعلق السبزواري على هذا الخبر بقوله: " وهذه الروايات آحاد لا يمكن الاعتماد عليها، لمعارضتها الأحاديث المتواترة عنهم تدل على الحلية والإباحة.²

المطلب الخامس: موقفه من الإسرائيليات:

تجنب السبزواري ذكر الأخبار الإسرائيلية الواردة في الروايات، وما ذكره من هذه الأخبار إنما لأجل أن يقيم الحجة على إبطال مثل هذه الأخبار، وكذلك لأجل تزيه الأنبياء عليهم السلام من مثل هذه الخرافات، وهذا مما يستفاد من منهجه في تفسير القرآن وهو المنهج العقلي، الغالب في تفاسير الشيعة الإمامية"³ وحسب آراء مؤيديه الذين يوردون ذلك إلى كونه يحصن التفسير من التلاعبات الكثيرة، لأن المنهج العقلي هو الأسس الثابتة العقلية المبتنية على أساس معرفي دقيق يستطيع من خلاله المفسر أن يصون تفسيره من كثير الاغتشاش والذي نشترك فيه من آراء المعتزلة مناحيهم الفكرية.⁴

المطلب السادس: استناده إلى الكتاب المقدس

عند تعرضه لقصة هاروت وماروت قال: السحر محرم في شريعتي موسى وعيسى - عليهما السلام - واستدل على أقوال من التوراة فقال: " وقد ورد في سفر اللاويين الإصحاح التاسع عشر من التوراة: " لا تلتفتوا إلى الجان ولا تتطلبوا التوابع (النفاثات في العقد) فتنجسوا ".

¹ المرجع نفسه: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م ج1، ص246.

² المرجع نفسه: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج8، ص46.

³ المرجع السابق: المفسرون منهجهم وحياتهم: محمد علي أيازي، الطبعة الأولى طهران - 1386هـ ، ص29-30

⁴ المرجع السابق: معالم المنهج التفسيري عند السيد عبد الأعلى السبزواري: كاظم عودة الأسدي، ص159 .

وقال في الإصحاح العشرين منه: "وإذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فإنه يقتل بالحجارة يرحمون دمه عليه" ثم إنه قد استدل بعض الفقهاء بقوله: " وما أنزل على الملكين" على جواز تعليم السحر وتعلمه، لأن المنزل هو الله تعالى، والملك المعصوم فلا يعقل أن يكون محرماً".
وفيه: عن المتأمل في مجموع الآية الشريفة يدل على أن الاستدلال بها حرمة أولى بالاستدلال بها على الجواز، فكيف يستدل بها على الجواز؟¹

وفي الأخير قد أكثر السبزواري في تفسيره مواهب الرحمن من التفسير الإشاري والتأويل الباطني والقضايا الفلسفية، وللمفسر كثير من الإشارات والتأويلات والرموز كتفسير الصدّ عن سبيل الله بالصدّ عن سبيل الولاية، وإدراجه للأوصياء في كل تأويل، إلا أن تفسير مواهب يعدّ من التفاسير المعتدلة نسبياً، بعيداً عن الغلو والسب والشتم، ناهيك عن استشهاد صاحبه بأحاديث ترجع للمصطفى ﷺ والصحابة والتابعين.

¹ المرجع السابق مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م، ج1، ص 501.

الفصل الثالث:

آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد بن جواد البلاغي

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

المبحث الثاني: التعريف بتفسير آلاء الرحمن في تفسير القرآن

المبحث الثالث: مسك البلاغي في تناول القصص القرآني

المبحث الرابع: موارد البلاغي في تفسيره للقصص القرآني

يعتبر آلاء الرحمان سفرا نفيسا ذا حظوة واسعة ومن اللبنة الأساسية في بناء فكر ومعتقد الإمامية حيث أصبح محط أنظار العلماء والمفسرين الذين جاؤوا بعده وتأثروا به كثيرا في دراساتهم، لذلك سلطت عليه الضوء في هذا الفصل لبيان مسلكه وطريقته في عرض القصص القرآني.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

هو محمد جواد بن حسن بن طالب بن عباس بن محمد علي بن الشيخ محمد البلاغي، رجل دين فقيه مفسر وشاعر وأديب باللغة العربية، متمكن من بعض اللغات الحية كالفارسية والإنجليزية والعبرية، كما كانت له مشاركة سياسية بارزة.

ولد بمدينة النجف في جنوب العراق سنة 1282هـ ونشأ فيها، يرجع نسبه إلى (ربيعية) وهي من القبائل المشهورة، وأسرة البلاغي من الأسر النجفية الكبيرة المشتهرة بالفضل والأدب والعلم، ويُلقب الشيخ البلاغي كذلك بـ(الربيعي) نسبة إلى عشيرة ربيعة، وهي إحدى القبائل العربية المعروفة بـ (النجفي) نسبة إلى مسقط رأسه مدينة النجف.

بدأ دراسته الحوزوية في مدينة الكاظمية، وبعد إنهاء مرحلة المقدمات عاد إلى النجف لإكمال دراسته، وفي عام 1326هـ سافر إلى سامراء، للحضور في دروس محمد تقي الشيرازي قائد ثورة العشرين، وبقي في سامراء حوالي عشر سنوات، ثم سافر إلى الكاظمية¹، وبقي فيها سنتين. عاد إلى النجف عام 1338هـ، واتجه نحو التأليف والكتابة والتصنيف وبقي فيها حتى آخر أيام حياته².

وقد مارس التدريس أثناء وجوده في الكاظمية وسامراء والنجف، وممن درسوا عنده: محمد هادي الحسيني الميلاني، وأبو القاسم الخوئي، ومحمد أمين زين الدين، ومحمد رضا الطبسي، وغيرهم، توفي بمدينة النجف في الثاني والعشرين من شعبان 1352هـ الموافق لـ: 1933م ودُفن بالصحن الحيدري³.

وقد ترك البلاغي أكثر من أربعين إرثاً علمياً، بين تفسير وكتاب وعقود وردود ومراسلات

من بينها:

1/ أعاجيب الأكاذيب: رسالة في الرد على النصارى ومفتريا هم.

¹ ينظر موسوعة العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي: الحكيم الحسون، مطبعة الباقر، الطبعة الثانية 1431هـ-2010م، ج1، 326-323.

² ينظر المرجع نفسه موسوعة العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي: الحكيم الحسون، مطبعة الباقر، الطبعة الثانية 1431هـ-2010م، ج1، 323-326.

³ ينظر نقباء البشر في القرن الرابع عشر: آقا بزرگ الطهراني، دار المرتضى للنشر - مشهد- الطبعة الثانية 1303هـ، ج1، ص 226-323.

2/ البدء: ألف البلاغي هذه الرسالة في النجف بعد سنة 1339هـ، في موضوع البدء، وطبعت مرتين في بغداد وقم.

3/ البلاغ المبين: ألف البلاغي هذه الرسالة في النجف بين سنة 1338هـ في بيان مفهوم العبودية لله تعالى والغاية من خلق البشر، وهي على شكل حوار بين شخصين، احدهما: اسمه عبد الله وهو مؤمن ملتزم بتعاليم الإسلام، وثانيهما: اسمه رمزي، وهو مادي لا يعبر المفاهيم الدينية أي اهتمام طبعت في مطبعة الآداب في بغداد سنة 1348هـ.

4/ رسالة في شأن التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري، ألفها البلاغي سنة 1343هـ في رد النصارى وبيان مفترياهم، وطبعت مرتين في قم.

5/ رسالة التوحيد والتثليث، ألف الشيخ البلاغي هذه الرسالة في سمراء بين سنتي 1331هـ - 1332هـ في رد النصارى، وهي رسالة صغيرة كتبها رداً على رسالة جاءته من سوريا في مسألة التوحيد، وطبعت في صيدا وقم وبيروت.

6/ الرد على الوهابية: رسالة ألفها البلاغي رداً على الوهابية ومفترياهم وتعاليمهم المنحرفة، وطبعت مرات عدة في النجف وقم¹.

وأخيراً آلاء الرحمن في تفسير القرآن الذي هو محور الدراسة.

¹ الشيخ البلاغي وعلم الأديان المقارن: ستار الفتلاوي، كلية الآداب / جامعة القادسية، - معهد الدراسات السامية والعربية/جامعة برلين/المانيا، ص11

المبحث الثاني: التعريف بتفسير آلاء الرحمن في تفسير القرآن للبلاغي

المطلب الأول: الوصف العام لكتابه

ألف محمد البلاغي تفسيره " آلاء الرحمن في تفسير القرآن" في شهر ذي الحجة سنة 1349هـ إلى شهر شعبان سنة 1352هـ، أي: سنتين وتسعة أشهر، وأتم جزأين منه فقط، وحال الموت الذي لا بد منه دون إتمامه، ذكر تلميذه الميرزا محمد علي الأردبادي قائلاً: « بتوفيق الله ولطفه وعونه شرعت في شهر ذي الحجة سنة 1349هـ بتأليف تفسير للقرآن الكريم طبقاً للمذهب الشيعي».

ذلك لأنّ التفاسير مثل التبيان ومجمع البيان، انصرفت على الأكثر إلى شرح اللغات وصرف الكلمات وبيان القراءات ونقل آراء شرح اللغات وصرف الكلمات وبيان القراءات ونقل آراء المفسرين الماضين مثل عطاء ومجاهد... وغيرهم، والبحراني... اكتفى بنقل الأحاديث بأسانيد فقط، دون أن يحقق في صحتها، ولذلك غفل عن بيان المزايا وتفسير المفاهيم القرآنية، وبناءً على نظريته الانتقادية هذه فقد عكف على تأليف تفسير، قام فيه مع الاختصار ببيان وتفسير المفاهيم والعلوم القرآنية.

وقد تجنب المؤلف في هذا التفسير الأبحاث العلمية واللغوية والمنطقية والفلسفية والكلامية الجافة، ولكّنه مال أحياناً إلى الاستفادة من أسلوب مزج فيه مختلف المجالات من الفلسفة واللغة والروايات لبيان مفهوم ما، حيث استفاد المفسرون بعده في إيران من تحقيقاته¹.

وهو تفسير يقع في ثلاثة أجزاء، طبع بدار إحياء التراث العربي، كما طبع مرات عدة في صيدا وقم. وقبل شروعه في تفسير آيات القرآن الكريم، كتب مقدمة تقع في أربعة فصول:

أشار في مقدمة الفصل الأول لموضوع إعجاز القرآن الكريم، وبين فيه إعجازه، ووجه شهادة المعجز، حكمة تنوع المعجز، وحكمة كون المعجز للعرب هو القرآن.

وفي الفصل الثاني أشار إلى جمع القرآن من خلال جمعه في مصحف واحد واضطراب الروايات في جمع القرآن، بعض ما أُلصق بكرامة القرآن، قول الإمامية بعدم النقيصة في القرآن، أما الفصل الثالث جعله للقراءات، وتعرض للقراءات السبعة أو العشرة وقراءاتهم، في حين أفرد الفصل الرابع ببيان الحاجة إلى التفسير، أما الخاتمة بين فيها مصادره التي اعتمد عليها في هذا التفسير كتفاسير

¹ ينظر البلاغي مفسراً: علي رمضان الأوسي، ج 1، ص 68 وما بعدها وينظر <http://ar.wikishia.net/view>

القرآن الكريم وكتب آيات الأحكام، والكتب الحديثة.¹

ثم شرع في تفسير الآيات الكريمة، ففسر سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران وقسم من سورة النساء، وإذ وفاه الأجل بعد تفسيره لقسم من الآية السابعة والخمسين " قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَدُخِلَتْهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾² غير أن محمد حسين الذهبي ذكر في تفسيره التفسير والمفسرون أن البلاغي توقف في الآية السادسة والخمسين من سورة النساء إذ قال: لم يتم والموجود منه بدار الكتب المصرية الجزء الأول، وهو ما كتبه المؤلف، ثم عاجلته المنية قبل إتمامه وهو يبدأ بسورة الفاتحة وينتهي عند قوله تعالى في الآية ست وخمسين من سورة النساء: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا نُصَلِّيَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾³ وهذا ما جعل محمد هادي معرفة⁴ يقوم بتحريح لإمام الذهبي رحمه الله بأوصاف لا تليق بمقامه فقال: ولعل القضاء صب عليه (أي الذهبي) البلاء عام 1977م حيث هلكه في شر قتلة مغبة تجاسره على أمثال هذا العبد الصالح الذي قضى حياته في الدفاع عن حریم الإسلام، لكن شيخنا البلاغي عمل عمله لله فكان مصداقاً¹ لقوله تعالى: ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾²

والمؤلف له مكانة وحظوة واسعة في أوساط الشيعة الإمامية وذلك نتيجة موقفه من المستشرقين

¹ ينظر المرجع السابق آلاء الرحمان في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفي فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقری، ط2010م، ج1، ص3 وما بعدها.

² سورة النساء: الآية 57

³ سورة النساء: الآية 54-55.

⁴ محمد هادي معرفة: بن علي بن الميرزا محمد علي معرفة (1930، ت 2006م) ولد عام 1348هـ بمدينة كربلاء، درس بها وبعد إكماله مرحلتي المقدمات والسطوح، سافر إلى النجف عام 1378هـ لإكمال دراسته الحوزوية العليا، ثم سافر إلى قم المقدسة عام 1390هـ للتدريس والتأليف، ألف كتباً قيّمة، حقق وألّف الكثير من الكتب حول القرآن، لما رآه من الافتقار الذي كانت تعيشه البحوث والتحقيقات القرآنية في الحوزات العلمية الشيعية، ثمّ ساهم في نشر عقائد الشيعة ومن مؤلفاته: التمهيد في علوم القرآن (10 مجلدات)، التفسير والمفسرون (مجلدان)، صيانة القرآن من التحريف، شبهات وردود حول القرآن، ولاية الفقيه، تزوية الأنبياء، التأويل في مختلف المذاهب والآراء، توفي في التاسع والعشرين من ذي الحجة 1427هـ بمدينة قم، ينظر الغلاف الخارجي لكتاب: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: لصاحب الترجمة، وينظر الموقع الإلكتروني للمترجم له باللغة الفارسية بقلم: محمد أمين نجف.

¹ المرجع السابق موسوعة العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي: الحكيم الحسون، مطبعة الباقری، الطبعة الثانية 1431هـ-2010م، ج1، ص234-235.

² سورة الحجر: الآية 94-95.

واليهود فقال عنه: الحداد: كان هذا العالم الجليل يرمي من خلال تأليف هذا الكتاب الرد العلمي على الشبهات التي يطرحها المستشرقون واليهود والوهابيون.¹

المطلب الثاني: منهجه التفسيري

البلاغي لم يكتب في تفسير القرآن الكريم سوى آلاء الرحمن لذا عمدت إلى الوقوف على ملامح منهجه التفسيري عبر كتابه في عدة نقاط أبرزها:

الفرع الأول: عدم اعتماده على آراء المفسرين السابقين

لم يعتد البلاغي بآراء المفسرين، لأنها برأيه لا تشكل دليلاً مستقلاً لفهم النص القرآني، ولم تكن لديه حجة كافية، بل قد تكون دليلاً مؤيداً ومرجحاً لأحد الوجوه التي ينتصر لها في حال احتمال النص لأكثر من معنى، وقد بين البلاغي ذلك بشكل واضح في تفسيره فقال: أما الرجوع في التفسير وأسباب التزول إلى أمثال عكرمة ومجاهد وعطاء والضحاك، كما ملئت كتب التفسير بأقوالهم المرسله، فهو مما لا يعذر فيه المسلم في أمر دينه فيما بينه وبين الله، ولا تقوم به الحجة، لأن تلك الأقوال إن كانت روايات في مراسيل مقطوعة، ولا يكون حجة في المسانيد إلا ما تبنى على قواعد العلم الديني الرصينة، ولو لم يكن من الصوارف عنهم، إلا ما ذكر في كتب الرجال لأهل السنة لكفى، وإن الجرح مقدم على التعديل إذا تعارضاً، أما عكرمة فقد كثر فيه الطعن بأنه كذاب غير ثقة ويرى رأي الخوارج وغير ذلك. وقيل للأعمش: ما بال تفسير مجاهد مخالف؟ أو شيء نحوه، قال: أخذه من أهل الكتاب، ومما جاء عن مجاهد من المنكرات في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ

¹ ينظر الحصون المنيعة: محسن الأمين العاملي، دار الزهراء للطباعة بيروت لبنان - ط1326هـ، ج9، ص 186.

• قال الشيخ كاشف الغطاء: الشيخ البلاغي رجلٌ فاضل، مُجِدِّ في تحصيل العلوم، وأديب شاعر مصنف، وهو من بيت كلهم علماء أتقياء، وله شعرٌ حسنٌ الانسجام. (ينظر الحصون المنيعة ج9/ص186).

• وذكره الشيخ جعفر النقدي فقال: البلاغي، عالمٌ عليمٌ مهذبٌ، وفاضلٌ كاملٌ مدرّب، أبأوه كلهم من أهل العلم. اشتغل في طلب العلم، وصنّف كتاب (داعي الإسلام وداعي النصرى)، وكتاباً في الردّ على جرجيس سايل وهاشم العربي، وله في الأدب يدٌ غير قصيرة، وشعره جيّد حسن. (ينظر الروض النضير 304)

• قال عنه محسن الأمين: كان عالماً فاضلاً، أديباً شاعراً، حسن العشرة سخي النفس، صرف عمره في طلب العلم وفي التأليف والتصنيف، صنّف عدّة تصانيف في الردود. ثمّ ذكر مؤلفاته وعدّها ثمانية وثلاثين مؤلفاً، ما بين كتاب وحاشية ورسالة عملية وردّ، منها: رسالة في بطلان العوّل والتعصيب - في الإرث، العقود المفصلة في حلّ المسائل، حاشية على المكاسب، رسالة في ردّ الفتوى بدم قبور أئمة البقيع عليهم السّلام، الهدى إلى دين المصطفى صلى الله عليه وآله، نصائح الهدى في الردّ على البهائية، مصابيح الهدى في ردّ القديانية، نسّمات الهدى، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، أجوبة المسائل البغدادية.. وغيرها. (ينظر أعيان الشيعة: محسن الأمين، ص90).

بِهِ نَافِلَةٌ لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ¹ قال يجلسه معه على العرش، وأما عطاء فقد قال أحمد: ليس في المراسيل أضعف من مراسيل الحسن وعطاء كانا يأخذان عن كل أحد. وقال يحيى بن القطان ²

مراسلات مجاهد أحب إلي من مراسلات عطاء بكثير كان يأخذ من كل ضرب، وروي أنه تركه ابن جريج وقيس بن سعد.

وأما الحسن البصري فقد قيل أنه يدلّس، وسمعت كلام أحمد فيه وعطاء، وأما الضحّاك بن مزاحم المفسر، فعن يحيى بن سعيد قوله الضحّاك بن سعيد ضعيف عندنا، وكان يروي عن ابن عباس وقد أنكر ملاقاته له، حتى قيل أنه ما رآه قط... فانظر إلى ميزان الذهبي من كتب الرجال أفلاً ودع عنك أصول العلم عندنا تأبى من الركون إلى رواياتهم، فضلا عن أقوالهم، إلا في مقام الجدل أو التأييد أو حصول الاستفاضة والتوافق في الحديث. هذا وإن كثير من كتب التفسير قد لهج بأكذوبة شنيعة وهي ما زعموا من أن الرسول ﷺ قرأ سورة النجم في مكة في محفل من المشركين حتى إذا قرأ قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الْآخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ ³ قال ﷺ في تمجيد هذه الأوثان وحاشا قدسه: منها تلك الغرائق ⁴ الأولى منها الشفاعة ترتجى، ¹ فأخبره جبرائيل بما قال: فاعتنم لذلك،

¹ سورة الإسراء: الآية 79.

² ينظر المرجع السابق موسوعة العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي: الحكيم الحسون، مطبعة الباقرى، الطبعة الثانية 1431هـ-2010م، ج 1، ص 181-183

³ سورة النجم: الآية 19-20

⁴ الغرائق: جمع جمع الغرنوق، وهو الشابّ الناعم الأبيض، وفي الأصل: اسم لطير الماء (مالك الحزين)، وهو تشبيه آلهة المشركين بطيور بيض مملّقة في أجواء السماء، كناية عن قُرْبهم من الله.

أصل هذه القصة حادثة وقعت للنبي ﷺ في مكة، كما روتها بعض المدونات: أنه لما رأى رسول الله ﷺ تولى قومه عنه وشق عليه ما رأى من مبادئهم، فتمنى من الله أن يأتيه من الله تعالى ما يقارب به بينه وبين قومه، وذلك لحرصه على إيمانهم، فجلس ذات يوم في ناد من أندية قريش كثير أهله، وأحب يومئذ أن لا يأتيه من الله تعالى شيء ينفر عنه، وتمنى ذلك فأُنزل الله تعالى سورة النجم فقرأها رسول الله ﷺ حتى بلغ ﴿وَمَنْوَةَ الْآخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ سورة النجم: الآية 20، ألقى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه وتمناه، تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهم لترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله ﷺ في قراءته فقرأ السورة كلها، وسجد في آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة، وأبا أحيحة سعيد بن العاص، فإنهما أخذتا حفنة من البطحاء ورفعها إلى جبهتهما وسجدا عليها، لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود، وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا: قد ذكر محمد أهدتنا بأحسن الذكر، وقالوا قد عرفنا أن الله يحيى ويميت، ويخلق ويرزق، لكن أهدتنا هذه تشفع لنا عنده، فإن جعل لها محمدا نصيبا فنحن معه، فلما أمس رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ فقال: ماذا صنعت تلوت على الناس ما لم أتك به عن الله عز وجل، فحزن رسول الله ﷺ حزنا شديدا وخاف من الله خوفا كبيرا، فأُنزل الله تعالى هذه الآية، فقالت قريش: ندم محمد عليه الصلاة والسلام على ما ذكر من منزلة أهدتنا عند الله فازدادوا شرا على ما كانوا عليه، وتعرف هذه الرواية باسم الغرائق لورود هذا اللفظ ضمن الرواية.

فترلت عليه في تلك الليلة آية تسليه، ولكن بما تسليهم بزعمهم؟ تسليه بما يكسب الثقة من كل نبي رسول في قراءته وتبليغه²

الفرع الثاني: عدم ركونه إلى آحاد اللغويين

لم يركن البلاغي في تفسيره لألفاظ القرآن الكريم إلى آحاد اللغويين وقد أوضح سبب ذلك بقوله: فإن الأغلب أو الغالب مما يستندون إليه في أقوالهم، ما هو إلا اعتماد على ما يحصلونه بحسب أفهامهم وتتبعهم لموارد الاستعمال، مع الخلط للحقيقة بالمجاز وعدم التثبت بالقرائن ومزايا الاستعمال، ألا ترى كيف يشهد بعضهم على بعض بالخطأ والوهم.³

الفرع الثالث: لم يجعل تفسيره مادة لعرض آراء النحاة

لم يجعل العلامة البلاغي تفسيره مادة لعرض آراء النحاة وبيان أوجه الإعراب المختلفة، إلا أنه بناء على منهجه من اختصار المطالب، بين بعض وجوه الإعراب في الموارد الضرورية إذ قال: ومن ذلك كلمة "فيه" من قوله تعالى في أول سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁴ زعما منهم أنها تكون خبرا مقدما لقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ويقدرّون مثلها لقوله تعالى ﴿لَا رَيْبَ﴾ مع أن الوقف على ﴿لَا رَيْبَ﴾ يجعل الكلام قلقا مبتورا، بنحو لا يُجدي التقدير، ومع أنه لا حاجة لجعل الظرف خبرا مقدما لقوله تعالى ﴿هُدًى﴾ وجملته تكون خبرا ثانيا لـ ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ فإن كلمة "هدى" هي بنفسها تكون خبرا. وهذا هو الأنسب بكرامة الكتاب المجيد فقد قال: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ كما في الأعراف والنحل وغير ذلك.¹

موقف الشيعة الإمامية من القصص النبوي: وقد كان للشيعة الإمامية موقفا مخالفا تجاه هذا النوع من القصص النبوية إذ يردونها مطلقا لتضمنها الطعن في عصمة النبي ﷺ ولأنها توحي أنه معرض للسهو والخطأ فتخشد في عصمة المصطفى وذلك يؤثر في الوحي (ينظر تاريخ القرآن عند الاثني عشرية: عبد العزيز الضامر، ص 87-88).

¹ ينظر المرجع السابق موسوعة العلامة محمد جواد البلاغي: الحكيم الحسون، مطبعة الباقر، ط 2-2010م، ج 1، ص 183

² ينظر المرجع نفسه موسوعة الحمد جواد البلاغي: الحكيم الحسون، مطبعة الباقر، ط 2-2010م، ج 1، ص 184

³ ينظر المرجع نفسه: موسوعة العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي: الحكيم الحسون، مطبعة الباقر، الطبعة الثانية 1431هـ-2010م، ج 1، ص 185

⁴ سورة البقرة: الآية 2

¹ المرجع السابق: آلاء الرحمان في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لظفي فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقر، ط 2010م، ج 1، ص 186.

الفرع الرابع: نقد الروايات:

للبلأغي باع طويل في نقد الروايات، وبجراًة كبيرة قد لا تتوفر عند بعض المفسرين، فلا يقف أمام الروايات موقف المسلم الخاضع، ولا يخضع النص القرآني لمفادها، بل يعرضها على كتاب الله المجيد تبعاً للتعاليم الصادرة من أئمة أهل البيت عليهم السلام في كيفية التوفيق بين الكتاب والسنة ففي تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴾¹ بعض اللغويين فسر المكر بالخديلة، وفي التبيان والمكر - وإن كان قبيحاً - فإنه أضافه الله إلى نفسه لمزاوجة الكلام كما قال: ﴿ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾² والثاني ليس باعتداء إنما هو جزاء، ونحوه في مجمع البيان، وكأنهم نظروا في ذلك إلى أن الكثير من استعمال الناس للفظ المكر هو فيما يساق استعمالهم للفظ "الخديلة" من الإنسان لإيصال الضرر المحرم إلى غيره. وبذلك يكون قبيحاً، ولكن استعمال القرآن الكريم وبعض الموارد يرشد إلى أن المكر: هو أعمال خفية على الغير في معاملته على غفلة منه عنها.

وقد جاء في القرآن الكريم ممزوجاً إلى الله دون مزاوجة كقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾³... وأما ما أسنده ابن بابوية عن الرضا عليه السلام من قوله: إن الله لا يمكر ولكنه يجازي على المكر "فإن في سنده جهالة وإهمال، ويمكن أن يريد نفي المكر بالمعنى الذي يساق الخديلة لإيصال الضرر القبيح كما ذكرنا، وإلا فإن عرض الرواية على ما ذكرناه من القرآن كما أمرنا به أهل البيت يوجب الوثوق بعدم صدورها عنهم عليهم السلام.¹

الفرع الخامس: مسلك البلاغي في التعامل مع القراءات

البلاغي ذهب إلى تجويز القراءة وفق الرسم القرآني، وأما ما خالفه منها فإن لم تكن باطلة جزماً فهي مورد شبهة وإشكال ولا يجوز ترك المتيقن والأخذ بما هو مورد شك وريبة، وقد بين رأيه هذا بشكل واضح إذ قال: إن القراءات السبع، فضلاً عن العشر إنما هي في صورة بعض الكلمات لا بزيادة كلمة أو نقصها، ومع ذلك ما هي إلا روايات آحاد عن آحاد لا توجب اطمئناناً ولا وثوقاً

¹ سورة آل عمران: الآية 54

² سورة البقرة: الآية 194.

³ سورة الأعراف: الآية 99

¹ المرجع السابق: موسوعة محمد جواد البلاغي: الحكيم الحسون، مطبعة الباقري، ط 2-2010م، ج 1، ص 189-190

فضلاً عن وهنا للتعارض ومخالفتها للرسم المتداول والمتواتر بين عامة المسلمين في السنين المتطاولة، وإن كلا من القراء هو واحد لم تثبت عدالته ولا ثقته يروي عن آحاد حال غالبهم مثل حاله ويروي عنه آحاد مثله، وكثيراً ما يختلفون في الرواية عنه¹،

فكم اختلف حفص وشعبة في الرواية عن عاصم وكذا قالون وورش عن نافع، وكذا ابن كثير والبيزي في روايتهما عن أصحابهما عن ابن كثير...²

الفرع السادس: البلاغي واللغة العبرية

اشتهر البلاغي من بين رجال الدين انه كان يعرف اللغة العبرية، وهو ما نجده واضحاً بين دفتي تفسيره آلاء الرحمان حيث أنه في بعض النماذج القصصية من تفسيره نجده يأخذ من أسفار الكتاب المقدس العهد القديم والجديد.

ولا نجد صفحة من صفحات هذا الكتاب إلا وفيها استشهاد بنص عبري أو ذكر مضمون الآية من العهدين القديم والجديد، فضلاً عن ذكر البلاغي لبعض الألفاظ العبرية بلفظها العبري وبحروف عربية، وهذا يدل دلالة واضحة على معرفة البلاغي باللغة العبرية معرفة جيدة تمكنه من ذلك، وقد ذكر كحالة في معجمه عن المؤلفين أن البلاغي كان عارفاً باللغة العبرانية.

وقد لاحظنا معرفة البلاغي باللغة العبرية من خلال الألفاظ التي ذكرها بالحرف العربي وهي ألفاظ عبرية، فضلاً عن أنه ذكرها بالحركات المحركة بها في الأصل العبري، مثل ذكره اسم النبي الياس اليا،ياهو (فإنه لو لم يكن مُطَّلِعاً على الأصل العبري لما حرَّك حرف الياء بالفتح الممدود) إشباع حركة الفتح(، وذكر كلمة) يتير (بتشديد حرف التاء وهو ما جاء في الأصل العبري ... وغيرها من الإشارات اللغوية التي نجدها مبثوثة بين طيات هذا الكتاب، تدل على معرفة البلاغي باللغة العبرية.

ويذكر الشيخ المرعشي - احد طلاب الشيخ البلاغي - انه رآه مراراً يتلو العهد القديم التوراة العبري، في نهاية السلسلة وذلاقة اللسان، بحيث اقر حاخام اليهود بفضله وإحاطته بدقائق اللسان العبري، هذه العبرانية وكان يجيدها أيما إجادة، أتاحتها له اختلاط بسيط بالطائفة الإسرائيلية في بغداد، أثناء ارتياده بيعهم وتوراتهم، لاستطلاع دفائن الأسرار والإشراف على مواطن الضعف في الكتب.¹

¹المرجع السابق: موسوعة محمد جواد البلاغي: الحكيم الحسون، مطبعة الباقر، ط2-2010م، ج1، ص 191-192.

²المرجع نفسه: موسوعة محمد جواد البلاغي: الحكيم الحسون، مطبعة الباقر، ط2-2010م. ج1، ص 191-192.

¹ ينظر شبهات المستشرقين حول القرآن: ستار الفتلاوي، كلية الآداب / جامعة القادسية معهد الدراسات السامية والعربية/جامعة برلين/الماني، ص18

إن تعلم البلاغي اللغة العربية مكنته من الخوض في مجال علم الأديان المقارن، والمجادلة بالتي هي أحسن، وبعقلانية مستوعبة للآخر، إذ أنه تعلم اللغة العربية بكل ما يرتبط بها من حركات لفظية دقيقة، مما منحه عقلية واعية، وقدرة على استيعاب الآخر بل احتواءه.

ولم يكتفِ البلاغي بتعلم اللغة العربية - التي تعلمها للدفاع عن القرآن الكريم - بل إنه أخذ يراجع علماء الدين اليهود والمسيحيين ويسألهم حول بعض المسائل التي كان يبحث فيها في مجال علم الأديان المقارن، ولا سيما خلال وجوده في بغداد.¹

الفرع السابع: طريقته في الاختصار

انتهج البلاغي في آل الرحمان الاختصار فهو لم يطنب ولم يسهب في شرح الآيات وغالبا ما يحيل في بيان مفردة في الآية إلى مواطن سبق له أن عرض إليها، كذلك يحيل إلى بيان معاني بعض الآيات كان قد شرحها في موضع سابق.²

وقد يشير إلى مواضع الخلل والضعف في الرأي الآخر بالإشارة والتنبيه دون أن يستقصي الكلام فيه كما حصل في تعرضه للرازي في توبة العبد إلى الله وتوبة الله عليه، فالبلاغي يقول فيه واستقصاء الكلام في ذلك يفضي إلى تطويل فلندع كلامه لما به.³

و ما يمتاز به هذا التفسير أنه يتناول المهم في الآيات والمطالب الضرورية، فيذكر رؤوس هذه المطالب ويدل على الروايات دون ذكرها بالتفصيل أو السرد الروائي، فاختصاره غني بالمضامين ويعين الباحث على تتبع المطالب الضرورية دونما استغراق في التفصيل أو الصوارف.¹

وقد يحيل إلى كتبه الأخرى، أو كتب غيره، ويبقى السبب الذي جعل البلاغي يتبع أسلوب الاختصار في تفسيره آلاء الرحمان يمكن إلى تناوله التفصيلات في مراجعه المتعددة والمتنوعة أشبع من خلالها مسائل كثيرة بالبحث والدراسة.²

¹ ينظر المرجع السابق شبهات المستشرقين حول القرآن: ستار الفتلاوي، كلية الآداب / جامعة القادسية معهد الدراسات السامية العربية/جامعة برلين/الماني، ص22- 23

² مثاله ما ورد في تفسيره آلاء الرحمان، ج1، ص144-141-228-265

³ مثاله ما ورد في تفسيره آلاء الرحمان، ج1، ص90-91-99-224

¹ مثاله ما ورد في تفسيره آلاء الرحمان، ج1، ص96

² ينظر المرجع السابق: البلاغي مفسرا، رمضان علي الأوسي، مركز العلوم الإسلامية، الطبعة الأولى: 2008م، ص71.

المبحث الثالث: مسلك البلاغي في تناول القصص القرآني

يعتبر القصص القرآني من أبرز الأساليب التي حملها القرآن الكريم ليحاج الناس بها، ويدعوهم لتوحيد المولى تبارك وتعالى، لذلك كان مقصده تعريف الناس برهيم، شأنه شأن ما جاء به القرآن الكريم من المناظرة والاستدلال والتعجيز والوعد والوعيد والتهديد وغيرها من الأساليب، لذلك أردفت في هذا المبحث جملة من النماذج القصصية عند البلاغي من خلال تفسيره آلاء الرحمن، والنظر في ما مدى تحقيقه للمقصد الذي سيق من أجله.

النموذج الأول: قصة مريم - عليها السلام -

تعتبر قصة مريم عليها السلام من أشهر القصص القرآني، حيث اعتنى القرآن الكريم بها عناية كبيرة وعرضها في أكثر من سورة، لما لها من أهمية كبيرة وأثر بالغ... وقد عرضها القرآن بطريقة تختلف عن التوراة والإنجيل، ليؤكد على حقيقة وحدانية الله تعالى.

وتعتبر الشيعة الإمامية من بين الفرق الإسلامية التي كان لها تعامل خاص مع هذه القصة، ويبين ذلك مفسرهم محمد جواد البلاغي، الذي مهد لعرض هذه القصة وساق عدة روايات لبيانها وذلك من خلال تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾¹ فقال: « وعن تفسير الثعلبي مسندا عن الأعمش عن أبي وائل قال: قرأت في مصحف ابن مسعود إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل محمد على العالمين. وفي التبيان وفي قراءة أهل البيت وآل محمد على العالمين. وقالوا أيضا إن آل إبراهيم هم آل محمد الذين هم آلهم آله وكذا في مجمع البيان»¹.

« وتفصيل الكلام عن الطوسي روي في أماليه عن محمد بن إبراهيم قال سمعت جعفر بن محمد (ع) يقرأ وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين وآل محمد على العالمين. ونحوه في تفسير العياشي عن أيوب عن الصادق (ع) وعن أبي عمر الزبير عن (ع) نحوه وأيضا عن هشام بن سالم سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى إن الله اصطفى آدم ونوحا فقال هو آل إبراهيم وآل محمد على العالمين فوضعوا اسما مكان اسم. أقول وهذه الرواية معارضة بما يرجح عليها مما دل على ثبوت آل عمران في القرآن فلا بد من صرفها على ظاهرها ويعارض ما تقدم رواية العياشي عن سدير عن الباقر

¹ سورة آل عمران: الآية 33.

¹ المرجع السابق: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفى فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقرى ، ط2010م، ج1، ص277.

الباب الثاني... الفصل الثالث: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد بن جواد البلاغي.....

عليه السلام قال ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ قال نحن منهم ونحن بقية تلك العترة... وعن الشيخ الطوسي بسنده عن يونس بن حباب عن الباقر عليه السلام عن آبائه عليه السلام أن رسول الله في خطابه لأمر المؤمنين تلا الآية عن النحو المذكور. وهذه الروايات أوضح سنداً من الأولى وأسلم من التعارض والتدافع فيما بينهما وأولى بالترجيح. ويمكن الجمع بأن آل محمد ﷺ كانوا مقصودين في التزليل من آل إبراهيم بنص الوحي على الرسول في ذلك.

وربما أثبت في مصحف علي أمير المؤمنين عليه السلام ومصحف ابن مسعود بعنوان التأويل المقصود كما ذكرناه في المقدمة في أواخر الكلام على روايات فصل الخطاب، والظاهر أن موسى عليه السلام ورسول الله ﷺ والأئمة الذين لهم الإمامة والزعامة العامة الكبرى هم القدر المتيقن في المراد بآل إبراهيم... وفي تفسير القمي في الحسن كالصحيح عن الصادق عليه السلام أن امرأة عمران اسمها حنة وكذا في الدر المنثور مما أخرجه إسحاق بن بشير وابن عساكر عن ابن عباس، وأخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة.

وفي تفسير القمي في سورة مريم وطرده الرواية عن أبي الجارود عن الباقر عليه السلام أن زكريا كان رئيس الأخبار وامرأته أخت مريم بنت عمران بن ماثان وبنو ماثان من ولد سليمان بن داود¹، وفي الدر المنثور مما أخرجه البيهقي في سننه عن ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة أن زكريا كان أفضل الذين يكتبون التوراة وكانت أخت مريم تحته¹.

... وفي الفصل الأول من إنجيل لوقا أن زكريا من الكهنة أي من ولد هارون سدنة بيت المقدس وأن زوجته أم يحيى هي نسيبة مريم، وأن حملها يبغى قبل حمل مريم بالمسيح بستة أشهر، والأناجيل الرائجة لم تذكر نسب مريم ولا نسب عيسى من جهتها، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾² رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً أي للمسجد بيت المقدس، وفي تفسير القمي في الحسن كالصحيح عن الصادق (ع) أن الله أوحى إلى عمران أني واهب لك ذكراً مباركاً يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى بإذني وجاعله رسولاً إلى بني إسرائيل فحدث بذلك امرأته حنه، فلما

¹ المرجع السابق: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفی فرادی و عباس محمدی، مطبعة الباقری، ط2010م، ج1، ص279-280.

¹ المرجع نفسه: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفی فرادی و عباس محمدی، مطبعة الباقری، ط2010م، ج1، ص280.

² سورة آل عمران: الآية 35

حملته كان حملها عند نفسها غلاما (فتقبل مني) نذري أي اجعله مقبولا عندك، ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾¹ فإنه هو الذي خلقها وصورها، وفي رواية القمي المتقدم ذكرها يقول الله والله أعلم بما وضعت وليس الذكر الذي كان في نيتي بشرى عمران ومقصد نذري (كالأنثى) فإنها لا تكون رسولا ولا تقوم بما يراد من المنذور المحرر. ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنُورٍ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ المرجوم بالشهب واللعن.. ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ النبات يكون اسم مصدر لنبت ويكون مفعولا مطلقا، لأنبتها بدلا عن مصدره، والمراد بها حسن نشأتها وتربيتها في صلاحها وكمالها، ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي جعل زكريا كفيلها والقائم بأمرها بحسب القدير ويجعل القرعة له بالأقلام وهل هناك أكرم من كفيل صالح أمين رؤف.

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُمُ إِنِّي لِلَّهِ إِذًا مَا آلِهَةٌ تَأْتِي بِرِزْقٍ مِّنْ لَّدُنْهِ يَوْمَ تَبْطَأُ الْعِجَالُ﴾² في رواية القمي يجد عنها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، ونحوه ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس، وفي الدر المنثور اخرج أبو يعلى عن جابر حديث الزهراء (ع) والجفنة التي ملئت خبزا ولحما ببركة الله وعطائه أن رسول الله ﷺ سألها عن ذلك فقالت هو من عند الله فقال ﷺ الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل. وروى الشيخ في أماليه عن حذيفة بن اليمان ما يشبه ذلك ﴿قَالَ يَمْرِؤُمُ إِنِّي لِلَّهِ إِذًا﴾ ومن أين جاءك ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾¹ لا في الجريان على العادة ولا في مقدار الضرورة حين ماري زكريا المعجز بوجود فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء رجي أن يرزقه الله ولدا وإن صار شيخا كبيرا»².

مناقشة:

ساق البلاغي عدة روايات ودافع عنها وحملها على التحريف في التأويل حيث قال: وربما أتيت في مصحف علي أمير المؤمنين، ومصحف ابن مسعود ذلك بعنوان التأويل المقصود عند تنزيل

¹ سورة آل عمران: الآية 36.

² سورة آل عمران: الآية 37.

¹ سورة آل عمران: الآية 37.

² المرجع السابق: آلاء الرحمان في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفى فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقرى ، ط2010م، ج1،

الروايات صريحة في التحريف **بدليل قول الصادق في روايتهم (فوضعو اسما مكان اسم)** ولو سلمنا للبلاغي أن ذلك هو المراد عند التزويل وإن لم تتزل هكذا فهو تحريف في التأويل وصرف للكلم عن مواضعه.

وهذا تحريف وإن برره بقوله وإن هذا التزويل...وعليه فالبلاغي الذي رمى أهل السنة بالتحريف ثبت كذبه من واقع تفسيره نفسه، وانظم إلى قائمة المحرفين من الشيعة الذين يروون أخبار التحريف التي ينسبونها إلى الأئمة ويفسرون بها القرآن، وبهذا يبدو الرجل مضطربا مغالطا، أليس هذا أمرا عجيبا؟

ولكنه والحق يقال لم يكن من أولئك المفسرين الذين نقلوا أخبار التحريف بنهم وعناد، بل هو من المقلين في ذلك ويحاول دائما حمل أخبار التحريف على التأويل ظنا منه أن ذلك ليس تحريفا، وقد تقرر أن التحريف في التأويل كالتحريف في التزويل فقد قال الله تعالى: يحرفون الكلم عن مواضعه... "كما أنه من باب الإنصاف ذكر هجومه العنيف على كتاب فصل الخطاب في تحريف كلام رب الأرباب للنوري الطبرسي وبين حال رجال أسانيد الأخبار الواردة فيه. كما انتقد سورة النورين فيه، ورفض أن تكون قرآنا. والمهم من ذلك هو إجماع كتب الأخبار عند الشيعة على نقل أخبار التحريف.¹

النموذج الثاني: قصة الملاء من بني إسرائيل

مما جاء في تفسير البلاغي لقصة الملاء من بني إسرائيل الواردة في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ آتِنَا سَبِيلَ اللَّهِ فَقَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاؤُنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾¹ قال: « ألم تر كناية عن الأعيان والأشراف.. في تفسير القمي في الصحيح عن القمي عليه السلام أن بني إسرائيل عملوا المعاصي وغيروا دين الله وعتوا عن أمر ربهم، وكان فيهم نبي يأمرهم وينهاهم فلم يطيعوه.

و روي أن اسمه أرميا النبي أقول هذا وما بعده ليس بالصحيح بل هو إرسال من القمي وفيه ما هو خلاف الصحيح، وفي التبيان ومجمع البيان وقيل هو اشموئيل وهو المروي عن أبي جعفر يعني

¹ ينظر الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم: محمد إبراهيم العسال ط1427/1 ص 305-306.

¹ سورة البقرة: الآية 246-247.

الباقر **التلخيص** وفي مجمع البيان، وهو بالعربية إسماعيل وفيه منع فإن إسماعيل بالعبرانية " يشمع أيل في سبيل الله قال " ابعث لنا ملكا نقاتل) معه (في سبيل الله قال) قال لهم نبههم (هل عسيتم) عسى معناها الترجي في المحبوب والإشفاق في المكروه (إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا) المطرد فيما بعد عسى أن يأتي مقرونا بأن الناصبة ولكن لأجل أن المؤكدين بعد اختلاط اللسان ضاعت عليهم مزايا اللغة العربية بعد أن كانت معروفة لأهلها فقال بعض النحويين أو جمهورهم أن عسى من ¹ الأفعال الناقصة والمنصوب بأن خبرها على حذف المضاف منه أو من اسمها (قالوا) ما مؤداه ما ذا يمنعنا من القتال (ومالنا) من الفائدة في (ألا) ألا هي أن المصدرية ولا النافية²

﴿ **أَلَا نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاءَنَا** ﴾ بالحرب والطرود عن الأوطان وهل بعد هذا مانع نفساني عن القتال أو فائدة تدعوا إلى تركه مضافا إلى أنه قتال في سبيل الله ودفاع عن الدين والتوحيد، ومع هذا البيان منهم فلمَّا بعث لهم طالوت ملكا و) كتب (عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ مَعَهُ تَوَلَّوْا وَتَخَاذَلُوا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) يعلم حالهم من قبل ذلك».

وقوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا** ﴾ « قيل سُمي طالوت لطوله، وفي كتب اليهود أنه كان أطول من كل بني إسرائيل من كتفه فما فوق.. وفي تفسير القمي أنه كان سبط بنيامين، قلت وتاريخ اليهود يذكر في أواخر سفر القضاة أن سبط بنيامين قد صدرت من بعضهم بادرة قبيحة فأراد بنو إسرائيل أن يؤدبوا هؤلاء فحماهم سبطهم فحاربهم باقي الأسباط.. حتى نكلوا بهم فصار سبط بنيامين بعد ذلك سبطا قليلا مستحقرا فيما بين بني إسرائيل ﴿ **وَلَمْ يُوْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ** ﴾ ليؤسس به ملوكيته وإدارتها.

أما معنى قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾¹ قال: أي سعة في الملك يدبر بعلمه المملكة وشؤون القتال ويملاً ببسطة. علمه الأبصار هيبة تناسب الملوك ومخائل القوة والشجاعة ﴿ **وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ** ﴾ فلا اعتراض لكم في ذلك ﴿ **وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ في فضله ورحمته أي

¹ المرجع السابق: تفسير آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفی فرادی و عباس محمدی، مطبعة الباقري ، ط2010م، ج1، ص220-221.

² المرجع نفسه: تفسير آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفی فرادی و عباس محمدی، مطبعة الباقري ، ط2010م، ج1، ص220-221.

¹ سورة البقرة: الآية 247.

واسع الفضل والرحمة عليم بما تقتضيه الحكمة في كل مقام ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ﴾ في مقام الاحتجاج والدلالة على أن طالوت يكون ملكا عليهم وذلك باصطفاء الله له (أن آية ملكه) والحجة التي تعرفون بها ذلك (أن يأتيكم التابوت) الصندوق في مجمع البيان أنه كان في أعداء بني إسرائيل تحمله الملائكة وروى ذلك عن أبي عبد الله (فيه سكينه من ربكم) في تفسير القمي عن الرضا عليه السلام أنها ريح من الجنة لها وجه كوجه الإنسان ونحوه في مجمع البيان والدر المنثور عن أمير¹ المؤمنين، وفي رواية معاني الأخبار عن يونس عن الرضا عليه السلام روح الله لكن في أصول الكافي في صحيح محمد ابن مسلم عن الباقر عليه السلام السكينة الإيمان. ونحوه في صحيح حفص وهشام عن الصادق ونحوه في صحيح أبي حمزة عن الباقر وزاد في قوله تعالى (وأيدهم بروح منه) قال هو الإيمان ونحوه... ففي الفصل السادس من كتاب صموئيل الأول في الآية حرق وخرق العادة في رجوع التابوت وهو أن المشركين لما انتهبوا التابوت من بني إسرائيل أصابهم بلاء من الموت والأمراض، فأرادوا أن يردوا التابوت ويستعملوا من حاله وكرامته أنه هل هو الذي سبب عليهم ذلك البلاء من الله فتبانوا على أن يجعلوه في عجلة ويربطونها ببقرتين مرضعتين صعبتين لم يعلهما نير وبعد ذلك يرجعون عنهما ولديهما إلى البيت، فإن سارت البقرتان بالعجلة على الهدى والاستقامة عرفوا أن هذا الأمر الخارق للعادة من حال البقرتين إنما هو من آيات الله لبيان كرامة التابوت فسارت البقرتان بالتابوت والعجلة على أحسن استقامة ومعرفة للطريق إلى أن أوصلتا التابوت إلى بلاد بني إسرائيل، وبمقتضى الآية الكريمة والرواية الشريفة أن الملائكة كانت تتولى حمل التابوت بهذا الحمل الخارق للعادة في تلك الصورة الظاهرية من تسخير البقرتين، وفي مجمع البيان ذكر شيئا فيه شبه لهذا ولم ينسبه إلى إمام»

و ذكر في شرح روضة الكافي شيئا من تاريخ ابن الأثير وغيره من المفسرين، فقال: « وأقول أن تفاسير هذه الأمور إما أن تؤخذ عن النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام وإلا فلا لأن المؤرخين بل والمفسرين كما ذكرناه في المقام الثالث من الفصل الرابع من المقدمة أن منهم من يأخذ من النقل الأفواهي المتقلب بالتحريف من أهل الكتاب الراجع إلى كتبهم من العهد القديم وهي التي كانت في أزمنة المفسرين والمؤرخين باللسان العبراني والبابلي واليوناني وهي ممنوعة عن¹ غير اليهود والنصارى ويحرم على مذهب الفريقين أن يمكنوا حتى العوام منهم لكن بعدما ظهرت في النصارى فرقة الإنجيليين ترجموها بكل لسان ونشروها في البلاد.

¹ المرجع السابق: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفی فرادی و عباس محمدی، مطبعة الباقري، ط2010م، ج1، ص220-221.

¹ المرجع نفسه: تفسير آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفی فرادی و عباس محمدی، مطبعة الباقري، ط2010م، ج1، ص223-224.

فهذه الكتب على ما فيها من التحريف أقل تحريفاً من الأنقال المأخوذة عنها بالنقل الأفواهي الذي لم يبين على النقل والأمانة.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي في إخباري بإتيان التابوت حال كونه تحمله الملائكة ﴿لآيَةً لَكُمْ﴾ تعرفكم نعمة الله وقدرته لتطيعوه وتعرفكم صدقي وإن طالوت جعله الله ملكاً عليكم كل ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالله وآياته ودلالاتها حق الإيمان.¹

في تفسير القمي بسند صحيح عن الرضا عليه السلام كان إذا وضع التابوت بين المسلمين والكافرين فإن تقدم التابوت رجل لا يرجع حتى يقتل أو يغلب فأوحى الله إلى نبيهم إن جالوت «وهو رئيس المشركين وشجاعهم» يقتله من يستوي عليه درع موسى اسمه داود بن اسى «وفي كتب اليهود في العبرانية «يسي»² وكان اسى راعياً وكان له عشر بنين أصغرهم داود فلما جمع طالوت بني إسرائيل للحرب بعث إلى اسى ان احضر ولدك فلما حضروا دعا واحدا منهم فألبسه درع موسى فمنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه فقال لأسى هل خلفت من ولدك أحدا قال نعم أصغرهم تركته في الغنم فبعث إليه فلما دعي أقبل ومعه مقلاع فناده ثلاث صخرات في طريقه يا داود خذنا فأخذها في مخلاته فلما جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى فاستوت عليه ففصل طالوت بالجنود.

فلما جاء إلى طالوت (أي فلما ملك وجند جنوده في معسكر وفصل بمعنى انفصل عن جنوده عن المعسكر ومحل التجمع وسارا إلى محل الحرب قال لجنوده (إن الله مبتليكم بنهر) في طريقكم ليتبين مطيعكم من عاصيكم (فمن شرب منه فليس مني) من أصحابي المطيعين ولا من حزب الله (ومن لم يطعمه) أي يذوقه فإنه مني) أي من أصحابي ومن حزب الله إلا من اغترف غرفة واحدة بيده».¹

المناقشة:

لقد قص الله علينا في كتابه قصصاً كثيرة؛ ومن هذه القصص قصة الملاء من بني إسرائيل، وهم الأشراف والرؤساء؛ والخطاب هنا للرسول ﷺ لأنه زعيم الأمة، وهو كذلك خطاب للأمة؛ لأنها تبع له وهذا يدل على أسلوب الدعوة والقائد في القرآن الكريم؛ في حين نجد البلاغي أوردتها جوفاء

¹ المرجع السابق: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفی فرادی و عباس محمدی، مطبعة الباقري، ط2010م، ج1، ص224-225.

² المرجع نفسه: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفی فرادی و عباس محمدی، مطبعة الباقري، ط2010م، ج1، ص224-225.

¹ المرجع نفسه: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفی فرادی و عباس محمدی، مطبعة الباقري، ط2010م، ج1، ص224-225.

الباب الثاني... الفصل الثالث: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد بن جواد البلاغي.....

بعيدة تماما من مقصدها التي سيقت من أجله، وعليه سُجلت عدة مآخذ حول عرضه لهذه القصة

منها:

– جاء تفسيره لهذه القصة مثقلا بالموضوعات والإسرائيليات وذلك بقوله: لكن بعدما ظهرت في النصرى فرقة الإنجيليين ترجموها بكل لسان ونشروها في البلاد فهذه الكتب على ما فيها من التحريف أقل تحريفا من الأنقال المأخوذة عنها بالنقل الأفواهي الذي لم يبين عن النقل والأمانة" نوافق البلاغي في الثبوت في نقل الأخبار وهذا لا يعني قبول الغث والسمين من مرويات النصرى واليهود، مصداقا لقول المصطفى ﷺ « لا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم » فهنا البلاغي زكا الروايات أهل الكتاب، بل حاول هدم أي موروث سني دون نقد أو تمحيص.

– المعروف أن المصدر الأساسي والصحيح في تعيين المبهم هو النقل الصحيح حيث لا مجال للرأي فيه، في حين نجد البلاغي خاض في المبهمات التي لا طائل من ذكرها، مثل تعيين أسم الملك.... الخ وفي هذا الشأن قال السيوطي: «أعلم أن المبهمات مرجعه النقل المحض لا مجال للرأي فيه»¹ كما ذكر الزركشي: « أنه لا يبحث عن مبهم أخبر الله باستثاره بعلمه».

هذا ما جعل العسال رحمه الله يقول عن خوض البلاغي في المبهمات بقوله: « والحق أن كثيرا مما عين من هذه المبهمات، هو من قبيل التكلف الذي يبعث عليه فضول العلم أحيانا، وبعضه مأخوذ من الإسرائيليات، وأكثره لم يصح فيه خبر والأولى في مثل هذا أن يحمل على العموميات التي لا يراد بها شخص معين) العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) إذ أن تعيينه لا يتعلق به كبير فائدة، والمقصود من الكلام يتحقق بدونه فلا داعي لهذا التكلف حيث لا ثمرة تجنى من ورائه ما دام لم يصح فيه خبر يعتمد عليه»²

– قد يكون ذكر البلاغي لروايات أهل السنة وأقوال الصحابة والتابعين من باب المداراة والتقية، بخاصة إذا كان صاحب هذا التفسير على صلة ببعض أعيان أهل السنة، فمجرد ذكر بعض أقوال التابعين في التفسير مداراة ومجاملة، يكشف النوري الطبرسي عن السبب الذي جعل بعض مفسري الشيعة ينهج هذا المنهج المخالف للأصول التي يؤمن بها فيقول: (لا يخفى على المتأمل في كتاب التبيين أن طريقتة فيه على نهاية المداراة والمماشاة مع المخالفين، فإنك تراه اقتصر في تفسير الآيات على نقل

¹ المصدر السابق: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ت: مصطفى ديب البغا، طبعة دار ابن كثير بدمشق 1407هـ، ج4، ص95.

² ينظر المرجع السابق الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم: محمد إبراهيم العسال ط1427/1هـ، 201/200

كلام الحسن، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن جريج، والجبائي، والزجاج، وابن زيد، وأمثالهم، ولم ينقل من مفسري الإمامية، ولم يذكر خبراً عن أحد من الأئمة عليهم السلام إلا قليلاً¹

التوجيه الصحيح للقصة:

و يبقى التوجيه الصحيح لقصة الملاء من بني إسرائيل كما بينه السعدي رحمه الله وذلك بقوله:
" يقص تعالى على نبيه قصة الملاء من بني إسرائيل وهم الأشراف والرؤساء، وخص الملاء بالذكر، لأنهم في العادة هم الذين يبحثون عن مصالحهم ليتفقوا فيتبعهم غيرهم على ما يرونه، وذلك أنهم أتوا إلى نبي لهم بعد موسى ﷺ فقالوا له ﴿ ابعث لنا ملكا ﴾ أي: عيّن لنا ملكا ﴿ نقاتل في سبيل الله ﴾ ليجتمع متفرقنا ويقاوم بنا عدونا، ولعلمهم في ذلك الوقت ليس لهم رئيس يجمعهم، كما جرت عادة القبائل أصحاب البيوت، كل بيت لا يرضى أن يكون من البيت الآخر رئيس، فالتمسوا من نبيهم تعيين اسم ملك يرضي الطرفين ويكون تعيينه خاصا لعوائدهم، وكانت أنبياء بني إسرائيل تسوسهم، كلما مات نبي خلفه نبي آخر، فلما قالوا لنبيهم تلك المقالة ﴿ ابعث لنا ملكا ﴾ قال ﴿ لهم نبيهم هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ﴾ أي: لعلمكم تطلبون شيئاً وهو إذا كتب عليكم لا تقومون به، فعرض عليهم العافية فلم يقبلوها، واعتمدوا على عزمهم ونيتهم، فقالوا: ﴿ وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾ أي: أي شيء يمنعنا من القتال وقد ألقانا إليه، بأن أخرجنا من أوطاننا وسبيت ذرارينا، فهذا موجب لكوننا نقاتل ولو لم يكتب علينا، فكيف مع أنه فرض علينا وقد حصل ما حصل، ولهذا لما لم تكن نياتهم حسنة ولم يقوَ توكلهم على ربهم ﴿ فلما كتب عليهم القتال تولوا ﴾ فجنبوا عن قتال الأعداء وضعفوا عن المصادمة، وزال ما كانوا عزموا عليه، واستولى على أكثرهم الخور والحين ﴿ إلا قليلا منهم ﴾ فعصمهم الله وثبتهم وقوى قلوبهم فالتزموا أمر الله ووطنوا أنفسهم على مقارعة أعدائهم، فحازوا شرف الدنيا والآخرة، وأما أكثرهم فظلموا أنفسهم وتركوا أمر الله، فلهذا قال: ﴿ والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ﴿ مجيباً لطلبهم¹ ﴾ إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴿ فكان هذا تعييننا من الله الواجب عليهم فيه القبول والانقياد وترك الاعتراض، ولكن أبوا إلا أن يعترضوا، فقالوا: ﴿ أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ﴾ أي: كيف يكون ملكا وهو دوننا في الشرف والنسب ونحن أحق بالملك منه.... فقير ليس عنده ما يقوم به الملك من الأموال، وهذا بناء منهم على ظن فاسد،

¹ فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب: النوري الطبرسي، ت: مصطفى صبحي الخضر الحمصي، مركز الدراسات الفكرية الطبعة الأولى 2007م، ص 34

¹ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ج 1، ص 107

وهو أن الملك ونحوه من الولايات مستلزم لشرف النسب وكثرة المال، ولم يعلموا أن الصفات الحقيقية التي توجب التقدم مقدمة عليها، فلهذا قال لهم نبيهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ فلزمكم الانقياد لذلك ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ أي: فضله عليكم بالعلم والجسم، أي: بقوة الرأي والجسم اللذين بهما تتم أمور الملك، لأنه إذا تم رأيه وقوي على تنفيذ ما يقتضيه الرأي المصيب، حصل بذلك الكمال، ومتى فاته واحد من الأمرين اختل عليه الأمر، فلو كان قوي البدن مع ضعف الرأي، حصل في الملك خرق وقهر ومخالفة للمشروع، قوة على غير حكمة، ولو كان عالماً بالأمر وليس له قوة على تنفيذها لم يفده الرأي الذي لا ينفذه شيئاً ﴿والله واسع﴾ الفضل كثير الكرم، لا يخص برحمته وبره العام أحداً عن أحد، ولا شريفاً عن وضيع، ولكنه مع ذلك ﴿عليم﴾ بمن يستحق الفضل فيضعه فيه، فأزال بهذا الكلام ما في قلوبهم من كل ريب وشك وشبهة لتبينه أن أسباب الملك متوفرة فيه، وأن فضل الله يؤتیه من يشاء من عباده، ثم ذكر لهم نبيهم أيضاً آية حسية يشاهدونها وهي إتيان التابوت الذي قد فقده زماناً طويلاً وفي ذلك التابوت سكينه تسكن بها قلوبهم، وتطمئن لها خواتمهم، وفيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، فأنت به الملائكة حاملة له وهم يرونه عياناً.¹

النموذج الثالث: قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام

تعتبر قصة ابتلاء سيدنا إبراهيم عليه السلام من أبرز القصص القرآني والتي كالعادة كان للشيعه تعامل خاص وتأويلات مخالفة لما عرفناه حيث بدأ البلاغي بتفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾² بقوله: «فيه إشارة إلى الامتنان عن الناس، وأن الإمامة لطف من الله ومن أكبر المصالح لأموهم، ويجوز أن يكون متعلق بقوله "إماماً" وقدم للاهتمام بعموم الإمامة للناس وارتباطها بمصالحهم العامة والخاصة (قال إبراهيم) ومن ذريتي الظاهر أن هذا عطف على (جاعل) في جاعلك أي وجاعل من ذريتي ويكون بمنزلة الاستفهام التقريري لمزيد الاستبشار والابتهاج ونحو من الشكر إذ علم من الكلمات والأسماء أن الأئمة من ذريته. وقيل أن المعنى واجعل من ذريتي وفيه تكلف في التقدير الزائد على دلالة السوق خصوصاً مع النظر إلى رواية الفضل الدالة على معلومية أسماء الأئمة في ضمن الكلمات فإنه يعد من مقام إبراهيم أن يطلب الزيادة على ما أخبره الله بتقديره (قال) الله جل اسمه في بيان ما لهذه الإمامة

¹ المرجع السابق: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن السعدي، ج1، ص 107

² سورة البقرة: الآية 124.

من الفضل (لا ينال عهدِي الظالمين) بيانا لشرف الإمامة في فضليتها العظمى وفضل الإمام بجعلي وعهدي في الدلالة على الإمام بحسب¹ أهليته لهذه الكرامة في كماله وقيامه بمصلحة الناس على ما يقتضيه اللطف في صالحهم وأهليته لانقيادهم إليه وهذا العهد الكريم من نحو الوصية، والدلالة على التعيين ونظير ذلك قولهم ولي العهد²

المناقشة:

إن ما قصه الله تعالى في كتابه العزيز على رسوله الكريم ﷺ كان من أجل أخذ العبرة والعظة، ومقصده من وراء ذلك هو تثبيت فؤاد النبي ﷺ، وتسليته عما أصابه، وحثه على الصبر على دين الله عز وجل عن طريق قصص الأنبياء وأبرز مثال على ذلك قصة ابتلاء سيدنا إبراهيم الخليل ﷺ ولكن للأسف البلاغي كانت له عدة استدلالات وتأويلات في مجالات متعددة، والمهم هنا هو استدلاله على وجوب تنصيب الإمام حيث قال البلاغي (جاعلك للناس) " فيه إشارة إلى الامتنان على الناس في الإمامة، وأن الإمامة لطف من الله ومن أكبر المصالح لأموهم.

ولا يخفى أن الله يخبر نبيه عما أنعم به على إبراهيم حين ابتلاه بكلمات فأتهمن لكي يتأسى به النبي ﷺ وليس فيه ما يدل على أنه امتنان على الناس ولا أن الإمامة لطف واجب عليه تعالى، لأنها لو كانت واجبة لما ساع أن يمتن بها، إذ لا منة بفعل واجب، كما أن إمامة إبراهيم ﷺ ليست كإمامة جنس الشيعة بالمرّة، لأن الله إنما جعل إبراهيم إماماً للأنبياء، وليس إماماً يخلف نبيا قبله على أمته.¹

و المعروف في هذه القصة أن الله تعالى أمر رسوله أن يذكر ابتلاءه تعالى لنبيه وخليله إبراهيم ﷺ بما كلفه به من أوامر ونواهي فقام بها خير قيام وأنعم عليه بأكثر إنعام وهو جعله إماماً للناس، ومن أبرز تلك التكاليف وقوفه في وجه الوثنيين، وتحطيم أوثانهم، والهجرة من ديارهم والهيم بذبح ولده إسماعيل قرباناً لله، وبناء البيت، وحججه والدعوة إليه مما استحق به الإمامة للناس كافة وفي هذا تبكيت لفرق الثلاثة العرب. المشركين. واليهود والنصارى إذ كلهم يدعي انتماءه لإبراهيم والعيش على ملته فهذا إبراهيم موحد وهم مشركون، عادل وهم ظالمون، مُتَّبِعٌ للوحي الإلهي وهم به كافرون ولصاحبه مكذبون وفي الآية بيان رغبة إبراهيم في أن تكون الإمامة في ذريته وهي رغبة

¹ المرجع السابق: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفي فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقري، ط2010م، ج1، ص123

² المرجع نفسه: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفي فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقري، ط2010م، ج1، ص123

¹ ينظر الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم: محمد إبراهيم العسال ط1/1427هـ، ص398

صالحة، فجعلها الله تعالى في ذريته كما رغب واستثنى تعالى الظالمين فإنهم لا يستحقونها فهي لا تكون إلا في أهل الخير والعدل والرحمة لا تكون في الجبارة القساة ولا الظالمين العتاة¹.

وأما ما يذكره الشيعة من أن إبراهيم لم يصير إماماً إلا بعد أن مرّ بالخلعة والرسالة والنبوة، فقد مر أن إمامته ليست من جنس إمامة الشيعة، حيث لم يكن إماماً نائباً عن سبقه، وإنما هي إمامة لمن يأتي بعده حتى الأنبياء والمرسلين حين أمروا جميعاً باتباع ملة بما فيه خاتمهم، نال ذلك الخليل لما ابتلي به من التكاليف الشاقة فأتمها بأكمل وجه فصار بذلك إماماً يقتدى به، وأنى للحسن العسكري وساكن السرداب بمثل هذا النوع من الإمامة، وهل مرّ هؤلاء بما مر به الخليل من المراحل المذكورة؟²

النموذج الثالث: قصة آدم عليه السلام

تختلف قصة آدم عليه السلام عن غيرها من قصص الأنبياء - عليهم السلام - فقصة كل نبي كانت تأخذ جانباً من جوانب الحياة، لكن قصة آدم عليه السلام هي قصة الإنسانية جميعاً، باعتباره أبو البشر، والحديث عن قصته عليه السلام هو الحديث عن الخصائص التي خص بها هذا الإنسان وميزه عن غيره، إذا استخلفه في الأرض، وفي هذا النموذج سوف نبين موقف البلاغي ومسلكه في معالجة القصة القرآنية مع النظر هل حققت مقاصد وهدايات القرآن السامية وتوجيهاته.

استهل البلاغي في تفسير قصة آدم عليه السلام ببيان المعنى اللغوي فقال في تفسير قوله تعالى ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾¹ « يقال لامرأة الرجل زوج وزوجة والأول هو اللغة العالية التي جاء بها القرآن، والجنة اسم للبهستان، وروى الكليني وابن بابويه مسنداً القمي مرفوعاً عن أبي عبد الله (ع) أن جنة آدم من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر ولو كانت من جنان الآخرة والخلد لما أخرج منها انتهى. وهذا لا يستلزم كونها في الأرض. ﴿ وَكَلَّا فِيهَا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ الأمر بالأكل كالأمر بالسكنى في الجنة إنما هو للإباحة والإنعام. والرغد صفة للمصدر أي أكل رعداً رافها ليس فيه عناء.

﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ورواية العياشي عن الباقر (ع) أن المراد هنا هو

¹ ينظر المرجع السابق: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ومهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير: أبو بكر جابر الجزائري، ط4، جدة، دار السلام، ط1992، ج1، ص53.

² ينظر المرجع السابق: الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم: محمد إبراهيم العسال ط1427/1هـ، ص527-530.

¹ سورة البقرة: الآية 35

عدم الأكل منها لا مطلق القرب، ولكن صدر النهي بصورة النهي عن القرب لأجل بيان التحذر من الأكل منها كقوله تعالى " (ولا تقربوا مال اليتيم) (ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) ولم يصح ما روي في حقيقة الشجرة والنهي هاهنا للإرشاد لا للتحريم بدليل قوله تعالى في بيان الحال في سورة طه المكية (115-118) (أنه عدو لكما فلا يخرجكما من الجنة فتشقى) أي تقع في شقاء العيش ومشقته ويؤكد دلالة السياق على ذلك أنه نُسب الشقاء إلى آدم دون زوجته نظرا لما جرت العادة في الأرض في أن المرحل هو الذي يتعب والمرأة عيال عليه»¹.

وإن مخالفة النهي الإرشاد تسمى أيضا معصية، وما كل معصية تساوي الذنب والإثم (فتكونا من الظالمين) لأنفسكما بالخروج من النعيم إلى التعب، ومثل هذا الظلم لا يعد لا يستوجب ذمًا ولا يعد ذنبا، والظلم في اللغة يساوق وضع الشيء في غير محله.

ولقد أغرب من قال أن الظلم اسم ذم لا يجوز أن يطلق على غير المستحق للعن لقوله تعالى " ألا لعنة الله على الظالمين" أفلا يدري أن الآية المذكورة وردت في سورة الأعراف 42 وسورة هود 21 في الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجا وهم في الآخرة من الظالمين.

(فأزلهما الشيطان بسوسسته وغوايته ومخادعته باليمين الكاذبة عن الوصية المدلول عليها بقوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة ولا يخرجكما من الجنة فتشقى أو أزلهما عن الجنة ولم يتركهما ثابتين فيها، وقد رويت في كيفية وصوله إليها بالسوسة والمخاطبة بالإغواء روايات لم تصح (فأخرجهما) نُسب الإخراج إليه على سبيل المجاز في الإسناد.

فتلقى آدم من ربه كلمات ومقتضى السياق هو أن آدم ندم على مخالفة الله في أمره الإرشادي، وأراد التوبة والرجوع إلى مقام الأولياء المتبعين لإرشاد الله في العمل والترك، وصار يحاول البحث عن الوسائل التي يتوب الله بها عليه فيعلمه الله كلمات توقفه في مقام المنيبين وتعرفه فضيلة ذوي الفضل.

و قد روي عن طرق الفريقين أنه نحو من الدعاء، وفي الدر المنثور مما أخرجه الديلمي في الفردوس مسندا عن علي عليه السلام دعا فيه بحق محمد وآل محمد مكررا.

و مما أخرجه ابن النجار والبيهقي مسندا عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه قال سئل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فتاب عليه، وروى من طريق الإمامية نحو ذلك، كما رواه الكليني والصدوق عن ابن عباس ومرفوعا

¹ المرجع السابق: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لظفي فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقر، ط2010م، ج1، ص86-87.

الباب الثاني... الفصل الثالث: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد بن جواد البلاغي.....

والعباشي نحوه عن عبد الرحمان بن كثير عن الصادق عليه السلام وعنه أيضا مرسلًا. ولا منافاة بين روايات الدعاء وروايات الاستشفاع بأهل البيت لجواز الجمع بينهما، فتاب عليه (فرجع عليه بالرحمة ولطف الإرشاد وقرب المتزلة والزلفى إنه هو التواب الرحيم»¹

مناقشة:

لقد جاء في القرآن الكريم تفصيل أخبار الأنبياء السابقين بشيء لا يوجد في الكتب المتقدمة، فقد أخبر تعالى عن قصة آدم عليه السلام وكيف خلقه وأسكنه جنة الخلد، وكيف اقتضت إرادته تعالى وحكمته أن يترله إلى الأرض، وبدأت القضية في توجيه الأمر الإلهي لآدم ألا يأكل من شجرة معينة امتحانا له في الطاعة وتنفيذ أمر الله.¹

والخطاب القرآني هنا موجه إلى بني إسرائيل الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وآله. بما فعل مع آبائهم وكيف نجى الله تعالى موسى عليه السلام من فرعون واستدعاهم به وذكرهم بنعمه عليهم فذكر هذه النعم هو أصل الشكر الذي هو الدين.

ولكن البلاغي في عرضه لهذه القصة أغفل المعنى الحقيقي، وشذ برأيه وخرق أقوال المفسرين في كثير من المواضع منها قوله: « أن جنة آدم من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر ولو كانت من جنان الآخرة والخلد لما أخرج منها انتهى. وهذا لا يستلزم كونها في الأرض» هذا التأويل من الجري الذي يعتبر من مرتكزات التفسير عند الإمامية .

وقد سلك البلاغي كذلك مسلك الإمامية التي تعتمد اعتمادا كلياً على التأويل الباطني لنفث سمومها، فلا تترك شاردة ولا واردة في القصة إلا اغتمتها لنصرة المذهب أو الترويج لمعتقداتها الفاسد، وهذا ليس بالغريب عليها، وقد بدا جليا في قوله: عن ابن عباس أن رسول الله - ص - سألته عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه قال سئل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فتاب عليه.

فاستدل البلاغي بهذا الحديث المروي عن ابن عباس - رضي الله عنه - هو من باب التقية والمداراة وربما إقناعاً للقارئ بأنه معتدل ويستدل من السنة بأقوال الصحابة رضي الله عنهم، في حين نجد أن حديث التوسل لم يروه ابن عباس بهذه الصفة (وأدرج فيه الحسن والحسين علي وفاطمة) ولكن رواه الحاكم من طريق عبد الله بن مسلم الفهري، حدثنا إسماعيل بن مسلمة، أنبأ عبد الرحمن

¹ المرجع السابق: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لظفي فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقرى ، ط2010م، ج1، ص87-88.

¹ التفسير الوسيط: وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر دار الفكر - دمشق - الطبعة الأولى 1422هـ، ج2، ص1553

بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لم غفرت لي. فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمداً ولم أحلقه؟ قال: يا رب، لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك. فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، ادعني بحقه، فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك¹

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد! وقد تعقبه جمع من العلماء، وأنكروا عليه تصحيحه لهذا الحديث، وحكموا على هذا الحديث بأنه باطل موضوع، وبينوا أن الحاكم نفسه قد تناقض في هذا الحديث.¹

وقد أجاب الذهبي على حديث توسل آدم بحق محمد - عليهما السلام - بقوله أظنه هذا الحديث موضوعاً مخالف للقرآن؛ لأن الله عز وجل ذكر قصة آدم ﷺ، وتوبته وتوسله، ولم يذكر الله أنه توسل بالنبي ﷺ²

ومما يؤيد ما ذهب إليه العلماء من وضع هذا الحديث وبطلانه أنه يخالف القرآن الكريم في موضعين منه:

¹ أخرجه الحاكم في المستدرک رقم: 4228، ج2، ص 615

¹ وهذه بعض أقوالهم في ذلك: قال الذهبي متعقبا على كلام الحاكم: بل موضوع، وعبد الرحمن وإو، وعبد الله بن مسلم الفهري لا أدري من هو. وقال الذهبي أيضاً في "ميزان الاعتدال": خير باطل وأقره الحافظ ابن حجر في "لسان الميزان".

وقال البيهقي: تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، من هذا الوجه، وهو ضعيف، وأقره ابن كثير في البداية والنهاية (2/323).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه، فإنه نفسه قد قال في كتاب "المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم": عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه، قلت: وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً. (ينظر القاعدة الجلييلة في التوسل والوسيلة: ابن تيمية، ص 69)

وقد بين ابن تيمية حكم التبرك والاستشفاع بالصالحين بقوله: (ولكنَّ حَآءَ المَخْلُوقِ عِنْدَ الخَالِقِ تَعَالَى لَيْسَ كَجَآءِ المَخْلُوقِ عِنْدَ المَخْلُوقِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَالمَخْلُوقُ يَشْفَعُ عِنْدَ المَخْلُوقِ بغيرِ إِذْنِهِ فَهُوَ شَرِيكٌ لَهُ فِي حُصُولِ المَطْلُوبِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا شَرِيكَ لَهُ). أ. هـ بِحَذْفِ يَسِيرٍ. (ينظر مَجْمُوعُ الفَتَاوَى: ابن تيمية، ج1، ص 320)

قَالَ الشَّيْخُ الأَبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (وَمِنْ تَنَاقُضِ الحَاكِمِ فِي المُسْتَدْرَكِ نَفْسِهِ أَنَّهُ أوردَ فِيهِ حَدِيثًا آخَرَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا وَكَمْ يُصَحِّحُهُ، بَلْ قَالَ: (وَالشَّيْخَانِ لَمْ يَحْتَجَّا بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ) يَنْظُرُ المُسْتَدْرَكُ (3/374).

² ينظر موسوعة الدرر السنية: إشراف عبد القادر السقاف، ج9، ص233.

الأول: أنه تضمن أن الله تعالى غفر لآدم بسبب توسله به ﷺ، والله عز وجل يقول: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات، فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ وقد جاء تفسير هذه الكلمات عن ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما مما يخالف هذا الحديث، فأخرج الحاكم عنه: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ قال: أي رب! ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى. قال: ألم تنفخ في من روحك؟ قال: بلى. قال: أي رب! ألم تسكنني جنتك؟ قال: بلى. قال: ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى. قال: أرأيت إن تبت وأصلحت، أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: بلى. قال: فهو قوله: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾¹ وقال الحاكم: (صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي، وهو كما قال.

قلت: وقول ابن عباس هذا في حكم المرفوع من وجهين:

الأول: أنه أمر غيبي لا يقال من مجرد الرأي.

الثاني: أنه ورد في تفسير الآية، وما كان كذلك فهو في حكم المرفوع كما تقرر في محله¹

ويبقى التساؤل لماذا البلاغي يستدل بآثار موضوعة منسوبة إلى الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما، دون تدقيق ولا تمحيص ربما لإيهام القارئ بأن هذا الأثر مروى عن أهل البيت - عليهم السلام

و مثل هذا التأويل دلالة على عقيدة الإمامية في جواز التبرك بالصلحين، والاستشفاع بأهل البيت والمبالغة في رفع الأئمة فوق درجات الأنبياء والمرسلين.

وقد خاض البلاغي كذلك في الغيبات دون علم ودليل لا لشيء إلا لنصرة اتجاهه العقدي الاثني عشري الذي ينص على الإمامة والوصية... إلخ.

ولذا وجب على الإمامية تزيه كتاب الله تعالى من مثل هذه الخرافات التي لا يصدقها عقل ولا نقل.

¹ أخرجه الحاكم: المستدرک، ج3، ص545

¹ التوسل أنواعه وأحكامه: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة - 1406 هـ - 1986م، ج1، ص80

المبحث الرابع: موارد البلاغي في تفسيره للقصص القرآني

المطلب الأول: مصادره التفسيرية والروائية

الفرع الأول: المصادر التفسيرية

إن الوقوف على مصادر أي بحث أو دراسة يكشف عن جوانب ذات شأن في تشخيص معالم البحث ومؤلفه، فالبلاغي اعتمد على كثير من المصادر والمراجع السننية والشيعية، وفي هذا دليل عملي على موضوعيته واعتداله، وقد اعتمد المفسر على كثير من كتب التفسير والحديث والسير والتاريخ واللغة وكتب أخرى، وتبدو موثقة في مقدمة تفسيره آلاء الرحمان. وانقل عنه: من جملة ما يحضرنى عند كتابتي لهذا التفسير من كتب الشيعة تفسير القمي علي بن إبراهيم، و كتاب مختصر التبيان للشيخ الطوسي، وكتاب مجمع البيان للطبرسي. وكتاب البرهان للسيد هاشم البحريني وهو تفسير بالحديث وهو مع الوسائل واسطوي إلى تفسير العياشي. أما التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري (ع) فقد أوضحنا في رسالة منفردة في شأنه أنه مكذوب موضوع ومما يدل على ذلك نفس ما في التفسير نفسه من التناقض.. من كتب الحديث الكافي... وعدة من كتب الصدوق وغيرها، ومن كتب التفسير لأهل السنة تفسير الطبري والكشاف. والدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي والكشاف والبيان للثعلبي. ومن كتب الحديث جوامعهم السنة¹.

و سنعرض لهذه المصادر مفصلين القول في مصادره التفسيرية للقصص القرآني، لأهميتها في التعبير عن واقع شخصيته التفسيرية بين أقوال المفسرين وأرائهم.

فضلا عن كون هذه المصادر تشكل جزءا من ثقافة المفسر، وبيان هذه المسألة يوقفنا على مدى تأثيره بمن سبقه، ويرشدنا أيضا إلى شخصية المفسر العلمية.

أولا: تفسير أبي حمزة الشمالي (ت 150ه)

هو ثابت بن أبي صفية بن دينار الكوفي وكنيته ولقبه المشهور به هو أبو حمزة الشمالي. راوي ومفسر شيعي كوفي كان من أصحاب علي بن الحسين، محمد الباقر، جعفر الصادق، وموسى الكاظم، نسبته تعود إلى أحد عشائر قبيلة الأزدي العربية. يعتبر الشمالي أبرز علماء الشيعة في زمانه. وقد لمع في الحديث والفقه وعلوم اللغة وغيرها. ونقل عنه ابن ماجة في كتاب الطهارة. وكان مرجعاً

¹ ينظر المرجع السابق آلاء الرحمان في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفى فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقرى، ط2010م، ج1، ص49.

للشيعة في الكوفة لتمكنه من فقه أئمة أهل البيت ت¹ 150هـ¹، قال عنه القمي: "الثقة الجليل، أبو حمزة الشمالي ثابت بن دينار، صاحب الدعاء المعروف في أسحار شهر رمضان، كان من زُهَّاد أهل الكوفة ومشايخها، وكان عربياً أزدياً² يروي السنة بطرقهم روايات عن أبي حمزة الشمالي إلا أنهم لا يُوثقون، لما يُروى عنه من طعن في بعض أصحاب النبي ﷺ فقد روى الذهبي - في ميزان الاعتدال عن عبيد الله بن موسى أنه قال: "كنا عند أبي حمزة الشمالي، فحضره ابن المبارك فذكر أبو حمزة حديثاً في ذكر عثمان فنال من عثمان¹، فقام ابن المبارك ومزق ما كتب ومضى وينقل الذهبي في نفس الموضع بعض آراء مشايخ مذهبه في أبي حمزة؛ فالنسائي يصفه: "ليس بثقة"، وأحمد بن حنبل وابن معين يقولان وأحمد "ليس بشيء"، وأبو حاتم والرازي يصفه بأنه: "لين الحديث".

ومما أفاد البلاغي من تفسير الشمالي معنى السكينة الواردة في سورة البقرة بقوله: "السكينة الإيمان. ونحوه في صحيح حفص وهشام عن الصادق ونحوه في صحيح أبي حمزة عن الباقر وزاد في قوله تعالى (وأيدهم بروح منه) قال هو الإيمان.²

ثانياً: تفسير علي بن إبراهيم القمي (ت 329هـ) والنصوص التي أخذها البلاغي من هذا التفسير كثيرة مقارنة بما أخذه من بقية تفاسير الإمامية وأكثرها في أسباب التزول فالقمي يؤول الكثير من الآيات بفضائل أهل البيت ومثالب أعدائهم تفسيراً باطنياً، بالإضافة إلى بيان معاني المفردات، أسباب التزول، القصص القرآني، هذا المنهج في الحقيقة شكل مادة دسمة للبلاغي ومن جاء بعده³.

وقد أشار البلاغي إلى تفسير القمي في عدة مواضع من القصص القرآني، ومن الأمور التي استفاد منها من خلال المواضع التي تبين القصص القرآني ومعاني المفردات، وأسباب التزول فقال في تفسير قوله تعالى ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾⁴ يقال لامرأة الرجل زوج وزوجة والأول

¹ ينظر معجم المؤلفين: معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية: عمر رضا كحالة: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي، دت، ج3، ص100

² ينظر الكنى والألقاب: عباس القمي، تقدم محمد هادي الأميني، مركز المعجم الفقهي قم، دت. ج2، ص118

¹ ينظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين الذهبي ت: علي محمد الجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1963م، ج1، ص363

² ينظر المرجع السابق آلاء الرحمان في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفي فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقرى، ط2010م، ج1، ص125.

³ ينظر موسوعة الدرر السننية: إشراف عبد القادر السقاف، ص58.

⁴ سورة البقرة: الآية 35

هو اللغة العالية التي جاء بها القرآن، والجنة اسم للبهتان، وروى القمي مرفوعاً عن أبي عبد الله (ع) أن جنة آدم من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر.

وكذلك استفاد البلاغي من تفسير القمي في توضيح معنى التابوت والسكينة قال: في معنى السكينة في تفسير القمي عن الرضا (ع) أنها ريح من الجنة لها وجه كوجه الإنسان... "وفي معنى التابوت قال البلاغي: في تفسير القمي بسند صحيح عن الرضا عليه السلام كان إذا وضع التابوت بين المسلمين والكافرين فإن تقدم التابوت رجل لا يرجع حتى يقتل أو يغلب فأوحى الله إلى نبيهم إن جالوت «وهو رئيس المشركين وشجاعهم» يقتله من يستوي عليه درع موسى. وهذه الروايات يعينها القمي في تفسيره.¹

ثالثاً: تفسير العياشي

هو لأبي النضر محمد بن مسعود العياشي، وهذا التفسير يعدُّ من أقدم التفاسير الشيعية ذات المصادر الحديثية التي تعتمد على الروايات عن أهل البيت مما زاد تفسيره مكانة علمية عند مفسري الإمامية .

وقد نقل منه البلاغي روايات في التفسير وأسباب التزول طارحاً إسنادها غالباً، مكتفياً بالإشارة إلى من رويت عنهم من الأئمة، وأكثر هذه الروايات عن محمد الباقر وجعفر الصادق، وبعضها عن علي بن الحسين وعلي بن أبي طالب.

و البلاغي يتخير من روايات العياشي ما يتسق مع منهجه في التفسير وهو المنهج الذي لا يأبه بالروايات التي لا يتحملها النص القرآني.

و مما أفاد البلاغي من تفسير العياشي في أسباب التزول ما جاء في قصة بقرة بني إسرائيل « إذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة» قال البلاغي: كان السبب في أمر الله تعالى بذبح البقرة فيما رواه العياشي مرفوعاً إلى الرضا (ع)، أن رجلاً من بني إسرائيل قتل قرابة له ثم أخذه وطرحه على طريق أفضل سبط من بني أسباط بني إسرائيل، ثم جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى:..²»

¹ ينظر تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ، ج 1، ص 101

² المرجع السابق آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لظفي فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقر، ط 2010م، ج 1، ص 89 و تفسير العياشي ج 1، ص 10

رابعا: تفسير التبيان للطوسي (ت460ه)

وهو لأبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الملقب بالطوسي¹ وهو من أفضل تفاسير الإمامية، وقد ألفه الطوسي بنمط جديد مبتكر لم يسبق إليه، وتكمن قيمة هذا التفسير كونه أقدم تفسير شيعي احتوى التفسير الأثري من نصوص أئمة أهل البيت إلى جانب نصوص الصحابة والتابعين، فالقلمي والعياشي وغيرهما كان الغالب في النقل عندهم هو نصوص أهل البيت، أما الطوسي فذكر وجوه المفسرين الآخرين بكثرة، من ابن عباس وابن مسعود، وعثمان، وعمر، وأبي بكر، وعبد الله بن عمر، وجابر الأنصاري، وأبي هريرة، والخدري، وعائشة، وسلمان، وعمار، وأبي بن كعب، ومجاهد، والسدي، والضحاك، ومقاتل بن سليمان، والربيع بن أنس، والحسن البصري، والشعبي، وعكرمة، وسعيد بن المسيب، وطاووس بن كيسان، وعطاء، وسعيد بن جبير وغيرهم، من هنا اكتسب قيمة مضاعفة على المستوى الشيعي في شمولية الناحية الأثرية التي فيه⁽¹⁾.

لذلك عُد أول تفسير شيعي يضم في أبواب متفردة مختلف مباحث التفسير وعلوم القرآن كالقراءات وحجتها والمعاني والإعراب واللغة والنظم وأسباب التزول وغيرها.

وقد تأثر البلاغي بتفسير الطوسي وقد بدا هذا ظاهرا في تفسيره وقد أفاد البلاغي من الطوسي في جوانب متعددة في تفسيره للقصص القرآني كاللغة وأسباب التزول وغيرها، ومنهجه في الأخذ من تفسير الطوسي، لا يختلف عن منهجه عن بقية التفاسير، قد ينقل كلام الطوسي بلفظه كما قد ينقله بمعناه، أو قد يأخذه كله أو جزءا منه، وقد يقبل كلامه وقد يرفضه ويعارضه ويرجح عليه غيره.

ومما أفاد البلاغي من تفسير الطوسي اهتمامه بالقراءات وترجيحها بالإضافة مثاله قصة مريم عليها السلام - ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾² فقال: وفي التبيان وفي قراءة أهل البيت وآل محمد على العالمين. وقالوا أيضا إن آل إبراهيم هم آل محمد الذين هم آلهم. وتفصيل الكلام عن الطوسي روي في أماليه عن محمد بن إبراهيم قال سمعت جعفر بن محمد

¹ الطوسي: هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، المولود سنة 385 هـ، وهاجر إلى العراق فهبط بغداد، ثم انتقل إلى الكوفة والنجف، كان ينتمي أولاً إلى مذهب الشافعي، ثم أخذ الكلام والأصول عن الشيخ المفيد رأس الإمامية. والملقب بشيخ الطائفة له كثير من الكتب. توفي سنة 460.

¹ المرجع السابق: التبيان في تفسير القرآن: محمد بن الحسن الطوسي، ت: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ط1957م، ج1، ص1

² سورة آل عمران: الآية 33.

(ع) يقرأ وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين وآل محمد على العالمين

كما يستعين البلاغي بأسباب النزول لبيان معنى الآيات في قصص القرآن الكريم، ومما أفاد البلاغي من تفسير الطوسي في أسباب النزول وربطها بالإمامة تفسيره لقصة ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض﴾ قال نحن منهم ونحن بقية تلك العترة... وعن الشيخ الطوسي بسنده عن يونس بن حباب عن الباقر (ع) عن آبائه (ع) أن رسول الله في خطابه لأمير المؤمنين تلا الآية عن النحو المذكور.

خامسا: تفسير البيان للطبرسي (ت548هـ)

وهو الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي¹ تفسيره من أهم تفاسير الإمامية، اعتمد عليه البلاغي في تفسيره للقصص القرآني، قال عنه الطهراني (ت1389هـ) " وهو غاية في الإتقان وحسن التبويب والترتيب، لم يعمل تفسير مثله، عيّن المكّي والمدني من كل سورة، ثم يذكر مواضع الاختلاف في القراءة، ثم يذكر اللغة العربية، ثم الإعراب، ثم أسباب النزول، ثم المعنى والتأويل، والأحكام والقصص²

وقد أشار البلاغي في مقدمة كتابه أن التفاسير مثل مجمع البيان انصرفت على الأكثر إلى شرح اللغات وصرف الكلمات وبيان القراءات ونقل آراء شرح اللغات وصرف الكلمات وبيان القراءات ونقل آراء المفسرين الماضين مثل عطاء ومجاهد... وغيرهم، وقد تجنب البلاغي من نقل من تفسير الطبرسي الأبحاث العلمية واللغوية والمنطقية والفلسفية والكلامية الجافة، ولكنه مال أحيانا إلى الاستفادة من أسلوب مزج فيه مختلف المجالات من الفلسفة واللغة والروايات لبيان مفهوم ما.³

¹ الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي، السبزواري، الشيعي (أبو علي، أمين الدين، أمين الاسلام)، ولد سنة 470هـ مفسر محقق لغوي، مفسر، مشارك في بعض العلوم. من أجراء الإمامية نسبته إلى طبرستان، وهو من بيت عُرف أهله بالعلم، وسائر سلسلته وأقربائه، من أكابر العلماء. ويروى عنه جماعة من العلماء منهم: ولده، وابن شهر آشوب، والشيخ منتخب الدين، والقطب الراوندي، وغيرهم. له مشاركة في كثير من العلوم الشرعية، وله جملة من المؤلفات والتي من بينها "مجمع البيان في تفسير القرآن، أعلام الوري بأعلام الهدى في مجلدين، حقائق الأمور في الأخبار، غنية العابد ومنية الزاهد، وعدة السفر وعمدة الحضر. توفي في سبزواري كانت وفاته ليلة النحر سنة 548هـ، ونقل إلى المشهد الرضوي.، ينظر معجم المؤلفين رضا كحالة، 8، ص66 والتفسير والمفسرون: الذهبي، ج2، ص74.

² المرجع السابق: الذريعة لأقابر الطهران، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: لأقابر الطهران، دار الأضواء بيروت، الطبعة الثالثة، 1403-1983م - بيروت، ص21-22.

³ ينظر مقدمة آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفي فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقر، ط2010م، ج1، ص5

مما أفاد البلاغي في تفسيره للقصص القرآني من مجمع البيان تفسير قوله تعالى في قصة داود عليه السلام فقال: روي أن اسمه أرميا النبي أقول هذا وما بعده ليس بالصحيح بل هو إرسال من القمي وفيه ما هو خلاف الصحيح، وفي التبيان ومجمع البيان (أن يأتيكم التابوت) الصندوق في مجمع البيان أنه كان في أعداء بني إسرائيل تحمله الملائكة وروى ذلك عن أبي عبد الله (فيه سكينه من ربكم)

وعمقتضى الآية الكريمة والرواية الشريفة أن الملائكة كانت تتولى حمل التابوت بهذا الحمل الخارق للعادة في تلك الصورة الظاهرية من تسخير البقرتين، وفي مجمع البيان ذكر شيئاً فيه شبه لهذا ولم ينسبه إلى إمام.

مفسري هذه الحقبة ينتسبون إلى الطائفة الإخبارية وهي طائفة عرفت بتمسكها بالنصوص المنقولة عن علمائهم، حتى وإن لم تصح تلك الأخبار. كذلك تمثل جانب الغلو والتطرف والتي اتخذتها الإمامية ذريعة لنفذ سمومها، ونشر مذهبها الشيعي.

الفرع الثاني: الكتب الروائية

تعد الروايات الحديثية الإمامية أصل الدلائل الشرعية عند الشيعة الإمامية ومقدمة التشكيكية المرجعية، فالقرآن وإن كان هو المعول عليه عندهم في الظاهر إلا أنهم يجعلون الروايات هي المفسرة لآياته المحكمة فضلاً عن المتشابهة المحملة، ولا تستقيم عندهم عملية الاستنباط من القرآن إلا بقول من القيم عليه وهو الإمام المعصوم عندهم، فبات احتياج القرآن للروايات الموضحة له أمراً بدهياً عندهم وأصلاً أصيلاً في التعامل مع آياته.

ولما أصبحت الروايات الحديثية الإمامية لها هذه المتزلية عند القوم أضحت التعامل معها يضيفي المصدقية على تفاسيرهم، وقد اعتمدها البلاغي في جل القصص القرآنية، وأولى هذه الأصول كتاب الكافي لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت328هـ) وتعتبره الشيعة الإمامية من أجل كتب الرواية التي ألفت عبر تاريخها، من أعظم المصنّفات الروائية عند الشيعة الإمامية، وهو عمدة المدرسة الإخبارية في الرواية، ولأنه صنّف زمن الغيبة الصغرى¹ وفي عهد سفراء المهدي، أعطته

¹ الغيبة الصغرى عند الشيعة معناها: مصطلح يشير إلى الوقت الممتد من سنة 2هـ أي عند شهادة الإمام الحسن العسكري إلى وفاة السريع الرابع سنة 329هـ، وفيه غاب الإمام المهدي عن الأنظار، لكنه كان يتصل بشيعته عن طريق وكلاء خاصين يسمون بالسفراء وعددهم أربعة: هم عثمان بن سعيد العمري، وابنه محمد الحسين بن روح النوبختي، وعلي بن محمد السامري، وتسمى بالصغرى في مقابل الغيبة الكبرى التي بدأت سنة 329هـ وهي مستمرة إلى الآن ولا يعلم أحد متى الظهور إلا الله (ينظر التمهيد محمد هادي معرفة ج2ص89).

هذه الميزة الجليلة بين مصنفات الإمامية حتى عدّ من "أجل الكتب الإسلامية وأعظم المصنّفات الإمامية والذي لم يعمل للإمامية مثله"¹ لذا عكفوا عليه بالشرح والاختصار والدراسة وأولوه أهمية قصوى، لأنّه جمع دين الإمامية، أصولاً وفروعاً، يقول محب الدين الخطيب إن الكافي عند الشيعة كصحيح البخاري عند المسلمين².

وقد أخذت مرويات الكافي حصة الأسد في تفسيره خاصة القصص القرآني، يليه كتاب أماليه للطوسي: لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقب بالصدوق (ت381هـ) وهو من الكتب المعتمدة عند الإمامية، بالإضافة إلى كتاب الأمالي لمحمد بن محمد بن النعمان العكبري الملقب بالمفيد (ت413هـ)، وهو من كبار علماء الإمامية ونال بزعمهم - شرف مكاتبة المهدي المنتظر، وله قريب من مائتي مصنف، هذه الكتب تعتبر من أجل المصادر الروائية عند البلاغي.

المطلب الثاني: التفاسير السنية

أولاً: تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن: الثعلبي (ت427هـ)

وهو لأبي إسحاق محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المقرئ، كان رأساً في التفسير والعربية وكان حافظاً واعظاً، وكان أوحد زمانه في العلم والتفسير، وصنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير، وهذا التفسير يفسر القرآن عن السلف مع اختصاره للأسانيد، وهو يعرض للمسائل النحوية، ويعرض لشرح الكلمات اللغوية وأصولها وتصاريفها، ويستشهد على ما يقول بالشعر العربي، يتوسع في ذكر الإسرائيليات دون أن يتعقب شيئاً من ذلك، والثعلبي لم يتحرر الصحة في كل ما ينقل من تفاسير السلف، ونجده وقع فيما وقع فيه الكثير من المفسرين بالاغترار بالأحاديث الموضوعية، وقد جر الثعلبي على نفسه اللوم المرير والنقد اللاذع من بعض العلماء الذين لاحظوا ذلك على تفسيره¹.

و مما أفاد البلاغي منه تفسير الثعلبي ما جاء في تفسير قصة تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا

وآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾² فقال: وعن تفسير الثعلبي مسنداً عن الأعمش عن أبي وائل قال: قرأت في مصحف ابن مسعود إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل محمد على العالمين.³

¹ عباس القمّي: الكنى والألقاب، دط، مكتبة الصدر طهران، 3، ص120

² ينظر الخطوط العريضة - للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية: محب الدين الخطيب، دط، ص28.

¹ ينظر المرجع السابق التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ج3، مكتبة وهبة القاهرة، ط2000، ج1، ص221-226.

² سورة آل عمران: الآية 33.

³ ينظر المرجع السابق: آلاء الرحمان في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفي فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقري،

ط2010م، ج1، ص277.

بينما لما تبعت هذه القصة في تفسير الثعلبي وجدت خلافه فقال:

قال الجزائري: سمعت مناديا ينادي: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، واصطفى الحسن البصري على أهل زمانه.

الأعمش عن أبي وائل، قال: قرأت في مصحف عبد الله بن مسعود: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ، فقال ابن عباس ومقاتل: هو عمران بن مایان وليس هو بعمران أبو موسى وبينهما ألف وثلاثمائة سنة، وكان بنو مایان «5» رؤوس بني إسرائيل وأجبارهم وملوكهم.¹ والملاحظ لم يرد ذكر لآل محمد: إلا في تفسير البلاغي، ربما البلاغي من منهجه أن يورد الروايات بالمعنى وإلا فهو من باب التلفيق والكذب، وهو بهذا يريد أن يوهم القارئ أنه يوافق السنة ويأخذ من تفاسيرهم.

ثانيا: تفسير الدرر المنثور للسيوطي (ت 911هـ)

الكتاب لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضير السيوطي، جلال الدين (849 - 911 هـ) إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو 600 مصنف، منها هذا الكتاب وقال في مقدمته: "وبعد.. فلما ألفتُ كتاب ترجمان القرآن - وهو التفسير المُسنَد عن رسول الله ﷺ وتم بحمد الله في مجلدات، فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرجة منها واردات، رأيتُ قصور أكثر المهم عن تحصيله، ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله، فلخصتُ منه هذا المختصر، مقتصرًا فيه على متن الأثر، مصدرًا بالعزو والتخريج إلى كل كتاب معتبر، وسميته بالدرُّ المنثور، في التفسير المأثور".²

يعتبر هذا التفسير من أقدم التفاسير النقلية، وقدم عرف البلاغي قيمة هذا التفسير لأنه يوافق منهجه في التفسير منها اختصاراته ووحذفه الأسانيد مخافة الملل، مع عززه كل رواية إلى الكتاب الذي أخذها منه. والبلاغي قد عرف أهمية تفسير السيوطي هذه الأهمية، فأقام على أسسه ما رواه عن غير الإمامية خاصة في وجوه التفسير بالمأثور، فروايات السيوطي هي المصدر الأول لتلك الوجوه الكثيرة التي يوردها البلاغي في تفسيره.

¹ الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، أشرف على إخراجه: صلاح باعثمان، حسن

الغزالي، الناشر: دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1436 هـ - 2015 م، ج 3 ص 53

² ينظر المرجع السابق، التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ج 3، مكتبة وهبة القاهرة، ط 2000، ج 4، ص 39

و مما أفاده البلاغي من الدر المنثور ما جاء في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾¹ فقال: ... وكذا في الدر المنثور مما أخرجه إسحاق بن بشير وابن عساكر عن ابن عباس، وأخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة.

ومما أفاد أيضا من قصة مريم - عليها السلام - قوله: «وفي الدر المنثور مما أخرجه البيهقي في سننه عن ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة أن زكريا كان أفضل الذين يكتبون التوراة وكانت أخت مريم تحته»¹.

وكذلك من الموارد التي أخذ منها البلاغي من تفسير السيوطي عندما استدل على تفسير قصة مريم - عليها السلام - فقال: «وفي الدر المنثور اخرج أبو يعلى عن جابر حديث الزهراء (ع) والجفنة التي ملئت خبزا ولحما ببركة الله وعطائه أن رسول الله ﷺ سألها عن ذلك فقالت هو من عند الله فقال ﷺ الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل»².

المطلب الثالث: موقفه من مرويات أهل السنة والشيعة

اعتمد البلاغي في تفسيره للقصص القرآني على روايات من مصادر سنية وشيعية حيث امتلأ تفسيره بمصادر الفريقين الحديثية والروائية ولكن برؤية نقدية حتى ولو كانت من شيوخ طائفته، فمثلا يعترض على رواية في تفسير القمي بشأن اسم النبي من بعد موسى ﷺ في " قصة ملأ بني إسرائيل...." فالرواية تذكر أنه " أرميا" وقد علق البلاغي على ذلك إنما إرسال من القمي وفيه ما هو خلاف الصحيح، فإن نفس القمي يروي في تفسير قوله تعالى: " أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها" عن الصادق ﷺ أن أرميا النبي معاصر ل (بخت نصر) وسي بابل كما هو مقتضى التاريخ³ و بين ذلك العصر وعصر طالوت نحو أربعمئة سنة وتسعة أجيال.

ومن جهة أخرى يستبعد أن يكون اسم هذا النبي اشموئيل أو إسماعيل كما جاء في التبيان ومجمع البيان وذلك لقوله: إن إسماعيل ف العبرانية (يشمع ايل).⁴ فالبلاغي يعتمد الوقائع وحقائق التاريخ في متابعة أقوال المفسرين.

¹ سورة آل عمران: الآية 33.

¹ المرجع السابق: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفی فرادی و عباس محمدی، مطبعة الباقري، ط2010م، ج1، ص280

² المرجع نفسه: تفسير آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفی فرادی و عباس محمدی، مطبعة الباقري، ط2010م، ج1، ص279

³ تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ، ج1، ص88

⁴ ينظر المرجع السابق آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفی فرادی و عباس محمدی، مطبعة الباقري، ط2010م، ج1، ص220

ومما يوضح منهجه النقدي أيضا الظاهر عليه الاعتدال ما ورد في قصة آدم عليه السلام وخروجه من الجنة فقد تعرض البلاغي لأقوال وروايات كثيرة ولو بالإشارة إليها ودفع منها ما يناسب مقام النبوة والعصمة في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٣٤ ﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ¹ يقول البلاغي: " ولم يصح ما روي في حقيقة الشجرة. والنهي هاهنا للإرشاد. لا للتحريم، بدليل قوله تعالى ﴿ انه عدو لكم فلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ أي تقع في شقاء العيش ومشقته ويؤكد دلالة السياق على ذلك أنه نسب الشقاء إلى آدم دون زوجته ولم يترتب على إخراج إبليس لهما إثم معصية وخروج عن الطاعة، أما " فتكونا من الظالمين " لأنفسكما بالخروج من النعيم إلى التعب ومثل هذا الظلم لا يستوجب ذما ولا يعد ذنبا، ولقد أغرب من قال أن الظلم اسم ذم لا يطلق إلا على مستحقي اللعن ¹."

وهكذا يتعامل المفسر مع القصة منطلقا من متبنياته العقدية التي لا يقبل لها أن تتغير وما يلاحظ على هذه الروايات القصصية أنه غالبا ما يتعرض لها (البلاغي) بالنقد والتمحيص، فلا يقبلها قبول المسلمات، بل يتفحص، ويناقش ويرد أو يقبل حسب ما توصله نتائج بحثه، ولا فرق لديه في ذلك، سواء أكانت الرواية من طرق أهل السنة، أم الشيعة ².

كذلك في كثير من الأحيان رد روايات عن عمدتهم في التفسير والرواية ومثاله رد رواية القمي الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ³ ، رد رواية في تفسير القمي، وآمالي الشيخ الطوسي، وتفسير العياشي، منسوبة إلى الصادقين — عليهم السلام — والى ابن عباس: أن (آل محمد)، مكان (آل عمران)، وكان رد البلاغي واضحا وصريحا، بعد استناده إلى المسلمات، ومبادئ الترجيح لديه فقال: إن هذه الرواية معارضة، بما يرجح عليها مما دل على ثبوت آل عمران في القرآن، كذلك تعارضها رواية العياشي، عن الباقر عليه السلام إذ قال عليه السلام: نحن منهم ونحن بقية تلك العترة، وكذلك احتجاج الباقر والرضا عليهما السلام بالآية كما مرسومة في المصاحف، وتلاوة رسول الله — صلى الله عليه وآله — لها كما في المصحف.

¹ سورة البقرة: الآية 34-35

¹ ينظر المرجع السابق آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفي فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقری، ط2010م، ج1، ص86

² ينظر البلاغي مفسرا، رمضان علي الأوسي، مركز العلوم الإسلامية، الطبعة الأولى: 2008م، ج1، ص125.

³ سورة آل عمران: الآية 33

ثم علق البلاغي على ذلك، فقال: وهذه الروايات أصح سنداً، من الأولى وأسلم من التعارض، والتدافع فيما بينها، وأولى بالترجيح، ويمكن الجمع بأن آل محمد — صلى الله عليه وآله — كانوا مقصودين في التنزيل من آل إبراهيم، بنص الوحي على الرسول في ذلك، وربما أثبت في مصحف علي أمير المؤمنين عليه السلام، ومصحف ابن مسعود بعنوان التأويل المقصود عند التنزيل¹.

كما يقوم بالترجيح بين الروايات ويرجح الصحيح منها بغض النظر سنية كانت أم شيعية مثلاً تفسيره لمعنى السكينة، جاء بعدة روايات من الفريقين، لإثبات معنى (السكينة)، في قوله تعالى: (و أنزل عليهم السكينة" بأنها الطمأنينة¹

المطلب الرابع: موقفه من القصص الإسرائيلية

لم يخل تفسير البلاغي من الإسرائيليات ذلك القصص الذي نشأ في ظل المنقول عن بعض الصحابة والتابعين وأهل الكتاب الذين أسلموا، مثل كعب الأحبار وهب بن منبه عبد الله بن سلام، أو ممن كانوا من غيرهم ممن نقل عنهم تفسيراً مثل ابن عباس والحسن البصري وقتادة ومجاهد. بالرغم من أنه في مقدمة تفسيره حذر من هذه التفاسير بكونها ليست حجة وأنها مرسله....، كما ينقل أقوال منسوبة إلى بعض الأئمة مثل محمد الباقر وجعفر الصادق.²

ربما السبب الذي جعل البلاغي يأخذ من أهل الكتاب هو ثقافته الواسعة واحتكاكه بهم ناهيك عن تفرسه باللغات الفرنسية والانجليزية والعبرية، مما جعله يجد نفسه أمام ركام هائل من الإسرائيليات فأخذ منها بل كانت عمدته في تحرير النصوص.

أما فيما يخص مسلك البلاغي تساهله في قبول مرويات أهل الكتاب هو عزوها إلى قائلها، مع التعليق عليها في بعض الأحيان، ويبقى تساهله هذا تساهلاً مقصوداً متبعاً شيوخ طائفته الذين وجدوا فيها ملاذاً لتحقيق مبتغاهم، فأشربت هذه الإسرائيليات بنوع من التشيع مع إسنادها إلى الأئمة من آل البيت مع ليها إلى ما يخدم مُداعاهم في موالاته الأئمة، ومن ثم سيطرتها سيطرة بارزة من غير أن يوجد بينهم من ينتقدها أو يستنكرها، لذا ألبسوها طابع القداسة لأن نقدها نقد في آل وهم منها بُراء.³

¹ ينظر المرجع السابق: البلاغي مفسراً، رمضان علي الأوسي، مركز العلوم الإسلامية، الطبعة الأولى: 2008م، ص140

¹ ينظر المرجع السابق: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفي فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقرى، ط2010م، ج1، ص223.

² ينظر المرجع السابق: منهج الشيعة الإمامية في تفسير القرآن الكريم: مجدي بن عوض الجارحي، الطبعة الأولى 2009م، ص380

³ ينظر المرجع السابق: الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم: محمد إبراهيم العسال ط1427/1هـ

ومما أفاد البلاغي في منهجه في قبول أو رفض مرويات أهل الكتاب ما جاء ذكره عن بعض الخوارق في قصص الماضين كما حكى بقوله تعالى: " وقال لهم نبينهم.. التابوت...¹ فقد أورد البلاغي روايات عن الأئمة مأخوذة من تفاسير القدماء بقوله: وذكر في شرح روضة الكافي شيئاً من تاريخ ابن الأثير وغيره من المفسرين.

فعلق عليها بقوله: أن تفاسير هذه الأمور إما أن تؤخذ عن النبي (ص) والإمام وإلا فلا لأن المؤرخين بل والمفسرين كما ذكرناه في المقام الثالث من الفصل الرابع من المقدمة أن منهم من يأخذ من النقل الافواهي المتقلب بالتحريف من أهل الكتاب الراجع إلى كتبهم من العهد القديم وهي التي كانت في أزمنة المفسرين والمؤرخين باللسان العبراني والبابلي واليوناني وهي ممنوعة عن غير اليهود والنصارى ويحرم في مذهب الفريقين أن يمكنوا منها حتى العوام منهم لكن بعد أن ظهرت في النصارى فرقة الإنجيليين ترجموها بكل لسان ونشروها في البلاد فهذه الكتب على ما فيها من التحريف أقل تحريفاً من الأنقال المأخوذة عنها بالنقل إلا فواهي الذي لم يبن على الحفظ والأمانة إن في ذلك أي في إخباري ياتيان التابوت حال كونه تحمله الملائكة لآية لكم تعرفكم نعمة الله وقدرته لتطيعوه وتعرفكم صدقي وإن طالوت جعله الله ملكاً عليكم كل ذلك إن كنتم مؤمنين بالله وآياته ودلالاتها حق الإيمان¹

ويبقى التساؤل لماذا البلاغي يرد الإسرائيليات المروية عن مسلمة أهل الكتاب جملة وتفصيلاً، وحتى إن عرضها إلا ليبين عوارها ومخالفتها، في حين يتبنى مرويات الكتاب المقدس ويقول أنها حجة يبدوا لي أن الإسرائيليات ليست بحجة خاصة إذا رويت من مسلمة أهل الكتاب في حين الكتب مقدسة موثقة.

المطلب الخامس: موقف البلاغي من الكتاب المقدس

لاحظ البلاغي أن كتب العهدين وغيرها تخالف في طرحها مضامين القرآن الكريم في موارد عديدة وكثيرة، لذا قد عرضها على القرآن باعتباره الدستور الثابت للمسلمين، والمرجع الصحيح في قياس الأشياء وخطئها، وبهذا يصرح علماء الإمامية أن البلاغي له الأسبقية في مقارنة الكتب المقدسة بالقرآن وبيان صحيحها من سقيمها، لأنه يرى أن القرآن الكريم اشترك في تاريخه في بعض القصص

¹ سورة البقرة: الآية 247

¹ ينظر المرجع السابق آلاء الرحمان في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفي فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقري، ط2010م، ج1، ص223.

مع التوراة الرائجة التي اتفق اليهود والنصارى على أنها كتاب الله المنزل على رسوله موسى عليه السلام فأوردت هذه التوراة تلك القصص وهي مملوءة بالخرافات والكفر فمن ذلك قصة آدم في نهي الله له عن الأكل من الشجرة وما فيها من الخرافات والكفر بنسبة الكذب والخداع إلى الله جلّ وعلا وسائر شؤون القصة على ما جاء في الفصل الثالث من سفر التكوين: ومن ذلك ما جاء في الفصل الخامس عشر منه من شك إبراهيم في وعد الله له بإعطائه الأرض في سوريا ومن ذكر العلامة في ذلك: ومن ذلك ما جاء في الفصل الثامن عشر والتاسع عشر في مجيء الملائكة إلى إبراهيم بالبشرى بإسحاق وإخباره بأمر هلاك قوم لوط ومن حكاية ذهابهم إلى لوط وخطابهم معه. ومن ذلك ما جاء في الفصل الثالث من سفر الخروج في خطاب الله لموسى من الشجرة وفي أواخره ما حصله أن الله جل شأنه افتتح الرسالة لموسى بالتعليم بالكذب: ومن ذلك ما جاء في الفصل الثاني والثلاثين في سفر الخروج في أن هارون هو الذي عمل العجل ليكون لها لبني إسرائيل ودعى لعبادته وبنى له رسوم العبادة فانظر إلى هذه القصص في مواردها المذكورة من التوراة الرائجة-و القرآن الكريم أورد القصة الأولى في سورتي الأعراف وطه- والثانية في أواخر سورة البقرة- والثالثة في سورتي هود والذاريات- والرابعة في سور طه والنمل والقصص- والخامسة في سورتي طه والأعراف فجاءت هذه القصص بكرامة الوحي الإلهي مترّهة عن كل خرافة وكفر وعن كل ما ينافي قدس الله وقدس أنبيائه. جارية على المعقول. منتظمة الحجة شريفة البيان¹.

فالبلاغي يعقد أحيانا بعض المقارنات بين نصوص القرآن الكريم وبين نصوص العهدين، ومن هذه الموارد دفاعه عن عصمة الأنبياء التي يطعن بها أهل الكتاب، وما ينسبونه إلى قدسهم من لوثة الخطيئة والإثم فيجرحون بذلك عصمتهم ولياقتهم على القيام بالرسالة وتبليغها وكذلك ف التوحيد وما جرحوا به هذا الأصل الثابت في عقائدنا وفي غير ذلك من الموارد ولذلك نسوق بعض الشواهد: فالأناجيل التي تثبت لعيسى عليه السلام الإلهية، يرد القرآن على هذه الفرية فيقول: ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة.. فالآية توبيخ لهم على تناقضهم في قولهم أن المسيح بشر آتاه الله الكتاب والحكمة والنبوة وتعمد أي اغتسل على يد يحيى بن زكريا غسل التوبة ونزل عليه الروح بشكل حمامة كما تصرح بهذا كله أناجيلهم. فإن دعوة البشر إلى عبادته جحد في الحقيقة لمقام الإلهية وتحويل لواجب الله من العبادة له إلى غيره من البشر.²

¹ ينظر المرجع السابق: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفي فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقرى،

ط2010م، ج1، ص9-10

² ينظر المرجع السابق: البلاغي مفسرا، رمضان علي الأوسي، مركز العلوم الإسلامية، الطبعة الأولى: 2008م، ص302

ومما أفاد البلاغي من الكتاب المقدس ما جاء في تفسيره لقصة طالوت عليه السلام حيث - ذكر قصة عجيبة مردها إلى كتاب صمويل الأول الفصل السادس فقال:.. إنما هو من آيات الله لبيان كرامة التابوت فسارت البقرتان بالتابوت والعجلة على أحسن استقامة ومعرفة للطريق إلى أن أوصلتنا التابوت إلى بلاد بني إسرائيل، وبمقتضى الآية الكريمة والرواية الشريفة أن الملائكة كانت تتولى حمل التابوت بهذا الحمل الخارق للعادة في تلك الصورة الظاهرية من تسخير البقرتين، وفي مجمع البيان ذكر شيئاً فيه شبه لهذا ولم ينسبه إلى إمام.¹

كما ذكر البلاغي عدة قصص من سفر القضاة، في بيان معنى السكينة فذكر أنهما: ريح من الجنة ومرة أن لها وجه كوجه الإنسان ولها رأسان.. إلخ.

ويبقى البلاغي كغيره من علماء الإمامية يرفض مثل هذه القصص ويلزم بوجوب تنزيه كتاب الله من مثل هذه الخرافات التي لا يصدّقها عقل ولا نقل لذلك صنف من الدعاة الذين ينادون إلى التقريب بين المذاهب، ومن زمرة المعتدلين نسبياً.

¹ المرجع السابق:آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي، ت: لطفى فرادي و عباس محمدي، مطبعة الباقرى ، ط2010م، ج1، ص 223.

الفصل الرابع:

الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

المبحث الثاني: التعريف بتفسير الميزان

المبحث الثالث: مسلك الطباطبائي في تناول القصص القرآني

المبحث الرابع: موارد الطباطبائي في تفسيره للقصص

القرآني

في هذا الفصل سأتناول التعريف بتفسير الميزان، مع بيان منهج مؤلفه فيه، والتركيز على كيفية معالجته للقصة القرآنية.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

محمد حسين الطباطبائي مفسر فيلسوف زاهد من أكابر علماء الشيعة الإمامية، ولد في تبريز سنة 1903م، ونشأ في أسرة اشتهرت قديماً بالفضل والمعرفة، أكمل تعليمه الابتدائي، وفي الثانية والعشرين من عمره انتقل إلى النجف وأمضى فيها عشر سنوات، في تحصيل مختلف العلوم وعاد إلى مسقط رأسه سنة 1356هـ وهنا بدأ نجمه يبرغ في الحواضر العلمية ومجالس التدريس، ومن مشايخه محمد حسين النائيني والشيخ محمد حسين الكيماني درس عليهما الفقه والأصول، ودرس الفلسفة علي السيد حسين البادكوبي، كما درس الرياضيات على السيد أبي القاسم الخونساري، والأخلاق على الحاج ميرزا القاضي، ولم تنحصر علومه في كل هذا فحسب بل درس أصول الرياضيات القديمة لإقليدس وعلم الفلسفة والكلام. ومن من ألع تلاميذه الشيخ مرتضى المطهري، وموسى الصدر، والشيخ الجوادى الآملي، ولقد عكف مدة حياته على التأليف والتصنيف، حتى أخرج للناس مؤلفات عديدة في فنون مختلفة منها: الميزان في تفسير القرآن، أصول الفلسفة، الأعداد الأولية، بداية الحكمة في الفلسفة، تعليقات على أصول الكافي للكليني، تعليقات على كتاب بحار الأنوار لمحمد باقر المجلسي، رسالة في الأسماء والصفات، توفي في شهر تشرين الثاني سنة 1981 في مدينة قم وأعلن الحداد الرسمي من قبل الدولة والشعب وشيع تشيعاً مهيباً ودفن¹ بجانب قبر فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر² والطباطبائي يؤمن بمبادئ الإمامية وهي:

أولاً: الإمامة: بالمعنى الشيعي وهي أن الإمامة منصب الهي كالنبوة.

ثانياً: التقية

الطباطبائي يساند مذهبه ويقول بالتقية ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ نِقَةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ

الْمَصِيرُ﴾³ قال: الاتقاء في الأصل: أخذ الوقاية للخوف ثم ربما استعمل بمعنى الخوف استعمالاً لمسبب

¹ ينظر مقدمة الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ص7، ينظر مع الاثني عشرية في الأصول والفروع: علي أحمد السالوس، ط7، دار النشر الفضيلة بالرياض، سنة: 1424هـ الموافق 2003م، ج2، ص459.

² ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ص7، ينظر مع الاثني عشرية في الأصول والفروع: السالوس، ج2، ص459.

³ سورة آل عمران: الآية 28.

في مورد السبب، ولعل التقية في المورد من هذا القبيل والاستثناء منقطع، فإن التقرب من الغير خوفاً من إظهار آثار التولي ظاهر من غير عقد القلب على الحب والولاية، ليس من التولي في شيء؛ لأن الخوف والحب أمران قليبان متباينان ومتنافيان أثرا في القلب، فكيف يمكن اتحادهما؟ فاستثناء الاتقاء استثناء منقطع. وفي الآية دلالة ظاهرة على الرخصة في التقية على ما روي عن أئمة أهل البيت - عليهم السلام - كما تدل عليه الآية النازلة في قصة عمار وأبويه ياسر وسمية وهي قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾¹ وبالجملة، الكتاب والسنة متطابقان في جوازها في الجملة والاعتبار العقلي يؤكد، إذ لا بغية للدين ولا هم لشارعه إلا ظهور الحق وربما يترتب على التقية والمجاعة مع أعداء الدين ومخالفتي الحق من حفظ مصلحة الدين وحياة الحق، ما لا يترتب على تركها وإنكار ذلك مكابرة وتعسف وقال أيضا: "أقول: والأخبار في مشروعية التقية من طرق أئمة أهل البيت كثيرة جدا، وربما بلغت حد التواتر، وقد عرفت دلالة الآية عليها دلالة غير قابلة للدفع" وعن العياشي أيضاً أن الرسول ﷺ كان يقول: "لا دين لمن لا تقية له"²

ثالثا: نكاح المتعة

الطباطبائي يؤمن بجواز نكاح المتعة انطلاقاً من مذهبه العقدي، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾³ قال: « والمراد بالاستمتاع المذكور في الآية نكاح المتعة بلا شك، فإن الآية مدنية نازلة في سورة النساء في النصف الأول من عهد النبي ﷺ بعد الهجرة على ما يشهد به معظم آياتها، وهذا النكاح أعني نكاح المتعة كان دائراً بينهم معمولاً عندهم في هذه البرهة من الزمان من غير شك - وقد أطبقت الأخبار على تسلم ذلك - سواء كان الإسلام هو المشرع لذلك أو لم يكن، فأصل وجوده بينهم بمراى من النبي ومسمع منه لا شك فيه، وكان اسمه هذا الاسم ولا يعبر عنه إلا بهذا اللفظ... وجملة القول أن المفهوم من الآية حكم نكاح المتعة، وهو المنقول عن القدماء من مفسري الصحابة والتابعين، كابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب وقتادة ومجاهد والسدي

¹ سورة النحل: الآية 106.

² المرجع السابق: الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج3 ص 153-163.

³ سورة النساء: الآية 24.

وابن جبير والحسن وغيرهم، وهو مذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام»¹.

رابعاً: قوله في رؤية الله تعالى يوم القيامة

ففي تفسير قوله تعالى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَيْنَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾² قال: «والمراد بالنظر إليه تعالى ليس هو النظر الحسي المتعلق بالعين الجسمانية المادية التي قامت البراهين القاطعة على استحالته في حقه تعالى، بل المراد النظر القلبي ورؤية القلب بحقيقة الإيمان على ما يسوق إليه البرهان، وتدلل عليه الأخبار الماثورة عن أهل العصمة عليهم السلام»³.

¹ الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997، ج4، ص271-272.

² سورة القيامة: الآية 22-23.

³ ينظر المرجع السابق: الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج20، ص112.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب الميزان في تفسير القرآن

المطلب الأول: الوصف العام لكتابه

يعد تفسير الميزان من أهم مؤلفات الشيعة الإمامية في القرن الرابع عشر هجري، يقع في (8041) ثمانية آلاف وإحدى وأربعين صفحة، وقد طبع عدة مرات، كما ترجم إلى اللغة الفارسية، وقد بدأ المفسر بإلقائه محاضرات على طلابه في جامعة (قم) الدينية في إيران، ثم ألح عليه طلابه أن يجمع تلك المحاضرات لتكون تفسيراً مفيداً، وسفراً نافعا، فاستجاب لطلبهم حتى صدر الجزء الأول من الميزان عام 1956م، وتوالت الأجزاء الأخرى في الصدور حتى اكتمل في عشرين مجلداً، وقد فرغ المفسر من كتابة الجزء الأخير منه في الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة 1393هـ الموافق لـ: 1973م، صدر بطبعتين إحداهما طبعة دار الأعلمي للمطبوعات في بيروت.

أما عن سبب تسميته بالميزان قيل " هو كثرة ما عرض فيه من آراء وأقوال المفسرين وغيرهم، وتعرضه لها بالمناقشة، فكان كثيراً ما يوازن ويرجح بين الآراء السابقة عليه في الموضوع الواحد مؤيداً لبعضها ورافضاً للبعض الآخر¹

وصفه مؤلفه على غلاف الكتاب: "كتاب علمي، فني، فلسفي، أدبي، تاريخي، روائي، اجتماعي، حديث يفسر القرآن بالقرآن" فقال في مقدمة كتابه: "وقد اجتنبنا فيها عن أن نركن إلى حجة نظرية فلسفية، أو إلى فرضية علمية، أو إلى مكاشفة عرفانية، واحترزنا فيها عن أن نضع إلا نقطة أدبية يحتاج إليها فهم الأسلوب العربي أو مقدمة بديهية أو علمية لا يختلف "كذا" فيها الإفهام"²

قدّم الطباطبائي تفسيره بمقدمة تحدث فيها عن التفسير ومراحل نشأته منذ عصر التتزيل إلى عصره، حيث بين أن الطبقة الأولى والتي يمثلها النبي ﷺ والصحابة³ وبعض من التابعين كان مجهودها لا يتجاوز ما يتعلق بمعاني الآيات وأسباب النزول، ثم إنَّ التابعين توسعوا في الروايات وأولعوا بالقصص، وبعد وفاة النبي ﷺ والخلفاء الأربعة شاع البحث الكلامي في الجانب التفسيري نظراً لظهور الفرق المختلفة، وارتباط بعض المسلمين بفلاسفة اليونان مما أدى إلى انتشار البحث العقلي

¹ ينظر منهج الطباطبائي في التفسير الأوسي، مركز العلوم والثقافة الإسلامية، طبعة 2008م - قم، ص 115.

² المرجع السابق: الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج1، ص 12-13.

³ ينظر المرجع نفسه: الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج1، ص5

الفلسفي عند المسلمين، ثم يؤكد اقتصار أصحاب الحديث على التفسير بالرواية عن السلف من الصحابة والتابعين، وقد عاب منهجهم هذا، لكونه عطلّ العقل عن البحث والتدبر في كتاب الله تعالى، ثم نقد المتكلمين الذين طوّعوا نصوص القرآن لأغراضهم المذهبية، كما صبّ غضبه على الفلاسفة الذين وقعوا في ورطة التطبيق وتأويل الآيات المخالفة بظاهرها للمسلمات في فنون الفلسفة، وينقد كذلك المتصوفة الذين حملوا القرآن على أورادهم وأحزابهم وطقوسهم الصوفية، ثم تكلم عن نشوء طائفة في العصر الحديث تبنّت مسلكا جديدا في التفسير حيث تأثرت بالعلوم الطبيعية، وما هو من شكلها من العلوم القائمة على التجارب والأمور الحسية، ففسرت نصوص القرآن بناء على هذه العلوم، وعلق في آخر الأمر بأن هذه المسالك كلها يشوبها النقص، ثم تكلم في الأخير عن المنهج الذي ارتضاه في تفسيره هذا فقال: " وسنضع ما تيسر لنا بعون الله سبحانه من الكلام على هذه الطريقة في البحث عن الآيات الشريفة ضمن بيانات، قد اجتنبنا فيها أن نركن إلى حجة نظرية فلسفية أو إلى فريضة علمية، أو إلى مكاشفة عرفانية واحترزنا فيها عن أن نضع إلا نكتة أدبية يحتاج إليها فهم الأسلوب العربي أو مقدمة بديهية أو عملية لا يختلف فيها الإفهام. وقد تحصل هذه البيانات الموضوعة على هذه الطريقة من البحث استفراغ الكلام فيما نذكره.

- المعارف المتعلقة بأسماء الله وصفاته.
- المعارف المتعلقة بأفعاله من الخلق والأمر والإرادة والمشئنة وهداية الإضلال والقضاء والقدر والجزر والتفويض والرضا والسخط إلى غير ذلك من متفرقات الأفعال.
- المعارف المتعلقة بالوسائط الواقعية بينه وبين الإنسان كالحُجُب واللوح والقلم والعرش والكرسي والبيت المعمور والسماء والأرض والملائكة والشياطين والجن وغير ذلك.¹
- المعارف المتعلقة بالإنسان قبل الدنيا.
- المعارف المتعلقة بالإنسان في الدنيا كمعرفة تاريخ نوعه ومعرفة نفسه، ومعرفة أصول اجتماعه ومعرفة النبوة والرسالة والوحي والإلهام والكتاب والدين والشريعة، ومن هذا الباب مقامات الأنبياء المستفادة من قصصهم المحكية.
- المعارف المتعلقة بالإنسان بعد الدنيا، وهو البرزخ والمعاد.

¹ ينظر المرجع السابق: الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج1، ص5.

- المعارف المتعلقة بالأخلاق الإنسانية ومن هذا الباب ما يتعلق بمقامات الأولياء في صراط العبودية من الإسلام والإيمان والإحسان والإحبات والإخلاص وغير ذلك.
- وأما آيات الأحكام، فقد اجتبتنا تفصيل البيان فيها لرجوع ذلك للفقهاء. وقد أفاد هذه الطريقة من البحث ارتفاع التأويل بمعنى الحمل على المعنى المخالف للظاهر من بين الآيات وأما التأويل بالمعنى الذي يثبت القرآن في مواضع من الآيات، فسترى أنه ليس من قبيل المعاني. ثم وضعنا في ذيل البيانات متفرقات من أبحاث روائية نورد فيها ما تيسر لنا إيراده من الروايات المنقولة عن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت ، سلام الله عليهم أجمعين من طرق العامة والخاصة، وأما الروايات الواردة عن مفسري الصحابة والتابعين، فإن على ما فيها من الخلط والتناقض لا حجة فيها على مسلم. وسيطلع الباحث المتدبر في الروايات المنقولة عنهم عليهم السلام، أن هذه الطريقة الحديثة التي بنيت من خلالها بيانات هذا الكتاب، أقدم الطرق المأثورة في التفسير التي سلكها معلموه سلام الله عليهم. ثم وضعنا أبحاثاً مختلفة، فلسفية وعلمية وتاريخية، واجتماعية، وأخلاقية، حسب ما تيسر لنا من البحث، وقد آثرنا في كل بحث قصر الكلام على المقدمات¹.

المطلب الثاني: منهجه التفسيري

يعد تفسير الميزان مرجعاً مهماً عند الإمامية ، بل ومن أهم مؤلفاتهم في القرن الرابع عشر هجري، فهو يجري على مذهبهم، من حمل الألفاظ القرآن الكريم على معان تتفق وأصول المذهب وتعاليمه، مع شيء من التعصب والغلو، لذلك يمكن تلخيص عناصر منهجه التفسيري في نقاط أبرزها:

أولاً: موقف الطباطبائي في التعامل مع القراءات

الطباطبائي لا يعنى بالقراءات، ولا يراها من تفسير القرآن من شيء لأنها ليست ذات تأثير في معرفة محصل مدلول الآية لدى المفسر.

إن سكوت المفسر عن التعرض للقراءات يكشف عن اطمئنانه للقراءة الصحيحة المعتمدة في المصحف الشريف، ولكن قد يذكر أحيانا قراءة أخرى في الآية تتفق ومؤداها مع قراءة المصحف الإمام مبيّناً وجه ذلك الاتفاق، فحول "إني" في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾¹ يقول الطباطبائي القراءة المعروفة "إني" بكسر الهمزة على تقدير القول وقرئ "إني" بفتح الهمزة بترع

¹ ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج1، ص 7 إلى 17.

¹ سورة هود: الآية 25

الخافض والتقدير "بأي" لكم نذير مبين، والجملة على أي حال بيان إجمالي لما أرسل به فان جميع ما بلغه قومه عن ربه وأرسل به إليهم إنذار مبين فهو نذير مبين¹

وفي كثير من الأحيان يذكر المفسر قراءة أو أكثر لغرض اطلاع القارئ وإيقافه عليها في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً قَرِيبَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾² بين المفسر معنى "أمرنا" بفتح الهمزة ثم الميم المخففة، ثم ذكر أن هناك قراءة "أمرنا" بالمد وقراءة أخرى بتشديد الميم.³

وقد يرجح على قراءة المصحف قراءة أخرى معتمدا فيه على سياق فحول "زبرا" في قوله تعالى ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾⁴ رجح قراءة ابن عامر "زبرا" بفتح الباء وهو جمع زبرة، وهي الفرقة فيكون المعنى: وتفرقوا في أمرهم جماعات وأحزابا ثم علق عليها بقوله وهي أرحح.⁵

و أما القراءات الشاذة فهو ينكرها ويشدد عليها خاصة حين يكون السياق نيايا لها منفرا عنها، أو أن نصوص القرآن لا تؤيد ذلك المعنى ففي قوله تعالى ﴿فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾⁶ رمى المفسر قراءة من شدد النون في "روحنا" على أنه اسم الملك الذي أرسل إلى مريم.

وفي قوله ﴿وعنده مفاتيح الغيب﴾ ذكر الطباطبائي قراءة شاذة وهي "مفاتيح" بزيادة ياء بعد التاء ومع إشارته إلى أن المعنيين واحد، إلا أنه رجح قراءة المصحف باعتبار "مفاتيح" بزيادة ياء بعد التاء ومع إشارته إلى أن المعنيين واحد إلا أنه رجح قراءة المصحف باعتبار "مفاتيح الغيب" تعني خزائنه، وهذا ما تكرر ذكره في موارد عدة من القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾

¹ ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج10، ص198.

² سورة الإسراء: الآية 16

³ ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج13، ص62.

⁴ سورة المؤمنون: الآية 53

⁵ ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج15، ص35

⁶ سورة مريم: الآية 17

﴿ وقوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
وقوله ﴿ أَمْ عِنْدَهُ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ﴾¹

مما تقدم يتضح أن الطباطبائي ليس لديه منهج واسع ثابت في معالجة القراءات، فبينما وجدناه يعتمد قراءة المصحف ويقدمها، وأحيانا أخرى يرجح عليها قراءات أخرى باعتبارها تناسب السياق، أو أن لها ما يؤيدها من القرآن الكريم وبشكل عام لم يعقد المفسر اهتماما كبيرا على القراءات في التفسير²

ثانيا: موقفه من آيات الأحكام

لم يشتمل الميزان على أبحاث فقهية موسعة، كما أن المفسر لم يحض على أقوال الفقهاء ومذاهبهم ولم يتعرض لمناقشات تخص مسائل الفقه وآيات الأحكام وما يبرز موقفه هو وفاؤه لمذهبه العقدي عن طريق التأويلات الباطنية فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْإِنَّمِ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾³ قال: "وفي تفسير العياشي عن محمد بن منصور قال: سألت عبدا صالحا عليه السلام عن قول الله: في معنى هذه الآية، قال: إن للقرآن ظهرا وبطنا، فأما ما حرم به في الكتاب هو في الظاهر والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل في الكتاب هو في الظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق. أقول: ورواه في الكافي عن محمد بن منصور مسندا، وفيه: فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله في القرآن هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق. أقول: انطباق المعاصي والمحرمات على أولئك والمحللات على هؤلاء؛ لكون كل واحد من الطائفتين سبب للقرب من الله أو البعد عنه، أو لكون اتباع كل سببا لما يناسبه من الأعمال.

ومن هذا الباب ما في التهذيب بإسناده عن العلاء بن سيبان عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ خُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾¹ قال: الغسل عند لقاء كل إمام.²

¹ ينظر منهج الطباطبائي في التفسير الأوسي، مركز العلوم والثقافة الإسلامية، طبعة 2008م - قم ص 229.

² ينظر المرجع نفسه منهج الطباطبائي في التفسير الأوسي، مركز العلوم والثقافة الإسلامية، طبعة 2008م - قم، ص 230

³ سورة لأعراف: الآية 33

¹ سورة الأعراف: الآية 31.

² المرجع السابق: الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج 8، ص 94-95.

• فرض الرجلين في الوضوء

وفي تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾¹ قال: «قرئت بالنصب وأنت إذا تلقيت الكلام مخلي الذهن غير مشوب الفهم لم يلبث دون أن تقضي أن ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ معطوف على موضع رؤوسكم وهو النصب، وفهمت من الكلام وجوب غسل الوجه واليدين ومسح الرأس والرجلين ولم يخطر ببالك أن ترد ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ في أول الآية مع انقطاع الحكم في قوله: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ وعلى ذلك وردت الروايات عن أئمة أهل البيت -عليهم السلام- وأما الروايات من طرق أهل السنة فإنها وإن كانت غير ناظرة إلى تفسير لفظ الآية وإنما تحكي عمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفتوى بعض الصحابة، لكنها مختلفة: منها ما يوجب مسح الرجلين ومنها ما يوجب غسلهما. وقد رجح الجمهور منهم أخبار الغسل على أخبار المسح ولا كلام لنا معهم في هذا المقام؛ لأنه بحث فقهي راجع إلى علم الفقه، خارج عن صناعة التفسير»²

ثالثاً: موقفه من أسباب النزول

إن لأسباب النزول عند الطباطبائي أهمية كبيرة في فهم معاني الآيات وعددها من الأسباب المباشرة لفهم القرآن الكريم وقد أشار إلى ذلك بقوله: إن الحوادث والأحداث التي وقعت أيام الدعوة، وكذلك الحاجات الضرورية من الأحكام والقوانين الإسلامية هي التي تسببت في نزول كثير من السور والآيات، ومعرفة هذه الأسباب يساعد إلى حد كبير في معرفة الآية المباركة وما فيها من المعاني والأسرار...»¹

¹ سورة المائدة: الآية 6.

² المرجع السابق: الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج5 ص222.

¹ القرآن في الإسلام: محمد حسين الطباطبائي، تعريب، أحمد الحسين، طبعة 1973م ص123

وعليه الطباطبائي اهتم بأسباب التزول لكونه يساعد في فهم المراد، مثاله في قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَإِلَىٰ الرُّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ٤٧ ﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ٤٨¹ ذكر الطباطبائي أنها تصف حال بعض المنافقين، حين أظهروا الإيمان والطاعة أولاً ثم تولوا.

وقد ذكر لها ثلاث روايات ذات معنى واحد فحواها أن رجلا من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود حكومة فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب بن الشرف فترلت الآيات.²

وفي قوله تعالى ﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ٤٩ ﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ٤٣ ﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ٤٤ ﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا ٤٥ ﴾ كَانَتْ يَوْمَ يَرْوِنَهَا لَنْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ٤٦ ﴾³ ذكر الطباطبائي رواية عن ابن عباس ؓ: أن مشركي مكة سألوا النبي ﷺ فقالوا: متى تقوم الساعة؟ استهزاء منهم فترلت الآيات⁴

وقد وقف الطباطبائي موقف الناقد، وذلك حسب ظنه أن تعدد وتناقض الروايات في أسباب التزول لا يمكن جمعها بشكل من الأشكال.

وعلى هذا الأساس بنى الطباطبائي موقفه من أسباب التزول، فإذا لم تكن متواترة أو قطعية الصدور يجب عرضها على القرآن الكريم، وأضاف أن هذه الطريقة تسقط أكثر روايات أسباب التزول عن الاعتبار إلا أن الباقي منها يكسب كل الاعتبار والثوق.⁵

رابعا: موقفه من المكي والمدني

يذكر الطباطبائي أن العلم بمكية السورة ومدنيتها ثم ترتيب نزولها أثرا مهما في الأبحاث المتعلقة بالدعوة النبوية وسيرها الروحي والسياسي والمدني في زمن النبي ﷺ وتحليل سيرته الشريفة.¹

¹ سورة النور: الآية 47-48

² ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج15، ص157-158.

³ سورة النازعات: الآية 42-46.

⁴ ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج20، ص198.

⁵ ينظر المرجع السابق منهج الطباطبائي في التفسير الأوسي، مركز العلوم والثقافة الإسلامية، طبعة 2008م - قم، ص216.

¹ ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج15، ص235.

وقد اختار الطباطبائي زمن الهجرة أساسا في التمييز بين المكي والمدني، ذكر أنه في تحقيق كون الآيات مكية أو مدنية يعتمد على التدبر في سياقها والاستمداد بما يتحصل من القرائن والإشارات فإذا شهد السياق بأن مضامين هذه الآيات تناسب ما كان يجري عليه الحال في مكة أو في المدينة فهي مكية أو مدنية على الترتيب¹

ومثاله سورة ص مكية، إذ يدور الكلام فيها حول كون النبي ﷺ منذرا بالقرآن الداعي إلى التوحيد وإخلاص العبودية له تعالى، وفيها أيضا ذكر اعتزاز الكفار وشقاقهم، واستكبارهم عن أتباعه عليه الصلاة والسلام، وأمر النبي ﷺ وذكر قصص عباده الأوليين، وفيها ذكر مآل حال المتقين والطاغين، وكون السورة أيضا تأمر النبي عليه الصلاة والسلام بإبلاغ دعوته إلى توحيد الله.²

وأيد المفسر ما روى عن ابن عباس من أن سورة الرعد مكية بينما رفض أن تكون مدنية بتمامها أو بعض منها وهو المروي عن أنس بن مالك والحسن وعكرمة وقتادة، والذي يفيد أنها مكية سياق آياتها وما تشتمل عليه من المضامين باعتبار أن غرض السورة بيان ما نزل على النبي ﷺ من الكتاب أنه الحق الذي لا يخالطه باطل.

وعن سورة النساء يقول الطباطبائي أنها مدنية لشهادة مضامين آياتها المتعرضة لجملة من الأحكام كالزواج والموارث والصلاة والجهاد والشهادات والتجارة وغيرها وتعرضها لحال أهل الكتاب، على خلاف ما زعم النحاس أنها مكية³.

¹ ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج15، ص235

² ينظر المرجع نفسه الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج17، ص181

³ ينظر المرجع السابق منهج الطباطبائي في التفسير الأوسي، مركز العلوم والثقافة الإسلامية، طبعة 2008م - قم، ص213

المبحث الثالث: مسلك محمد حسين الطباطبائي في تناول القصص القرآني

النموذج الأول: قصة اليسع وذي الكفل عليهما السلام

بدأ صاحب الميزان بذكر قصة اليسع وذا الكفل -عليهما السلام - بقوله: «ذكر سبحانه اسمهما في كلامه وعدهما من الأنبياء وأثنى عليهما وعدهما من الأخيار، وعدّ ذا الكفل من الصابرين، ولهما ذكر في الأخبار ففي البحار عن الاحتياج والتوحيد والعيون في خير طويل رواه الحسن بن محمد النوفلي عن الرضا فيما احتج به على جاثليق النصارى أن قال عليه السلام إن اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى عليه السلام مشى على الماء وأحى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص، فلم تتخذة أمته ربا، وعن قصص الأنبياء الصدوق عن الدقاق عن الأسدي عن سهيل عن عبد العظيم الحسني، قال كتبت إلى أبي جعفر الثاني أسأله عن ذي الكفل ما اسمه وهل كان من المرسلين؟ فكتب عليه السلام بعث الله جل ذكره مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي مرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، وإنّ ذا الكفل كان منهم، وكان بعد سليمان بن داود، وكان يقضي بين الناس كما يقضي داود، ولم يغضب إلا لله عز وجل، وكان اسمه عويدياء وهو الذي ذكره الله جلت عظمتة في كتبه حيث قال:

﴿وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾¹ أقول وهناك روايات متفرقة أخرى في قصصهما عليهما السلام تركنا إيرادها لضعفها وعدم الاعتماد عليها»².

مناقشة:

من المؤكد أن القرآن الكريم مقصده عظيم وهدفه أسمى، ولكن في هذا العرض نجد القصة خالية من مقاصدها التي سبقت من أجلها، بل نجد الطباطبائي اهتم بروايات لا تغني ولا تسمن من الجوع شأنه شأن سابقه، بل لم يكلف نفسه عناء نقدها فأخلط الغث بالسمين دون نقد أو تمحيص، رغم من أن مصدرها الإسرائيليات أو من قبيل الموضوعات.

وخير ما ذكره العلماء في معنى قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ

الْأَخْيَارِ﴾¹ أي: واذكر هؤلاء الأنبياء بأحسن الذكر، وأثن عليهم أحسن الثناء، فإن كلا منهم من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق، واختار لهم أكمل الأحوال، من الأعمال، والأخلاق،

¹ سورة ص: الآية 48

² المرجع السابق: الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى

1997م، ج 17 ص 217

¹ سورة ص: الآية 48

والصفات الحميدة، والخصال السديدة، ﴿ هَذَا أَي: ذكر هؤلاء الأنبياء الصفاة وذكر أوصافهم، ﴿ذكر﴾ في هذا القرآن ذي الذكر، يتذكر بأحوالهم المتذكرون، ويشتاق إلى الاقتداء بأوصافهم الحميدة المقتدون، ويعرف ما من الله عليهم به من الأوصاف الزكية، وما نشر لهم من الثناء بين البرية، فهذا نوع من أنواع الذكر، وهو ذكر أهل الخير، ومن أنواع الذكر، ذكر جزاء أهل الخير وأهل الشر.¹

أما فيما يخص حقيقة اليسع وذي الكفل موضع خلاف بين العلماء وذلك هل هما من الأنبياء أو من الرجال الصالحين؟ وإن كان البعض منهم يجمع على أن اليسع نبي وأنه كان بعد نبي الله إلیاس بعث من بعده إلى قومه يدعوهم لعبادة الله.

وأما ذو الكفل فقد اختلفوا في شأنه فمنهم من زعم أنه ابن أيوب عليه السلام لأن الله تعالى أورد قصته بعد قصة أيوب في سورة الأنبياء، وبعضهم يقول: إنه رجل صالح وحاكم مقسط خلفه اليسع في الحكم بين الناس، لكن الصحيح كما قال الحافظ ابن كثير أنه من الأنبياء حيث قال: " فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقرونا مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي عليه الصلاة والسلام وهذا هو المشهور.²

وقد ذكره الله تعالى مع الأنبياء في سورة الأنعام في قوله: ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَثُوطًا وَكَانَ لَأَفْضَلَنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾³ وقال تعالى في سورة ص ﴿ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴾⁴ قال إسحاق بن بشر أبو حذيفة أنبأنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال كان بعد إلیاس اليسع عليهما السلام، فمكث ما شاء الله أن يمكث يدعوهم إلى الله مستمسكا بمنهاج إلیاس وشريعته حتى قبضه الله عز وجل إليه ثم خلف فيهم الخلوة؟ وعظمت فيهم الأحداث والخطايا وكثرت الجبابرة فقتلوا الأنبياء وكان فيهم ملك عنيد طاغ. يقال إنه الذي تكفل له ذو الكفل إن هو تاب ورجع دخل الجنة فسمي ذا الكفل.¹

¹ ينظر المرجع السابق: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، ت: عبد الرحمان بن معلا الوجيه، مؤسسة الرسالة، ط1، (1420هـ—2000م)، ج1، ص715.

² المصدر نفسه: البداية والنهاية: ابن كثير، تحقيق علي شيري: دار إحياء التراث العربي: طبعة جديدة محققة / الطبعة الاولى 1408 هـ - 1988 م، ج1، ص225

³ سورة الأنعام: الآية 86

⁴ سورة ص: الآية 43

¹ ينظر البداية والنهاية: ابن كثير، تحقيق علي شيري: دار إحياء التراث العربي: طبعة جديدة محققة / الطبعة الاولى 1408 هـ - 1988 م، ج2، ص6.

والإمام الطباطبائي قد مال إلى هذا فقال في شأن ذا الكفل فيما نقله عن الإمام أبي جعفر أحد أئمتهم لما سئل عن ذي الكفل فأجاب بأنه كان من الأنبياء، واستدلّ على ذلك بكون المولى حلّ وعلى قرنه مع الأنبياء وهذا هو الصحيح والمشهور عند علماء السنة.

و يبقى المقصد العام للقصة أن الشيء المستفاد من ذكر الله جلّ وعلا لهؤلاء وتوصية نبيه ﷺ بأن يذكرهم إنّما هو من أجل التأسي والافتداء بهم في الدعوة إلى الله والاستقامة على صراطه، وقد أكّد هذا القصد الإمام الطبري رحمه الله قال: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ يا محمد اذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وما أبلوا في طاعة الله فتأس بهم واسلك مناهجهم في الصبر على ما نالك في الله والنفاز لبلاغ رسالته»¹.

النموذج الثاني: قصة إبراهيم عليه السلام

استأنف الطباطبائي في بيان قصة إبراهيم عليه السلام بقوله: "بيان شروع من قصص إبراهيم عليه السلام وهي كالمقدمة والتوطئة لآيات تغيير القبلة وآيات أحكام الحج وما معها من بيان حقيقة الدين الإسلامي الخفيف بمراتبها: من أصول المعارف والأخلاق... والآيات مشتملة على قصة اختصاصه إياه بالإمامة وبناء الكعبة" ففي قوله تعالى ﴿وَإِذْ أُنزِلَ إِلَيْهِ أَمْرٌ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا تَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾² إشارة إلى قصة إعطائه الإمامة وحبائه بها.

و في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال: «أي مقتدى يقتدي بك الناس ويتبعونك في أقوالك وأفعالك، فالإمام هو الذي يقتدي ويأتم به الناس؛ لذلك ذكر عدة مفسرين أن المراد به النبوة لأن النبي تقتدي به أمته في دينها» قال تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُلٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾³ لكنه في غاية السقوط.. و بالجملة فالإمام هادٍ يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه، فالإمامة بحسب الباطن ولاية الناس للناس في أعمالهم وهدايتهم إيصالها إليهم إلى المطلوب بأمر الله دون مجرد إرائه الطريق الذي هو شأن النبي والرسول وكل مؤمن يهدي إلى الله سبحانه بالنصح والموعظة الحسنة... وفي تفسير العياشي، بأسانيد عن صفوان الجمال قال: كنا بمكة فجرى الحديث

¹ ينظر جامع البيان في تأويل آي القرآن: أبو جرير الطبري، ت: عبد الله بن الحسن التركي، هجر للطباعة والتوزيع، ط2008م،

ج10، ص111

² سورة البقرة: الآية 124.

³ سورة النساء: الآية 63.

في قول الله ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ قال: «فأتمهن بمحمد وعلي والأئمة من ولد

علي»¹ في قول الله ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾²

مناقشة:

إن الطباطبائي في عرضه لقصة بناء الكعبة نلاحظ أنه يجريها على مذهبه، فيرى أن الإمامة أعلى درجة من النبوة، فقال: « وبالجملة فالإمام هادي يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه، فالإمامة بحسب الباطن نحو ولاية الناس للناس في أعمالهم وهدايتهم إيصالها إياهم إلى المطلوب بأمر الله دون مجرد إرائه الطريق الذي هو شأن النبي والرسول وكل مؤمن يهدي إلى الله سبحانه بالنصح والموعظة الحسنة، ولا يخفى ضعف الاستدلال بالآيات المذكورة، بل عدمه فيما ذهب إليه من التفريق بين الإمامة والنبوة وإن كان مراده الاستدلال على الجملة الأخيرة: كل مؤمن يهدي إلى الله سبحانه بالنصح والموعظة الحسنة، فليس هذا محل النزاع، بل هو محل تسليم، وإنما محله ما زعمه من فرق بين الإمامة والنبوة.³

وقد علق العسال على هذه القصة بقوله: " والقصة طويلة وفيها خرافات كثيرة والأشبه بما أن تكون مما أصاب الناس من كتب أهل الكتاب⁴، وقد قال عنها ابن كثير - رحمه الله - " ولم يجئ في خبر صحيح عن المعصوم أن البيت كان مبنيًا قبل الخليل عليه السلام ومن تمسك بهذا بقوله: "مكان البيت" فليس بناهض ولا ظاهر لأن مراده مكانه المقدر في علم الله المقرر في قدرته"⁵

النموذج الثالث: قصة زكرياء ويحيى عليهما السلام

مهد الطباطبائي تفسيره لقصة زكريا عليه السلام بقوله: " .. لم يذكر من أخباره في القرآن إلا دعاؤه لطلب الولد واستجابته وإعطاؤه يحيى عليه السلام، وذلك بعدما رأى من أمر مريم في عبادتها وكرامتها عند الله ما رأى، فذكر سبحانه أن زكرياء تكفل بمريم لفقدها أباهما عمران ثم لما نشأت اعتزلت عن الناس واشتغلت بالعبادة في محراب لها في المسجد ﴿ كَمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ

¹ المرجع السابق: الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج1، ص266، 267 275

² سورة آل عمران: الآية 34.

³ ينظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط1 1407هـ - 1986م، ص241.

⁴ المرجع السابق: الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم: محمد إبراهيم العسال ط1/1427هـ، ص168

⁵ ينظر البداية والنهاية: ابن كثير، تحقيق علي شيري: دار إحياء التراث العربي: الطبعة 1/ 1408 هـ - 1988 م، ج1،

اللَّهُ بَرُّؤُفٌ مِّنْ نِّسَاءٍ يَغْيِرُ حِسَابَهُ ۗ¹ هنالك دعا زكرياء ربه وسأله أن يهب له من إمرأته ذرية طيبة... ولم يذكر في القرآن مال أمره عليه السلام وكيفية ارتحاله ولكن وردت أخبار متكاثرة من طرق العامة والخاصة، أن قومه قتلوه وذلك أن أعداءه قصدوه للقتل فهرب منهم والتجأ إلى شجرة فانفرجت له فدخل جوفها ثم التأمت فدلهم الشيطان عليه وأمرهم أن ينشروا الشجرة بالمنشار ففعلوا وقطعوه نصفين فقتل عليه السلام عند ذلك. وقد ورد في بعض الأخبار أن السبب في قتله أنهم اهتموه في أمر مريم وحبلها بالمسيح وقالوا: هو وحده كان المتمرد الداخل إليها، وقيل غير ذلك.

وقال أيضا عن يحيى عليه السلام: « بأنه كان مصدقا بكلمة من الله، وأنه كان سيدا يسود قومه، وأنه كان حصورا لا يأتي النساء، وأن الله سماه يحيى ولم يجعل له من قبل سميا، وأمره بأخذ الكتاب بقوة وآتاه الحكم صبيا، ولد عليه السلام لأبويه على خرق العادة، فقد كان أبوه شيخا فانيا وأمه عاقرا فرزقهما الله بيحيى وهما يائسان من الولد، وأخذ الرشد والعبادة والزهد في صغره وآتاه الله الحكم صبيا، وقد تجرد للتنسك والزهد والانقطاع فلم يتزوج قط ولا ألهاه شيء من ملاذ الدنيا، وكان سيدا في قومه تحن إليه القلوب وتميل إليه النفوس ويجتمع إليه الناس فيعظهم ويدعوهم إلى التوبة ويأمرهم بالتقوى حتى استشهد عليه السلام، ولم يرد في القرآن مقتله عليه السلام... كما ساق الإمام الطباطبائي روايات متفرقة من الكتاب المقدس عن قصة يحيى عليه السلام، ففي إنجيل مرقس الإصحاح السادس قال: وفيه أن هيرودس نفسه كان قد أرسل وأمسك يوحنا وأوثقه في السجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه إذ كان قد تزوج بها لان يوحنا كان يقول لهيرودس لا يحل أن تكون لك امرأة أخيك فحنقت هيروديا عليه وأرادت أن تقتله ولم تقدر لان هيرودس كان يهاب يوحنا عالما انه رجل بار وقديس وكان يحفظه وإذا سمعه فعل كثيرا²

و سمعه بسرور وإذا كان يوم موافق لما صنع هيرودس في مولده عشاء لعظمائه وقواد الألوفا ووجوه الجليل دخلت ابنة هيروديا ورقصت فسرت هيرودس والمتكئين معه فقال الملك للصبييه مهما أردت اطلبي مني فأعطيك، واقسم لها أن مهما طلبت مني لأعطينك حتى نصف مملكتي، فخرجت وقالت لامها ماذا اطلب فقالت رأس يوحنا المعمدان، فدخلت للوقت بسرعة إلى الملك وطلبت قائلة أريد أن تعطيني حالا رأس يوحنا المعمدان على طبق، فحزن الملك جدا ولأجل الأقسام والمتكئين لم يرد أن يردها، فللوقت أرسل الملك سيافا وأمر أن يؤتى برأسه، فمضى وقطع رأسه في السجن وأتى برأسه على طبق وأعطاه للصبييه والصبييه أعطته لامها، ولما سمع تلاميذه جاءوا ورفعوا جثته ووضعوها

¹ سورة آل عمران: الآية 37

² المرجع السابق: الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج14/ص 29-32

في قبر" وليحي النبي ﷺ أخبار متفرقة في الأناجيل لا تتعدى حدود ما أوردناه، وللمتدبر الناقد أن يطبق ما نقلناه من الأناجيل على ما تقدم حتى يحصل على موارد الاختلاف¹

مناقشة:

إن تمهيد الطباطبائي لقصة زكرياء النبي ﷺ السلام تمهيد مقبول بل إنه قد أحسن في وصفه وصفا جميلا وذلك من خلال قوله: " .. لم يذكر من أخباره في القرآن إلا دعاؤه لطلب الولد واستجابته وإعطاؤه يحيى النبي ﷺ، وذلك بعدما رأى من أمر مريم في عبادتها وكرامتها عند الله ما رأى، فذكر سبحانه أن زكرياء تكفل بمريم لفقدها أباهما عمران ثم لما نشأت اعتزلت عن الناس واشتغلت بالعبادة في محراب لها في المسجد" ولكن بعد ذلك وضع نفسه في مأزق وتناقض كبيرين، مخالفا بذلك ما أورده في مقدمة كتابه الذي صرح فيها بكل جرأة من خلال بقوله: " وأما الروايات الواردة عن مفسري الصحابة والتابعين، فإن على ما فيها من الخلط والتناقض لا حجة فيها على مسلم" فكلامه هذا يكون حجة لو طبقه بحذافيره ولكن للأسف أخلط الصحيح بالسقيم، بل الأدهى من ذلك أنه استشهد بأخبار موضوعة وإسرائيليات دون تمحيص أو نقد أو توجيه مثاله عرضه لأسطورة هيروودوس، وبعض الأخبار من التوراة في شأن قصة يحيى النبي ﷺ.

التوجيه الصحيح لقصة يحيى النبي ﷺ:

قصة وفاة سيدنا يحيى النبي ﷺ فقد تضاربت فيها الأقوال والروايات ولكن الإجماع فيها على أنه قُتل النبي ﷺ ولم يمت موتاً طبيعياً، فقد قتله الملك هيروودس -أحد ملوك ذلك الزمان - وقصة القتل مفادها أن ذلك الملك أراد الزواج من إحدى محارمه وهو أمر محرّم عليه زواجها وكان النبي يحيى النبي ﷺ مخوفاً لهم من الفعل الشنيع والمنكر الفظيع الذي ينوي الملك فعله وتنوي تلك الفتاة الإقبال عليه، وكان بينها وبين الملك حبٌّ ورغبةٌ في الزواج و يحيى النبي ﷺ كان على عادة الأنبياء الكرام أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر حتى لو بُذلت الأرواح والمُهَج في سبيل ذلك، فما كان من تلك الفتاة إلا أن طلبت من الملك أن يقتل لها يحيى النبي ﷺ برهاناً على صدق المحبة ومقربة لها فما كان منه إلا أن أرسل إليه من قتله وقطع رأسه الشريف وأتاها به في طست ووضع بين يديها عليهم اللعنة والغضب ولا حول ولا قوة إلا بالله¹.

¹ المرجع السابق: الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج14/ص 29-32

¹ ينظر البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي، ت: علي شيري: دار إحياء التراث العربي: طبعة جديدة محققة / الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م، ج2، ص64

المبحث الرابع: موارد الطباطبائي في تفسيره الميزان

إن التعريف بالمصادر التي اعتمدها المفسر في تفسيره، وبيان وجه هذا الاعتماد يشكلان أهمية معينة في دراسة المنهج الذي سار عليه، فضلا عن كون هذه المصادر تشكل جزءا من ثقافته، وقد اعتمد المفسر على مصادر كثيرة ومتنوعة من كتب التفسير والحديث والسير والتاريخ واللغة وكتب أخرى، لذا سأكتفي بذكر أهم المصادر التي وردت في القصص القرآني بشيء من الإيجاز وهي كالاتي:

المطلب الأول: مصادره التفسيرية الشيعية القديمة:

اعتمد الطباطبائي على التفاسير الإمامية القديمة باعتبارها اللبنة الأولى والأساسية في بناء فكر ومعتقد الإمامية والتي تأثر بها الطباطبائي ومن سبقه ومن جاء بعده، وهي تفاسير كل من العياشي والقمي الطوسي والطبرسي، وتعد هذه التفاسير من بين المؤلفات التي رزى بها الإسلام في القرون الست الأولى وسأعرض بشيء من الإيجاز لأهم المصادر التي اقتنى منها القصص القرآني وهي:

أولا: تفسير العياشي

يعتبر هذا التفسير من بين المصادر التفسيرية الشيعية التي أصلت لمعتقد الإمامية، عول عليه الطباطبائي كثيرا في تفسيره، وقد مدحه في مقدمة الميزان بقوله: " من أعيان علماء الشيعة، وأساطين الحديث والتفسير بالرواية، مَن عاش في أواخر القرن الثالث من الهجرة النبوية، أجمع كل من جاء بعده من أهل العلم على جلالته وعلو منزلته وسعة فضله، وأطراه علماء الرجال متسلمين على أنه ثقة عين صدوق في حديثه من مشايخ الرواية، يروي عنه أعيان المحدثين كشيخنا الكشي صاحب الرجال¹.

وقد نقل منه الطباطبائي روايات في التفسير وأسباب النزول، وأكثر هذه الروايات عن محمد الباقر وجعفر الصادق، وبعضها عن علي بن أبي طالب والحسين بن علي.

ومما أفاده الطباطبائي من تفسير العياشي ما ورد في تفسيره لقصة إبراهيم عليه السلام حيث ساق أسانيد عن صفوان الجمال قال: كنا بمكة فجرى الحديث في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ قال: فأتهمن بمحمد وعلي والأئمة من ولد علي¹ في قول الله ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ

¹ ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج1، ص25

¹ المرجع نفسه الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج1، ص266-267-275

ثانيا: مجمع البيان: للطبرسي

اعتمد الطباطبائي على مجمع البيان للطبرسي في بيان معنى الآيات مؤيدا لما يراه من معنى إذا وافق منهجه، وقد يستعين المفسر بقول الطبرسي دون تعقيب، وسكوته هذا يبعث على التأييد والاستعانة به في جلاء المعنى وهذا واضح في قصة أصحاب الأخدود: الواردة في قوله تعالى ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾¹ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ² قال المفسر: أي أحرقوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا عن كفرهم «فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ» فبعد أن بين أن ما تعنيه الفتنة هو المحنة والتعذيب وأن الذين (فتنوا) عام يشمل أصحاب الأخدود ومشركي قريش الذين كانوا يفتنون من آمن بالنبي ﷺ ليرجعوهم عن دينهم، اكتفى بذكر قول للطبرسي استثناسا وتأييدا لبيان تمام الآية فقال في المجمع: سيسأل فيقال: كيف فصل بين عذاب جهنم وعذاب الحريق وهما واحد؟ أجيب عن ذلك بالمراد لهم أنواع العذاب في جهنم سوى الإحراق مثل الزقوم والغسلين والمقامع ولهم مع ذلك المقامع من النار.³

و لا يعنى استعانة الطباطبائي بأقوال المفسرين ومنها أقوال الطبرسي أنه يأخذها على سبيل المسلمات، ولا يعنى بمناقشتها، فقد تعرض لأكثرها بالنقد والتجريح.

استعان المفسر في بيان معاني قسم كبير من المفردات القرآنية بما بينه الطبرسي في كتابه مجمع

البيان، فعن كلمة (ردء) في قوله تعالى ﴿وَأَنخِي هَكَرُوتٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاكَنَا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾¹ نقل المفسر ما نقله الطبرسي بقوله يقال: فلان ردء فلان إذا كان ينصره ويشد ظهره.²

¹ سورة آل عمران: الآية 34.

² سورة البروج: الآية 9-10.

³ ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج20، ص252.

¹ سورة القصص: الآية 34

² ينظر المرجع نفسه الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج4، ص253

المطلب الثاني: موقفه من تفاسير السنة

اعتمد الطباطبائي في عرضه للقصص القرآني على عدة مصادر سنينة فتعرض لما فيهما من آراء مستعينا ببعض منها في بيان معاني الآيات، ومتعرضا لبعضها الآخر بالنقد والتحليل منها:

أولاً: جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري (ت 310هـ)

نقل الطباطبائي عن تفسير الطبري أقوال الصحابة والتابعين، وروايات في أسباب النزول ولعل السبب في ذلك أن تفسير الطبري يعد طليعة التفاسير الأثرية. ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوْنَ الْنَّاسَ وَأَخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾¹ قال المفسر: " وفي تفسير الطبري عن فتادة قال: أما الربانيون فقهاء اليهود، وأما الأنبياء فعلمائهم قال وذكر لنا أن نبي الله ﷺ لما أنزلت هذه الآية قال: نحن نحكم على اليهود وعلى من سواهم من أهل الأديان.²

ثانياً: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (ت 538هـ)

إن أثر الكشاف وآراء الزمخشري واضحة في الميزان، استعان المفسر بالكشاف في بيان معنى في آية أو إفادة من صورة بلاغية أو حالة إعرابية، كما أنه نقل مرويات قليلة عن الكشاف، مقارنة بالجوانب الأخرى المتقدمة المتمثلة في اللغة البلاغة... إلخ. ويرجع سبب اهتمام الطباطبائي بتفسير الزمخشري هو أن هذا الأخير مذهبه اعتزالي، فهو يعني بالتأويل والتفسير بما يناسب مذهبه ولعل هذين السببين هما اللذان دعوا الطباطبائي إلى الاعتماد بهذا القدر القليل من الروايات على الكشاف.... إلى جانب هذا الاعتماد الواضح على الزمخشري إلا أن الطباطبائي تعرض لمناقشته¹.

¹ سورة المائدة: الآية 44

² ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج 5، ص 366

¹ ينظر المرجع السابق منهج الطباطبائي في التفسير الأوسي، مركز العلوم والثقافة الإسلامية، طبعة 2008م - قم، ج 1، ص 162

ثالثا: كتاب المفردات للراغب الأصفهاني (ت 502هـ)

اهتم بالجانب اللغوي لغريب القرآن، وأضفى على المعاني اللغوية الغريبة معاني قرآنية من خلال ورودها في القرآن الكريم، وأما اعتماد الطباطبائي على المفردات للراغب فقد اعتمد عليها اعتمادا عليها اعتمادا كلياً بل إنها فاقت جميع المصادر التفسيرية المتقدمة، وقد بدا هذا واضحاً من خلال عرضه للقصص القرآني فغالبا ما يستأنس بشرح الغريب من عند الأصفهاني.

رابعا: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت 685هـ)

نقل الطباطبائي عن أنوار التنزيل وأسرار التأويل للمفردات إلا أنه على العموم لا يشكل أثرا كبيرا بالنسبة للمصادر التفسيرية الأخرى، ومن جملة ما اعتمد عليه أثناء عرضه لقصة أصحاب الكهف فقال في معنى: ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾¹ فقال أصلها إحداث هيئة الشيء.²

خامسا: الدر المنثور: جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)

اعتمد الطباطبائي على هذا التفسير بشكل واسع فيما نقله عن المأثور عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، ويعد المصدر الأول للميزان في المأثور، كما اعتمد عليه أيضا في أسباب التزول.

سادسا: تفسير روح المعاني: أبو الشفاء شهاب الدين الألوسي (ت 1270هـ)

إن وجه اعتماد الطباطبائي على هذا التفسير يشبه إلى حد كبير طبيعة اعتماده على التفسير الكبير للفخر الرازي، إضافة إلى ما نقله عن تفسير الألوسي من مأثور عن النبي ﷺ وقد تعرض الطباطبائي لأكثر ما نقله من أقوال الألوسي بالنقد والمناقشة دون أن يكتفي بذكرها.

سابع: تفسير المنار

أخذ الطباطبائي عن المنار لمحمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا وأفاد منه، ثم ما انفك أن تعرض لأكثر ما أورده في الميزان بالمناقشة والنقد، ففي معنى الرجال الذين على الأعراف - يوم القيامة - ذكر المفسر عدة روايات منها: أن هؤلاء هم العباس حمزة علي جعفر يجلسون على موضع الصراط يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضهم بسوادها.

¹ سورة الكهف: الآية 10

² ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج13، ص247.

ثم ذكر تعليقا لصاحب المنار قال فيه: "فأي فائدة في تمييز هؤلاء السادة على الصراط لمن كان يعضهم من الأمويين ومن يبغضون عليا خاصة من المنافقين والنواصب؟ وأين الأعراف من الصراط؟ هذا بعيد عن نظم الكلام وسياقه جدا¹. وقد أيد المفسر طرحه لهذه الرواية للسبب نفسه.

بينما خالف الطباطبائي ما ذهب إليه محمد عبده من أن أمر إبليس بالسجدة وهي آدم عن أكل الشجرة تكوينيان، وذلك لأن الأمر والنهي التكويني لا يقبلان التخلف والمخالفة، وقد خالف إبليس الأمر، وخالف آدم عليه السلام النهي².

المطلب الثالث: موقفه من مرويات الصحابة

بالنسبة لموقف الطباطبائي من مرويات الصحابة فقد نقل في أبحاثه الروائية روايات كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، حيث اعتمد على الصحاح عند أهل السنة، المتمثلة في صحيح البخاري ومسلم، السنن والمسانيد... وغيرها، ووضع شروط صارمة لقبول الرواية منها عدم احتجاجه بخبر الآحاد.

فالطباطبائي عند نقله لأقوال كثيرة عن الصحابة والتابعين، استأنس بقسم منها، وتعرض لقسم آخر بالنقد والتحليل، مثل ما ورد في تفسير قصة يوسف عليه السلام فقد رد الطباطبائي ما نسب إلى ابن عباس من أن القرية في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾³ هي مكة، وذلك لأن سياق الآيات يدفعه ويلاءم كونه مثلا عاما مذكورا توطئة وتمهيدا لما ستذكره الآيات من حلال الأكل وحرامه، والنهي عن تشريع الحلال والحرام بغير إذن الله¹.

ولذا يتضح مما سبق أن المفسر يرفض أقوال الصحابة والتابعين لبيان أنها فاقدة للحجية ذاتها وتبقى خاضعة للرأي والمناقشة كأبي نص آخر، مثل رده لقول نُسب إلى ابن عباس ومجاهد وقتادة عكرمة والحسن وغيرهم، في معنى "هم" في سورة يوسف².

¹ ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج8، ص168.

² ينظر المرجع نفسه الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج8، ص39.

³ سورة النحل: الآية 112

¹ ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي ج 13، ص142

² ينظر المرجع السابق: منهج الطباطبائي في التفسير الأوسي، مركز العلوم والثقافة الإسلامية، طبعة 2008م - قم، ص60 - 65 - 164.

كذلك نزه الطباطبائي يوسف عليه السلام من كلام نسب إلى الصحابين الجليلين، ورمى الرواية بالوضع، لأن فيها خدش لعصمة الأنبياء عليهم السلام.¹

و لكنه في المواضع التي تتماشى مع منهجه التفسيري والعقدي يعتبرها ويقدمها على غيرها من نصوص المفسرين ويتبناها بحجة قربها من عصر التزليل ومثاله ما نُسب إلى ابن عباس في جوابه لله تعالى لإبليس لعنه الله " قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم"² من أن اليوم هو آخر أيام التكليف، وهو النفخة الأولى يوم تموت الخلائق وهو غير البعث في النفخة الثانية.³

المطلب الرابع: موقفه من مرويات الشيعة

نقل الطباطبائي في أبحاثه الروائية روايات كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت، إلى جانب ما ذكرناه من كتب التفسير التي نقل عنها جزءا من هذه المرويات واعتمد على كتب في الحديث والرواية، حيث ذكر الكتب الأربعة عند الإمامية، ونقل عنها جميعا إضافة إلى عدد كبير من كتب الحديث والرواية، وكتب أخرى أفاد منها المفسر، ونادرا ما ينقدها إذا خالفت منهجه التفسيري، وسأكتفي بذكر مصادره الروائية في القصص القرآني دون تفصيل وهي: الاعتقادات للصدوق: لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابوي القمي، الأمالي: لأبي علي الحسن بن الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، أمالي: المفيد، بحار الأنوار: محمد باقر بن المولى المجلسي، علل الشرائع للصدوق، الكافي: محمد بن يعقوب الكليني البغدادي وغيرها.

المطلب الخامس: موقفه من الإسرائيليات

الطباطبائي تصدى للإسرائيليات بكل جرأة وينهى عن الركون التام إلى الآثار وقبول جميع المرويات من غير نظر وتمحيص، لأن من الإسرائيليات ما يمس العقيدة وعصمة الأنبياء المخالفة لصريح العقل والنقل الصحيح¹. كما أوضح الطباطبائي أن القصص القرآني يقتصر على مختارات من النكات الهادفة دون أن يبسط القول فيها وهذا على العكس مما عند أهل الكتاب من قصص، حتى جاء المفسرون من السلف

¹ ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج 11، ص 167.

² سورة الرعد: الآية 37-38

³ ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج 12، ص 160

¹ ينظر المرجع نفسه الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج 11، ص 132.

فراموا اتصال الآيات بضم المتروك من أطراف القصص إلى المختار المأخوذ منها لتصاغ بذلك قصة كاملة الأجزاء مستوفاة الأطراف.¹

أما بالنسبة لموقفه من الرويات فهو موقف الناقد الذي، لا يأخذ بها إلا بعد عرضها على الكتاب، فإن وافقته ولم يكن هناك ما يتعارض معها في الكتاب أخذها، وإلا ردها.. ففي قوله تعالى " ولقد هممت به وهم بها.." ذكر الطباطبائي أن معناها عند المفسرين: إنها همت بالفاحشة وأنه هم بمثلها، لولا أن رأى برهان ربه لفعّل، ونسب ذلك إلى ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة وغيرهم. ثم علق عليها بقوله: لكن هؤلاء المعلقين بهذه الأقوال المخالفة للإسرائيليات والآثار الموضوعية إذ يتهمون جده إبراهيم عليه السلام في زوجته سارة، لا يبالون أن يتهموا نجله عليه السلام في زوجة غيره.²

و أضاف: انه لو وقعت من يوسف أدنى زلة لنعيت عليه في القرآن وذكرت توبته واستغفاره، كيف وقد أثنى عليه وسمي مخلصا.³

أما قصة سليمان عليه السلام، والسحر والشياطين وما كثر من الروايات حولها، فقد عدّها المفسر من صنع اليهود وأنها من جملة القصص الواردة في عشرات الأنبياء عليهم السلام المذكورة في كتبهم⁴ و ما يمتاز به منهج الطباطبائي التفسيري أيضا أنه يهتم بترك الصوارف التي تصرف المفسر عن وظيفته الأساسية في التفسير وهي كشف المراد من آيات الكتاب الكريم، وقد أسهم اهتمامه هذا في عدم اعتناؤه بالروايات التي تهتم بأخبار لا طائل تحتها في عملية التفسير، والتي قد تنطوي على قسم من الإسرائيليات والأخبار الموضوعية.

و لم يتردد الطباطبائي في رفض الإسرائيليات حتى ولو كانت مروية في كتب الشيعة أو كان في منتهى إسنادها عدة صحابة، وهذا ما حصل في قسم من قصة هاروت وماروت، ورمها المفسر بأها قصة خرافية تنسب إلى الملائكة المكرمين، الذين نص القرآن على نزاهة ساحاتهم وطهارة وجودهم من أقبح المعصية وأغلظ الشرك.

¹ ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج13، ص293

² ينظر المرجع نفسه الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج12، ص160

³ ينظر المرجع نفسه الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج12، ص160

⁴ ينظر المرجع نفسه الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج11، ص238.

وحتى لو نُسب القول لصحابي كعلي بن أبي طالب وابن عباس مثلا، فهو يرفضه حين يتسلط على عصمة الأنبياء فتره الطباطبائي يوسف عليه السلام من كلام نسب إلى الصحابين الجليلين، ورمى الرواية بالوضع.¹

أما موقفه من الكتب المقدسة فقد استعان بها الطباطبائي في نقل القصص القرآني لمقارنتها مع نصوص القرآن الكريم، ومن بين الكتب المقدسة التي استعان بها في عرضه للقصص القرآني: أعمال الرسل رسائل بولص، إنجيل مرقس الإصحاح السادس، التوراة، أوستا، مزامير داود، وغيرها.

والطباطبائي حين ينقل نصوصا من التوراة والإنجيل ويقابلها بالقصص القرآني في الموضوع الواحد ويكشف ما بينها من الاختلاف حتى يسقطها على الاعتبار ويبين عوارها مثاله قصة آدم عليه السلام وما ذكر من الروايات بشأن الحمامة التي وقعت في محرابه وعلاقته بامرأة أوريا بن حيان ثم الخصمين الذين تسورا المحراب... فقد ذكر المفسر الرواية في الدر المنثور مأخوذة من التوراة غير أن التي فيها - يعني التوراة - أشنع وأفضح فعدلت بعض التعديل.²

وكذلك قصة زكريا ويحيى عليهما السلام، بعدما عرض القصة من الكتاب المقدس ختمها بقوله: « وليحي عليه السلام أخبار متفرقة في الأناجيل لا تتعدى حدود ما أوردناه، وللمتدبر الناقد أن يطبق ما نقلناه من الأناجيل على ما تقدم حتى يحصل على موارد الاختلاف»¹

وفي الأخير يعد الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي من أحسن التفاسير في العصر الحديث كما يُعد من التفاسير الجامعة المعتمدة في كثير من المراكز والأوساط الدينية والعلمية والثقافية على مستوى العالم الإسلامي لولا ما فيه من التشيع، إلا أنه صنف من بين التفاسير المعتدلة نسبيا.

¹ ينظر المرجع السابق الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م ج 11، ص 167.

² ينظر المرجع نفسه الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج 17، ص 198.

¹ ينظر المرجع نفسه الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج 14، ص 29-32

الفصل الخامس:

البيان في تفسير القرآن عبر الله أبو القاسم الخوئي.

و فيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

المبحث الثاني: التعريف بتفسير البيان في تفسير القرآن

المبحث الثالث: مسلك الخوئي في تناول القصص القرآني

المبحث الرابع: موارد الخوئي في تفسيره للقصص القرآني

يعتبر البيان في تفسير القرآن من التفاسير المعاصرة لدى الإمامية، ذو أهمية واسعة تكمن في تضمنه بحثاً شملت على موضوعات علمية تتصل بالقرآن من حيث عظمته وإعجازه وصيانه من التحريف وسلامته من التناقض والنسخ في تشريعاته، لذا سأتناول في هذا الفصل التعريف بتفسير البيان، وبيان منهج مؤلفه فيه، مع التركيز على كيفية معالجته للقصة القرآنية.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

هو أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم الموسوي الخوئي ولد في التاسع عشر من شهر تشرين الثاني من عام 1899م في بلدة خوي التابعة لأذربيجان الغربية ونشأ بها مع والده وإخوانه وأتقن القراءة والكتابة وبعض المبادئ في صغره وعندما هاجر والده إلى النجف، شرع بتحصيل علوم اللغة والمنطق وتخرج من مرحلة السطوح العالية، وحينما بلغ الحادية والعشرين من العمر حضر الدراسات العليا في الحوزة العلمية عند آية الله شيخ الشريعة الأصفهاني، ولم يقتصر حضوره على هذا العالم الكبير بل حضر أبحاث علماء آخرين أشار إلى البعض منهم في كتابه معجم رجال الحديث، من أساتذته في مرحلة السطوح: الميرزا علي القاضي وكان من أبرز أساتذته علي الكازروني درس عنده كتاب كفاية الأصول الجزء الأول، ومحمد الشيرازي درس عنده كتاب كفاية الأصول، ومحمد حسين النائيني، الذي كان آخر أساتذته. كان يترأس الحوزة العلمية بمدينة النجف بالعراق، وكان مرجعاً وزعيماً للشريعة الإمامية في العالم، ترأس الحوزة العلمية استلم الرئاسة في فترة نظام الحكم البعثي، ووقت الثورة الإسلامية بإيران، مما جعل النظام البعثي يحس بالخطر المباشر من هذه الثورة، طالبت السلطة الخوئي بأن يصدر فتوى يعارض فيها ثورة الخميني ولكن نتيجة لرفضه تعرض للكثير من المضايقات على يد النظام البعثي، وفي 1980م عمدت السلطة لتفجير السيارة التي كان يتنقل بها الخوئي إلى مسجد الخضراء، ولكن نجا من حادث الانفجار بأعجوبة بالغة، إضافة لاغتيال العديد من طلاب العلم من النجف وتسفير غير العراقيين منهم إلى بلدانهم، كما أهدمت جملة من تلامذته وعلى رأسهم محمد باقر الصدر الذي أعتيل في عام 1980م لمعارضته نظام حزب البعث، وقد نال درجة الإجتهد في فترة مبكرة من عمره وشغل منبر الدرس لفترة تمتد إلى أكثر من سبعين عاماً، ومن أبرز تلاميذته: محمد باقر الصدر، علي السيستاني، محمد حسين فضل الله، توفي سنة 1992م¹.

¹ ينظر سيرة وحياة الامام الخوئي، احمد الواسطي، دار الهادي للطباعة والنشر، 1998.

ألف أبو القاسم الخوئي الكثير من المؤلفات في التفسير والفقه والأصول والرجال طبع عدد منها ولا يزال البعض الآخر لم يطبع أو قيد الطبع، وقد امتازت مؤلفاته بالأسلوب البليغ ودقة العرض وجدارة الرأي والاستيعاب الكامل للمواضيع التي يتناولها، وستطرق بإيجاز لأبرز مؤلفاته: أجود التقريرات، معجم رجال الحديث، ورسالة في اللباس المشكوك، جواهر الأصول، مباني الاستنباط، نفحات الإعجاز، والبيان في تفسير القرآن الذي هو محور الدراسة.

المبحث الثاني: التعريف بتفسير البيان عبد الله أبو القاسم الخوئي

المطلب الأول: الوصف العام لكتابه

البيان في تفسير القرآن لأبي القاسم الخوئي من التفاسير الموضوعية المعاصرة، وهو عبارة عن محاضراته في تفسير القرآن الكريم التي كان الخوئي يلقيها على طلابه في الحوزة العلمية في النجف، ثم دعت الضرورة والحاجة الملحة إلى طبع تلك المحاضرات في كتاب مستقل لكي يعم نفعه فكان البيان في تفسير القرآن هو كتاب يتضمن بحثاً جليلاً اشتمل على موضوعات علمية تتصل بالقرآن من حيث العظمة وإعجازه وصيانيته من التحريف وسلامته من التناقض والنسخ في تشريعاته ويهدف هذا الكتاب بصورة عامة إلى تعريف المسلمين وغيرهم إلى ما في القرآن من تشريعات وأسرار ومعارف وعلوم وسمو مقاصده وأفكاره وطبع الكتاب لأول مرة في المطبعة العلمية في النجف سنة 1957 ويتكون الكتاب من 528 صفحة.¹

وهو رغم صغر حجمه إلا أنه غني بأفكاره وأطروحاته العلمية ومناقشاته المستفيضة، إذ كشف عما في القرآن من معارف وعلوم وأسرار تشريعية وكونية، فضلاً عن إعجازه في الأسلوب البليغ الذي عجز البشر عن مجاراته، والإخبار بالغيب، والوقوف ضد الأوهام والشبهات التي أثرت حول القرآن، والدفاع عنه برد الاختلاف والتناقض وبيان سر خلوده وشموله.

كما دافع الخوئي في تفسيره عن قصص القرآن الواقعية وذلك برد القصص الخرافية التي ذكروها في كتب العهدين. وكان من منهجه طرح الأسئلة المتوقعة من المعاندين، والإجابة عنها بروح علمية لا تقبل الشك، واستعراض الآيات الدالة على الإعجاز.²

¹ ينظر البيان في تفسير القرآن عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ، ص 93.

² ينظر: منهج الخوئي في بيان إعجاز القرآن في كتابه البيان في تفسير: منذر إبراهيم حسين الحلي/ جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية.

وهذا ما جعل علماء السنة يصنفونه بالاعتدال وبعده عن الغلو، ومما جاء في مقدمة كتابه: «سيجد القارئ أنني لا أحميد في تفسيري هذا عن ظواهر الكتاب ومحكماته، وما ثبت بالتواتر أو بالطرق الصحيحة من الآثار الواردة عن أهل بيت العصمة من ذرية الرسول ﷺ، وما استقل به العقل الفطري الصحيح الذي جعله الله حجة باطنة كما جعل نبيه - صلى الله عليه وعلى آله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام حجة ظاهرة، كما وضح منهجه في مقدمة البيان بقوله: "وسيجد القارئ أيضاً أنني كثيراً ما أستعين بالآية على فهم أختها، وأسترشد بالقرآن إلى إدراك معاني القرآن، ثم أجعل الأثر المروي مرشداً إلى هذه الاستفادة»¹

المطلب الثاني: منهجه التفسيري

كان للخوئي منهجاً علمياً في التعامل مع الآيات القرآنية، وو قد أوضح ذلك في طيات بحوثه خصوصاً تفسيراً في تفسيره «البيان» وسنعرض هذا المنهج من خلال مقدمة كتابه البيان في تفسير القرآن وهي كالآتي:

أولاً: دور العقل في التفسير عند الخوئي

يعطي الخوئي للعقل دوراً كبيراً في التفسير حيث قال: «القرآن الكريم أراد منّا التعامل معه على أساس وحي العقل وتأملاته واستنتاجاته المنطقية؛ ذلك لأن آياته تنسجم مع المسلّمات العقلية تمام الانسجام، وقد صرح الخوئي بهذه الحقيقة عندما كان يقارن بين الجاهلية ونظام الإسلام التشريعي فيقول: «فإن للقرآن في أنظمتها وتعاليمه مسلكاً يتمشى مع البراهين الواضحة، وحكم العقل السليم، فقد سلك سبيل العدل، وتجنّب عن طرفي الإفراط والتفريط»²

إذاً لا يمكن للمفسّر أن يستغني عن العقل في الوصول إلى مراديات الشارع؛ وصرح بذلك عن قوله «يتبع في التفسير ما حكم به العقل الفطري الصحيح فإنه حجة من الداخل كما أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) حجة من الخارج»، بل إنّ الحجة الظاهرة وهو المعصوم عليه السلام حجته ترجع إلى العقل، فحجّة العقل هي أساس الحجج الأخرى - وهو مذهب العدالة القائلين بالحسن والقبح العقليين-؛ ولذا يرى الخوئي ضرورة التزام ما ثبتت حجته بالعقل في التفسير، وعدم جواز الحياد عنه، حيث قال: «التفسير هو إيضاح مراد الله تعالى وكتابه العزيز فلا يجوز الاعتماد فيه على الظنون والاستحسان ولا على شيء لم يثبت أنّه

¹ ينظر المرجع السابق، البيان في تفسير القرآن عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ، ج 1، ص 22

² المرجع نفسه البيان في تفسير القرآن عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ. ص 62

حجة من طريق العقل أو من طريق الشرع للنهي عن إتباع الظن وحرمة إسناد شيء إلى الله بغير أدلة...»¹، وقد التزم الإمام الخوئي نفسه بهذا المنهج في تفسيره وقد صرح بذلك بقوله: « وسيجد القارئ أنني لا أحميد في تفسيري هذا عن ظواهر الكتاب ومحكماته وما ثبت بالتواتر أو بالطرق الصحيحة من الآثار الواردة عن أهل بيت العصمة، من ذرية الرسول (صلى الله عليه وآله) وما استقل به العقل الفطري الصحيح الذي جعله الله حجة باطنة كما جعل نبيه (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) حجة ظاهرة»²

ثانياً: نظرية تفسير القرآن بالقرآن

ويجدر بنا الوقوف هنا مع ما يتبناه الخوئي من مباني لهذه النظرية، بعد تسليم قبوله لها، بل وإطرائه لها فقد سئل عنها، فأفتى: « أحسن التفسير تفسير القرآن بالقرآن، حيث فهم الآية من خلال آيات أخرى»³.

كما يمكن تلخيص عناصر منهجه التفسيري في النقاط الآتية:

- أنه قد أسهب وأفاض في إثبات صيانة القرآن الكريم من التحريف، وهو لا يكفر المخالفين لطائفته، بل يرى ويروي أن الإسلام يدور مدار الإقرار بالشهادتين.
- أنه أفاض كذلك في الحديث عن حجية ظواهر القرآن.
- أنه التزم بمنهجه هذا في تفسيره لفاتحة الكتاب، والقارئ لتفسيره يلمس هذا بوضوح.

رغم اعتداله إلا أن أثر الإمامة نراه في قوله بصحة إطلاق الأسماء الحسنى على الأئمة، ووجوب طاعتهم والخضوع لهم والتوسل بهم، وفضل السجود على التربة الحسينية، وجواز تقبيل قبورهم وتعظيمها، وأن عبادتهم لله تعالى لا يرقى إليها إلا المعصوم، وهم المأذون لهم في الشفاعة فيشفعون للشيععة، فلا يردهم ربهم عز وجل.

هذا ما جاء في ثنايا تفسيره متأثراً بعقيدته، وهو لا يتزله عن مرتبة الطوسي في تبيانه.⁴

¹ المرجع السابق البيان في تفسير القرآن عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ، ج1، ص 397

² المرجع نفسه: البيان في تفسير القرآن عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ، ج1، ص13

³ المرجع نفسه: البيان في تفسير القرآن عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ، ج1، ص25

⁴ ينظر: المرجع نفسه: البيان في تفسير القرآن عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ ج1، ص 12 وما بعدها

المبحث الثالث: مسلك الخوئي في تناول القصص القرآني

المعروف عن منهج الخوئي أنه دافع في تفسيره عن قصص القرآن الواقعية وذلك برد القصص الخرافية، عن طريق طرح الأسئلة المتوقعة من المعاندين، والإجابة عنها بروح علمية لا تقبل الشك، واستعراض الآيات الدالة على الإعجاز، لذا استدعى المقال استعراض نموذجين قصصيين هما قصة آدم عليه السلام تتبعها قصة عيسى عليه السلام وذلك للوقوف على منهج صاحبها والنظر هل حققت المقصد الذي سيقت من أجله.

النموذج الأول: قصة سجود الملائكة لآدم عليه السلام

بدأ الخوئي تفسيره لقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾¹ وضع عنوانا مناسباً للقصة، ثم شرع في عرض آراء المعاندين والرد عليها بالحجة الدامغة، ثم وجهها توجيهاً صحيحاً علمياً هادفاً حسب قناعاته العلمية فقال: « حول قصة سجود الملائكة لآدم عليه السلام: بقي الكلام في سجود الملائكة لآدم، وكيف جاز ذلك؟ مع أن السجود لا يجوز لغير الله، وقد أجاب العلماء عن ذلك بوجوه: الرأي الأول

إن سجود الملائكة هنا بمعنى الخضوع، وليس بمعنى السجود المعهود.

ويرده: إن ذلك خلاف الظاهر من اللفظ، فلا يصار إليه من غير قرينة، وإن الروايات قد دلت على أن ابن آدم إذا سجد لربه ضجر إبليس وبكى، وهي دالة على أن سجود الملائكة الذي أمرهم الله به، واستكبر عنه إبليس كان بهذا المعنى المعهود، ولذلك يضجر إبليس ويبكي من إطاعة ابن آدم للأمر وعصيانه هو من قبل.

الرأي الثاني:

إن سجود الملائكة كان لله، أما آدم فقد كان قبلة لهم، كما يقال: صلى للقبلة أي إليها. وقد أمرهم الله بالتوجه إلى آدم في سجودهم تكريماً له وتعظيماً لشأنه.

ويردّه: إنّه تأويل ينافيه ظاهر الآيات والروايات، بل ينافيه صريح الآية المباركة. فإن إبليس إنّما أوى السجود بادعاء أنه أشرف من آدم، فلو كان السجود لله، وكان آدم قبلة له لما كان لقوله:

¹ سورة البقرة الآية 30

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ مَا أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾¹ معنى

لجواز أن يكون الساجد أشرف مما يستقبله.

الرأي الثالث:

إن السجود لآدم حيث كان بأمر من الله تعالى فهو في الحقيقة خضوع لله وسجود له وبيان ذلك: إن السجود هو الغاية القصوى للتذلل والخضوع، ولذلك قد خصه الله بنفسه، ولم يرخص عباده أن يسجدوا لغيره، وإن لم يكن السجود بعنوان العبودية من الساجد، والربوبية للمسجود له، غير أن السجود لغير الله إذا كان بأمر من الله كان في الحقيقة عبادة له وتقربا إليه، لأنه امتثال لأمره، وانقياد لحكمه، وإن كان في الصورة تذللا للمخلوق. ومن أجل ذلك يصح عقاب المتمرّد عن هذا الأمر، ولا يسمع اعتذاره بأنه لا يتذلل للمخلوق، ولا يخضع لغير الأمر. وهذا هو الوجه الصحيح: فإن العبد يجب أن لا يرى لنفسه استقلالا في أموره، بل يطيع مولاه من حيث يهوى ويشتهي. فإذا أمره بالخضوع لأحد وجب عليه أن يمتثله، وكان خضوعه حينئذ خضوعا لمولاه

2

الذي أمره به».

ثم ختم القصة بقوله: « ونتيجة ما قدمناه: أنه لا بد في كل عمل يتقرب به العبد إلى ربه من أن يكون مأمورا به من قبله بدليل خاص أو عام. وإذا شك في أن ذلك العمل مأمور به كان التقرب به تشريعا محرما بالأدلة الأربعة. نعم إن زيارة القبور وتقبيلها وتعظيمها مما ثبت بالعمومات، وبالروايات الخاصة من طرق أهل البيت (عليهم السلام) الذين جعلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرناء للكتاب في قوله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي». وتؤكد جوازها أيضا سيرة المسلمين وجريهم عليها من السلف والخلف، وما قدمناه من الروايات عن طرق أهل السنة».

وفي نهاية عرضه للقصة نبّه إلى مسألة عقديّة كثيرة متعلّقة بالتبرّك بالصالحين وعدّها أنّها ليست من الشرك، وعليه طرح تساؤلا فقال: كيف يتحقّق الشرك بالله؟

تنبيه: إذا نهي عن خضوع خاص لغير الله كالسجود، أو عن عبادة خاصة كصوم العيدين، وصلاة الحائض، والحج في غير الأشهر الحرم كان الآتي به مرتكبا للحرام ومستحقا للعقاب، إلا أنه

¹ سورة الإسراء: الآية 61

² ينظر المرجع السابق: البيان في تفسير القرآن: عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ، ج 1، ص 473-474.

لا يكون بذلك الفعل مشركا ولا كافرا، فليس كل فعل محرم يقتضي شرك مرتكبه أو كفره. وقد عرفت أن الشرك إنما هو الخضوع لغير الله بما أن الخاضع عبد والمخضوع له رب، فمن تعمد السجود لغير الله بغير قصد العبودية لم يخرج بعمله هذا المحرم عن زمرة المسلمين، فإن الإسلام يدور مدار الإقرار بالشهادتين، وبذلك يحرم ماله ودمه.

والروايات الدالة على هذا متواترة من الطريقتين، ومع ذلك كيف يجوز الحكم بشرك من زار

1

قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه (عليهم السلام) متقربا إلى الله وهو يشهد الشهادتين:

2

﴿وَلَا نَقُولُ الْمَنَ الْفَقَىٰ إِلَيْكُمْ أَلَسَلَّم لَسْتُمْ مُؤْمِنًا﴾¹ ولسوف يحكم الله بين عباده بالحق وهو

3

أحكم الحاكمين.

المناقشة:

لقد أحسن الخوئي في بداية عرضه لقصة آدم عليه السلام استخدام الأسلوب العلمي الهادف وذلك من خلال اتباعه لأسلوب الحوار، وطرحه لأسئلة المعاندين، والإجابة عنها بروح علمية لا تقبل الشك، واستعراض الآيات الدالة على الإعجاز، وربما هذا ما جعل علماء السنة يصنفونه مع المعتدلين لبعده عن الغلو، إلا أنه رغم اعتداله النسبي فقد تأثر تأثرا بليغا بالإمامة خاصة في قصة سجود الملائكة لآدم عليه السلام حيث قال: "نعم إن زيارة القبور وتقبيلها وتعظيمها مما ثبت بالعمومات، وبالروايات الخاصة من طرق أهل البيت (عليهم السلام) الذين جعلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرناء للكتاب في قوله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي». فهو بهذا أقحم فيها قصة سجود الملائكة لآدم وربطها بوجوب طاعتهم والخضوع لهم والتوسل بهم، وفضل السجود على التربة الحسينية، وجواز تقبيل قبورهم وتعظيمها، وأن عبادتهم لله تعالى لا يرقى إليها إلا المعصوم، وهم المأذون لهم في الشفاعة فيشفعون للشيعة، فلا يردهم ربهم عز وجل.

وهذا ليس بالغريب على الإمامية فهي تعتمد اعتمادا كلياً على التأويل الباطني لنفث سمومها،

¹ المرجع السابق: البيان في تفسير القرآن: عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، ج1، ص475.

² سورة النساء: الآية 94

³ المرجع السابق: البيان في تفسير القرآن: عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، ج1، ص475.

فلا تترك شاردة ولا واردة في القصة إلا اغتمتها لنصرة مذهبها أو الترويج لمعتقدها ، كذلك من بين المأخذ المسجلة على منهجه في عقيدته جواز تعليق التمايم والتبرك بقبور الصالحين¹، مما أوقعه في تناقض كبير، خاصة عن طريق إثارة تساؤل : عن كيفية تحقق الشرك بالله؟، وإجابته أنه ليس كل فعل محرم يقتضي شرك، بل الأدهى والأمر من ذلك أنه أجاز التبرك قياسا على من زار قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه (عليهم السلام) على روايات مسندة متواترة من الطريقتين.

النموذج الثاني: قصة عيسى عليه السلام

هذا النموذج يناقش فيه الخوئي مسألة وردت في الإنجيل حول مقتل المسيح عيسى عليه السلام فقال: "وقد غفل أو تغافل عما في إنجيله من التناقض الصريح... فقد ذكر في الباب الثاني عشر من إنجيل متى: أخبار المسيح أنه يبقى مدفونا في بطن الأرض ثلاثة أيام أو ثلاث ليال، مع أن إنجيل متى بنفسه فالأنجيل الثلاثة الأخرى قد اتفقت على أن المسيح لم يبق في بطن الأرض إلا يسيرا من آخر يوم الجمعة، وليلة السبت ونهاره، وليلة الأحد إلى ما قبل الفجر، فانظر أخريات الأنجيل، ثم قل لكاتب إنجيل متى، ولكل من يعتقد أنه وحي إلهي: أين تكون ثلاثة أيام وثلاث ليال، ومن الغريب جدا أن يؤمن علماء الغرب ومفكروه بكتب العهدين وهي مليئة بالخرافات والمتناقضات، والآ يؤمنوا بالقرآن، وهو الكتاب المتكفل بهداية البشر، وبسوقهم إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة، ولكن التعصب داء عضال، وطلاب الحق قليلون كما أشرنا إليه فيما تقدم.

الثاني: إن القرآن قد يسند الفعل إلى العبد واختياره. فيقول: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ

¹ ومن غرائب الخوئي في جواز الاستعانة بغير الله من المخلوقات والشفاعة ما جاء في تفسيره البيان فقال: حصر الاستعانة بالله: مانع من استعانة الإنسان في مقاصده بغير الله من المخلوقات أو الأفعال قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ وإذن فليست الاستعانة بمطلقها تنحصر بالله سبحانه بل المراد منها استمداد القدرة على العبادة منه تعالى، والاستزادة من توفيقه لها حتى تتم وتخلص والغرض من ذلك إثبات أن العبد في أفعاله الاختيارية وسط بين الخير والتفويض فان الفعل يصدر عن العبد باختياره، ولذلك أسند الفعل إليه في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إلا أن هذا الفعل الاختياري من العبد إنما يكون بعون الله له وبإمداده إياه بالقدرة آنا فأنا: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾ بحيث لو انقطع المدد عنه في آن لم يستطع إتمام الفعل، ولم تصدر منه عبادة ولا حسنة. أما ما يخص الشفاعة فقال: وما ذا يصنع محتاج بمحتاج مثله؟ وما ذا ينتفع العاصي بشفاعة من لا ولاية له ولا سلطان؟ بل هذا كله إذا لم تكن الشفاعة بإذن من الله سبحانه، وأما إذا أذن الله بالشفاعة لأحد فإن الاستشفاع به يكون نحو من الخضوع لله والتعبد له، ويستفاد من القرآن الكريم أن الله تعالى قد أذن لبعض عباده بالشفاعة، إلا أنه لم ينوّه بذكرهم عدا الرسول الأكرم ﷺ، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ والروايات الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعن أوصيائه الكرام (عليهم السلام) في هذا الموضوع متواترة. (ينظر البيان في تفسير القرآن: الخوئي، ج 1 ص 485)

¹ **فَالْيُؤْمِنُ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ** والآيات بهذا المعنى كثيرة، فيدلّ على أن العبد مختار في عمله، وقد يسند

² الاختيار في الأفعال إلى الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فقال في معنى الآية: "فزعموا أنه يدل على أن العبد مجبور في فعله، وقالوا: هذا تناقض واضح، والتأويل في

³ الآيات خلاف الظاهر، وقول بغير دليل".

مناقشة:

لقد أحسن الخوئي وأفاد من خلاله عرضه للتأويلات الواردة في الأناجيل ورد عليها بكل جرأة وبروح علمية كبيرة، لما رآه من تناقض واختلاف كبيرين، كما وجه لهم نقدا لاذعاً وبناءً عن كيفية إيمانهم بالخرافات والمتناقضات، فدعاهم إلى الإيمان بالقرآن وترك التعصب ولكنه في الشطر الثاني غلبت على تفسيره الصبغة الفلسفية، وبدا جلياً تأثره بالمعتزلة من خلال مسألة الجبر والاختيار، وهل الإنسان حر مطلقاً وذلك بقوله: "والآيات بهذا المعنى كثيرة، فيدلّ على أن العبد مختار في عمله، وقد يسند الاختيار في الأفعال إلى الله تعالى.

¹ سورة الكهف: الآية 29

² سورة الإنسان: الآية 30

³ المرجع السابق: البيان في تفسير القرآن: عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ.

، ج 1، ص 88

المبحث الرابع: موارد الخوئي في تفسيره للقصص القرآني

المطلب الأول: موقف الخوئي من مرويات الشيعة

يرى الخوئي أن لمرويات الأئمة دوراً مهماً في فهم القرآن، باعتبارهم ترجمان لكلام الله، وصرح بذلك بقوله: «أو يتبع ما ثبت عن المعصومين (عليهم السلام) فإنهم المراجع في الدين، والذين أوصى النبي (صلى الله عليه وآله) بوجوب التمسك بهم فقال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً»¹

واشترط عند بحثه لشروط المفسر ضرورة: أن «يتبع ما ثبت عن المعصومين (عليهم السلام) فإنهم المراجع في الدين..»² فهو يرى أن نصوصهم (عليهم السلام) مفسرة للآيات الشريفة وقد عمل هو بنفسه بهذا الأمر في تفسيره لذا يقول: «وسيجد القارئ أنني لا أحميد في تفسيري هذا عن... ما ثبت بالتواتر أو بالطرق الصحيحة من الآثار الواردة عن أهل بيت العصمة من ذرية الرسول (صلى الله عليه وآله) وما استقل به العقل الفطري الصحيح الذي جعله الله حجة باطنة كما جعل نبيه (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) حجة ظاهرة»

بل جعل الرواية في أسلوب تفسيره مرشدة لفهم القرآن بالقرآن حين يقول: «وسيجد القارئ أيضاً أنني كثيراً ما أستعين بالآية على فهم أختها، واسترشد القرآن إلى إدراك معاني القرآن، ثم أجعل الأثر المروي مرشداً إلى هذه الاستفادة»³.

كل ذلك يرجع إلى حقيقة مهمة في عقيدة الخوئي ألا وهي اختصاص فهم واقع القرآن عليهم يقول: «فهمُ المخصوصون بعلم القرآن على واقعه وحقيقته، وليس لغيرهم في ذلك نصيب»⁴

كما ذكر أنهم (عليهم السلام) الشركاء والقرناء والأدلاء عليه؛ ولهذا يقول في بحث فضل القرآن: «من الخير أن يقف الإنسان دون ولوج هذا الباب، وأن يكل بيان فضل القرآن إلى نظراء القرآن، فإنهم أعرف الناس بمثلته، وأدلم على سمو قدره، وهم قرناؤه في الفضل، وشركاؤه في الهداية، أما جدهم الأعظم فهو الصادق بالقرآن، والهادي إلى أحكامه، والناشر لتعاليمه، وقد قال (صلى الله عليه وآله): «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»¹، فالعتره هم

¹ ينظر المرجع السابق: البيان في تفسير القرآن: عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ، ج1، ص397.

² ينظر المرجع نفسه البيان في تفسير القرآن: عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ، ج1، ص398.

³ ينظر المرجع نفسه البيان في تفسير القرآن: عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ، ج1، ص13.

⁴ ينظر المرجع نفسه: البيان في تفسير القرآن: عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ، ص397.

¹ أخرجه الترمذي: كتاب المناقب رقم: 3794، ج5، ص663، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده - فضائل الصحابة، رقم: 11348، ج4، ص371، وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير"، ج5، ص169، والحاكم في "المستدرک" رقم: 4711

الأدلاء على القرآن، والعالمون بفضلهم. فمن الواجب أن تقتصر على أقوالهم، ونستضيء بإرشادهم¹ ولذا يُحتمُّ اللجوء والرجوع إليهم حين يعجز الإنسان وتقتصر إمكاناته عن بلوغ وإدراك مرامي الباري سبحانه في كتابه. ولكن هذا لا يعني الأخذ بها بالكلية بل يغربل ويدقق في المعلومات ويتأكد من صحتها².

¹ المرجع السابق: البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ص 18
² نقده لرويات من أهل البيت مفاد هذه الروايات: هي الروايات التي دلت على أن بعض الآيات المتزلة من القرآن قد ذكرت فيها أسماء الأئمة - عليهم السلام - وهي كثيرة: منها: ما ورد من ذكر أسماء الأئمة - عليهم السلام - في القرآن، كرواية الكافي بإسناده عن محمد بن الفضيل بن أبي الحسن عليه السلام قال: ولاية علي بن أبي طالب مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يعث الله رسولا إلا بنبوته محمد و" ولاية " وصيه، صلى الله عليهما وأههما. " ومنها: رواية العياشي بإسناده عن الصادق عليه السلام:
 " لو قرئ القرآن - كما أنزل - لألفينا مسمين. " ومنها: رواية الكافي، وتفسير العياشي عن أبي جعفر عليه السلام وكتر الفوائد بأسانيد عديدة عن ابن عباس، وتفسير فرات بن إبراهيم الكوفي بأسانيد متعددة أيضا، عن الأصبغ بن نباتة. قالوا: قال أمير المؤمنين - عليه السلام: القرآن نزل على أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام، ولنا كرائم القرآن. " ومنها: رواية الكافي أيضا بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل بهذه الآية على محمد عليه السلام هكذا: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا - في علي - فأتوا بسورة من مثله " والجواب عن الاستدلال بهذه الطائفة:

أنا قد أوضحنا فيما تقدم أن بعض التزئيل كان من قبيل التفسير للقرآن وليس من القرآن نفسه، فلا بد من حمل هذه الروايات على أن ذكر أسماء الأئمة - عليهم السلام - في التزئيل من هذا القبيل، وإذا لم يتم هذا الحمل فلا بد من طرح هذه الروايات لمخالفتها للكتاب، والسنة، والأدلة المتقدمة على نفي التحريف. وقد دلت الأخبار المتواترة على وجوب عرض الروايات على الكتاب والسنة وأن ما خالف الكتاب منها يجب طرحه، وضربه على الجدار.

ومما يدل على أن اسم أمير المؤمنين عليه السلام لم يذكر صريحا في القرآن حديث الغدير، فإنه صريح في أن النبي عليه السلام إنما نصب عليا بأمر الله، وبعد أن ورد عليه التأكيد في ذلك، وبعد أن وعده الله بالعصمة من الناس، ولو كان اسم " علي " مذكورا في القرآن لم يحتج إلى ذلك النصب، ولا إلى تهيئة ذلك الاجتماع الحافل بالمسلمين، ولما خشى رسول الله عليه السلام من إظهار ذلك، ليحتاج إلى التأكيد في أمر التبليغ. وعلى الجملة: فضحة حديث الغدير توجب الحكم بكذب هذه الروايات التي تقول: إن أسماء الأئمة مذكورة في القرآن ولا سيما أن حديث الغدير كان في حجة الوداع التي وقعت في أواخر حياة النبي عليه السلام - ونزول عامة القرآن، وشيوعه بين المسلمين، على أن الرواية الأخيرة المروية في الكافي مما لا يحتتم صدقه في نفسه، فإن ذكر اسم علي عليه السلام في مقام إثبات النبوة والتحدي على الاتيان بمثل القرآن لا يناسب مقتضى الحال. ويعارض جميع هذه الروايات صحيحة أبي بصير المروية في الكافي. قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: " وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم " . قال: فقال نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين - ع - فقلت له: إن الناس يقولون فما له لم يسم عليا وأهل بيته في كتاب الله. قال عليه السلام فقولوا لهم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزلت عليه الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثا، ولا أربعا، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي فسر لهم ذلك... " فتكون هذه الصحيحة حاكمة على جميع تلك الروايات، وموضحة للمراد منها(ينظر: المرجع السابق، تفسير البيان للخوئي، ج 1، ص 230-231)

ومما أفاد الخوئي من مرويات الأئمة في القصص القرآني عرضه كما رأينا سابقا قصة آدم لكن يجتمها بالتوجيه الصحيح والنقد البناء فجاءت طريقته في عرض القصص القرآني طريقة تربوية توجيهية حققت من خلالها القصة القرآنية المقصد العام الذي سيقت من أجله، وتحقت من خلالها مقاصد القرآن وتوجيهاته الهادفة

المطلب الثاني: موقفه من تفاسير الشيعة

لقد اعتمد الخوئي في تفسيره على عدة مصادر ومراجع شيعية قديمة وحديثة، وكان مسلكه في قبول الروايات التفسيرية هو النقد والغلبة فإذا وافقت العقل أخذها وإلا ردها، وتبقى أكثر التفاسير بروزا في تفسيره تفسير العياشي، تفسير فرات الكوفي، تفسير الطوسي والطبرسي... ولكن المعروف على منهجه هو رد التفاسير التي لا يقبلها عقل ونقل.

أما عن مسلكه في قبول الروايات التفسيرية فقد حسم ذلك بقوله: "ولا شبهة في ثبوت قولهم (عليهم السلام) إذا دل عليه طريق قطعي لا شك فيه - إذ لا وجود للتحريف أو الكذب أو الدس فيها - كما أنه لا شبهة في عدم ثبوته إذا دل عليه خبر ضعيف غير جامع لشرائط الحجية، وهل يثبت بطريق ظني دل على اعتباره دليل قطعي؟ فيه كلام بين الأعلام"¹، فهو يرى بوضوح قبول الروايات الصحيحة المفسرة للقرآن الكريم.

المطلب الثالث: موقفه من خبر الآحاد في قبول المرويات

يقف الخوئي موقفا مخالفا لرأي طائفته بخصوص تخصيص خبر الواحد "والسبب في ذلك قوله: " هو أننا إذا أثبتنا حجية خبر الواحد شرعاً بدليل قطعي، فبطبيعة الحال لا يكون رفع اليد عن عموم الكتاب أو إطلاقه به إلا رفع اليد عنه بالقطع، لفرض أننا نقطع بحجيته"².

وفي قبول الروايات التفسيرية من السنة الشريفة، قال بوجود التحقق من خبر الواحد مطلقاً، وقال: "الظاهر أنه لا خلاف بين الطائفة الإمامية في جواز تخصيص عموم الكتاب بخبر الواحد فيما نعلم، والمخالف في المسألة إنما هو العامة"¹.

¹ المرجع السابق البيان في تفسير القرآن عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ، ج1، ص398

² ينظر المرجع نفسه البيان في تفسير القرآن عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ، ج4، ص470

¹ ينظر محاضرات في أصول الفقه - تقرير لأبحاث السيد أبو القاسم الخوئي : محمد إسحاق الفياض ، الطبعة الأولى 1419هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ج4، ص469

المطلب الرابع: موقفه من مرويات السنة

أما أكثر التفاسير السننية بروزا في تفسير البيان للخوئي "تفسير" ابن جرير الطبري، وتفسير القرطبي الدر المنثور للسيوطي، ولعل السبب في هذا أن هذه الكتب تحوي بين دفتيها عدداً هائلاً من الأحاديث، والروايات، والأخبار الواردة؛ وهذا بلائم منهج الخوئي في تفسيره لذا صُنف بالمعتدل نسبياً.

وهناك من المصادر التفسيرية ما لم يذكره إلا مرة أو مرتين، كـ"تفسير" الرازي، صاحب "مفاتيح الغيب"، وتعرض له خاصة في مناقشة المسائل العقلية والكلامية، وتفسير روح المعاني للألوسي، وتفسير فتح القدير للشوكانبي.

أما التفاسير الحديثة فقد اعتمد على تفسير مدرسة المنار، وتفسير إعجاز القرآن للرافعي، وتفسير شلتوت.

المطلب الخامس: موقف الخوئي من الإسرائيليات

صرح الخوئي في مقدمة كتابه ودافع في تفسيره على قصص القرآن الواقعية، لذلك لم يورد الإسرائيليات لأنها تتخللها الكثير من الخرافات والأباطيل... ولكن رجع في تفسيره لبعض القصص القرآني إلى التوراة والإنجيل وعرض الكثير من قصص الأنبياء منهما، حيث يعرض القصة ثم يبين بطلانها وفسادها ومثال ذلك قوله: "جاء في الإصحاح السابع والعشرين من سفر التكوين أن إسحاق أراد أن يعطي ابنه " عيسوا" بركة النبوة فخادعه " يعقوب" وأوهمه أنه عيسو، وقدم له طعاماً وخمراً فشرب وبهذه الحيلة والكذب المتكرر توسل إلى أن باركه الله وقال له اسحاق " كن سيداً لإخوتك، يسجد لك بنو أمك ليكن لا عنوك ملعونين ومباركوك مباركين " ولما جاء عيسو علم أن أخاه يعقوب قد انتهب بركة النبوة فقال لأبيه: " باركني أنا أيضاً يا أبي. فقال: جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك " ثم قال عيسو: " أما أبقيت لي بركة؟" قال إسحاق: " إني قد جعلته سيداً لك، ودفعت له جميع إخوته عبداً وعضدته بجنطة وخمر فماذا أصنع إليك يا بني؟ ورفع عيسو صوته وبكى¹

ثم علق الخوئي بعد عرضه للقصة من التوراة بقوله: أ فهل يعقل انتهاب النبوة؟

¹ ينظر المرجع السابق: البيان في تفسير القرآن عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ

وهل يعطي الله نبوته لمخادع كاذب، ويحرم منها أهلها؟ هل أن يعقوب بعمله هذا خادع الله أيضا كما خادع إسحاق لم يقدر الله بعد ذلك على إرجاعها إلى أهلها؟! !! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ولعل سكرة الخمر دعت إلى وضع هذه السخافة، وإلى نسبة شرب الخمر إلى إسحاق¹

وفي الإصحاحين الحادي والثاني عشر من صموئيل الثاني: أن داود زنا بامرأة "أوريا" المجاهد المؤمن وحملت من ذلك الزنى، فخشى داود الفضيحة، وأراد تمويه الأمر على أوريا، فطلبه وأمره أن يدخل بيته فأبى "أوريا" وقال سيدي يوأب، وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا أتى إلى بيتي لأكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي، وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر فلما يئس داود من التمويه أقامه عنده اليوم، ودعاه فأكل عنده وشرب وأسكره وفي الصباح كتب داود إلى يوأب: "اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت، وقد فعل يوأب ذلك فقتل أوريا وأرسل إلى داود يخبره بذلك، فضم داود امرأة أوريا إلى بيته وصارت إمرأته بعد مناحتها على زوجها. وفي الإصحاح الأول من إنجيل متى: أن سليمان بن داود ولد من تلك المرأة²

ثم علق الخوئي على هذه القصة بقوله: "تأمل كيف تجرأ هذا الوضاع على الله؟ وكيف تصح، نسبة هذا الفعل إلى من له أدنى غيرة وحمية فضلا عن نبي من أنبياء الله؟ ك كيف يجتمع هذا مع إنجيل لوقا³ وفي خاتمة هذا الباب وبعد هذا العرض المفصل لتفاسير الإمامية في النصف الأول من القرن العشرين. ندرك أن مؤلفيهم سلكوا مسلكا مخالفا لمن سبقوهم، مما جعل لتفاسيرهم لونا مخالفا للكتب السابقة، حيث أدخلوا عليها طابع التجديد والتجرد نوعا ما من النقول، مع إعطاء مساحة واسعة للعقل، مما أدى إلى التلاعب بألفاظ القرآن الكريم، وإخراجه عن محتواه ومقصده الأسمى وهو الدعوة إلى توحيد الله تعالى، بل إنا نجد الكتب المؤلفة أغلبها تعترتها التزعة الصوفية والتزعة الفلسفية الكلامية، مما أفرغ القصة من محتواها.

وبعد هذا العرض الشامل والمفصل لتفاسير الإمامية في النصف الأول من القرن العشرين، يأتي الباب الثاني وسنواصل من خلاله البحث في أبرز تفاسير الشيعة في النصف الثاني من القرن العشرين، بغية الوقوف على مسلكهم في معالجة القصة القرآنية.

¹ ينظر المرجع السابق: البيان في تفسير القرآن عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ، ج1، ص54.

² ينظر المرجع نفسه: البيان في تفسير القرآن عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ، ج1، ص222.

³ ينظر المرجع نفسه: البيان في تفسير القرآن عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقلين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ، ج1، ص222.

الباب الثالث:

القصص القرآني من خلال تفاسير الإمامية في النصف
الثاني من القرن العشرين.

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: تفسير الكاشفة جواد مغنية

الفصل الثاني: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر
مكارم الشيرازي

الفصل الثالث: من وحي القرآن محمد حسين فضل الله

الفصل الرابع: هدى القرآن لـ: تقي الدين المدرسي

الفصل الخامس: تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجواد
الأملي

تمهيد:

في النصف الثاني من القرن العشرين شهدت الإمامية لونا جديدا من ألوان التفسير يخاطب جيل الشباب، وظهر هذا النوع من التفسير مع تزامن حركة الإصلاح الديني في العالم الإسلامي، أو ما يصطلح عليه بمرحلة التجديد، حيث يرى مفسرو وعلماء الإمامية ، أن الجهد التفسيري الإسلامي منذ الطبري والطوسي يشهد حالة من الفتور وعدم التقدم، وإن أي مفسر عندهم لا يأتي بجديد لم يسبق إليه، ولو بفكرة واحدة في التفسير كله يعتبرونه مفسرا لا يملك عقلا واعيا، وإنما يملك عقلا قارئا، يرتسم فيه ما يقرؤه لغيره، أي أنهم يدعون إلى التجديد وإعمال العقل ويفندون دعاة النصف الأول من القرن العشرين دعاة التقليد الذين يعتمدون اعتمادا كليا على مفسري القرون الست الأولى.

وسأتناول في هذا الباب أشهر مفسري الإمامية ، الذين يعدون من دعاة التجديد والإصلاح كجواد مغنية، من خلال تفسيره الكاشف، والمفسر ناصر مكارم الشيرازي من خلال تفسيره الأمثل يليه، مخاطب الشباب والزعيم الروحي لحزب الله محمد حسين فضل الله، وكتابه من وحي القرآن، ثم تقي الدين المدرسي الذي جسّد فكرة الإصلاح والتغيير في تفسيره الأمثل، وأخيرا عبد الله الجواد الأملي من خلال تفسيره تسنيم.

الفصل الأول:

تفسير الكاشف ل: جواد مغنية.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

المبحث الثاني: التعريف بتفسير الكاشف

المبحث الثالث: مسلك جواد مغنية في تناول القصص
القرآني

المبحث الرابع: موارد جواد مغنية في تفسيره للقصص
القرآني

الفصل الأول: تفسير الكاشف جواد مغنية (ت 1400 هـ - 1979 م)

تفسير الكاشف هو تفسير معاصر للقرآن الكريم لمحمد جواد مغنية، حظي بالدراسة والاهتمام، من طرف الباحثين من عدة زوايا، وقد عمد صاحبه إلى تبسيط المفاهيم القرآنية ومخاطبة لجيل الشاب، بربط النصوص القرآنية بالواقع المعاش، لذا ارتأيت في هذا الفصل دراسة هذا التفسير مع بيان منهج صاحبه في التفسير بصفة عامة والقصاص القرآني بصفة خاصة، بغية الوقوف على مسلك المؤلف في معالجة القصة القرآنية وبيان موارده التفسيرية في ذلك.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

هو محمد جواد بن محمود بن محمد بن مهدي بن محمد بن علي بن حسن بن حسين بن محمود بن محمد بن علي آل مُعَنِّيَّة العاملي، من أبرز علماء الشيعة بلبنان ولد سنة 1322 هـ الموافق ل: 1904م، في قرية طيردبا من جبل عامل درس في طيردبا على الشيخ حسين مغنية، ثم سافر إلى النجف، وأنهى هناك دراسته. ثم عاد إلى جبل عامل وسكن معركة حيث عينته جمعية العلماء العالمية إماماً للبلدة خلفاً لأخيه الأكبر العلامة الشيخ عبد الكريم مغنية، ثم عين قاضياً شرعياً في بيروت ثم مستشاراً للمحكمة الشرعية العليا فرئيساً لها بالوكالة، إلى أن أحيل للتقاعد. والشيخ من الذين أبدعوا في شتى الميادين الإسلامية والاجتماعية والوطنية، توجه بإنتاجه وأفكاره بصورة خاصة إلى جيل الشباب في المدارس والجامعات والحياة العامة، فكان يعالج في كتبه المشاكل والمسائل التي تفرقهم وتثير قلقهم كمسائل العلم والإيمان، ومسائل الحضارة والدين، ومشاكل الحياة المادية والعصرية، وكان يقضي في مكتبته من 14 إلى 18 ساعة من اليوم والليل، وله أيضاً الكثير من المقالات والنشرات، وكان كثير الذب عن التشيع بلسانه وقلمه ضد التجني والافتراءات،¹ كما كان يسعى بقلمه وقوله للتقريب بين المسلمين فألف الكتب ونشر المقالات، توفي ليلة السبت في التاسع عشر من محرم الحرام سنة 1400 هـ، الموافق 1979 م ونقل جثمانه إلى النجف ودفن بها، من أبرز مؤلفاته: الأحكام الشرعية للمحاكم الجعفرية، مع الشيعة الإمامية، لاثنا عشرية وأهل البيت، لله والعقل، شبهات الملحدين، المهدي والمنتظر والعقل، إمامة علي والعقل. الزواج والطلاق على المذاهب الخمسة. الوصايا والموارث على المذاهب الخمسة، الإسلام بنظرة عصرية، هذه الوهابية.²

¹ ينظر معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر: عادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة

والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م، ج 2، ص 510

² ينظر أعيان الشيعة: محسن الأمين، ت: حسن الأمين، ط 1986، ج 10، ص 110.

ويعتبر جواد مغنية، من كبار علماء لبنان المتخرجين من حوزة النجف تقلد عدة مناصب، وعرضت عليه الرئاسة، لكنه رفض وانعزل، وانصرف إلى التأليف فأخرج العديد من المؤلفات ذات الاعتبار، منها: فقه الإمام الصادق، ثلاث مجلدات، وفي ظلال نهج البلاغة، أربعة مجلدات، أصول الإثبات في الفقه الجعفري، وتفسير الصحيفة السجادية مع علماء النجف، وهذه هي الوهابية¹ وأخيراً تفسير الكشاف الذي هو محور دراستي.

المبحث الثاني: التعريف بتفسير جواد مغنية

المطلب الأول: الوصف العام لكتابه

أخرج جواد مغنية تفسير الكاشف في سبع مجلدات، وطبع عدة طبعات الطبعة الأولى عام 1968م، ثم صدرت الطبعة الثانية عام 1978م، من نشر دار العلم للملايين في بيروت.

شرع جواد في تأليفه بعد انتهائه من موسوعيته فقه الإمام الصادق وهذا ما بينه في مقدمة كتابه بقوله: انتهيت من الموسوعة الفقهية بأجزائها الستة وباشرت بالتفسير الكشاف وقلت: انطلق العصفور من القفص إلى الغابة يبسط جناحيه أنى شاء، وينشد القصائد كما يريد وقبل التشيد ابتدأت بيسم الله الرحمان الرحيم، بعدما تعوذت من الشيطان الرجيم،² وإذا بالمفاجأة الكبرى فقد تحول ذو الجناحين إلى إنسان يسبح في بحر لا قعر له لعمقه وما الفقه إلا نقطة في بحره، وأعجب ما في هذا العظيم المعجز أن ما من آية إلا ويستطيع الملهم أن يوصل بها معنى من معاني الخير والفضيلة" وقال بعدها بقوله: التفسير الكاشف قد ملأ وقتي وعقلي وقلبي ولم يترك فراغاً إلا ساعة من نهار.³

و كان الهدف من تأليفه للكاشف، مخاطبة الجيل الصاعد من شباب المسلمين، خاصة عندما لاحظ عزوف وانصراف أجيال المسلمين الحاضرة عن دينهم، وعن مثلهم العليا، نظراً لما نشؤوا عليه من تعليم عصري علماني، فأدرك أن العلاج لذلك لا يكون إلا بنشر الثقافة الإسلامية.. كما أن أهم ما يجب أن يتوافر في تفسير القرآن هو توضيح أسرارها، التي لا توصل إليها معرفة فقهية أو كلامية أو لغوية، وإنما توقفنا عليها ألبابنا ومداركنا، في حالة التفتح الوجداني على كلام الله، وهذا

¹ ينظر أعيان الشيعة: محسن الأمين، ت: حسن الأمين، ط 1986، ج 10، ص 110.

² المرجع السابق: الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط 2007م، ج 1، ص 146-165.

³ المرجع نفسه: الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط 2007م، ج 1، ص 146-165.

سر ما يوجد في كثير من التفاسير من التكرار، لأن معظم الذين فسروا القرآن نظروا فيه بعقولهم القارئة، وأخضعوا تفسيرهم لعمل الذاكرة والنقل.

و يعد تفسيره هذا من النمط الجديد، الذي يتلاءم وحاجة المسلمين في هذا العصر ولقد أجاد في هذا المضمار، وأوجز الكلام حول مفاهيم القرآن الكريم المتوافقة مع متطلبات الزمن، في عبارات شيقة رصينة، ودلائل متينة معقولة، من غير أن يتغافل عما حققه المفسرون السلف وزاد عليه الخلف فكان تفسيراً جامعاً وشاملاً ومجيباً على أسئلة الجيل الحديث.

و هناك تفسير آخر بنفس الاسم ((كاشف)) تفسير فارسي، تعاون على تأليفه، كل من الأستاذ محمد باقر حجتي، وعبدالكريم الشيرازي، من أساتذة جامعة طهران يقع في 12 مجلداً، وطبع منذ عام (1404 هـ) عدة طبعات.¹

المطلب الثاني: منهج محمد جواد مغنية في تفسيره الكاشف

لتوضيح مسلك جواد مغنية في تفسيره، نقف على ما وضعه في مقدمة الكتاب حيث أورد تعليقا صريحا بين فيه منهجه، فقال: " المراد بالمنهج هنا إطار من الضوابط العامة يسير المؤلف في ضوئها ولا ينحرف عنها، وأي عمل لا يقف وراءه منهج فهو عمل عشوائي يسوده الارتجال والتناقضات، وينتقل بعد ذلك لبيان القواعد التي التزم بها والتي تشكل منهجه التفسيري، فعرض لبعضها في نقاط متسلسلة، فيما تحدث عن بعضها الآخر في فقرات المقدمة وعليه حدد عدة ضوابط وأسس تشكل مجتمعة صورة واضحة عن منهجه وهذه الأسس تتمثل فيما يلي.

أولاً: نظرتة إلى القرآن الكريم

ينظر جواد مغنية إلى كتاب الله على أنه كتاب هداية يحمل بين دفتيه أساساً للتشريع فقال: "نظرت إلى القرآن على أنه في حقيقته وطبيعته كتاب دين وهداية، وإصلاح وتشريع يهدف قبل كل شيء إلى أن يحيي الناس جميعاً حياة تقوم على أسس سليمة، يسودها الأمن والعدل".²

ثم يعود بعد ذلك لتوضيح هذه النظرة في ثنايا تفسيره، ففي تفسيره لقوله تعالى ﴿هدى للمتقين﴾ فيه دلالة واضحة على أن القرآن لا يلتمس فيه علم التاريخ ولا الفلسفة، ولا العلوم الطبيعية، وما إليها، وإنما يلتمس فيه هداية الإنسان وإرشاده إلى صلاحه وسعادته في الدارين وبكلمة:

¹ ينظر المرجع السابق محمد جواد مغنية، حياته ومنهجه في التفسير: جواد علي كسار، دت، دط، ص75

² ينظر المرجع نفسه الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1، ص13-14.

إن القرآن كتاب دين وأخلاق وعقيدة وشريعة.¹

و لكن قد يعترض على هذا الفهم، بأن في القرآن آيات كونية تشير إلى ظواهر علمية، وقد عبر على مفهومه هذا بقوله: " لم يكن الغرض من هذه الآيات أن يبين الله لنا ما في الطبيعة من حقائق علمية، كلاً، فإن ذلك موكول إلى عقل الإنسان وتجاربه، وإنما الهدف الأول من ذكرها أن نسترشد بالكون ونظامه إلى وجود الله سبحانه"².

ثم يضيف مميّزا بين منطلقين في موقف القرآن من العلوم الطبيعية قائلاً: "أجل إن القرآن حث على دراسة العلوم الطبيعية، وكل علم يعود على الإنسانية بالخير والهناء، ولكن حثه على العلم شيء وكونه كتاباً في العلوم شيء آخر.

ومغنية هنا يريد على الاتجاه الذي نشط في مصر أو ما يعرف بالصحوّة الإسلامية متمثلاً في مدرسة الإخوان المسلمين كمحمد عبده والأفغاني ومصطفى محمود وغيره، والرد على كتاباتهم مثل: القرآن والعلم الحديث القرآن والطب الحديث، ولقد استدل على ذلك من خلال تفاسيرهم مثاله: تفسيرهم لقوله تعالى: " ويخلق ما لا تعلمون" بالطيارة والسيارة، وفسر "يوم تأتي السماء بدخان مبين" بالغازات السامة وفسر قوله تعالى: " الكتاب المبين" بالتسجيل الهوائي للأصوات، فمغنية حارب أصحاب هذا الاتجاه لأنه يخرج بالدين عن واقعه وحقيقته كونه كتاب هداية.

ثانياً: موقفه من المفسرين القدامى

بما أن القرآن الكريم كتاب هداية استوجب في نظر جواد مغنية عدم الإطناب والإطالة في جوانب اللغة والإعجاز والبلاغة وفي ذلك يكتب: " اهتم جماعة من المفسرين القدامى أشد الاهتمام باللغة وأطالوا في بيان سر إعجاز الكلمة والأسلوب، وافترضوا أسئلة: مثل لماذا ذكر الواو دون الفاء؟...ولماذا قال: يفسقون ولم يقل يظلمون؟ وأجابوا عنها مما لا يجدي شيئاً ولا يدخل تحت ضابط...ولذا لم أتعرض لشيء من هذا النوع..واللون الذي يغلب على تفسيري هذا هو عنصر الإقناع بهذا الدين...بأسلوب سهل واضح وبسيط." ثم يذكر أن العصر هو الذي يفرض اللغة، بخلاف المفسرين القدامى اهتموا³ بالتراكيب الفصيحة، والمعاني البليغة أكثر من اهتمامهم بإقناع القارئ بالقيم الدينية لأن

¹ ينظر المرجع السابق، الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1، ص38

² ينظر المرجع نفسه الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1، ص13-15.

³ ينظر المرجع نفسه الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1، ص38

العصر لم يكن عصر التهاون والاستخفاف، كما هو الشأن في هذا العصر.¹

ثالثاً: موقفه إزاء أسباب النزول

يتجلى موقف جواد مغنية إزاء أسباب النزول من خلال تصريحه في مقدمة تفسيره: " تجاهلت ما جاء من الروايات في أسباب التنزيل إلا قليلاً منها، لأن العلماء لم يحصوا أسانيدها ويميزوا بين صحيحها وضعيفها كما فعلوا بآيات الأحكام"²

كما صرح أيضاً بقوله « لم أشغل نفسي والقارئ بذكر العلاقة والمناسبة بين الآيات واتصال بعضها ببعض... » وحسب رأيه «رُتب القرآن كما هو بين أيدينا سورا منذ أيام النبي ﷺ وقدمت في المصحف طوال السور على أوساطها وأوساطها على قصارها، ولم يراع في هذا الترتيب نزول السور والآيات في مكة أو المدينة.»³

وقد تبني معظم علماء الإمامية هذا الموقف ووصفوه بالجرىء والمحكم وذلك حسب زعمهم أن روايات أسباب النزول هشة لذا وجب التأكد منها وفق منهج علمي حديث ومدروس، أما مجرد أن العلماء تساهلوا في دراسة روايات أسباب النزول فلا يعدّ مبرراً لاستبعاد هذه القائمة الطويلة من الروايات الواردة عن الصحابة وأهل البيت، بقدر ما يكون باعثاً وضرورة جادة لإعادة دراسة هذه الروايات بمحملها ونقدها وتحقيقها من نواحي الصدور والدلالة والدور والمكانة.

ومن هنا يلاحظ مدى الضعف العام علمياً إزاء هذا التراث القرآني، رغم أن روايات أسباب النزول، إذا ما ثبتت بدرجة الوثوق تساهم إسهاماً بالغاً في تحديد مدلول الآيات، وتساعد على تحديد مناخات الكثير منها واكتشاف دائرتها الزمانية والمكانية، الأمر الذي تبدو أهميته واضحة⁴.

فجواد مغنية يرى أن الاهتمام بمثل هذه المباحث من شأنه أن يعرقل حركة التفسير لذا وجب التقليل في كل ما من شأنه أن يتصل برسالة القرآن في الهداية، وإعادة غربلتها ودراسة الأسانيد لعدم ووثاقها.

¹ ينظر المرجع السابق الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1، ص38

² ينظر المرجع نفسه: الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1، ص14.

³ ينظر المرجع نفسه: الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1، ص14.

⁴ ينظر: معالم المنهج التفسيري عند الشيخ محمد جواد مغنية: حيدر حب الله، تاريخ النشر 2014/05/12م

رابعاً: موقفه من اللغة والإعراب

لم تحظ المباحث اللغوية في النحو والصرف وأمثالهما بإقحام متميز في التفسير، رغم أن جواد مغنية عقد قسماً خصّصه للغة والإعراب ففي كل الكاشف مقطع تفسيري للآيات، اعتمد من خلاله جواد مغنية لدى تفسيره للآيات على استحضار مجموعة آيات على طريقة تفسير الميزان الطباطبائي وفي ظلال القرآن لسيد قطب، ومن ثم كان يعقد عادةً ثلاثة فصول هي: اللغة، الإعراب، المعنى، وكان يسجل عناوين فرعية أحياناً كثيرة يستقل فيها بمعالجة موضوع معين فكري أو ثقافي أو اجتماعي أو سياسي أو.. شبه البحوث المستقلة التي كان يعقدها صاحب الميزان.

وإذا لاحظنا مقطعي اللغة والإعراب، وجدناهما مجرد استعراض سريع منقول عن الكتب التفسيرية، وقلماً حصل بحث فيهما أو تحقيق، ويرى العلماء أن هذه الظاهرة تقلص البحوث اللغوية في التفاسير التي غطت مجمل النتاجات التفسيرية في القرن العشرين، لكن مغنية يمتاز رغم ذلك بمنهج عربي ممتاز، إذ يحاول الانسجام في تفسيره مع الفهم العربي وكذلك في منهجه الفقهي¹

خامساً: خلو تفسيره من المباحث الكلامية والفلسفية

لم يُغرق مغنية تفسيره بالبحوث الكلامية أو الفلسفية أو المنطقية، مقتصرًا منها على ما كان محل الحاجة وعلى تماس مع هموم الثقافة عند عنصر الشباب، فقد أتى على أبرز الموضوعات المذهبية كالعصمة والإمامة والمهدية والعدل، بيد أنه أتى عليها بخطاب غير تجريدي، منتقياً الجوانب المفيدة عموماً منها.²

ومن هنا لا نجد في الكاشف بحثاً فلسفياً أو منطقياً أو أصولياً أو كلامياً أو حديثياً أو فقهية أو رجالية بالمعنى الواسع للكلمة، وإنما نجد استخدامات وتوظيف لأفكار تنتمي إلى هذه العلوم يهدف من وراء استحضارها خدمة فكرة عامة.

ولو قمنا باستعراض سريع لبعض العناوين الفرعية التي أتى على ذكرها مغنية في كاشفه لرأينا مدى الحضور الثقافي والبعد العملي عنده، فمثلاً في الجزء الخامس هناك عناوين: الدرس العملي من الإسراء، الإسلام دين الفطرة، البر بالوالدين، الإسلام ونظرية الأخلاق، القول بغير علم، المهدي المنتظر، قوة الحق وقوة الباطل، الله وعلم الخلايا، حب الذات، الوقوف عند الشبهة، الوفاء، أو صاف القرآن، محمد والعرب، جدال الجهل والضلال، الله والإنسان، الدفاع بالأحسن، القرآن والإذاع،

¹ ينظر السابق: معالم المنهج التفسيري عند الشيخ محمد جواد مغنية: حيدر حب الله، تاريخ النشر: 2014/05/12م

² ينظر المرجع نفسه: معالم المنهج التفسيري عند الشيخ محمد جواد مغنية، حيدر حب الله، تاريخ النشر: 2014/05/12م

وإذا أخذنا على سبيل المثال الجزء السابع نجد العناوين التالية: ضربت الذلة على إسرائيل بحكم التوراة، الوثنية في عصر الفضاء، الدولة الإسلامية، القرآن وسياسة الحرب، الصحابة والقرآن، هل الاثنا عشرية باطنيون، الأخوة الدينية والأخوة الإنسانية، كيف تكسب الأصدقاء، الله والمعرفة الحسية، المادة والحياة، الأجر حق والزيادة تفضّل، الإسلام وقادة الفكر الأوروبي، صدر المجلس، الدول الصديقة والمعادية،-وهكذا نجد من خلال هذه العينات أن الشيخ مغنية كان يعالج عادةً موضوعات تهمّ الجيل الصاعد والمتقف المتدين والسائل المستفهم، فكان إلى جانب لغته داعياً في قلب نشاطه العلمي ومبلغاً وهو بين قلمه وأوراقه، وقد كان كذلك حتى في أكثر الكتب كلامية كفلسفة التوحيد والولاية.

وقد صرّح مغنية في مواضع عديدة بأن هذا البحث أو ذاك لا فائدة منهما، وأن العلم به لا ينعف كما أن الجهل به لا يضرّ، لهذا فلا داعي لإتعاّب النفس به.¹

سادساً: نظرتّه إلى مؤهلات المفسر

لمغنية كغيره من المفسرين رؤية عن المفسر في طبيعة مؤهلاته، وما ينبغي القيام به فقال: لم اعرف مهمة أصعب وأشق من مهمة المفسر لكلمات الله.. إنه يتجلى للكشف عن إرادته جلت كلمته وليس هذا بالشيء اليسير² بيد أن ما يجعل المهمة ممكنة هو توافر المؤهلات من جهة، ومعرفة الضوابط التي تحددها النصوص الإسلامية لحركة التفسير من جهة ثانية، مضافاً إلى أن المفسر يُعبر في نهاية المطاف عن فهمه لمعاني كتاب الله في إطار الضوابط المقررة، من دون أن يرفع هذا الفهم إلى أن يكون هو المعنى الوحيد المقصود لكلمات الله. فلو ادعى المفسر أن فهمه هو الذي يعبر وحده عن معاني آيات الله لكانت حركة التفسير قد أُغلقت من زمن بعيد³ وعبر عن هذا بقوله: "والذي يهون الخطب أن المفسر يعبر عن فهمه وتصوره لمعاني القرآن ومقاصده، كما هي في ذهنه لا كما هي في واقعها تماماً كالفقيه المجتهد الذي يؤجر إن أصاب ويعذر إن أخطأ⁴."

قال مغنية: "لا بد لهذا العلم من معدات ومؤهلات منها العلوم العربية، بشتى أقسامها، وعلم الفقه وأصوله، ومنها الحديث وعلم الكلام ليكون المفسر على بينة مما يجوز على الله وأنبيائه، وما

¹ ينظر المرجع السابق: معالم المنهج التفسيري عند جواد مغنية، تاريخ النشر 2009/05/15

² ينظر المرجع نفسه الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1ص10

³ ينظر: محمد جواد مغنية حياته ومنهجه في التفسير: جواد علي كسار، ص188

⁴ ينظر: المرجع السابق الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1ص10

يستحيل عليه وعليهم، ومنها كما يرى البعض علم التجويد والقراءات.

بيد أن مغنية يقدم الشرط الأول الذي يتقدم جميع الشروط، وهذا الشرط اهتدى إليه أثناء تفسيره وعبر عن ذلك بقوله: "أنّ معاني القرآن لا يدركها ولن يدركها على حقيقتها ويعرف عظمتها إلا من يحسها من أعماقه، وينسجم معها بقلبه وعقله ويختلط إيمانه بها بدمه ولحمه"¹. كما يرى مغنية أن المفسر لا يستحق لقبه إذا لم يأت بإضافة جديدة على من سبقه "إنني ما مضيت في تفسير القرآن إلا قليلا، حتى أيقنت أن أي مفسر لم يأتي بجديد لم يسبق إليه، ولو بفكرة واحدة في التفسير كله يخالف فيها من تقدمه من أهل التفسير، إن هذا المفسر لا يملك عقلا واعيا، وإنما يملك عقلا قارئاً يرتسم فيه ما يقرأه لغيره من دون محاكمة أو تقليد أو تطعيم.

وقد بدا منهجه هذا وضحا من خلال تفسيره الكاشف، إذ لم يغتر بشهرة المفسر بقدر ما كان يختار على أساس الضوابط السالفة التي ذكرناها، وما يلاحظ أيضا على تفسير الكاشف هو مناقشة لأراء المفسرين بغض النظر عن مذهبهم واتجاههم العقدي، فأحيانا يخطئهم ويستوي عند مغنية الأقدمون والمحدثون ومفسرو الإمامية والسنة، على سبيل المثال اختلافه مع الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾² ومع سيد قطب في معنى مصيبة الأرض ومصيبة النفس، كما حصل اختلاف في الرأي مع الشيخ محمد عبده في أكثر منها أثناء تفسيره لقوله تعالى: «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا...»³

سابعا: ربط التفسير بواقع الحياة

من العناصر الضرورية التي يراها مغنية هو ربط كلام الله تعالى بواقع الحياة وحركتها وبمفرداتها العملية فقال في هذا الشأن: «وقد تحصل لي الكثير من الآراء والمعتقدات خلال التفسير، وبالأصح أن التفسير صحح الكثير من مفاهيمي السابقة، من ذلك أنني أيقنت، أن ما من أصل من أصول الإسلام أو فرع من فروعها من الإيمان بالله إلى أصغر حكم في الشريعة كلها ومن دون استثناء، إلا وترتبط بالحياة ارتباطا وثيقا وقويا»⁴.

¹ ينظر المرجع السابق الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1، ص9.

² سورة هود: الآية114

³ ينظر المرجع السابق محمد جواد مغنية حياته ومنهجه في التفسير: جواد علي كسار، ص190-191.

⁴ ينظر المرجع السابق الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1، ص10.

فمغنية كغيره من علماء الإمامية يعتقد أن النص حرف جامد لا حياة فيه، يكتسب حيويته بالتطبيق والعمل، فقال إن النصوص ليست سوى حروف جامدة لا حياة لها إلا بالتطبيق والعمل¹.

لذلك راح يملأ النص من خلال الواقع وحركة الحياة من حوله.. وعلى هذا الأساس أوجد مغنية علاقة بين النص والواقع فقال: " أتأمل طويلاً في تطبيق الآية على سلوكنا العملي ليكون القارئ على يقين بأن الإسلام لا يعني بالمعاني المجردة، والقيم في ذاتها كلا وإنما قيم الإسلام تحس وتلمس كأية ظاهرة من ظواهر الحياة، وأية ثمرة من ثمرات الأعمال.

من لوازم النهوض بمهمة مثل هذه، أن يتوفر المفسر على معرفة واسعة بالواقع وثقافة عامة، إضافة إلى ذخيرته العلمية التي يحملها بين جنبيه من دراسات الحوزية.. فإن أداة المفسر إلى تحقيق هذا المقصد وبلوغه تتمثل أولاً باللغة ثم الأسلوب، إذ يجب أن تكون اللغة سهلة واضحة بسيطة دون إخلال بالمقاصد والأفكار، وأن يكون الأسلوب مقنعاً.² وهذا ما أكدته في مقدمة الكشاف بقوله: " إذا كان لكل تفسير لون يغلب عليه، فإن اللون الذي يغلب على تفسيري هذا هو عنصر الإقناع³.

كما يرى مغنية أن تجدد لغة التفسير هي إحدى أبرز أدوات المفسر إلى ربط كتاب الله بواقع الناس، واستدل بذلك على بقوله: "...استدل ابن عربي بقوله يتلوا المحفوظ من القرآن فيجد في كل تلاوة معنى لم يجده في التلاوة الأولى، مع أن الحروف المتلوة هي بعينها، وإنما الموطن والحال تجدد، ولا بد من تجدده فإن زمان التلاوة الأولى غير زمان التلاوة الثانية⁴.

¹ ينظر المرجع السابق الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط 2007م، ج1، ص6 وما بعدها.

² ينظر السابق: محمد جواد مغنية حياته ومنهجه في التفسير: جواد علي كسار، ص194-195.

³ ينظر المرجع السابق الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط 2007م، ج1، ص13.

⁴ ينظر المرجع نفسه الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط 2007م، ج1، ص14.

المبحث الثالث: مسلك جواد مغنية في التعامل مع القصص القرآني

يعالج هذا المبحث مسلك جواد مغنية في تعامله مع القصص القرآني، وذلك من خلال عرض بعض النماذج القصصية، من أجل الوقوف على طريقته في معالجة القصة القرآنية.

النموذج الأول: قصة هاروت وماروت

مما جاء في تفسير قصة الملكين هاروت وماروت في تفسير مغنية قوله: تكلم المفسرون هنا وأطالوا، ولا مستند لأكثرهم سوى الإسرائيليات التي لا يقرها عقل ولا نقل، وسود الرازي حوالي عشرين صفحة في تفسير هذه الآية، فزادها غموضا وتعقيدا، ونفس الشيء فعل صاحب مجمع البيان، أما السيد قطب فأخذ يشرح التنويم المغناطيسي، والأحلام، والتأثير، والانفعالات بالإيجاء وما إليه، وهذا هو الهروب بعينه، وبقيت أمدا غير قصير أبحث وأنقب في الكتب والتفاسير، فما شفى غليلي منها، حتى تفسير محمد عبده، وتلميذه المراغي وصاحب المنار، وخير ما قرأته في هذا الباب ما جاء في كتاب "النوأة في حقل الحياة" للسيد العبيدي مفتي الموصل لأنه اعتمد على قول جماعة من علماء الآثار، وهذا ما قاله بالحرف مازلت أجهل معنى الآية الكريمة، لا يشفي غليلي منها مفسر، حتى وقفت على تاريخ جمعية البنائين فتبينت معناها، وحيث اضطربت كلمة المفسرين، حتى عرضوا الآية للجميع بين نقيضين وحتى دخلها شيء من الأساطير التي تنبو عنها مغازي الشريعة الغراء رأيت من واجب الخدمة لكتاب الله أن أثبت هنا كلمة في ذلك: لما عظم ملك سليمان عليه السلام استراب ملك بابل الطامع في سورية وفلسطين وحل منه الجزع محل الطمع، فأوفد إلى بيت المقدس رجلين من دهاة بطانته ييثان من التعاليم ما عسى أن يفسد على سليمان ملكه، فاعتنقا اليهودية، واطهرا الزهد باسم الدين، فالتفت من حولها الناس، كما هو شأن العامة، واستهوي الرأي العام، فشرعا يفسدان الأفكار، ويوغران الصدور على سليمان، حتى رمياه بالكفر، فكان هذان الرجلان بظاهر حالهما، من الزهد والتقشف كملكين ولكنهما في الواقع شيطانان وكانت تعاليمهما كالسحر بما يعضدها من حسن البيان، وطالما استعمل لفظ الملك في الرجل الصالح، ولفظ الشيطان في الرجل الطالح، ولفظ السحر في العبارة الفاتنة، من ذلك قوله تعالى عن يوسف حكاية عن صويجاته: إن هذا إلا ملك كريم¹

¹ المرجع السابق للكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1 ص162.

وقوله سبحانه ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾¹ وقوله حكاية عن الوليد "إن هذا إلا سحر يوثر إن هذا إلا قول البشر"... وفي الحديث "إن من البيان لسحرا"، وقد أنبأنا التاريخ بما كان من شأن مختصر ملك بابل من غزوة فلسطين بعد سليمان، وتخريبه بيت المقدس، ونرى القرآن يؤيد حوادث التاريخ ' ففي سورة الإسراء: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾² قال في تفسيرها: "إذا عرفت هذا فنقول إن الضمير، في قوله تعالى ﴿واتبعوا﴾ عائد على يهود المدينة الذين تقدمت هذه الآية اثنتان وستون آية متتابعة في حقهم.. ومتى عرفت هذا، ثم تدبرت الآيات المتصلة بآية سليمان، ووقفت وقفة تدقيق إمعان عند قوله: ﴿على ملك سليمان﴾ وما اكتنفها من مضامين ودلالات علمت أن معنى الآية الكريمة أن يهود الحجاز كانوا يكفون للنبي العربي بالمكائد والدسائس المقنعة والدعاية المزوقة اقتداء بالمارقين من أسلافهم الذين أعانوا بابل في تقويض ملك سليمان، ونفس الآية على أساس فهم العبيدي لها: "واتبعوا" أي اتبع يهود المدينة الذين كانوا على عهد محمد ﷺ ما تتلوا الشياطين ﴿المراد بالشياطين المشعوذون، ومنهم الرجال البابليان اللذان ظهرا بمظهر القداسة وهما في الواقع من الأبالسة﴾.³

مناقشة:

من المعلوم أن هذه القصة وردت في بيان ما يحدث أيام سليمان عليه السلام حيث ذكر الله لنبيه محمد ﷺ بعض مخازي اليهود من بني إسرائيل، الذين لم يؤمنوا به ولا بالقرآن الكريم المصدق للتوراة الأصلية التي أنزلت على موسى وتضمنت الدعوة إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له ولا شبيهه، والإيمان بموسى رسولا ونبيًا وبالإسلام دينًا وشريعة، وكان من المخازي التي ارتكبتها الكفار من بني إسرائيل أنهم في عهد سليمان تركوا الزبور كتاب الله وأتبعوا ما ألقى إليهم الشياطين من كون سليمان ساحرا ومشعوذا .

¹ سورة الأنعام: الآية 112

² سورة الإسراء: الآية 4-5.

³ المرجع السابق، الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1 ص 162.

وقد رُويت أخبار في قصة الملكين، وهي أخبار لا تصحّ قال ابن عطية بعد سياق الروايات: وهذا كَلِّه ضَعِيف وقال القرطبي: لا يصحّ منه شيء، فإنه قول تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه، وسُفِّرَآؤُهُ إِلَى رُسُلِهِ. وقال ابن كثير: وقد رُوِيَ فِي قِصَّة هَارُوتَ وَمَارُوتَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ... وَحَاصِلُهَا رَاجِعٌ فِي تَفْصِيلِهَا إِلَى أَحْبَابِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ لَيْسَ فِيهَا حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ صَحِيحٌ مُتَّصِلٌ بِالإِسْنَادِ إِلَى الصَّادِقِ المصدوقِ المصنوعِ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب، فحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال¹.

وقال القاسمي: وللقصاص في " هاروت وماروت " أحاديث عجبية ! ثم ذكر أن هذا في " التلمود " ثم قال: وجاراه جهلة القصاص من المسلمين، فأخذوها منه، ثم نقل عن الرازي وجوه بطلان تلك القصة². الغريب في الأمر أن مغنية رد جميع التفسيرات جملة وتفصيلا وتبنى قول علماء الآثار وهذا ليس فيه اعتدال كما يظن الكثير بل من باب المداراة والتقية.

كذلك إنكاره على جماعة من المفسرين كالرازي والطبرسي، ونقمة على سيد قطب من تفسير الآية والجري وراء التنويم المغناطيسي، وفي المقابل قام بسرد حكاية لا مستند لها يرويها عن رجل اعتمد فيها على ما وصلت إليه جماعة من علماء الآثار بقوله: وخير ما قرأته في هذا الباب ما جاء في كتاب " النواة في حقل الحياة " للسيد العبيدي مفتي الموصل³، فإنه ما زاد الآية إلا تعقيدا، ولم يصل إلى تفسير صحيح للآية، والناظر في سيرة العبيدي يدرك أنه أديب ورجل سياسة وليس مختص في التفسير وعلومه فتبينه لرأي العبيدي ورطه وأوقعه في تناقض وتحريف كبيرين حيث أمس بعصمة الملائكة بقوله: المراد بالشياطين المشعوذون، ومنهم الرجلان⁴ البابليان اللذان ظهرا بمظهر القداسة

¹ ينظر المصدر السابق: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصري ثم الدمشقي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2 (1420هـ - 1990م)، ج1، ص360

² ينظر محاسن التأويل: محمد جمال القاسمي، ضبط وتصحيح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1418هـ، ج1، ص57.

³ مؤلفه محمد حبيب العبيدي (1882-1963) - كان مفتي الموصل، وقد عاصر أحداث الفترة التي عاشها بمصائبها وويلاتها المتلاحقة، فكان لها أثرها في نفسه، وقد أكثر من الأسفار إلى اسطنبول ومصر وبلاد الشام، واطلع على المكائد التي تحاك ضد المسلمين من وراء الستار، وعز عليه أن يرى العرب متفرقين أشتاتاً يستظلون تحت ظلال المستعمر، كان من مؤيدي الدولة العثمانية، ومن الجمل التي كان يرددها: «أنا عربي، أنا محمدي، أنا عثماني (ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، ج3، ص104)

⁴ يبدو أن العبيدي نقل قوله من تفسير القاسمي، واختار إلا الغريب منه في حين أن القاسمي عرض الأراء على غرابتها بغتها وسمينها مع النقد البناء فقال: كون " ما " نافية، وأن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين بالصلاح فقال: أعلم أن للعلماء في هذه الآية وجوها كثيرة، وأقوالاً عديدة؛ فمنهم من ذهب فيها مذهب الأختارين نقله العث والسمين، ومنهم من وقف مع ظاهرها البحث وتمحل لما اعترضه بما المعنى الصحيح في غنى عنه، ومنهم من ورد آخرها على أولها، بما جعلها أشبه بالألغاز والمعميات، التي يتنزه عنها بيان أبلغ كلامهم.. والذي ذهب إليه المحققون أن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين بالصلاح والتقوى في بابل

وهما في الواقع من الأبالسة، فنحن لا نتفق معه بأن الملكين متزهين عن مثل هذا، وهو من الجري، والمعروف أن هاروت وماروت من جملة الملائكة، أنزلًا من السماء لبيان أن سليمان لا يتعامل بالسحر، وإنما نزل بالسحر ليعلمنا الناس أن سليمان له معجزات وأنه إنما سخر الجن وعالم الريح والطير والحيوان وغير ذلك معجزةً، ولم يكن هذا بتأثير السحر.

وقوله شأن العامة: توحى بعدم اعتداله وتقريبه بين المذاهب، لفظ العامة في تفاسير الإمامية هم أهل السنة، وهو بذلك يتبنى رأي طائفته.

ويبقى التوجيه الصحيح لقصة هاروت وماروت: وقد بينه علمائنا وذكر القصص الواردة وغربلوا صحيحها من سقيمها وخير ما جاء في تفسير السعدي رحمه الله هذه القصة يقوله:

وكذلك اتبع اليهود السحر الذي أنزل على الملكين، الكائنين بأرض " بابل "، من أرض العراق،

أنزل عليهما السحر؛ امتحاناً وابتلاءً من الله لعباده، فيعلمانهم السحر، ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى

مُلْكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى

الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾¹ ينصحا، و﴿حَقٌّ يَقُولَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا

تَكْفُرُ﴾ أي: لا تتعلم السحر فإنه كفر، فينهيه عن السحر، ويخبرانه عن مرتبته فتعليم الشياطين

للسحر على وجه التدليس، والإضلال، ونسبته، وترويجه، إلى من برأه الله منه...² وهو سليمان عليه السلام،

وتعليم الملكين امتحاناً مع نصحهما: لئلا يكون لهم حجة. فهؤلاء اليهود يتبعون السحر الذي تُعلمه

الشياطين، والسحر الذي يعلمه الملكان، فتركوا علم الأنبياء والمرسلين، وأقبلوا على علم الشياطين،

وكل يصبو إلى ما يناسبه، ثم ذكر مفسد السحر فقال: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ

الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ مع

وكانا يُعلمان النَّاسَ السِّحْرَ وَبَلَغَ حُسْنَ اعْتِقَادِ النَّاسِ بِهِمَا أَنْ ظَنُّوا أَنَّهُمَا مَلَكَانِ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَا يُعَلِّمَانِهِ لِلنَّاسِ هُوَ يُوْحِي مِنَ اللَّهِ، وَبَلَغَ مَكْرَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ وَمُحَافَظَتَهُمَا عَلَى اعْتِقَادِ النَّاسِ الْحَسَنِ فِيهِمَا أَنَّهُمَا صَارَا يَقُولَانِ لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْهُمَا: (إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ)، أَي: إِنَّمَا نَحْنُ أَوْلُو فِتْنَةٍ نَبْلُوكُ وَنَحْتَبِرُكَ، أَتَشْكُرُ أَمْ تَكْفُرُ، وَنُنْصَحُ لَكَ أَلَّا تَكْفُرَ. يَقُولَانِ ذَلِكَ لِیُوهِمَا النَّاسَ أَنَّ عُلُومَهُمَا إِلَهِيَّةٌ، وَصِنَاعَتُهُمَا رُوحَانِيَّةٌ، وَأَنَّهُمَا لَا يَقْصِدَانِ إِلَّا الْخَيْرَ (ينظر محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، ج 1 ص 95)

¹ سورة البقرة: الآية 102.

² المرجع السابق تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا

اللويحيق:، ج 1، ص 61

أن محبة الزوجين لا تقاس بمحبة غيرهما؛ لأن الله قال في حقهما، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، وفي هذا دليل على أن السحر له حقيقة، وأنه يضر بإذن الله، أي بإرادة الله، والإذن نوعان: إذن قدري، وهو المتعلق بمشيئة الله، كما في هذه الآية، وإذن شرعي، كما في قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿فَإِنَّهُ نَزَلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، وفي هذه الآية وما أشبهها: أن الأسباب مهما بلغت في قوة التأثير: فإنها تابعة للقضاء والقدر، ليست مستقلة في التأثير، ولم يخالف في هذا¹ الأصل من فرّق الأُمَّة غير "القدرية" في أفعال العباد، زعموا أنها مستقلة غير تابعة للمشيئة، فأخرجوها عن قدرة الله، فخالفوا كتاب الله، وسنة رسوله، وإجماع الصحابة والتابعين ثم ذكر أن علم السحر مضرّة محضة، ليس فيه منفعة، لا دينية ولا دنيوية، كما يوجد بعض المنافع الدنيوية في بعض المعاصي، كما قال تعالى في الخمر والميسر ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾² فهذا السحر مضرّة محضة، ليس له داع أصلاً، فالمنهيات كلها إما مضرّة محضة، أو شرها أكبر من خيرها، كما أن المأمورات إما مصلحة محضة، أو خيرها أكثر من شرها ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ أي اليهود، ﴿لَمَنْ اشْتَرَاهُ﴾ أي: رغب في السحر رغبة المشتري في السلعة: ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ أي: نصيب، بل هو موجب للعقوبة، فلم يكن فعلهم إياه جهلاً، ولكنهم استحبووا الحياة الدنيا على الآخرة ﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾³ علماً يثمر العمل: ما فعلوه.

وكل هذا ما عدا ظاهر القرآن في حال هذين الملكين: فهو من الإسرائيليات، يردها ما ثبت من عصمة الملائكة، على وجه العموم، دون ورود استثناء لهذا لأصل العام.⁴

و قد رجح ابن جرير الطبري - بإسناده - إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ قال: «لم يُنزل الله السحر». وروى أيضا عن الربيع بن أنس ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ قال: ما أنزل الله عليهما السحر. ثم قال ابن جرير: فتأويل الآية على هذا

¹ المرجع السابق تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي،، ت: عبد الرحمان بن معلا الويحي، مؤسسة الرسالة، ط1، (1420هـ_2000م)، ج1، ص62

² سورة البقرة: الآية 219

³ سورة البقرة: الآية 102.

⁴ المرجع السابق تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي،، ت: عبد الرحمان بن معلا الويحي، مؤسسة الرسالة، ط1، (1420هـ_2000م)، ج1، ص62.

المعنى الذي ذكرناه عن ابن عباس والرَّبِيعِ من توجيهِهما معنَى قوله ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ إلى: "ولم يُنزل على الملكين ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾¹؛ فيكون حينئذ قول: ﴿بَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ﴾ من المؤخَّر الذي معناه التَّقْدِيمُ².

وقال القرطبي: قوله تعالى ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾ ما "نفى، والواو للعطف على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾، وذلك أن اليهود قالوا: إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر؛ فنفى الله ذلك، وفي الكلام تقديم وتأخير، التقدير: وما كفر سليمان وما أنزل على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت؛ فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله: ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾. هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل، وأصح ما قيل فيها، ولا يلتفت إلى سواه؛ فالسحر من استخراج الشياطين للطاقة جوهرهم ودقة أفهامهم³. و يبقى المغزى من القصة كما ذكره العلماء: إن تعليم الملكين للناس لهذا السحر كان أيضاً بهدف العلاج والتخلص به مما وقع من السحرة والشياطين في إيذاء الناس، فكأن التعليم كان لاختبار الناس، ولبيان الفرق بين السحر والمعجزة، وسليمان -عليه السلام- إنما يتعامل بالمعجزات من ربه، وليس بالسحر، كما أن هذا العلم يستفيد منه الناس في دفع الأذى ودرء المفسد، والتخلص من ضرره⁴.

النموذج الثاني: قصة موسى عليه السلام وعلاقته برؤية الله يوم القيامة

ننتقل في هذا النموذج من خلال مثال قصصي يرتبط بقضية التوحيد، وبالتحديد في مسألة

¹ سورة البقرة: الآية 102.

² جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م، ج2، ص379

³ الجامع لأحكام القرآن: شمس الدين القرطبي، ت: أحمد الردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، 1964م، ج2، ص50

⁴ ينظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: محمد بن محمد أبو شهبه، الناشر مكتبة السنة، طبعة 1408هـ، ج1، ص165

عادة ما يكون فيها للمفسر أقوال وهي " رؤية الله " وذلك انطلاقاً من قصة موسى عليه السلام مع شرع مغنية بتفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تُنظَرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾¹ بقوله: «حين جاءهم موسى بالتوراة قال له جماعة منهم: لا نصدقك من أن هذا الكتاب من عند الله، حتى نرى الله عياناً لا حجاب بيننا وبينه، ويخبرنا وجهها لوجه انه أرسلك بهذا الكتاب. ولست أدري إن كان الذين ينكرون وجود الله في هذا العصر، لا لشيء إلا أنهم لم يشاهدوه جهرة، لست أدري: هل استند هؤلاء في إنكارهم إلى كفر أولئك الإسرائيليين وعنادهم؟ قال اليهود لموسى: لن نؤمن حتى نرى الله جهرة، فقال من قال في هذا العصر: لا وجود إلا لمن نراه بالعين، ونلمسه باليد، ونشمه بالأنف، ونأكله بالفم، وهكذا يكرر التاريخ صورة المكابرة ومعاندة الحق في كل جيل» ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تُنظَرُونَ ﴾² أي أن عذاباً من السماء أحاط بالذين قالوا لموسى، لن نؤمن حتى نرى الله جهرة ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾³ قال بعض المفسرين، ومنهم الشيخ محمد عبده،... " إن الله لم يرجعهم إلى هذه الحياة ثانية بعد أن أخذتهم الصاعقة، وإن المراد ببعثهم كثرة النسل منهم، وقال آخرون كلا، إن الآية على ظاهر دلالتها، وإن الذين أعيدها هم الذين أخذتهم الصاعقة بالذات... وهذا هو الحق حيث يجب الوقوف عند الظاهر إلا مع السبب الموجب للتأويل، ولا سبب ما دامت الإعادة ممكنة في نظر العقل، وقد وقع هذا لعزير كما دلت الآية "فأماته الله مائة عام ثم بعثه" وبديهة أن الذي وقع لا يكون مستحيلاً⁴ ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾⁵ جرى ذلك حين خرج الإسرائيليون من مصر، وتاهوا في صحراء سيناء، حيث لا بنية ولا عمران، فشكوا إلى موسى حر الشمس، فأنعهم الله عليهم بالغمام يظلمهم،... وأنعم عليهم أيضاً المن والسلوى.⁵

﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ونفي المظلومية عن الله سبحانه، تماماً كنفى الولد

¹ سورة البقرة: الآية 55-57.

² سورة البقرة: الآية 51.

³ المرجع السابق: الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط 2007م، ج 1، ص 105.

⁴ سورة البقرة: الآية 57.

⁵ المرجع السابق: الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط 2007م، ج 1، ص 105.

والشريك عنه من باب السالبة بانتفاء الموضوع على حد تعبير أهل المنطق، لأن الثبوت محال عقلا. ثم يستطرد جواد مغنية في تفسير هذه الآيات فيقول: وتمضي الآيات في تعداد مساوئ الإسرائيليين ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ يَا آلَ كَثُوتِ لِيَكِ إِلَى آلِهِمَا مَوَاجِدُ﴾ ثم أشار إلى التزاع القائم بين أهل المذاهب الإسلامية وفرقها من أن العقل: هل يجيز رؤية الله بالبصر أو يمنعها؟ قال الأشاعرة¹ السنة: إن رؤية الله بالبصر جائزة عقلا؛ لأنه موجود وكل موجود يمكن رؤيته، وقال الإمامية والمعتزلة²:

«لا تجوز الرؤية البصرية على الله بحال، لا دينا ولا دنيا؛ لأنه ليس بجسم، ولا حالا في جسم

¹ الأشاعرة فرقة كلامية كبرى، تنسب لأبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (324هـ) ظهرت في القرن الرابع وما بعده. بدأت أصولها بترعات كلامية خفيفة، أخذها الأشعري عن ابن كلاب تدور على مسألة كلام الله تعالى وأفعاله الاختيارية، مع القول بالكسب الذي نشأت عنه نزعة الجبر والإرجاء، ثم تطورت وتعمقت وتوسعت في المناهج الكلامية حتى أصبحت من القرن الثامن وما بعده فرقة كلامية، عقلانية، فلسفية، مقابرية، مرجحة جبرية (ينظر الفرق الكلامية: ناصر العقل، ص 49 عن موسوعة الدرر السننية). تحوله عن الاعتزال: يجمع المؤرخون لحياة أبي الحسن رحمه الله على التحول الأول في حياته، وهو خروجه من مذهب الاعتزال ونبذه له، فيذكر ابن عساكر وغيره أن أبا الحسن الأشعري - رحمه الله - اعتزل الناس مدة خمسة عشر يوما، وتفرغ في بيته للبحث والمطالعة، ثم خرج إلى الناس في المسجد الجامع، وأخبرهم أنه انخلع مما كان يعتقد، كما ينخلع من ثوبه، ثم خلع ثوبا كان عليه ورمى بكتبه الجديدة للناس، ومع اتفاق الباحثين على رجوعه عن مذهب الاعتزال، إلا أنهم اختلفوا في تحديد سبب ذلك الرجوع، فقيل إن سبب رجوعه ما رآه في مذهب المعتزلة من عجز ظاهر في بعض جوانبه، فقد كان - رحمه الله - دائم السؤال لأساتذته عما أشكل عليه من مذهبهم... ومما يذكر أيضا في سبب رجوعه عن مذهب الاعتزال مع ما سبق، رؤيا رأى فيها النبي ﷺ، قال أبو الحسن: " وقع في صدري في بعض الليالي شيء مما كنت فيه من العقائد، فقامت وصليت ركعتين، وسألت الله أن يهديني الصراط المستقيم، ونمت فرأيت النبي ﷺ، فشكوت إليه بعض ما بي من الأمر، فقال ﷺ عليك بسنتي، قال: فانتبهت وعارضت مسائل الكلام بما وجدت من القرآن والأخبار، فأثبتته ونبذت ما سواه ورائي ظهريا " (التبيين 38-39). كان من أسباب انتقاله إلى السنة، وتركه للمذهب الكلابي التقاؤه بمحدث البصرة الحافظ زكريا الساجي، وهو الذي أخذ عنه معتقد أهل السنة. قال الذهبي في ترجمة الساجي: " وكان من أئمة الحديث، أخذ عنه أبو الحسن الأشعري مقالة السلف في الصفات، واعتمد عليها أبو الحسن في عدة تأليف " (ينظر سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج 14، ص 198)

² المعتزلة لغة من الاعتزال معناه: الانفصال والتنحي، والمعتزلة هم المنفصلون. هذا في اللغة (ينظر محيط المحيط ص 1391، ولسان العرب: مجلد 11 ص 440). أما المعتزلة في الاصطلاح: فهم اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجاً عقلياً متطرفاً في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل مجلس الحسن البصري أصل تسمية المعتزلة: يقول الشهرستاني: " دخل رجل على الحسن البصري، فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكباثر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجنون أصحاب الكباثر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان، فلا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجحة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ ففكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى إسطوانة من إسطوانات المسجد يقرر ما أحاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسمي هو وأصحابه المعتزلة" ينظر الملل والنحل: الشهرستاني، ج 1 ص 52.

ولا في جهة. وبعد أن منعوا الرؤية عقلا حملوا الآيات الدالة بظاهاها على جواز الرؤية، حملوها على الرؤية بالعقل والبصيرة لا بالعين والبصر، وبحقائق الإيمان، لا بجوارح الأبدان على حد تعبير الفيلسوف محمد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بالملا صدرا¹، ومما استدل به الملا صدرا على امتناع الرؤية قوله: "إن الإحساس بالشيء حالة وضعية للجوهر الحاس، بالقياس إلى المحسوس الوضعي، ففرض ما لا وضع له أنه محسوس، كفرض ما لا جهة له أنه في جهة"... يريد بقوله أن العين لا ترى الشيء إلا بشرطين: الأول أن تكون أهل للنظر، والثاني أن يكون الشيء أهلاً لأن ينظر بالعين... والعين أصغر وأحق من أن ترى الذات القدسية الأحدية كما أنه جلا وعلا أعظم من أن يرى بالعين.² ثم يستدل بقول الفيلسوف الإنجليزي جون لوك³ فيقول: "وانتقل ذهني وأنا أقرأ عبارة هذا العظيم -يعني الملا صدرا- إلى الفيلسوف الإنجليزي جون لوك القائل بالواقعية النقدية، وملخصها أن للشيء صفات أولية ثابتة له واقعا، ولا تنفصل عنه إطلاقا، سواء أوجد من يدركها أم

¹ الملا صدرا: محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي (1572م ت 1640م) المعروف بالملا صدرا، فيلسوفاً فارسياً إسلامياً وعالم دين ومتصوفاً قاد النهضة الثقافية الإيرانية في القرن السابع عشر. يُعتبر الملا صدرا النموذج الرائد للمدرسة الإشراقية للفلاسفة المتصوفين، ويُنظر إليه الإيرانيون بوجه عام باعتباره أعظم فيلسوف أنجبته إيران. تُسمى مدرسته الفلسفية بالحكمة المتعالية. دجت فلسفة الملا صدرا الأصلية بين مصادر مختلفة ونقحنتها - فلسفة ابن سينا والفلسفة الإشراقية للسهروردي والطريقة الأكرية الصوفية لابن العربي والفكر الشيعي -، من شيوخه: الشيخ محمد بن حسين الحارثي، المعروف بالشيخ البهائي. والسيد محمد باقر الحسيني، المعروف بالحقق الداماد. ومن تلامذته، الشيخ محمد محسن، المعروف بالفيلسوف الكاشاني. ينظر المرجع السابق تاريخ القرآن عند الاثني عشرية: عبد العزيز الضامر ج 1، ص 56).

² المرجع السابق: الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط 2007م، ج 1، ص 105

³ جون لوك: (John Locke) فيلسوف تجريبي ومفكر سياسي إنجليزي. ولد في عام 1632 في رينجتون Wrington في إقليم سومرست وتعلم في مدرسة وستمنستر، ثم في كلية كنيسة المسيح في جامعة أوكسفورد، حيث انتخب طالباً مدى الحياة، لكن هذا اللقب سحب منه في عام 1684 بأمر من الملك. وبسبب كراهيته لعدم التسامح البيوريتاني عند اللاهوتيين في هذه الكلية، لم ينخرط في سلك رجال الدين. وبدلاً من ذلك اخذ في دراسة الطب وممارسة التجريب العلمي، حتى عرف باسم (دكتور لوك).. وقد تولى لوك عدداً من المناصب الحكومية، ولكنه فقد حظوته لما نُفي شافنيسبري عام 1683م، ولكن الملك وليام الثالث في انكلترا رحب بعودته وعينه مستشاراً للحكومة في ميدان سكّ النقد. لي، الذي كان معارضاً للقصر وبقي هناك حتى عام 1689، وفي هولندا كتب لوك عدة مقالات منها: مقال خاص بالفهم البشري (Essay Concerning Human Understanding) وبعض الأفكار عن التربية وأخرى عن التسامح. وعندما جاءت الثورة الكبرى، استطاع لوك العودة إلى إنجلترا. وقد رفضت الجامعات القديمة فلسفته الحسية وآراءه الليبرالية. ومع ذلك فقد عاصر شهرته الكبرى التي انتشرت في أنحاء العالم. وكان لجون لوك دور كبير غير مباشر في الثورة الأمريكية إذ أن كتابه ((رسالتان في الحكم)) كان محط إعجاب الأمريكيين وكانت من ضمن آرائه في الكتاب أن الوظيفة العليا للدولة هي حماية الثروة والحرية ويجب على الشعب تغيير الحكومة أو تبديلها في حالة عدم حفظها لحقوق الشعب وحرية، وقد ساهمت آرائه في زيادة وعي الأمريكيين الذين اعتنقوا آرائه وقرروا تنفيذها. ومن أشهر عباراته الفلسفية "الأفكار الجديدة هي موضع شك دائماً وتتم مقاومتها غالباً لسبب أنها لم تصبح شائعة بعد". (ينظر الفيلسوف والمفكر السياسي جون لوك صبحي درويش - رابطة أدباء الشام).

لم يوجد، كالعناصر المقومة المكونة للشيء.. وأيضا له صفات ثانوية نسبية لا توجد مستقلة عن ذات تحسها وتدركها كاللون والصوت والطعم، فاللون ليس صفة للشيء، كما يتراءى وإنما هو موجات ضوئية خاصة بين الشيء والعين عند العلماء، وأيضا الصوت موجات هوائية، والطعم لا وجود له لولا الفم، ومن هنا يختلف باختلاف الذائق صحة ومرضا... واختصارا أنه لا لون بلا عين، ولا صوت بلا أذن، ولا طعم بلا فم، وليس من شك أن نور الله سبحانه يطغى على الموجات الضوئية وغيرها، وإذا انتفت هذه الموجات انتفت الرؤية؟!¹

مناقشة:

موضوع الرؤية من موضوعات الخلاف بين مفكري الإسلام قديما، ودائما يرتبط الحديث عنه بمسألة التجسيم وإثبات الجهة والمكان، فمن نفى الرؤية نظر إلى أن المرئي لا يكون إلا جسما متحيزا في مكان وجهة وهي أمور محالة على الله تعالى، ومن أحازه قال: إن الرؤية لا تستلزم هذه الأمور ولكل أدلته... يعتقد الإمامية تبعا للمعتزلة نفى معنى الصفات عن الباري تعالى، بمعنى أنه ليست له صفة تسمى القدرة أو الإرادة أو العلم... إلخ وإنما يوصف بكونه حيا قادرا مريدا عالما متكلمًا، يعني خالق الكلام، أما أهل السنة تبعا لسلف الأمة فإنهم أجازوا الرؤية يوم القيامة لعباده المؤمنين في الجنة من غير كيف ولا تجسيم ولا مقابلة لأن كل موجود يصح أن يرى الله تعالى موجود فيصح أن يرى، والآخرة حرق للعبادات كلها فلا تقاس بمقاييسنا الدنيوية المحدودة، وقد أخبرنا الله تعالى في كتابه بذلك من أن عباده المؤمنين يرونه تعالى كما أنه أخبر أنه حجب الكفار عنه عقوبة لهم، وقد صحت أحاديث الرسول ﷺ الكثيرة بذلك. وكل ما جاز عقلا، وجاء به الشرع الحنيف لا يجوز إنكاره ولا رده. وأما المعتزلة تبعهم في ذلك متأخري الشيعة فقد منعوا الرؤية وقالوا لا يجوز أن يرى الله أحدا في الدنيا ولا في الآخرة لما يلزم على ذلك من التحيز والمقابلة والجسم والله متزه عن ذلك، وعمدوا إلى الآيات الدالة على ذلك فأولوها على معان أخرى².

وبذلك نرى أن جواد مغنية يوافق الإمامية في تعطيل أسماء الله وصفاته وما يترتب عنه من نفى رؤية الله وذلك تأثرا بالمعتزلة، ودعما لرأيه بتبنيه رأي الملا صدرا الشيرازي والفيلسوف الإنجليزي جون لوك.

ولا شك أن مثل هذا الزعم - نفى رؤية الله - يخالف الشرع والعقل، أما مخالفته الشرع فإن الأدلة الكثيرة جاءت بإثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وهو نفسه يعترف بهذا، لكنه صرفها إلى

¹ المرجع السابق: الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1ص107-108.

² ينظر المرجع السابق: الشيعة الإمامية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم: محمد إبراهيم العسال ص722-859.

الرؤية بالعقل والبصيرة مع أن ألفاظها لا تقبل أن تنصرف إلى الرؤية بالعقل والبصيرة.

أما مخالفته العقل، فإن ذات الله تعالى لا تشبه الذوات فلا يصح أن تقاس على مخلوقاته عز شأنه، فكيف نقيس رؤية الخالق على رؤية المخلوق، وذات الخالق على ذات المخلوق.¹

وفي هذه المسألة رد شيخ الإسلام ابن تيمية على الشيعة والمعتزلة بقوله: " إن الله تعالى إذا خلق في محل صفة أو فعلا لم يتصف هو بتلك الصفة ولا بذلك الفعل ولو كان كذلك لا تصف بكل ما خلقه من الأعراض وهنا زلت المعتزلة وأتباعهم الذين قالوا: ليس لله الكلام إلا ما خلقه في غيره وليس له فعل إلا ما كان منفصلا عنه، فلا يقوم به عندهم لا قول ولا فعل، بل جعلوا كلامه الذي كلم به ملائكته ورسله وأنزله على أنبيائه هو ما خلقه في غيره، فقليل لهم: الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل لا على غيره فإذا خلق حركة في محل كان هو المتحرك لا خالق الحركة، وكذلك إذا خلق كلاما في محل كان المحل هو المتكلم لذلك الكلام² وهذا المعنى الذي قرره الإمام ابن تيمية لا انفكاك للشيعة عنه بحال، وعليه إذا كان الله أسند الكلام في القرآن إلى نفسه فلا بد من حمل ذلك على الحقيقة، ودعوى المجاز هنا لا تصح.. فلم يبق إلا حمل الكلام على حقيقته كما هو ظاهر النص القرآني.³

والخلاصة أن أهل السنة يثبتون لله تعالى ما أثبتته لنفسه وينفون عنه مماثلته للمخلوقات إثبات بلا تشبيه، وتزويه بلا تعطيل وهذا لا يتنافى مع التوحيد، أما الشيعة تبعا للمعتزلة فإنهم يرون نفي معاني الصفات عنه لأنها تتنافى مع التوحيد في نظرهم ويحاولون في التفسير تأييد ذلك من القرآن.

ويبقى المقصد من القصة عظيم، فقد عرض لنا القرآن الكريم قصة موسى مع بني إسرائيل والتي تكشف تعنتهم ولجاجهم، ومماطلتهم في أوامر الله تعالى، وقد أخبر الله تعالى نبيه الكريم - ﷺ - يسألك اليهود -أيها الرسول- معجزة مثل معجزة موسى تشهد لك بالصدق: بأن تنزل عليهم صُحُفًا من الله مكتوبةً، مثل مجيء موسى بالألواح من عند الله، فلا تعجب -أيها الرسول- فقد سأل أسلافهم موسى ﷺ ما هو أعظم: سأله أن يريهم الله علانيةً، فَصُعِقُوا بسبب ظلمهم أنفسهم حين سألوا أمراً ليس من حقهم. وبعد أن أحياهم الله بعد الصعق، وشاهدوا الآيات البيّنات القاطعة على يد موسى -عليه السلام - بنفي الشرك، عبدوا العجل من دون الله، فعَفَوْنَا عن عبادتهم العجل

¹ ينظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط 1407 هـ - 1986 م، ص 231.

² المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الاعتدال وهو مختصر منهاج السنة: شمس الدين الذهبي، ت: محب الدين الخطيب، الناشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط 1413 هـ، ص 47.

³ ينظر المرجع السابق: منهج الشيعة الإمامية في تفسير القرآن الكريم: محمد إبراهيم العسال، ص 712.

بسبب توبتهم، وآتينا موسى حجة عظيمة تؤيد صدق نبوته¹.

أغفل مغنية مقاصد القصة الحقيقة وراح يجري وراء مسألة رؤية الله تعالى ولي عنق الآيات ولا لشيء إلا خدمة لمعتقدهم المزعوم في نفي رؤية الله تعالى يوم القيامة.

وبقى التساؤل هل عرض مغنية لهذه القصة فيه دلالة على اعتداله وتقريبه بين المذاهب.

النموذج الثالث: قصة الذين أحياهم الله بعد مائة عام.

وقعت هذه القصة في زمن نبي الله موسى عليه السلام، وهي تحمل بين طياتها عبرة عظيمة وعظة للعالمين، فعندما نزل القرآن الكريم على نبينا محمد صل الله عليه وسلم نزلت تلك الآية الكريمة التي تخبرنا قصة هذا الرجل بلعام بن باعوراء؛ لتكون عبرة وعظة يتعلم منها كل موحد بالله سبحانه وتعالى، وقد أفاضت التفاسير حول هذه القصة وأغلبها منقولاً من مسلمة أهل الكتاب، لذا سأعرض هذا النموذج من من تفسير الكاشف لجواد مغنية والنظر كيف تعامل مغنية مع هذه القصة، وهل التزم بالمنهج النبوي في بيان معانها

بدأ جواد مغنية في بيان معنى القصة وبين أنها مثلاً للكافر الذي اتخذ الطاغوت ولياً، وخرج من

النور إلى الظلمات، ومثلاً أيضاً للمؤمن الذي اتخذ الله ولياً، وخرج من الظلمات إلى النور **﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾**² لم يفصح الله سبحانه عن اسم القرية، ولا عن اسم المار بها، ومن هنا اختلف المفسرون: هل كان كافراً أو نبياً، أو صديقاً؟ وإذا لم يكن كافراً فهل هو عزيز أو أرميا أو الخضر؟ وأيضاً اختلفوا في القرية هل هي بيت المقدس أو غيره؟ ولا دليل على التعيين، ولا القائلين به إلا الإسرائيليات. ومعنى خالية خاوية من السكان، والعروش سقوف البيوت، والمراد أن بيوت القرية منهدمة وليس فيها أحد، والاستعظام كان لإحياء أهل القرية لا القرية نفسها. ونقول لمن زعم أن الذي مر على القرية كان كافراً، لأنه شك في قدرة الله، نقول له:³

ليس كل من مرت شبهة بذهنه، وطلب منها مخرجا يكون من الكافرين، بل العكس هو الصحيح، فلقد طلب إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحي الموتى وهو داعية الإيمان واليقين... هذا إلى

¹ ينظر التفسير الميسر: نخبة من العلماء، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط2009م، ج1، ص45

² سورة البقرة: الآية 259.

³ المرجع السابق: الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1، ص406-407.

أن طلب المزيد من العلم بقدره الله من صميم الإيمان، وهذا يتبين خطأ من قال: إن الذي مر على القرية كان كافرا، لا لشيء إلا لأنه قال ﴿ قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ليس هذا إنكار بل مشهد الخراب العنيف جعله في حيرة، وعجز عن إدراك السبيل التي يعود أهل القرية إلى الحياة، ﴿ فَأَمَّا تِلْكَ الْمِائَةُ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ موتا حقيقيا لا مجازيا، إذ لا موجب للتأويل ﴿ قَالَ لَيْسَتْ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ قَالَ بَل لَيْسَتْ مِائَةُ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ ومعنى لم ﴿ يتسنه ﴾ لم يتغير بمرور السنين، بل بقي على حاله، وهذه معجزة إلهية ﴿ وانظر إلى حمارك ﴾ كيف صار رميما، مع بقاء طعامك وشرابك على حالهما، وهذا أبلغ في المعجزة، وإظهار المقدر في خرق العوائد، لأن الجو واحد، والظروف واحدة، فلو كانت هي المؤثرة لأسرع البلاء إلى الطعام والشراب قبل أن يسرع إلى الحمار، لأنه أقوى منهما على البقاء، فموته هو مع بقائهما مائة سنة على ما كانا عليه من أصدق الدلائل، على أن الله لا يعجزه شيء على الإطلاق.¹

وقيل: إن الحمار بقي حيا طوال المائة عام بلا طعام ولا شراب، وعلى الحالين، فإن الله سبحانه قد فعل ذلك ليزيل تعجب عزيز، واستعباده لإحياء أهل القرية، وأيضا ليحمله آية على وجود البعث عند من علم بحاله من أهل عصره، وهذا هو المراد بقوله تعالى ﴿ وَلَنَجْعَلَ لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ اختلفوا في هذه العظام: هل هي عظام عزيز؟ أو عظام حماره؟ وقال قائل: إنها عظام صاحب الحمار، وأن الله سبحانه أحيا أولا عينيه، لينظر إلى بقية جسده كيف يتجمع ويحيا... وهذا قول على الله بلا علم، والأرجح أنها عظام الحمار، لقول صاحبه: لبثت يوما أو بعض يوم، إذ كان قد رأى عظامه هو رميما لتنبه لطول الأمد ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ﴾ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ قال هذا بعد أن مر بالتجربة الشخصية التي لا تقبل الشك وكيف يشك، وقد شاهد بالعيان معاجز ثلاثا: الأولى إعادته إلى الحياة بعد الموت، والثانية: إحياء حماره، والثالثة: بقاء طعامه مئة عام.²

مناقشة:

قصة بلعام بن باعوراء من القصص الرائعة والهادفة حيث ضرب الله فيها المثل والعبرة، للجاحدين بأنعم الله، وقد أحسن جواد مغنية في بداية عرضه للقصة وأنها مثلا للكافر الذي اتخذ

¹ المرجع السابق: الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1، ص406.

² المرجع نفسه: الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1، ص406-407.

الطاغوت وليا، وخرج من النور إلى الظلمات، ومثالا أيضا للمؤمن الذي اتخذ الله وليا، وخرج من الظلمات إلى النور.

أما قوله: لم يفصح الله سبحانه عن اسم القرية، ولا عن اسم المار بها، ومن هنا اختلف المفسرون... "وهو بهذا أراد أن اسم القرية والمار بها من المبهمات المسكوت عنها فلا طائل من معرفتهما ولو كان لهما فائدة لذكرهما المولى عز وجل، فلا دليل على التعيين ولا القائلين به إلا الإسرائيليات"... إلا أن جل المفسرين كما قال ابن عطية: وأبو حيان وابن كثير قد اشتهر تعيين المار على القرية بأنه عزيز أو إرميا والقرية بيت المقدس، وهذا القول يذكره كل أهل التفسير مأخوذة من أهل الكتاب ومدارها على وهب بن منبه، وإن روي بعض هذه الأقوال كبار الصحابة كعلي رضي الله عنه، وبعض التابعين كمجاهد وقتادة وهم بلا ريب قد أخذوها من بعض مسلمة الكتاب، هم رووها لكونها لا تناقض ولا تتعارض مع أمور العقيدة ولا تمس دين الإسلام، إلا أن الأصل كما هو إعراض المولى عز وجل على إيراد وتعيين المبهمات كشأن الكثير من آيات القصص القرآني، ولا يعنى بهذه التفاصيل والجزئيات، وإنما يقتصر على موطن وممكن العبرة والدرس.

وقوله: « واختلفوا في هذه العظام هل هي عظام عزيز أم عظام حماره... لتنبه إلى طول الأمد».

فقد تكلم المفسرون وأفاضوا في ذلك، إن ما ذكره في شأن العظام هل هي عظام عزيز أو الحمار؟ وكل ما ذكره لا دليل عليه يؤيده وإنما هي أقوال اجتهادية رووها عن جماعة التابعين كالسدي وغيره، فمنهم من يقول: إن الله أحيا عينيه وسائر جسده وهو ينظر، وعلى هذا تكون العظام هي عظام الرجل، فقد شاهد كيفية إحياء الله عز وجل له، وقال البعض: أن الله لما أحياه نظر إلى عظام حماره وهي تلوح من بياضها فبعث الله ريحا فجمعتها من كل موضع من تلك المحلة، ثم ركب كل عظم في موضعه حتى صار حمار قائما من عظام لا لحم عليها، ثم كساها الله لحما وعصبا وعرقا وجلدا، وبعث الله ملكا فنفخ في منخري الحمار، فنهق كله بإذن الله عز وجل، وذلك كله بأمر من العزيز¹...

فهذا جل وأقصى ما يذكره المفسرون في شأن العظام، وعليه لا يمكن الجزم أي العظام هي فقد تكون عظام الرجل أو عظام الحمار، وعلى كل فالمعجزة بذلك حاصلة وظاهرة، إذ القصد هي القصة كلها ببيان قدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة ودليل على البعث والنشور، وفي هذا كله

¹ ينظر المصدر السابق تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو البصري ثم الدمشقي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2 (1420هـ - 1990م)، ج1، ص559.

خطاب لمنكري البعث من مشركي العرب.

وكثير من آيات القصص القرآني جاءت تؤكد هذه الحقيقة وتنص عليها، وما ذكره مغنية من كون الراحح أنها عظام الحمار، والقول بأنها عظام الرجل تقول على الله بلا علم، فنقول له إنه لا يوجد دليل على ما ذهبت إليه، وإن جنح البعض إلى هذا الرأي، وجمع البعض بين كونها عظامه، وذلك عندما أحيا الله عينيه، ثم أحيا سائر جسده، وبين كونها عظام الحمار لما أمر الله الرجل أن ينظر إليه، فهذا منتهى القول في ذلك، والمهم أن القصد قد حصل وفهم هو القدرة على الإحياء والإماتة، والتدليل على البعث.¹

وفي الأخير يبقى المقصد العام من القصة أن الله ضرب به المثل والعبرة لكل من أتاه الله العلم وارتد إلى المعاصي وحطام الدنيا الزائلة رغم علمه بطريق الحق الذي لا طريق غيره، ولكنها شهوة النفس والطمع.

فلقد أتاه الله عز وجل من العلم ما لا يحصى ولا يعد وهذا من فضل الله عليه، ومن تلك الآيات التي أعطاه الله له أنه كان مجاب الدعوة، فأى دعوة كان يتوجه بها بلعام إلى أبواب السماء كان يحققها له الله سبحانه وتعالى، ولكن بلعام كفر وضل عن طريق الحق بعد أن كان من المؤمنين.

النموذج الرابع: قصة موسى عليه السلام

تعتبر قصة النبي موسى عليه السلام أكثر القصص التي ورد ذكرها في أكثر من موضع في القرآن الكريم، فلقد حفلت حياته وبعثته بكثير من المواقف والمنعطفات التي كان فيها من العبر والدروس الكثير، في هذا النموذج سوف نرى كيف قدم جواد مغنية قصة موسى عليه السلام.

شرع مغنية ببيان هذه القصة بقوله: المعنى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾² حين كان موسى على الطور يناجي أخبره المولى جل ثناؤه بأن قومه قد عبدوا العجل من بعده كما دل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾³ ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾⁴ وظهر هذا الغضب بقوله ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُونِي مِن بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾⁴ تركهم على التوحيد، ولما عاد وجدهم على الشرك، وكما بدا غضبه في قوله فقد بدا أيضا في

¹ ينظر المرجع السابق: مناهج المفسرين في تناول القصص القرآني، ثابت عبد العزيز، ج2، ص 715-716.

² سورة الأعراف: الآية 150

³ سورة طه: الآية 85-87.

⁴ سورة الأعراف: الآية 150

فعله ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ قال جماعة من العلماء: ألقى موسى التوراة، وفيها اسم الله، وأخذ برأس أخيه هارون، وهو العبد الصالح الطيب، وموسى معصوم فكيف حدث منه ذلك؟، وبعد هذا التساؤل أخذوا يؤولون ويعللون.

أما فنحن فلا نؤول ولا نعلل، بل نبقي الكلام على ظاهره، لأن العصمة لا تحول الإنسان عن طبيعته وتجعله حقيقة أخرى، ولا تلبسه صفة الرضا والغضب، بخاصة إذا كان لله، وبصورة أخص إذا فوجئ بما فوجئ به موسى (ع)، فلقد لبث في قومه عمرا يلقتهم التوحيد، ويؤدهم على دين الله، حتى إذا اطمأن إلى إيمانهم جاهوه بالردة والشرك، دون أي سبب موجب. وقال آخرون: إن موسى كان حديدا، أما هارون فكان لنا..ونقول: إن موسى كان شديد العزيمة، قوي الإرادة، عظيم الثقة

بنفسه، وكان هارون دونه بمراحل، على صلاحه وفلاحه ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوكُنِي وَكَادُوا

يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾¹ يريد بالأعداء الذين عبدوا العجل، لأنهم اتخذوا هارون عدوا، وأرادوا قتله حين نهامهم عن الشرك وعبادة العجل، فكأنه يقول لأخيه موسى: أتكون عليّ مع أعدائي وأعدائك، فتأخذ برأسي ولحيّتي أمامهم ليشمتوا بي؟ وكيف تغضب مني كغضبك منهم، وأنا برئ منهم ومن أفعالهم، ووقفت منهم موقف المعارض والمفند، ولم أقصر بما وجب عليّ من النصح والتحذير. وهنا يلين موسى (ع) السلام، وتأخذه عاطفة الرحمة والأخوة ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَتِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾² استغفر لنفسه لما كان من قسوته مع أخيه، واستغفر لأخيه مخافة تقصيره في هدايتهم وردعهم عن الشرك والارتداد..وليس من شك أن الله قد استجاب لدعوة موسى (ع) لأنه أرحم الراحمين ولعلمه بإخلاص موسى وهارون، ثم قال: إن موسى نبي معصوم، ما في ذلك ريب، ولكنه إنسان يحزن ويفرح ويرضى ويغضب..وقد تملكه الغضب حين فوجئ عن ارتداد قومه عن دين الله، وتركه الغضب حين استعطفه أخوه هارون، ووعده أخوه بالانتقام من المرتدين، وبعد أن عاد موسى (ع) إلى وضعه الطبيعي عاد إلى الألواح التي ألقاها حين غضبه واطمأن إلى ما فيها من الهدى لمن يفتح قلبه للخير³.

¹سورة الأعراف: الآية 150

²سورة الأعراف: الآية 151.

³المرجع السابق: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو البصري ثم الدمشقي(، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2(1420هـ_1990م) ج3، ص397-398.

مناقشة:

لقد أبلى جواد مغنية بلاءاً حسناً في عرضه للقصة ، وخير ما قال: أما فتحن فلا نؤول ولا نعلل، بل نبقي الكلام على ظاهره، لأن العصمة لا تحول الإنسان عن طبيعته وتجعله حقيقة أخرى،" فهذه العبارة توحى أنه مخالفاً لأهل مذهبه فيؤخذ بظاهر الآية دون تأويل، مما جعله يصنف في قائمة المعتدلين بعد الطبرسي، وبما أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فقد اتبع جواد أيضاً منهج المدرسة الأثرية في التفسير ففسر القرآن بالقرآن، وهذا كله يضيف على تفسيره الاعتدال والوسطية.

غير أن من المآخذ التي تقدر في منهج مغنية وقوله بالوسطية والاعتدال، هو استشهاده بهذه القصة وما وقع لموسى وأخيه هارون - عليهما السلام - فقد فضل الخميني على نبي الله موسى عليه السلام حين قال: "وقال السيد المعلم (يعني الخميني): « لماذا الخوف؟ فليكن حسباً أو نفيماً أو قتلاً فإن أولياء الله يشرون أنفسهم ابتغاء مرضاة الله»، ثم علق على ذلك مغنية بقوله: " وليست هذه الكلمات مجرد سورة من سورات الغضب كما فعل موسى عليه السلام حين ألقى الألواح - التوراة - وأخذ برأس أخيه يجره، بل تبني أيضاً على العلم والمنطق الصارم دون أن تفتح نار العاطفة" هذا نص مغنية بحروفه، وهو يفيد - كما يظهر - أن الخميني أكمل من نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام، وأن فعل الخميني مبني على العلم والمنطق، وموسى على الغضب والعاطفة.¹

وموسى عليه السلام أكرم وأعظم من أن يقارن بصفوة الصالحين، فكيف يفضل عليه الخميني، أو يذكر معه في مقارنة؟! ولكنه منطق الغلاة الذين فرغت قلوبهم من توقير أنبياء الله ورسله، لأن غلوهم في أئمتهم ونواب الأئمة قد استفرغ من نفوسهم عظمة الرسالة والرسول، ويقال: إن الخميني أدخل اسمه في أذان الصلاة وقدمه على الشهادتين.²

النموذج الخامس: من قصص بني إسرائيل

عند تفسيره للآيات، (111 إلى 113) من سورة البقرة، أشار إلى أن اليهود والنصارى يكفر بعضهم بعضاً، ثم وضع عنواناً نصه: " أيضاً المسلمون يكفر بعضهم بعضاً "، وتحت هذا العنوان قال: وإذا كان اليهود بحكم الطائفة الواحدة، لأن التوراة تعترف ببعيسى، والإنجيل يعترف بموسى، فبالأولى أن تكون السنة والشيعية طائفة واحدة، حقيقة وواقعة: لأن كتابهم واحد، وهو القرآن، لا قرآنان،

¹ ينظر الخميني والدولة الإسلامية: محمد جواد مغنية، دط، دت ص 107-111.

² ينظر أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، طبعة 1414هـ، ج3،

ونبيهم واحد، وهو محمد، لا محمدان، فكيف إذن يكفر بعض من الفريقين إخوانهم في الدين؟ ولو

نظرنا إلى هذه الآية: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ

شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ ﴾¹، ولو نظرنا إليها بالمعنى الذي بيناه، واتفق عليه جميع المفسرين، ثم

قسنا من يرمي بالكفر أخاه المسلم — لو نظرنا إلى الآية، وقسنا هذا بمقياسها لكان أسوأ حالاً ألف

مرة من اليهود والنصارى.. لقد كفر اليهود النصارى وكفر النصارى اليهود، وهم يتلون الكتاب أي

التوراة والإنجيل، فكيف بالمسلم يكفر أخاه المسلم، وهو يتلو القرآن؟ فليتنق الله الذين يلون ألسنتهم

بالكتاب، وقلوبهم عمى عن معانيه ومرامييه كذلك ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ المراد

بالذين لا يعلمون في هذه الآية هم مشركوا العرب، حيث قالوا تماماً كما قال اليهود والنصارى: إنهم

وحدهم يدخلون الجنة دون المسلمين والناس أجمعين.

وأجاب القرآن أولاً: ما أجاب به اليهود والنصارى من أن الحق لا يتقيد بالأشخاص، ولا

بالأسماء والألقاب، وأن دخول الجنة منوط بالإيمان والعمل الصالح.

ثانياً: إن الله سبحانه يعلم الحق من المبطل، وإنه سيجزي كاملاً بأعماله². ﴿ قَالَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾³

مناقشة:

بدأ جواد مغنية تفسيره بقوله: « وإذا كان اليهود يحكم الطائفة الواحدة، لأن التوراة تعترف

بعيسى، والإنجيل يعترف بموسى، فالأولى أن تكون السنة والشيعنة طائفة واحدة، حقيقة وواقعة: لأن

كتابهم واحد، وهو القرآن، لا قرآنان، ونبيهم واحد، وهو محمد، لا محمدان، فكيف إذن يكفر بعض

من الفريقين إخوانهم في الدين؟» وهذا التفسير نلمح من خلاله النوايا الحسنة لجواد مغنية حيث كان

من بين المفسرين الذين نادوا بوجوب التقريب بين المذاهب الإسلامية، فهو يؤمن بوجود قواسم

مشتركة بين السنة والشيعنة، وهي الكتاب والسنة، والحقيقة أن مسألة التقريب بين المذاهب ترجع

للقرن الرابع هجري حيث اشتهرت محاورات عدة تهدف للتقريب من أبرزها مناظرة إمام أهل السنة

أبي بكر الباقلاني مع إمام الشيعة الإمامية الشيخ المفيد، كما ناظر الشيخ المفيد إمام المعتزلة القاضي

¹ سورة البقرة: الآية 111-113.

² المرجع السابق: الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1، ص180.

³ سورة البقرة: الآية 111-113.

عبد الجبار.. وفي القرن التاسع عشر دعا جمال الدين الأفغاني إلى منهج توحيد المذاهب الإسلامية، وكان تلميذه الإمام محمد عبده يميل إلى التقريب بين المذاهب، وفتحت مجلة "المنار" التي كان محمد رشيد رضا يصدرها صفحاتها لشتى المذاهب الإسلامية.

وفي أربعينيات القرن الماضي تجدد الحوار بين الأزهر الشريف بمصر وبين بعض مراجع الشيعة الإيرانيين، وكان ذلك سبباً في تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

وتأسس بإيران الجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية سنة 1990، ويرأسه آية الله محمد علي التسخيري، وينشط في إقامة مؤتمرات ونشاطات للتقريب بين المذاهب، ولكن رعاية إيران له حدثت من نشاطه في العديد من الدول العربية والإسلامية بسبب العلاقات السيئة أو الحذرة مع طهران، في حين نشط في دول أخرى بقدر نفوذ إيران فيها أو تحسن علاقاتها بها.¹

المبحث الرابع : موارد جواد مغنية في تفسيره للقصص القرآني

المطلب الأول: مصادره التفسيرية وموقفه منها

أما عن موقفه من أقوال العلماء والمفسرين فقد كان محترماً لها، وأخذاً بها إلى درجة المؤيد لوجه من الوجوه إذا احتمل اللفظ لأكثر من معنى، فلقد بذل المفسرون جهوداً كبرى للكشف عن معاني القرآن وأسراره وإبراز خصائصه وشوارده، وأولوا كتاب الله من العناية ما لم يظفر بمثلها كتاب في أمة من الأمم قديمها أو حديثها. وإن في المفسرين أئمة كباراً في شتى علوم القرآن التي كانت الشغل الشاغل للمسلمين في تاريخهم الطويل، فإذا لم تكن أقوال هؤلاء الأقطاب حجة، كقول المعصوم، فإنها تلقي ضوءاً على المعنى المراد، وتمهد السبيل إلى تفهمه".

أما تقديس كلمات المفسرين رغم قيمتها، وإعطائها مكانة لا مجال معها للنقد أو التمحيص فهو ما رفضه الكاشف منهجاً وممارسةً، كما يبدو جلياً من إسهاماته النقدية لكلمات أكثر من مفسر سني وشيعة، حيث سجل انتقادات على جمع البيان والميزان، كما انتقد الفخر الرازي ومحمد عبده ورشيد رضا، وقد كان تفسير المنار أحد التفاسير التي أولاهها مغنية اهتماماً بالغاً وصاحبته في مسيرته التفسيرية، إلى جانب الكثير غيرها من أمثال في ظلال القرآن لسيد قطب، وروح المعاني للآلوسي، والكشاف للزمخشري...²

¹ ينظر المرجع السابق مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، ج2، ص 145

² ينظر المرجع السابق: الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1، ص13

المطلب الثاني: موقفه إزاء النصوص القرآنية والشواهد النبوية

قد أيد مغنية اتخاذ القرآن الكريم والنصوص النبوية مرجعان تفسيريان فقال: " اعتمدت - قبل كل شيء - في تفسير الآية وبيان المراد منها على حديث ثبت في سنة الرسول ﷺ لأنها ترجمان القرآن، والسبيل إلى معرفة معانيه¹: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾²، فإذا لم يكن حديث من السنة اعتمدت ظاهر الآية، وسياقها، لأن المتكلم الحكيم يعتمد في بيان مراده على ما يفهمه المخاطب من دلالة الظاهر، كما أن المخاطب بدوره يأخذ بهذا الظاهر، حتى يثبت العكس، وإذا أوردت آية ثانية في معنى الأولى، وكانت أبين وأوضح، ذكرتهما معاً، لغاية التوضيح، لأن مصدر القرآن واحد، ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، وإذا تعارض ظاهر اللفظ مع حكم العقل وبداهته، أولت اللفظ بما يتفق مع العقل باعتباره الدليل والحجة على وجوب العمل بالنقل. وإذا تعارض ظاهر اللفظ مع إجماع المسلمين في كل عصر ومصر على مسألة فقهية حملت الظاهر على الإجماع كقوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَدَّيْنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾³ حيث دلت ﴿ فَاكْتُبُوهُ ﴾⁴ على الوجوب، والإجماع قائم على استحباب كتابة الدين، فأحمل الظاهر على الاستحباب دون الوجوب⁴

هذا الموقف أحدث ضجة كبيرة في أوساط الإمامية ، واعتبره مساس بمعتقدهم الذي ورثوه من آل البيت والذي مفاده أن القرآن علمه عند أئمتهم فقط، كما سجلوا على جواد مغنية ملاحظة منهجية على مغنية وصفوه بأنه وقع في نوع من التناقض داخل المنهج⁵.

¹ ينظر المرجع نفسه: الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1، ص14.

² سورة الحشر: الآية 7

³ سورة البقرة: الآية 282.

⁴ ينظر المرجع السابق: الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1، ص15.

⁵ وجه علماء الاثني عشرية نقدا لادعا لجواد مغنية ووصفه بالمتناقض، وقصور فهم مغنية في التمييز بين النصوص النبوية، والخبر

المنقول عن النبي ﷺ، وفضهم لكل ما جاء عن النبي ﷺ

حصيلة الملاحظة أن الشيخ مغنية - وفق ما نفهمه من النص المتقدم - لم يفرّق بين النص النبوي وبين الخبر المنقول عن النبي ﷺ فالنص النبوي ترجمان القرآن، والسبيل إلى معرفته، تمسكاً بما دل على لزوم الأخذ بما أتى به الرسول ﷺ، لكن الخبر المروي عن النبي ﷺ ليس له تلك الدرجة المعرفية، وإن لم يمارس إزاهه رفضاً شاملاً.

إن ما نتعامل معه اليوم هو النص المنسوب إلى النبي ﷺ النص النبوي، وعليه فإذا أريد تأسيس أولوية لصالح النص النبوي فهذا مقبول، أما عندما يراد جعل الخبر المروي بمثابة النص النبوي وإلغاء الفاصلة

كما اعتبروا أن هذا المنهج مارسته تيارات أخبارية سابقة في الفكر الإسلامي من محمد أمين الاسترآبادي إلى غيره، ولم تسلم منه فرق الشيعة والسنة، فهناك من يقول بأن العودة المباشرة إلى الكتاب الكريم منهجية خاطئة، وأن السنة النبوية ونصوص أهل البيت هي المرجع المعرفي الأول الذي يمكن من خلاله فهم القرآن وغيره¹.

أما بالنسبة لأقوال الصحابة فمغنية لا يراها حجة، والحجة تكون إلا لأقوال رسول الله ﷺ وأقوال المعصومين من أهل بيته عليهم السلام

والحديث يخص القرآن ولا ينسخه حيث يكتب: «إن الحديث يفسر ويخصص آيات القرآن، ولا يجوز أن ينسخ آية من آياته وإنما تنسخ الآية بمثلها»².

المطلب الثالث: موقفه من الإسرائيليات

من العناصر التي تبدوا واضحة في منهج جواد مغنية، هو إهماله لما بات يعرف بأدبيات التفسير " بالإسرائيليات" وهي أخبار أهل الكتاب التي نفذت إلى كتب التفسير والمعروفة " وقد وضح هذا

الموجودة فإن الأمر يبدو مختلفاً بعض الشيء، إذ ثمة تساؤل منهجي يطالبنا بجواب: لماذا قَدِّمت الروايات على الظاهر القرآني، رغم اعتراف الشيخ مغنية باعتماد المتكلم والسامع على الظاهر هذا؟

إن مجرد كون النبي ﷺ ترجماناً للقرآن، وكذا أهل بيته، لا يبرر تقديم الخبر المروي عنهم على الظاهر، حتى يقول الشيخ مغنية إنه يتعامل مع النص المروي ثم يلجأ إلى الظاهر القرآني.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لماذا يجري عادةً استبعاد النص الصريح من القرآن، ولماذا تجعل السنة واضحة فيما يبدو القرآن غامضاً؟

لا شك أن النص القرآني نوع نصٍّ حركي، يصعب استخلاص كافة النتائج منه، لكن الأخذ بمحمل النتائج شيء وعدم الأخذ بأي معطى شيء آخر.

إن العودة إلى الترجمان إنما تكون عند عدم المعرفة بالترجم لا مع المعرفة به، والعودة بعد المعرفة لا وظيفة لها سوى اختبار استنتاجاتنا عن القرآن لا طلب الاستنتاج منه، وإذا ما أقفل الشيخ مغنية طرق المعرفة بالقرآن فمن حقه — أولاً — اعتبار النص النبوي أساساً أولاً في التفسير، لكن الشيخ مغنية نفسه عاد وأقرّ بالظاهر القرآني، فكيف تستنى له هذا التناقض المنهجي، سيما وأن النصوص النبوية لا تخرج — هي الأخرى — في أغلبها وفق المقاييس المتداولة عن الظاهر نفسه.

وعلى خط ثالث، كيف قدّم الشيخ مغنية النص النبوي (وهو ليس إلا الخبر المروي في الحقيقة بالنسبة لنا) على القرآن على صعيد الفهم، مع أن النصوص الروائية نفسها تأمر بعرض الحديث على الكتاب لا العكس!؟

إن هناك احتمالاً في أن لا يقصد الشيخ مغنية ما توحى عبارته السالفة، والقول بأن قصده من النص النبوي النص الصحيح غير المرفوض عقلاً أو بدهاءً من القرآن، أو ما شابه ذلك سيما أنه عارض الموقف الإخباري في كتابه أصول الفقه (ينظر علم أصول الفقه في ثوبه الجديد، ص 223 — 224).

¹ ينظر معالم المنهج التفسيري عند الشيخ محمد جواد مغنية: حيدر حب الله. <http://hobbollah.com/articles/>

² ينظر المرجع السابق: الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط 2007م، ج 1، ص 15.

جليا في مقدمة تفسيره بقوله: «نظرت إلى الإسرائيليات التي جاءت في بعض التفاسير على أنها خرافة وأساطير ولا شيء أصدق في الدلالة على كذبها وزيفها من نسبتها إلى إسرائيل».¹

وفي الأخير وبناء على جميع ما تقدم يعد يعد تفسيره هذا من النمط الجديد، الذي يتلاءم وحاجة المسلمين في هذا العصر، كما يعتبر جواد مغنيا من جملة المفسرين المعتدلين نسبيا، ومن الدعاة إلى التقريب بين المذاهب.

ويبقى التساؤل هل حقا علماء الإمامية صادقون في دعواهم للتقريب بينهم وبين السنة؟، وما حقيقة التقريب عندهم؟، هل هو احتواء كل واحد للآخر وقبوله بمعتقده حتى وإن تخلله الكفر، أو هو التعايش بسلام بغض النظر عن الاختلاف؟، أو هو مجرد حبرا على ورق، ونوع من أنواع المداراة والتقوية ولكن بأسلوب علمي، والله أعلم.

وفي الأخير نخلص إلى أن تفسير الكاشف للشيخ جواد مغنية يمثل نوعا من الاعتدال ومظاهر اعتداله أوجزها في نقاط كالاتي:

أولاً: التزامه بمنهج تفسير القرآن إلى حد كبير، وهذا ما صرح به في مقدمة كتابه

ثانياً: تفسيره يمثل جانب الاعتدال النسبي عند الجعفرية في المنهج والتطبيق، دون أن يخلو تفسيره من التأثير بعقيدته في الإمامة والعصمة والمهدية.

ثالثاً: حرق تفسير جواد مغنية إجماع مفسري الشيعة ونفى القول بتحريف القرآن.

¹ ينظر المرجع نفسه: الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2007م، ج1، ص16.

الفصل الثاني:

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

المبحث الثاني: التعريف بتفسير الأمثل

المبحث الثالث: مسالك مكارم الشيرازي في تناول القصص
القرآني

المبحث الرابع: موارد مكارم الشيرازي في تفسيره للقصص
القرآني

ذكر علماء الشيعة الإمامية أن تفسير الأمثال دُونَ ليكون غذاءً للجيل المعاصر، المتعطش لفهم معاني القرآن بشكل واسع، لذا استوقفني هذا التفسير لدراسته مع بيان منهج صاحبه في التعامل مع القصص القرآني باعتباره قطب الرحى في عملية الإقناع والنظر مدى توفيقه في تحقيق المقصد القرآني.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

ولد ناصر مكارم الشيرازي سنة (1345هـ)، بمدينة شيراز جنوب إيران، في أسرة متدينة، أكمل دراسته الابتدائية والثانوية بمسقط رأسه، وتمكن من إهاء جميع دروس الدينية بشكل رسمي في سن الرابعة عشر تقريباً وذلك في «مدرسة آقا بابا خان شيراز»، فدرس شيئاً من الصرف والنحو والمنطق والمعاني والبيان والبديع، ثم عكف على الفقه والأصول، فتمكن أن ينهي جميع دروس «المقدمات» و«السطوح الوسطى» و«السطوح العالية» في أقل من أربع سنوات، كان خلالها كذلك يقوم بتدريس جماعة من طلبة الحوزة بشيراز.

بدأ الشيرازي بالتعمق في دراسته الدينية، ولم يكن قد تجاوز الثامنة عشر من عمره حين كتب حاشية على «كفاية الأصول». وقد هاجر حينها إلى مدينة قم للالتحاق بحوزتها، وتعلم لمدة خمس سنوات تقريباً على بعض أساتذتها الكبار حسين البروجردي ثم هاجر.

إلى العراق، للالتحاق بحوزة النجف وحضر دروس أساتذتها أمثال: محسن الحكيم، وأبو القاسم الخوئي، وعبد الهادي الحسيني الشيرازي، في سن الرابعة والعشرين حاز على إجازة الاجتهاد المطلق من اثنين من المراجع في النجف، كما سجل المرجع محسن الحكيم تقريراً قصيراً على تقريرات الشيرازي لدرس الفقه «أبواب الطهارة»، استمر بالدراسة في النجف حتى شهر شعبان 1370هـ، حين أجبرته قلة الإمكانيات المتاحة على العودة إلى إيران والتزول بمدينة قم، بعد عودته إلى إيران، عكف الشيرازي على تدريس «السطوح العالية» ثم «البحث الخارج» في الأصول والفقه منذ 33 سنة تقريباً، وقد درّس أربع دورات كاملة لبحث خارج الأصول وألف الكثير من الكتب الفقهية المهمة بعد تدريسها¹.

وقد ترك الشيرازي عدة مؤلفات منها: أحكام الشباب، باللغة الفارسية، أحكام النساء، باللغة الفارسية، — العربية ألف مسألة فقهية، باللغة الفارسية العربية، الإنجليزية، الصينية، الأوردية،

¹ ينظر موقع هدى القرآن الإلكتروني : موقع متخصص في القرآن وعلومه، التابع لحوزة الهدى للدراسات الإسلامية)

الروسية والتركية الآذرية، آيات الولاية في القرآن، أنوار الفقاهاة في أحكام العترة الطاهرة. الوهايبة علي مفترق طريقين.¹

المبحث الثاني: التعريف بتفسير الأمثل للشيرازي

المطلب الأول: الوصف العام لكتابه

تفسير الأمثل أشرف عليه مكارم الشيرازي، بالتعاون مع مجموعة من علماء الحوزة العلمية²، وذلك خلال مدة أربعة عشرة سنة من (1394هـ إلى 1410هـ) الموافق ل: (1974م إلى 1989م) وبذلك يكون أول تفسير نموذجي في تاريخ الإمامية، كُتب بالفارسية في سبع وعشرون مجلداً، وترجم إلى العربية باسم الأمثل في ثلاثين مجلداً، وطبع عدة مرات، كما أنه لُخص في ثلاث مجلدات باسم بر كزيدة تفسير نونه إعداداً للتدريس في الحوزة بتحقيق وتنظيم أحمد علي باباي، فكان موضع حفاوة الطلبة والمدرسين.

وصفه المرجع الشيعي محمد هادي معرفه بقوله: "وهذا التفسير دُون ليكون غذاء للجيل المعاصر، فكانت خدمة جليلة قدمها الشيرازي وأعوانه للجيل المعاصر المتعطش لفهم معاني القرآن بشكل واسع والاستسقاء من مناهله العذبة"³.

وقد أشار الشيرازي في مقدمة تفسيره عن الهدف الأساس لتفسير الأمثل بقوله: الصّحوة الإسلامية المعاصرة وزيادة الحاجة إلى تفسير القرآن، تشهد أمتنا الإسلامية خلال هذه الأعوام صحوة إسلامية عامّة، تتمثل في رفض كلّ المستوردات الفكرية، والعودة إلى الإسلام، لإقامة حياتها على أساس أحكام الرسالة الخاتمة.

¹ ينظر المرجع السابق الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين - عليه السلام - قم إيران طبعة 1421هـ، ج1، ص 11، وينظر موقع هدى القرآن الإلكتروني: موقع متخصص في القرآن وعلومه، التابع لحوزة الهدى للدراسات الإسلامية) www.hidaalquran تاريخ النشر 2008/2/7م

² من بين العلماء الذين شاركوا في تأليف تفسير الأمثل: محمد رضا الأشثياني، ومحمد جعفر الإمامي، داود الإلهامي، الشيخ أسد الله الإمامي وعبد الرسول الحسيني وحسن الشجاعي، نور الله الطباطبائي، محمود عبد الله، محسن القراني، محمد محمدي الإشتهاردي، وكذلك محمد علي آذرشب، الشيخ محمد رضا آل صادق، الأستاذ خالد توفيق عيسى، السيد محمد الهاشمي، الأستاذ قصي هاشم فاخر، الأستاذ أسد مولوي، الشيخ مهدي الأنصاري والسيد أحمد القبانجي والشيخ هاشم الصالحي. بمساهماتهم في تنقيح وإخراج هذا التفسير. (ينظر المرجع السابق تفسير الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي ج1، ص13-14)

³ المرجع السابق التفسير والمفسرون: محمد هادي معرفة، ج2، ص511.

هذه الصّحوة تعود إلى فشل كلّ الأطروحات الوضعية الكافرة في تحقيق ما لوّحت به من تقدّميّة وتحرّر وسعادة كما تعود أيضا إلى العواطف الإسلاميّة المتوغّلة في أعماق أبناء الأمة.

ويتحمّل العلماء الواعون في هذه المرحلة الحسّاسة مسؤوليّات كبرى تفرض عليهم أن يعمّقوا هذا التحرك الواعي بين صفوف الأمة ويجذّروه ويؤصّلوه، كي تكون المسيرة على بصيرة في حركتها وعلى يقظة في اتّخاذ قراراتها، وعلى ثقة من أنّها تسلك الطريق نحو أهدافها الإسلاميّة الكبرى دون زيف أو انحراف أو التقاط، وكتاب الله هدى ونور، وفيه الإطار العامّ للمسيرة، وفيه الزاد اللازم لمواصلة الطريق المستقيم نحو ربّ العالمين.¹

وأضاف قائلا: « لكل عصر خصائصه وضروراته ومتطلباته، وهي تنطلق من الأوضاع الاجتماعيّة والفكرية السائدة في ذلك العصر ولكل عصر مشاكله وملابساته الناتجة عن تغيير المجتمعات والثقافات، وهو تغيير لا ينفك عن مسيرة المجتمع التاريخيّة، والمفكر الفاعل في الحياة الاجتماعيّة هو ذلك الذي فهم الضرورات والمتطلبات، وأدرك المشاكل والملابسات، وقد واجهنا دوما أسئلة وردت إلينا من مختلف الفئات، وخاصة الشباب المتعطش إلى نبع القرآن عن التفسير الأفضل، كانت هذه الأسئلة تنطوي ضمّنيا على بحث عن تفسير يبين عظمة القرآن عن تحقيق لا عن تقليد، ويجب على ما في الساحة من احتياجات وتطلّعات وآلام وآمال تفسير يجدي كل الفئات، ويخلو من المصطلحات العلميّة المعقّدة، ونحن نفتقر إلى تفسير مثل هذا، فالسلف والمعاصرون كتبوا في ذلك كثيرا، ولكنها بأساليب خاصة بالعلماء والأدباء وعلى مستويات رفيعة»²

وقد لقي هذا التفسير قبولا كبيرا في أوساط علماء الإمامية ، وقد وصفه محمد هادي معرفة بقوله: هذا التفسير دُونَ ليكون غداء للجيل المعاصر، المتعطش لفهم معاني القرآن بشكل واسع"

المطلب الثاني: منهجه التفسيري

وضح المؤلف خصائص منهجه التفسيري وطريقته في مقدمة تفسيره بقوله: " لكي يرد القراء الأعزّاء إلى هذا التفسير برؤية أوضح، وليجدوا فيه ما يريدونه بشكل أيسر، نذكر باختصار خصائص هذا التفسير ومزاياه وطريقته:

¹ ينظر المرجع السابق الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين - عليه السلام - قم إيران طبعة 1421هـ، ج1، ص 14

² ينظر المرجع نفسه: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين - عليه السلام - قم إيران طبعة 1421هـ، ج1، ص 11

الفرع الأول: خصائص منهجه التفسيري

أولاً: لما كان القرآن «كتاب حياة» فإننا لم نركز في التفسير على المسائل الأدبية والعرفانية، بل بدلا من ذلك عالجنا المسائل الحيوية — المادية والمعنوية وخاصة المسائل الاجتماعية، وسعينا إلى إشباعها بحثاً وتحليلاً، وخاصة ما يرتبط من قريب بحياة الفرد والمجتمع.

ثانياً: في ذيل كل آية تناولنا تحت عنوان «بحوث» المسائل المطروحة في الآية بشكل مستقل، كالربا، والرق، وحقوق المرأة، وفلسفة الحج، وأسرار تحريم القمار، والخمر، ولحم الخنزير، ومسائل الجهاد الإسلامي، وأمثالها من الموضوعات، كي يستغني القارئ عن مراجعة الكتب الأخرى في هذه المجالات.

ثالثاً: عزفنا عن تناول البحوث ذات الفائدة القليلة، وأعطينا الأهمية لمعاني الكلمات وأسباب النزول مما له تأثير في الفهم الدقيق لمعنى الآية¹.

رابعاً: عرضنا التساؤلات والشبهات والاعتراضات المطروحة حول أصول الإسلام وفروعه بمناسبة كل آية، وذكرنا الجواب عليها باختصار، مثل شبهة الأكل والمأكول، والمعراج، وتعدد الزوجات، وسبب الاختلاف بين إرث المرأة والرجل، ودية المرأة والرجل، والحروف المقطعة في القرآن، ونسخ الأحكام، والغزوات الإسلامية، والاختبارات الإلهية، وعشرات المسائل الأخرى، كي لا تبقى آية علامة استفهام عند مطالعة تفسير الآيات.

خامساً: أعرضنا عن استعمال المصطلحات العلمية المعقدة التي تجعل الكتاب خاصاً بفتحة خاصة من القراء، ولدي الضرورة تناولنا ذلك في هامش الكتاب من أجل استفادة المتخصصين².

الفرع الثاني: طريقته في التفسير

يبدأ بذكر اسم السورة وبيان خصائصها، والجو العام لها، وما يرتبط بها من الأهداف العامة وتناسبها، وبيان أهميتها وما تحويه من الموضوعات والبحوث المهمة، والتعليل لبيان اسم السورة، والخصوصيات الواردة فيها من خلال التفاسير، ثم يبين الجو الذي نزلت فيه السورة والآية، والإشارة إلى مضمونها بياناً وتحليلاً، مع سلاسة البيان وجزالة العبارة، ويشير بعد كل ذلك إلى المسائل الحيوية

¹ المرجع السابق: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين - عليه السلام - قم إيران طبعة 1421هـ، ج1، ص12

² ينظر المرجع نفسه الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين - عليه السلام - قم إيران طبعة 1421هـ، ص12-13

الباب الثالث..... الفصل الثاني: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر ملكرم الشيرازي

المادية والمعنوية، وخاصة المسائل الاجتماعية المرتبطة بالآية، بدلا من المباحث الأدبية والبلاغية والعرفانية، وفي ذيل كل آية يتعرض للمباحث الموضوعية تحت عنوان " بحث " المتناسب للمسائل المطروحة في الآية، كالربا والرق وحقوق المرأة وغيرها.¹

والمقصد المهم في نظر المؤلف والمشاركين معه، بيان المعاني للكلمات وإعطاء فهم صحيح للقرآن، ولو بنقل الحديث أو أسباب النزول مما له تأثير في الفهم الدقيق لمعنى الآية، مع الاجتناب عن تناول البحوث ذات الفائدة القليلة، بشكل مختصر وعدم التوسع في الفروع والأقوال، وإن كانوا يعتنون بأسرار الحكم وفلسفته.

وأما التفاسير التي اعتمدوا عليها في الأمثل: مجمع البيان، والجامع لأحكام القرآن، والميزان والمنار، وتفسير نور الثقلين، والتفسير الكبير للرازي، وفي ظلال القرآن، والمراغي، وغيرها من التفاسير، مع تأييد وترجيح أو نقد للأقوال، ومن معروف عن أصحاب هذا التفسير جنوحهم للتفسير العلمي، أما بالنسبة لاتباعهم في تفسيرهم العلمي، والتحريض على المنهج العلمي عن طريق استنطاق للآيات القرآنية وما تضمنته من إشارة إلى أسرار الخلق وظواهر الطبيعة فهي وجوه من وجوه إعجاز القرآن، إذ فيها معرفة حقائق، تأخر العلم في الكشف عن معرفتها عدة قرون ومثالها تفسير قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ

وَالْحِسَابِ ﴾² بعدما فسر الآية الكريمة على إثبات كروية الأرض والشمس تعم العالم بنورها قال: " إن هذه الآية في الحقيقة تشير إلى إحدى المسائل العلمية المرتبطة بالأجرام السماوية، حيث أن البشر في ذلك الزمان كانوا محجوبين عن العلم ولم يدركوا أن للقمر حركة، أما الشمس فلا حركة لها... وكذا في تفسير الآية الكريمة ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾³ روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إنه قال: " إنها تنشق من الجرة". والحديث يعتبر من الإعجاز العلمي لأمير المؤمنين عليه السلام، حيث أنه قد كشف الستار عن حقيقة علمية قائمة لم يكن قد سبقه إليها أحد من علماء تلك الأزمان أحد قبله عليه السلام، أما بالنسبة لموقفهم من الإسرائيليات والموضوعات والخرافات، فإنهم يتجنبونها ويشيرون إلى وضعها ودسها.⁴

¹ ينظر المرجع السابق المفسرون حياتهم ومنهجهم: محمد علي أبازي، الطبعة الأولى طهران -1386هـ، ج1، ص151.

² سورة يونس: الآية 5

³ سورة الانشقاق: الآية 1

⁴ المرجع السابق: المفسرون حياتهم ومنهجهم: محمد علي أبازي، الطبعة الأولى طهران -1386هـ، ج1، ص151.

المبحث الثالث: مسلك الشيرازي في تناول القصص القرآني

يتناول هذا المبحث مسلك الشيرازي في تناول القصص القرآني، عن طريق عرض بعض النماذج القصصية بغية الوقوف على مسلك المؤلف في طريقة تعامله مع القصة القرآنية ومدى تحقيق القصة عنده مقاصدها المعروفة.

النموذج الأول: قصة آدم عليه السلام

بدأ الشيرازي بعرض قصة آدم عليه السلام بقوله: جاء في عيون الأخبار عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: " كان سجودهم لله تعالى عبودية ولآدم إكراما وطاعة لكوننا في صلبه، بعد هذا المشهد واختبار الملائكة أمر آدم وزوجه أن يسكنا الجنة، كما جاء في قوله تعالى ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾¹ يستفاد من آيات القرآن أن آدم خلق للعيش على هذه الأرض، لكن الله شاء أن يسكنه قبل ذلك الجنة وهي روضة خضراء موفورة النعمة في هذا العالم، وخالية من كل ما يزعج آدم.

﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ وهنا فهم آدم أنه ظلم نفسه، وأخرج من الجو الهادي المليء بنعم الجنة، بسبب استسلامه لوسوسة الشيطان، وهبط في جو مفعم بالتعب والمشقة... ووردت عن أهل البيت عليهم السلام روايات تصرح بذلك: منها ما روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه سئل عن جنة آدم فقال: " جنة من جنات الدنيا يطلع فيها الشمس والقمر، ولو كان من جنات الآخرة لما خرج منها أبدا.²

وأما عن توبة عودة آدم إلى الله تعالى كما تقول الآية ﴿ فَلَنَلْقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ الكلمات التي تلقاها آدم: تعددت الآراء في تفسير " الكلمات " التي تلقاها آدم من ربه... المقصود بالكلمات هذا الدعاء: « اللهم لا إله إلا أنت سبحانك ومحمدك، ربّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي فإنك خير الغافرين". وفي روايات وردت من طرق أهل البيت عليهم السلام أن المقصود " بالكلمات " أسماء أفضل مخلوقات الله وهم: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين - عليهم

¹ سورة البقرة: الآية 34-39.

² المرجع السابق: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين - عليه السلام - قم إيران طبعة 1421هـ، ج1، ص166.

الباب الثالث..... الفصل الثاني: (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل): ناصر مكارم الشيرازي

أفضل الصلاة والسلام – وآدم توسل بهذه الكلمات ليطلب العفو من ربّ العلمين فعفا عنه. ¹
مناقشة:

ذكر الشيرازي أن جنة آدم هي روضة حضراء موفورة النعمة في هذا العالم، ونرد عليه بأن العلماء لم يجزموا في ذلك، بل أكثرهم ذهبوا إلى أنها جنة الخلد التي وعد المتقون (جنة المأوى) وإلى أنها في السماء، وقال آخرون: هي جنة خاصة في الأرض وأقام كل الأدلة على ما ذهب إليه. فمن أدلة الفريق الأول: أن الجنة إن أطلقت فالتبادر من هذا اللفظ أنها الجنة المعهودة للمتقين، فقوله سبحانه: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ فالذي يسبق إليه الفكر هذه الجنة التي ذكرت كثيرا في كتاب الله مثل قوله ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ ²

ثانيا: قوله سبحانه ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ فإن الهبوط إنما يكون من أعلى إلى أسفل، كما استدلوا ببعض الآثار، وقال آخرون إنها جنة خاصة في الأرض: إن جنة المأوى ليس فيها تكليف، والتكليف إما أن يكون أمرا أو نهيا، والجنة التي كان فيها آدم كان فيها تكليف، حيث نهى هو وزوجه أن يقربا الشجرة، وقالوا أيضا إن جنة المأوى لا يمكن أن يدخلها إبليس وقالوا ردا على الأولين ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ لا يدل على أنها جنة المأوى، بل هي جنة عرفها آدم ³ الكَلْبَاءُ وقد ذكر لفظ الجنة في القرآن الكريم معرفا ومنكرا لغير جنة المأوى أما منكر كقوله سبحانه: ﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ⁴ ذكر لفظ الجنة معرفا في قوله سبحانه ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ ⁵ وقال أيضا لفظ الهبوط لا يدل على أنه كان من السماء إلى الأرض لقوله تعالى: ﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَمِعَتْهُمِ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنْ عَذَابِ الْيَوْمِ﴾ ⁶ ومن خلال ما ذكر من الأدلة رجح فضل حسن عباس جنة آدم بقوله: «على أن جنة المأوى ليس مقنعا ولا ملزما، لذلك الذي يترجح عندي أنها جنة خاصة بآدم

¹ المرجع السابق: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين - عليه السلام - قم إيران طبعة 1421هـ، ج1، ص175.

² سورة الأعراف: الآية 44

³ ينظر قصص القرآن الكريم: فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط2000م، ص141.

⁴ سورة البقرة: الآية 266

⁵ سورة القلم: الآية 17.

⁶ سورة هود: الآية 48

التعليق، وسواء أكانت جنة المأوى أو غيرها فذلك ليس من الأمور العقديّة»¹

أما فيما يخص الكلمات التي توصل بها آدم إلى ربه فقد ذكر الشيرازي رواية مسندة إلى أئمة أهل البيت ومفادها أن الكلمات التي توصل بها آدم لطلب عفو ربه هي: أسماء أفضل مخلوقات الله وهم: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين - عليهم أفضل الصلاة والسلام - فالأئمة الأطهار براء منها، وهذا ليس بالغريب على الشيعة فقضية التلفيق سارية في دمهم نصره لمذهبهم.

النموذج الثاني: قصة بقرة بني إسرائيل

شرح الشيرازي في بيان القصة بقوله: « قصة بقرة بني إسرائيل: كما بينها القرآن وكتب التفسير على النحو التالي: قتل شخص من بني إسرائيل بشكل غامض ولم يعرف القاتل، حدث بين قبائل بني إسرائيل نزاع بشأن هذه الحادثة كل قبيلة تتهم الأخرى بالقتل، توجهوا إلى موسى ليقضي بينهم.. لجأ موسى بإذن الله إلى طريقة إعجازية لحل هذه المسألة كما ستوضحها الآيات الكريمة

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَاهُمْ وَوَلَّوْنَا اللَّهَ عَنَّا وَإِنَّا لَكَاذِبُونَ ﴾

﴿ الْجَاهِلِينَ ﴾² أي إن الاستهزاء من عمل الجاهلين، وأنبياء الله مبرؤون من ذلك، بعدما أيقنوا بجديّة المسألة..³ والعبرة في هذه القصة: لها دلالات على قدرة الله اللامتناهيّة وكذلك على مسألة الميعاد، إضافة إلى ما سبق هذه القصة تتحدث عن سنة من سنن الله تعالى وهي أن الأمة تستوجب غضب الله حين تصر على عنادها واستهتارها بكل شيء، العبارات التي وردت على لسان بني إسرائيل في هذه القصة، توضح أن هؤلاء القوم بلغوا الذروة في إهانة النبي، بل وبلغت بهم الجرأة إلى إساءة الأدب تجاه رب العالمين، في البداية قالوا لنبيهم ﴿ قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَاهُمْ وَوَلَّوْنَا اللَّهَ عَنَّا وَإِنَّا لَكَاذِبُونَ ﴾ وبذلك أهّموا نبيهم بارتكاب ذنب الاستهزاء بالآخرين، وفي مواضع عديدة خاطبوه بعبارة ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا ﴾ وكان رب موسى غير ربهم، مع أن موسى قد قال لهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾ هذه التعبيرات تدل على جهل هؤلاء القوم وتعنتهم وغرورهم، وهذه القصة من جهة أخرى تعلمنا أننا ينبغي أن لا نتزمت ولا نشدد في الأمور كي لا يشدد الله علينا. ولعل انتخاب البقرة للذبح يستهدف غسل أدمغة هؤلاء

¹ المرجع السابق: قصص القرآن الكريم: فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط2000م، ص142.

² سورة البقرة: الآية 67.

³ المرجع السابق: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين - عليه السلام - قم إيران طبعة 1421هـ، ج1، ص 365-366.

القوم من فكرة عبادة العجل.¹

مناقشة:

تعتبر قصة بقرة بني إسرائيل من أحسن القصص التي قصها الله على نبيه لأجل أخذ العبرة والعظة ولقد أحسن الشيرازي في بداية عرضه لقصة بقرة بني إسرائيل، إلا أنه بعد ذلك أخلط الصحيح بالسقيم، وحمل في طياته مصائب، وحرف الكلم عن مواضعه، من جراء حمله وليه لعنق الآيات بما يخدم معتقده في الرجعة والميعاد، ونلمح ذلك من خلال قوله: هذه القصة لها دلالات على قدرة الله اللامتناهية وكذلك على مسألة الميعاد"

كما هو معروف أن الإمامية تعتمد اعتماداً كلياً على التأويل الباطني لنفث سمومها، فلا تترك سائحة ولا لائحة في القصة إلا واغتنمها في نصره لمذهبها أو ترويها لمعتقدها المزعوم، ولكن من المعروف أيضاً أن الخطاب في هذه القصة موجه للرسول ﷺ بأن يذكر لهؤلاء اليهود عيباً آخر من عيوب أسلافهم الذي يَعْتَرُونَ بهم وهو سوء سلوكهم مع أنبيائهم فيكون توبيخاً لهم لعلهم يرجعون عن غيهم فيؤمنوا بك وبما جئت به من الهدى ودين الحق. واذكر لهم قصة الرجل الذي قتله ابن أخيه استعجالاً لإرثه ثم ألقاه تعمية في حي غير الحي الذي هو منه، ولما اختلفوا في القاتل قالوا نذهب إلى موسى يدعو لنا ربه ليبين لنا من هو القاتل فجاؤوه فقال لهم إن الله تعالى يأمركم أن تذبحوا بقرة من أجل أن يضربوا القاتل بجزء منها فينطق مبيناً من قتله فلما قال لهم ذلك قالوا أتخذنا هزواً فوصفوا نبي الله بالسخرية واللعب وهذا ذنب قبيح وما زالوا يسألونه عن البقرة ويتشددون حتى شدد الله تعالى عليهم الأمر الذي كادوا معه لا يذبحون مع أنهم لو تناولوا بقرة من عرض الشارع². وذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم فعثروا على البقرة المطلوبة بعد جهد جهيد وغالى فيها صاحبها فباعها لهم بماء وجلدها ذهباً.

وقد بين أبو بكر جابر الجزائري مقاصد هذه القصة في عدة نقاط أبرزها:

- 1- بيان ما كان عليه قوم موسى من بني إسرائيل من العجرفة وسوء الأخلاق ليتجنب مثلها المسلمون.
- 2- حرمة الاعتراض على الشارع ووجوب تسليم أمره أو نهيهِ ولو لم تعرف فائدة الأمر والنهي وعلتها.
- 3- الندب إلى الأخذ بالمتيسر وكراهة التشدد في الأمور.

¹ المرجع نفسه: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين - عليه السلام - قم إيران طبعة 1421هـ، ج1، ص270-271

² المرجع السابق أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، وهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير: أبو بكر جابر الجزائري، ط4، جدة، دار السلام، ط1992، ج1، ص32.

4- بيان فائدة الاستثناء بقوله إن شاء الله، إذ لو لم يقل اليهود إن شاء الله لمهتدون ما كانوا ليهتدوا إلى معرفة البقرة المطلوبة¹

بيان المقصد العام لقصة بقرة بني إسرائيل، كما قصها الله علينا في كتابه العزيز فقصة بقرة بني إسرائيل التي كشفت لنا حقيقتهم وما اتصفوا به من صفات سيئة وقييحة، من الكبر والعناد وقسوة القلب واستهزائهم بآيات الله وأنبيائه والقتل وإلصاق التهمة بالآخرين؛ وذلك حتى نعرف أعداءنا وصفاتهم، فلا نسلك مسلكهم، فنضل ونشقى في الدنيا والآخرة .

المبحث الرابع: موارد الشيرازي في تفسيره للقصص القرآني

المطلب الأول: موقفه من تفاسير الشيعة

تنوع مصادر البحث عند الشيرازي مما يكشف عن غنى البحث وتعدده وسعة علم الشيرازي، وتضلعه في مختلف العلوم، وقد سخر ذلك كله في تفسيره، ففي مطلع تفسيره للقصص يذكر معاني الكلمات والقراءات ويرجع إلى تفسير مجمع البيان للطبرسي وينقل منه بكثرة سواء في معاني الآيات أو في نقل الروايات والأخبار، كما ينقل أيضا من تفسير التبيان للشيخ الطوسي، أما فيما يخص التأويلات الباطنية فوجد في كتاب الصافي للملا محسن الفيض الكاشاني مبتغاه².

والسبب الذي دفع بالشيرازي اعتماده على تفسير الصافي للكاشاني، وذلك لتأثر هذا الأخير تأثرا بالغا بالقمي خاصة في المنحى الباطني.

كذلك لكون الكاشاني يجمع بين الرواية والدراية مع غلبة الرواية، وهو يستوعب القرآن كله، وقد اعتمد في النقل على تفسير البيضاوي، أما منهجه فيعتمد اللغة أولاً، ثم النحو، ثم المأثور، ولا يطيل إلا إذا وجد في الآية ما يمكن أن يأخذ منه شاهداً على مبدأ³.

¹ المرجع السابق أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير: أبو بكر جابر الجزائري، ط4، جدة، دار السلام، ط1992، ج1، ص32.

² الكاشاني: المدعو عند الشيعة: " المولى محمد محسن بن مرتضى بن محمود الملقب بالفيض الكاشاني، وهو من أكبر علماء الشيعة في القرن الحادي عشر هجري، كان فقيها أصوليا، مفسرا محققا متكلما أديبا شاعرا باللغتين العربية والفارسية، ولد سنة 1007هـ - بقم بإيران ثم انتقل إلى كاشان، وبعدها نزل إلى شيراز بعدما سماعه بورود العلامة البحراني وأخذ العلم منه، كما أخذ العلم من الشيرازي الملقب بملا صدرا وتزوج ابنته وبعدها غادر إلى كاشان، وهو من أسرة عريقة عرفت بالعلم والجاه، توفي 1091هـ بكاشان ودفن بها وله مرقد مشهور. ينظر، الأعلام للزركلي: ج5، ص290. وينظر مقدمة الصافي، ج1، ص1-2

³ ينظر المرجع السابق التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ج3، مكتبة وهبة القاهرة، ط2000، ج2، ص1483.

الباب الثالث..... الفصل الثاني: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي

وأكثر الكتب التي استقى منها رواياته هي البرهان للمحدث البحراني، نور الثقلين لعبد علي بن جمعة الحويزي إضافة إلى تفسير الميزان للطباطبائي.

و مما أفاده الشيرازي من تفسير الميزان قصة لوط عليه السلام فقال: وعلى كل حال فإن لوطا لم يجد بدا من أن يأتي بضيوفه إلى البيت ويقوم بواجب الضيافة، ولكن حدثهم في الطريق - عدة مرات - أن أهل هذه المدينة منحرفون وأشرار ليكونوا على حذر منهم.

إن الله سبحانه أمر ملائكته بأن لا يعذبوا قوم لوط حتى يعترف لوط عليهم ثلاث مرات، ومعنى ذلك أنه حتى في تنفيذ حكم الله بالنسبة لقوم ظالمين لا بد من تحقق موازين العدالة في المحاكمة، وقد سمع رسل الله شهادة لوط في قومه ثلاث مرات أثناء الطريق.

كما أن لوط أخر ضيوفه كثيرا حتى حلول الليل، علّه يستطيع أن يحفظ ماء وجهه من شرور قومه، ويقوم بواجب الضيافة دون أن يساء إلى أضيافته، ولكن ما عساه يفعل إذا كان عدوه داخل بيته، وقد كانت امرأة لوط كافرة تساعد قومه الظالمين، واطلعت على ورود هؤلاء الأضياف إلى بيتها فصعدت إلى أعلى السطح وشفقت بيديها أولا، ثم ياشعال النارى ثانيا، وبتصاعد الدخان أعلمت جماعة من هؤلاء القوم بأن طعمة دسمة قد وقعت في الشباك.¹

من خلال عرض الشيرازي لقصة نبي الله لوط عليه السلام - من تفسير الطباطبائي ندرك أنها لم تحقق المقصد الذي سيقى من أجله، بل عرض أجوف بأسلوب ركيك ليس له أي تأثير. وما يعاب أيضا على الشيرازي أنه لا يحقق في الروايات لا سندا ولا دلالة خاصة، إذا كانت من طرقهم .

المطلب الثاني: مصادره التفسيرية السنة

الوارد في مقدمة الأمثل للشيرازي أنه ينقل من كتب الشيعة والسنة على حد السواء ومن بين الكتب التي لقيت رواجاً في تفسير الأمثل السنوية أوجزها باختصار:

أولا: أسباب النزول: لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدى، (468 هـ - 1076م)

فالشيرازي عند عرضه للقصص القرآني غالبا ما يستأنس بأسباب النزول للواحدى، وما يلاحظ أنها إذا وافقت منهجه العقدي أخذها، وإن خالفته نقدها وردّها بالكليّة.

¹ ينظر المرجع السابق الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ج 10، 113 وينظر تفسير الميزان الطباطبائي، ج 10 ص 362.

ثانيا: جامع التفاسير: لأبي القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب (ت 502 هـ) أديب، من
الحكماء العلماء، من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقارن بالإمام الغزالي.

من كتبه (محاضرات الأدباء، و)الذريعة إلى مكارم الشريعة و(جامع التفاسير) كبير، طبعت
مقدمته، وأخذ عنه البيضاوي في تفسيره، بالإضافة إلى المفردات في غريب القرآن¹، ومن بين المواضيع
القصصية التي أخذ منها الشيرازي عن الراغب: قصة نوح عليه السلام وسبب تسمية الجودي، وبعض
مبهمات القرآن وغيرها.²

خاصة وأنا نقرأ في الروايات الإسلامية أن هؤلاء الأشراف المترفين كانوا يلبسون أحسن
اللباس ويتزينون بأبهى زينة، ويتبخثرون أمام أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله - وكانوا
ينظرون إليهم نظرة تحقير واستهزاء... نعم هذه الطريقة في كل عصر وزمان.

"الندي" أخذت في الأصل من الندى أي الرطوبة، ثم جاءت بمعنى الأفراد الفصحاء والخطباء،
لأن أحد شروط القدرة على التكلم امتلاك القدر الكافي من اللعاب، وبذلك فإن ندي تعني المجالسة
والتحدث، بل يقال للمجلس الذي يجتمعون فيه للأنس والسمر، أو يجلسون فيه للتشاور: نادي ومن
هذا أخذت دار الندوة، وهي المحل الذي كان في مكة، وكان يجتمع فيه زعمائها للتشاور.³

ثالثا: مفاتيح الغيب: للفخر الرازي(544 - 606هـ).

ولد في الري بطبرستان، كان الرازي عالماً في التفسير وعلم الكلام والفلك والفلسفة وعلم
الأصول وفي غيرها.

ترك مؤلفات كثيرة تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه أبرزها تفسيره الكبير المعروف بمفاتيح
الغيب، وهو تفسير جامعٌ لمسائل كثيرة في التفسير وغيره من العلوم التي تبدو دخيلة على القرآن
الكريم، وقد غلب على تفسيره المذهب العقلي الذي كان يتبعه المعتزلة في التفسير، فحوى تفسيره
كل غريب وغريبة كما قال ابن خلكان، هذا ما جعل الشيرازي ينقل بكثرة المسائل الكلامية، إذا
وافقت عقيدته أخذها وإذا لم توافق طرحها جانبا ومثاله: ... قصة حادثة مقتل آدم.⁴

¹ ينظر سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - الطبقة الرابعة والعشرون - الراغب، ج 18، ص 120

² المرجع السابق الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، ج 14 ص 46 ومفردات الراغب الأصفهاني، ص

³ ينظر المرجع نفسه الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، ج 7، ص 81-82، ومفردات الراغب مادة ندى

⁴ المرجع السابق الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين - عليه السلام - قم إيران طبعة

الباب الثالث..... الفصل الثاني: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي

وأحيانا ينقل المعاني اللغوية مثل المداد فقال: **مداد** تعني الحبر أو أي مادة ملونة تساعد في الكتابة، وهي في الأصل مأخوذة من (مدّ) بمعنى السحب، حيث تتوضح خطوط الكتابة بسحب القلم.¹

رابعا: تفسير القرطبي لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (600 هـ - 671 هـ)

فقيه مفسر عالم باللغة وُلد في مدينة قرطبة، كان القرطبي عالماً كبيراً منقطعاً إلى العلم منصرفاً عن الدنيا، فترك ثروة علمية تقدر بثلاثة عشر كتاباً مابين مطبوع ومخطوط، أبرزها تفسيره الكبير الجامع لأحكام القرآن الكريم، وهو تفسير كامل عُني فيه بالمسائل الفقهية إلى جانب العلوم الأخرى، ولقد استعان الشيرازي بتفسير القرطبي خاصة في المباحث اللغوية الإعرابية.

هنا نزلت الآية الكريمة على رسول الله ﷺ ومما أفاده الشيرازي من تفسير القرطبي قوله: فلما

نزلت الآية قام النبي ﷺ **﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾**² يلتمسهم حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله قال: " الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمي، معكم الحيا ومعكم الممات.³

خامسا: الدر المنثور: لجلال الدين السيوطي (849 - 911 هـ) هو إمام حافظ مؤرخ

أديب، له نحو 600 مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة.

ومما أفاده الشيرازي من الدر المنثور جزء حول قصة موسى ﷺ مع الخضر فبعدهما ساق عدة روايات عن علمائهم ختم القصة برواية للدر المنثور للسيوطي دون أدنى تعليق فقال: وأخرج الحاكم وصححه عن أبي أن النبي ﷺ قال: لما لقي موسى الخضر جاء طير فألقى منقاره في الماء فقال الخضر لموسى: تدري ما يقول هذا الطائر قال: وما يقول قال: يقول: ما علمك وعلم موسى في علم الله إلا كما أخذ منقاري من الماء.⁴

¹ المرجع السابق الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، ج7، ص604، وتفسير مفاتيح لغيب: الرازي ج25، ص130

² سورة الكهف: الآية 28

³ المرجع السابق الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، ج7، ص499 وتفسير القرطبي ج10، ص360

⁴ المرجع نفسه الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، ج7، ص576. وتفسير الدر المنثور للسيوطي ج9، ص900.

بالإضافة إلى تفاسير أخرى حديثة مثل تفسير المنار لمحمد عبده ورشيد رضا، وتفسير في ظلال القرآن لسيد قطب وغيرها من المراجع التي لا يسمح المقام بذكرها جميعا.

المطلب الثالث: موقفه من الإسرائيليات

موقفه بالنسبة إلى الإسرائيليات، فانه تجنب نقل الإسرائيليات، وكان شديداً على من نقل مثل هذه الأخبار التي تتنافى مع عصمة الأنبياء والملائكة، وكذا بالنسبة إلى الموضوعات وما دس في الأخبار، فانه ينقدها، ثم يثبت ما كان حقاً ثابتاً في نظره، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾¹، ذكر ما روي عن ابن عباس والسدي والكلبي إشارة..، وطعن من نقل هذه القصص والحكايات التي تنافي عصمة الملائكة، واستشهد لعصمة الملائكة بما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

لقد انتقد الشيرازي الأخذ من الإسرائيليات بشدة، وكذلك ما نقل عن الكتاب المقدس، انتقده بشدة، وعده من الأسطورة التافهة، فمثلاً عند تفسيره لقصة آدم عليه السلام بعدما أفاض في تفسير القصة، عرج على الكتاب المقدس وعنون لها بقوله: المقارنة بين معارف القرآن والتوراة: جاء في الفصل الثاني من «سفر التكوين» من التوراة: «وَأَخَذَ الرَّبُّ الْإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ لِيَعْلَمَهَا وَيَحْفَظَهَا...».

وجاء في الفصل الثالث من التوراة: «وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الْإِلَهُ مَاثِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ. فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَإِمْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الْإِلَهُ فِي وَسْطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ، فَنَادَى الرَّبُّ الْإِلَهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ أَيْنَ أَنْتَ. فَقَالَ سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ لِأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ...».

وعقب على القصة من التوراة بقوله: من هذه «الأسطورة التافهة»، التي تعرضها التوراة الحالية باعتبارها واقعا تاريخياً يتبين لنا رأي التوراة الحالية في سبب خروج آدم من الجنة، فهو على رأي هذه الأسطورة معرفة آدم بالخير والشر، وذنبه الأكبر هو الاتجاه نحو العلم والمعرفة!! ويتضح من ذلك أن أسطورة التوراة تقع في النقطة المقابلة للاتجاه القرآني الذي يرى أن مكانة الإنسان ومقامه وسر خلقته تكمن في «تعليمه الأسماء»².

أضف إلى ما سبق أن هذه الأسطورة تتضمن مفاهيم مشينة مخجلة بشأن الله سبحانه وبشأن المخلوقات، كل واحدة منها تثير الدهشة أكثر من غيرها، وهي عبارة عن:

¹ سورة البقرة: الآية 102.

² ينظر المرجع السابق الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين - عليه السلام - قم إيران طبعة 1421هـ، ج1، ص169.

- 1 - نسبة الكذب إلى الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (كما جاء في الجملة 17 من الإصحاح الثاني: أما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها: لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت)!
- 2 - تجسيم الله سبحانه (... وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار)!
- 3- نسبة الجهل إلى الله بالحوادث التي تقع قريباً منه (كما تقول هذه التوراة: فاحتبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟! ولا بد من التأكيد هنا أن هذه الخرافة لم تكن في التوراة المترلة، بل أضيفت فيما أضيف إلى التوراة.¹

وأخيراً وبعد هذا العرض المفصل حول تفسير الأمثل، ومنهج صاحبة، الذي اتصف بعدة سمات ومزايا جعلته يلفت انتباه جيل الشباب المتعطش لفهم نبع القرآن، كما أقرّ في ثنايا كتابه، ومن هذه السمات والمزايا سهولة العبارة والخلو من التعقيد فهو تفسير تستطيع أن تقرأه، الطبقة المثقفة فضلاً عن غيرها وقد تناول فيه مشكلات العصر وناقش فيه الشبهات المتعلقة بالآيات وأكثر فيه من المسائل الحياتية والاجتماعية، وبهذا نقول أن تفسيره يمثل جانباً من الاعتدال النسبي، إلا أنه لا يخلو من المآخذ خاصة العقدية المتعلقة بالإمامة العصمة، والمهدية.. إلخ

¹ ينظر المرجع السابق الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين - عليه السلام - قم إيران طبعة 1421هـ، ج1، ص169.

الفصل الثالث:

عن وحي القرآن: ل محمد حسين فضل الله

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

المبحث الثاني: التعريف بتفسير من وحي القرآن

المبحث الثالث: مسلك محمد حسين فضل الله في تناول

القصص القرآني.

المبحث الرابع: موارد محمد حسين فضل الله في تفسيره

للقصص القرآني.

يعتبر هذا الكتاب من أبرز تفاسير الشيعة الإمامية في القرن الرابع عشر هجري، باعتباره تفسيراً تربوياً اجتماعياً، بالإضافة إلى طابعه التحديدي العصري الموجه إلى جيل الشباب، لذا سلطت عليه الضوء بالدراسة بغية الوقوف على مسلك صاحبه في تفسيره لكلام الله تعالى، وبالأخص القصة القرآنية باعتبارها وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة التي تحقق مقاصده الدينية الربانية، ووسيلة من وسائل إبلاغ الدعوة الإسلامية وتثبيتها.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

ولد محمد حسين فضل الله في محافظة النجف في العراق، درس مرحلة المقدمات والسطوح في النجف على يد والده السيد عبد الرؤوف، وبعد ذلك حضر دروس البحث على ثلة من مراجع الدين الكبار، من أمثال: أبي القاسم الخوئي، ومحسن الحكيم، والشاهرودي.

كما عمد في تلك الفترة ذاتها إلى تدريس اللمعة الدمشقية، والرسائل، والكفاية أيضاً. وإلى جانب دروس الفقه والأصول باشر دراسة قسم من كتاب «الأسفار الأربعة»، لصدر المتأهلين، على يد الملا صدرا البادكوبي، وذلك بوصية من أستاذه السيد الخوئي،

انخرط فضل الله في النشاط السياسي، وقد وقف إلى جانب محمد باقر الصدر في تأسيس الحركة السياسية في العراق. وفي عام 1966م هاجر إلى لبنان، وأسس هناك حوزة علمية باسم (المعهد الشرعي الإسلامي)، ومن ثم أقام مدرسة باسم (مدرسة القرآن الكريم). وواصل تدريسه في البحث الخارج في الفقه والأصول، إلى جانب جهاده ضد الكيان الصهيوني واحتلال القدس، وقيادة شيعة لبنان من الناحية الروحية، وإمامة الجمعة أيضاً.

لقد دأبت وسائل الإعلام العالمية دائماً على تعريف فضل الله بوصفه «الزعيم الروحي لحزب الله»، إلا أنه شخصياً ينفي انتسابه إلى أي حزب أو منظمة أو جماعة سياسية، إذ يقول: «إن منشأ هذه التسمية يعود إلى اشتراك أغلب الأخوة المجاهدين والمؤمنين في صلاة الجمعة والجماعة التي تقام بإمامتي، أو يحضرون حلقتي الدراسية أو محاضراتي، فيحدث لدى بعض تصورٌ بأنني أتولى قيادتهم، توفي فضل الله سنة 2010/7/4¹

¹ ينظر موقع محمد حسين فضل الله / لبنان / الجزيرة نت. 2014/12/10 تاريخ النشر. <http://www.aljazeera.net>

- وقد ترك حسين فضل الله إرثاً علمياً كبيراً**، أكثر من سبعين كتاباً، في أكثر من مئة مجلد وإنّ بعضاً منها عبارة عن مجموع خطبه، وبعضها الآخر عبارة عن تقرير دروسه في البحث الخارج في الأصول والفقه التي قرّرها تلاميذه. ومن بين تلك الآثار تحقيقاته القرآنية، وهي على النحو التالي:
- الحوار في القرآن (وقد تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية تحت عنوان: «كفتگو وتفاهم در قرآن»، وصدر عن المركز العالمي لحوار الحضارات.
 - أسلوب الدعوة في القرآن (وقد تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية أيضاً تحت عنوان: «شيوه دعوت در قرآن».
 - من عرفان القرآن.
 - حركة النبوة في مواجهة الانحراف.
 - دراسات وبحوث قرآنية.
 - من وحي القرآن الذي هو محور دراستي¹.

¹ ينظر محمد حسين فضل الله / لبنان / الجزيرة نت. 2014/12/10 تاريخ النشر. <http://www.aljazeera.net>

المبحث الثاني: التعريف بتفسير من وحي القرآن

المطلب الأول: الوصف العام لكتابه

يعتبر تفسير من وحي القرآن من أبرز تفاسير القرآن الكريم في القرن الرابع عشر هجري، أُلّف سنة 1979م، طبع عدة طبعات يقع في 20 مجلد.

وقد بدأ المؤلف بمقدمة في بيان هدفه من التفسير والخطوات الأساسية التي مشى عليها: "قال هل هذا كتاب تفسير، وهل نحن بحاجة إلى تفسير جديد أمام هذا الحشد من التفاسير، التي لم تترك جانباً من جوانب المعرفة القرآنية إلا وأفاضت في تحليله وتوسيعه وتعميقه، من الجوانب اللغوية، إلى الجوانب البلاغية والفلسفية والنفسية والاجتماعية... وما تزال المحاولات مستمرة في استحداث أفاق جديدة؟ والجواب: إننا لم نكتب هذه الأبحاث في البداية كمحاولة تفسيرية جديدة، بل هي كلمات تتحرك في أجواء روحية وعلمية"¹

ويعتبر من أبرز تفاسير القرآن الكريم في القرن الرابع عشر هجري، وهذا ما شهد به الكثير من علماء ومراجع الإمامية وأبرزهم:

آية الله جعفر السبحاني ذكر ذلك في كتابه مفاهيم القرآن عند تعداده أعلام التفسير في القرن الرابع عشر هجري، حيث قال: "العلامة الحجة السيد محمد حسين فضل الله، من أكابر علماء لبنان، له «من وحي القرآن» خرج في عشرين جزءاً"²

كما وصفه هادي معرفة بقوله: «من وحي القرآن تفسير تربوي اجتماعي شامل، ويعد من أروع التفاسير الجامعة، النابعة من روح حركية نابضة بالحيوية الإسلامية العريقة انطلق فيه المؤلف هو السيد محمد حسين فضل الله، من ألمع علماء الإسلام في القطر اللبناني يعمل في إحياء الجو القرآني في كل مجالات الحياة المادية والمعنوية، نظير ما صنعه سيد قطب في تفسيره ((في ظلال))، مضيفاً عليه تعاليم صادرة عن أهل البيت في تربية الجيل المسلم، ومتناسبا مع كل دور من ادوار الزمان»³.

¹ من وحي القرآن محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط1998م، ج1، ص8.

² مفاهيم القرآن: جعفر السبحاني، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت - لبنان - ج10، ص430

³ ينظر المرجع السابق: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، ج2، ص510.

كما وصف عبد الجبار الرفاعي¹ فكر فضل الله وتعامله مع التراث والتاريخ الإسلامي بقوله: «كان هاجس كتابات فضل الله هو الرّاهن، وما يحفل به الاجتماع الإسلامي من تناقضات وملايسات ومشكلات، فيسعى إلى اكتشافها وتحليلها ونقدها. لم يقع أسير تمجيد السلف، والثناء على أخطاء التاريخ، والانشغال بتحويل الهزائم إلى انتصارات، وتقديس كل ما يتضمنه التراث، وإنما تسلّح بمنظور نقديّ حجاجي، لا يخشى من مقاربة الموروث والواقع برؤية تحليليّة نقدية، والوقوف على ما يكتنفه من ثغرات بكلّ جرأة»².

بعد مضي أكثر من ألف عام على التراث التفسيري فإنّ مبادرة مفسّر إلى تأليف تفسير جديد مع بيان آرائه الخاصة والجديدة يحتاج إلى جرأة وشجاعة كبيرة، وهذا التفسير قد كتب في مرحلة لم يمض فيها وقت طويل على تأليف تفسير الميزان بما اشتمل عليه من الآراء المبتكرة للعلامة الطباطبائي، لقد تمكّن المؤلف إلى حدّ كبير من التحرر من هيمنة ووطأة تفسير الميزان، بل عمد في الكثير من الموارد إلى مواجهة صاحب الميزان بكلّ جرأة وشجاعة.

الفرع الأول: أهمية وحي القرآن

ذهب بعض المحقّقين إلى اعتبار تفسير «من وحي القرآن» جديراً بالاهتمام، وذلك للأسباب التالية:

- 1- شخصية المؤلّف، بوصفه أحد مراجع التقليد، والمتخرّجين من مدرسة السيد الخوئي.
- 2- لقد كتب هذا التفسير في لبنان، وعليه يمكن اعتباره بوابة ثقافية بين الشرق والغرب، وجسراً يربط بين مختلف الثقافات، وذلك لكثرة الحواضر المهمة للثقافة والعلوم الإسلامية من جهة ومن جهة أخرى أن هذا البلد صدور آلاف الكتب في مختلف الموضوعات الإسلامية والإنسانية، بالإضافة لوجود الأديان والفرق المتنوّعة في هذا البلد والتعاطي فيما بينها من خلال البحث والجدل. يمنح هذه المنطقة من العالم الإسلامي أهمية خاصة.

¹ عبد الجبار الرفاعي: مفكر وكاتب عراقي، متخصص في الفلسفة الإسلامية وله رؤية فلسفية حول الإصلاح ومناهج التفكير الديني. مدير مركز دراسات فلسفة الدين في بغداد، ومستشار تحرير مجلات ودوريات متعددة، يرأس تحرير مجلة قضايا إسلامية معاصرة منذ إصدارها عام 1997 وحتى الآن. أصدر سلسلة كتاب "فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد" الاجتهاد الكلامي،

"مقاصد الشريعة" ينظر مؤسسة بلا حدود للأبحاث والدراسات <http://www.mominoun.com/auteur/186>

² ينظر مؤسسة بلا حدود للأبحاث والدراسات: عبد الجبار الرفاعي <http://www.mominoun.com/auteur/186>

ثم ختم مقدمة كتابه بقوله: "وكل ما أرجوا أن تحقق هذه المحاولات بعضاً من جدة العرض والأسلوب، وبعضاً من حركية التفسير في واقعنا المعاصر الذي تحتاج الدعوة الإسلامية فيه إلى أن تحرك القرآن في حياتها في كل مجالاتها العلمية في الطريق وفي الهدف أهما من وحي القرآن.¹

المطلب الثاني: منهجه التفسيري

سوف نسلط الضوء على مسلك حسين فضل الله من خلال تفسيره من وحي القرآن عبر نقاط أبرزها:

أولاً: ذكر اسم السورة:

يبدأ تفسيره بذكر اسم السورة وبيان معناها والعلة في تسميتها بهذا الاسم غالباً، وتوضيح الخطوط العامة التي تدل عليها آيات السورة، مع إتباع الأسلوب التربوي وذكر أقوال المفسرين والحققين، مع توضيح مفردات الآية، ثم الإشارة إلى الدروس التي يمكن أن تستفاد من الآيات.

ثانياً: اعتماده على ظواهر الألفاظ:

يقول فضل الله في هذا المجال: "إن الخط التفسيري الذي نسير عليه هو العمل بظاهر القرآن فيما توحى طبيعة الكلمة في معناها الموضوع لها، أو في القرائن المحيطة بالكلمة، إلا أن يثبت خلاف ذلك من عقل أو نقل"²، كما ذكر علي أبازي: "بأن فضل الله يعتمد في تفسيره أقرب الطرق وأسلمها في فهم مدلول الكلام، وهو طريق الاعتماد على ظواهر الألفاظ الذي يعتبر طريقاً عقلياً مسلماً به، عند مختلف المدارس الفكرية، إلا الشاذ منها"³

ثالثاً: موقفه من الآثار والأخبار

أما بالنسبة لذكر الآثار والأخبار، فإن موقفه الاجتناب عن ذكر الأحاديث الموضوعة في الفضائل وغيرها، وكذلك خلو تفسيره من الإسرائيليات، وقد حذر منها، واستدل على قصة هاروت وماروت وكيف أن الإسرائيليات قدمتها في طابع خيالي أسطوري.

رابعاً: موقفه من مسائل العقيدة

تعرض فضل الله في تفسيره للمسائل المرتبطة بالعقيدة والكلام دون بسط وتفصيل، ويطبق

¹ ينظر المرجع السابق من وحي القرآن محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط1998م، ج1، ص12.

² المرجع نفسه: من وحي القرآن محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط1998م، ج2، ص53.

³ المرجع السابق: المفسرون حياتهم ومنهجهم: علي أبازي، الطبعة الأولى طهران -1386هـ، ص757.

أصول القواعد وفق مذهب الإمامية¹، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾² بعدما سأل في تفسير الآية: من هو الولي للمؤمنين وأجاب بأن: الآيتين في مقام بيان تحديد خط الولاية الذي يجب أن يلتزمها الناس فيما يلتزمون به في العقيدة والشريعة والقيادة... وان الله هو الولي... والرسول هو الولي في الدعوة والرسالة والقيادة، والذين آمنوا هم أولياء المؤمنين... فقد جاء في أكثر من حديث: أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب عندما تصدق على الفقير الذي سأله الصدقة... وقد نستوحي من نزولها في نطاق هذه الحادثة في ممارسة علي عليه السلام أن الآية تريد أن تشير إلى النموذج التي تتمثل فيه الفكرة بعمق، وقد تكلم المتكلمون والمفسرون كثيرا حول دلالة هذه الآية على ولاية الإمام علي عليه السلام فيما تعنيه من معنى الحاكمية التي نعني صلاحية التصرف في شؤون الناس³

خامسا: موقفه من شبهات المشككين

يذكر شبهات المشككين ويرد عليها بالبيان الذي يناسبها، إذا كانت تقصد هذه الشبهات الآيات القرآنية مثل الإيمان بالغيب، وإنكار العقل، ولاعتماد على التجربة، كما يحاول المفسر الاستفادة من القضايا العقلية والأخلاقية، والآراء المحمودة، في توضيح فكرته، وقد ذكر آراء المفسرين والمحققين.

سادسا: موقفه من النظريات العلمية الحديثة

بالنسبة لموقفه من النظريات العلمية الحديثة في التفسير فهو على ما يبدو في تفسيره لم يثقله بالنظريات العلمية، بل لم يدافع عن سلك من المفسرين هذا المسلك العلمي في التفسير، وإنما يُعنى بالآية من حيث دلالة ألفاظها وظواهرها مبسط القول فيها دون اكتراث بما حققه العلم الحديث من إنجاز وفرضيات علمية حديثة، لكنه قد يكتفي أحيانا للتلويح إلى إشارات علمية يمكن استفادتها من الآيات لتخطط لقارئ المنهج التأملية للعقيدة والإيمان، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾⁴ بعدما بين كيفية لقاء صلب الرجل وترائب المرأة⁵ قال: " وقد تحدث بعض المختصين بأن المكشوفات العلمية أن

¹ ينظر المرجع السابق: المفسرون حياتهم ومنهجهم: علي أيازي، الطبعة الأولى طهران -1386هـ، ص757.

² سورة المائدة: الآية 56.

³ ينظر المرجع السابق: من وحي القرآن، حسين فضل الله، دار الملاك، ط1998م، ج8، ص148.

⁴ سورة الطارق: الآية5

⁵ المرجع السابق: المفسرون حياتهم ومنهجهم: علي أيازي، الطبعة الأولى طهران -1386هـ. ، ص757.

توافق أن يكون نشوء هذا الماء الدافق من الصلب في الرجل، والترائب في المرأة... إذ كنا لا نملك اختصاصاً في هذا المجال فلا يمكن أن نخوض في حديث علمي تحليلي لهذا الموضوع سلباً وإيجاباً.

سابعاً: موقفه من قضايا عصره

إن فضل الله؛ وانطلاقاً من هذا التوجه، يولي اهتماماً للمسائل والتساؤلات والتحديات المعاصرة في تفسير الكثير من الآيات من خلال تنزيلها على الواقع¹، فيحاول العثور على إجاباتها من خلال عرضها على القرآن الكريم، فمثلاً: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ^٢ وضمن تفسيره لهاتين الآيتين يجيب المفسر عن هذا التساؤل تحت عنوان «الآيتان في حركة الواقع المعاصر»، قائلاً: كيف يمكن لنا أن نستلهم الدروس والعبر من هذه الآيات في عصرنا الراهن؟ وكيف يمكن للمسلمين مواجهة الكافرين من خلال الاستلهام من هاتين الآيتين؟ يقول السيد فضل الله في الجواب عن هذا السؤال: إن أساليب الكفار في السابق لم تختلف عن أساليبهم الراهنة، وعليه يمكن للمسلمين من خلال التعرف على الموقف القرآني أن يتخذوا الموقف المناسب في هذا الاتجاه³.

¹ معنى تنزيل الآيات على الواقع: وهو أن يقوم المفسر بتزليل أية معينة من القرآن على واقعه المعاصر أو هو مقابلة الأحداث المعاصرة بما يشابهها في كتاب الله تعالى سواء كانت المقابلة تامة أو جزئية أو مخالفة لما عليه الآية (ينظر تنزيل الآيات على الواقع: عبد العزيز

الضامر ص 27)

² سورة البقرة: الآية 6-7.

³ المرجع السابق: من وحي القرآن محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط1998م، ج1، ص 128 — 129.

المبحث الثالث: مسلك حسين فضل الله في تناول القصص القرآني

نحاول في هذا المبحث أن نعالج مسلك حسين فضل الله في تفسيره، عن طريق عرض لبعض النماذج القصصية من كتابه، بقصد النظر هل وُفق فضل الله من خلال تقديمه للقصص القرآني، خاصة وأن صاحبه ينتمي إلى التيار التجديدي العصري الذي يخاطب جيل الشباب.

النموذج الأول: قصة هاروت وماروت

قدم حسين فضل الله قصة هاروت وماروت بقوله: " قد أفاض المفسرون في عدة جوانب من الآية، فتحدثوا عن اليهود الذين اتبعوا السحر، هل هم الذين كانوا على عهد سليمان أو غيرهم، وتحدثوا عن كلمة ﴿ تَتْلُوا ﴾ هل هي بمعنى تقرأ أو تكذب أو تتبع، وعن كلمة ﴿ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ ﴾ هل هي في عهده، أو في نفس ملكه... وغير ذلك من الأبحاث... و إننا لا نجد مجالاً مفيداً للإفاضة في أكثر ذلك فيما سيقته الآية، لأن البحث عن شخصية اليهود أو شخصية الملكين لا يجدنا شيئاً ما دامت القضية في الآية واردة في سياق إعطاء الصورة للسلوك اليهودي كطابع عام يطبع الشخصية التاريخية والمعاصرة، أما الملكان فان المقصود من حديثهما هو اعتبارهما مصدرين خيرين أو غير شريرين - على الأقل - من دون دخل لشخصيتهما في الموضوع.¹

مناقشة:

إن تناول فضل الله لقصة هاروت وماروت بطريقة تربوية، مخالفاً بذلك ما ألفه المفسرين المتقدمين، ولم يخض في الآيات المحملة، والاكتفاء ببعض المسائل التربوية العامة، وعلى الرغم من أن البحوث المطوّلة التي يتعرض لها المفسرون في تفسيرهم للمجملات القرآنية ليس لها ثمرة أو لا ربط لها بأغراض الهداية والمقاصد التربوية، وإنّ الحق مع فضل الله من هذه الناحية، إلا أن عدم الخوض فيها أحياناً، وعدم تفسير المفسر للآيات المحملة، كذلك لم يغتر بالإسرائيليات والموضوعات التي حشيت بها كتبهم بل حذر المسلمين عن نقل كل أثر لا يفيد في التفسير، كما نبه إلى اختلافها وبطلانها وأنه لا طائل من ذكرها.

وهو بذلك خالف أهل فرقته من خلال عرضهم للقصص القرآني ومزجه بالخرافات والأباطيل خدمة لمعتقدهم، فطريقة عرضه للقصص تحقق مقاصد القصص القرآني من تدبر واعتبار وعظة فقد فسّر القرآن الكريم بأسلوب عصري، ربط من خلاله بين كلام الله تعالى والواقع، بل نقول أنه أحسن في عرضه للقصص القرآني بطريقة معتدلة دون غلوا وتعصب مذهبي.

¹ المرجع السابق: من وحي القرآن محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط1998م، ج2، ص128.

النموذج الثاني: قصة داود عليه السلام

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوُ الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾¹ قال: "فتسلقوا سور المحراب، ونزلوا على داود ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لطبيعة دخولهم غير الطبيعي عليهم، فقد فجاءه عندما كان منقطعاً إلى العبادة والابتغال إلى الله، ولعلمهم ظهوراً بشكل قد لا يكون مألوفاً، مما يوجب الفرع النفسي، قالوا لا تخف ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ فنحن ﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ فهناك جانب يدعي على جانب آخر يتهمه بالعدوان، ﴿فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ بعد معرفة طبيعة المتنازع عليها من خلال المعطيات الواقعية، ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي لا تتبع سبيل الشطط، وهو تجاوز الحق بالحكم الجائر ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ أي إلى الطريق السوي المستقيم الذي لا ميل فيه ولا انحراف... لقد تحدثت التوراة عن قصة داود عليه السلام بطريقة مثيرة تتنافى مع أخلاقياته وتصوره بصورة رجل لا يتورع عن ارتكاب الجريمة في سبيل شهواته، فقد جاء فيها ما ملخصه - في ما رواه صاحب تفسير الميزان² وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود...رسلاً فأخذها ودخلت عليه فاضطجع معها².

المناقشة:

في ما يتعلق بتفسير الآيات، في شأن قصة النبي داود عليه السلام وابتلائه من قبل الله، فإن المؤلف قد أشار إلى الروايات المختلفة في نسبة المعاصي والذنوب الكبيرة إلى داود عليه السلام ولكنه لا ينقل هذه الروايات من مصادرها الأصلية، وإنما يكتفي بنقل خلاصة لها، نقلاً عن تفسير الميزان ومما جعل منهجه يوصف بالإعتدال والبعد عن الغلو عدم نقله للروايات المختلفة من مصادر الإمامية لعدم أهميتها، بل اكتفى بنقل خلاصة لها عن تفسير الميزان.

كذلك نجد أن حسين فضل الله لم يغتر بالإسرائيليات ولا الموضوعات، بل حذر المسلمين عن نقل كل أثر لا يفيد في التفسير، وقد نبه إلى اختلاقتها وبطلانها.

¹ سورة ص: الآية 12-22.

² المرجع السابق: من وحي القرآن محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط1998مج 19، ص 245-250

المبحث الرابع: موارد حسين فضل الله في تفسيره للقصص القرآني

المطلب الأول: مصادره الشيعية

أولاً: تفسير الميزان للطباطبائي

يعد تفسير الميزان من أهم المصادر التفسيرية عند فضل الله، حيث اهتم بآراء الطباطبائي، وذلك من خلال عنونته لكثير من المناقشات باسم: مناقشة مع صاحب الميزان، أو مناقشة مع العلامة الطباطبائي، ومما أفاد فضل الله من الميزان تفسيره لقصة آدم عليه السلام: فقال: قال صاحب الميزان: " أن آدم عليه السلام دعا ربه متوسلاً بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته عليهم السلام فقال: " و قد عرفت ما حقيقة هذه الأسماء، وأنها موجودات عالية مغيبة في غيب السموات والأرض ووسائل فيوضاته تعالى لما دونها، لا يتم كمال مستكمل إلا ببركتها وقد ورد في بعض في بعض الأخبار أنه رأى أشباح أهل البيت وأنوارهم حين علم الأسماء، وورد أنه رآها حين أخرج الله ذريته من ظهره، وورد أنه رآها وهو في الجنة"¹

رد فضل الله على الطباطبائي: مناقشة مع صاحب الميزان: ومهما كان الأمر، فإن الله قد أهدى أمر هذه الكلمات، ونكرها للإيجاء، بأن القضية هي قضية لطف الله بآدم في توجيهه نحو التوبة وتقريبه إليه، للتدليل على كرامته عنده، بخلاف إبليس الذي سلب الله عنه رحمته، وأبعده عن مواقع القرب عنده، فلنحمل ما أحمله الله ولنقف في التفاصيل على ما ثبت لنا حججته، لأن أمر تفسير كلام الله من القضايا الكبيرة التي لا مجال للتساهل فيها بالاعتماد على رأي واحد²

و بعد مناقشات فضل الله لصاحب الميزان توصل إلى المقصد العام للقصة ووجهها توجيهها مقبولاً.

ثانياً: تفسير مجمع البيان الطبرسي

مما أفاد فضل الله من مجمع البيان للطبرسي، ما جاء في تفسير قصة الذين خرجوا من ديارهم فقال: " يذكر المفسرون لهذه الآية قصة من قصص الأمم السالفة، ففي الكافي فيما رواه - بسند ضعيف - عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام، وعن أبيه أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام في قول الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ³

¹ المرجع السابق من وحي القرآن محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط1998م ج1 ص255

² المرجع نفسه من وحي القرآن محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط1998م، ج1 ص257

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ¹

فقالوا إن هؤلاء أهل مدينة من مدائن الشام، وكانوا سبعين ألف بيت، وكان الطاعون يقع فيهم في كل أوان فكانوا إذا أحسوا بهم، خرج من المدينة الأغنياء لقوتهم، ويبقى فيها الفقراء لضعفهم، فكان الموت يكثر في الذين أقاموا ويقل في الذين خرجوا... ثم إنهم مروا بمدينة خربة قد جلا أهلها عنها وأفناهم الطاعون، فترلوا بها، فلما حطوا بها رحلهم، واطمأنوا بما قال لهم الله عز وجل موتوا جميعا فماتوا من ساعتهم، وصاروا رميما يلوح، وكانوا على طريق المارة فكنتهم المارة فنحوهم وجمعوهم في موضع، فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له حزقيل، فلما رأى تلك العظام بكى واستعبر وقال: يارب لو شئت لأحييتهم الساعة كما أمتهم فعمروا بلادك وولدوا عبادك، وعبدك، مع من يعبدك من خلقك، فأوحى الله إليه أتحب ذلك؟ قال نعم يارب... فأوحى الله عز وجل أن قل كذا وكذا.. فعادوا أحياء ينظر بعضهم إلى بعض.. يسبحون الله ويكبرونه ويهللونه، فقال حزقيل عند ذلك أشهد أن الله على كل شيء قدير.

ثم علق عليها بقوله: "و قد ذكر بعض المفسرين أن الآية واردة مورد المثل، وحاول بعضهم أن يوجه الحياة والموت إلى الجانب المعنوي منهما بما يقرب من العز المتمثل في مواجهة الأعداء.. و اعتبر الأحاديث الواردة في هذا الباب من الإسرائيليات التي لا يعتمد عليها في تفسير القرآن أو في تقرير آية حقيقية من حقائق الإسلام... و نحن لا نريد أن نتوقف طويلا أمام هذه الروايات لنحقق صحة سندها وضعفه، ولنجمع بينها فيما تتفق به، ولنعالجها فيما تختلف فيه، لأن ذلك لا يقدم شيئا ولا يؤخر فيما نحن بصدده من فهم معنى الآية واستيحائها"².

وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام كما في المجمع كان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير بالجنود، والنبي هو الذي يقيم له أمره ويشته بالخير من عند ربه.³

وعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ⁴

¹ سورة البقرة: الآية 243

² ينظر المرجع السابق: من وحي القرآن محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط1998م، ج4، ص373

³ ينظر المرجع السابق: مجمع البيان: الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى - بيروت-الطبعة الأولى 2006م، ج2، ص612.

وَأَنْظُرْ إِلَى الظَّارِ كَيْفَ نُشِزُّهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ¹ بدأ بالجانب اللغوي مستندا إلى رأي الطبرسي فقال: « حاوية ساقطة، أصل الخواء الخلاء، قال الراجز يبدوا خواء الأرض من خوائه.. و الخوى الجوع، خوى يخوي خووي لخلو البطن من الغذاء»².

كذلك عند تفسيره لقصة إبراهيم عليه السلام عند وصوله لمعنى السعي ﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾ أي يأتينك مشيا على أرجلهن، وذكر عن النضر بن شميل قال سألت الخليل بن أحمد عن قوله تعالى يأتينك سعيًا هل يقال للطائر إذا طار سعى فقال: لا قلت: فما معناها؟ قال معناها يأتينك وأنت تسعى سعيًا³. كذلك في بيان معنى ﴿سفاهة﴾ خفة الحلم، قال: مؤرج السفاهة الجنون بلغة الحمير⁴.

المطلب الثاني: مصادره السنوية

أولاً: تفسير الدر المنثور للسيوطي:

مما أفاده حسين فضل الله من الدر المنثور، تفسيره لمعنى الصفا والروى فقال: " كان وثن بالصفا يدعى أساف ووثن بالمروة يدعى نائلة فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت يسعون بينهما ويمسحون الوثنين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله إن الصفا والمروة إنما كان يطاف بهما من أجل الوثنين وليس الطواف بهما من الشعائر فأنزل الله ﴿إِنَّ الصفا والمروة﴾ الآية، فذكر الصفا من أجل الوثن الذي كان عليه وأنتت المروة من أجل الوثن الذي كان عليه مؤثنا⁵.

ثانياً: جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري (ت310هـ)

نقل حسين فضل الله من تفسير الطبري أقوال الصحابة والتابعين، وروايات في أسباب النزول، ولعل السبب في ذلك أن تفسير الطبري يعد طليعة التفاسير الأثرية، ومما أفاده فضل الله من تفسير الطبري قوله: " عن الطبري: قال: أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق عكرمة، عن ابن عباس قال: "فوجد من يهود ناسا كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له

¹ سورة البقرة: الآية 259

² ينظر المرجع السابق من وحي القرآن حسين فضل الله، ج5، ص68 وينظر مجمع البيان للطبرسي، ج2، ص476.

³ ينظر المرجع نفسه من وحي القرآن حسين فضل الله، ج5، ص76، وينظر مجمع البيان للطبرسي ج1، ص481.

⁴ ينظر المرجع نفسه من وحي القرآن حسين فضل الله، ج10، ص162، وينظر مجمع البيان للطبرسي ج4، ص672.

⁵ المصدر السابق الدر المنثور في التفسير بالماثور: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: مركز هجر للبحوث، الناشر: دار هجر

— مصر، سنة النشر، 1424هـ — 2003م، ج1، ص91

فنحاص، كان من علمائهم وأخبارهم، ومعه حبر يقال له أشيع. فقال أبو بكر رضي الله عنه: ويحك يا فنحاص، اتق الله وأسلم، فو الله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله، قد جاءكم بالحق من عند الله، تجدونہ مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل! قال فنحاص: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير! وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإننا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم! ينهاكم عن الربا ويعطيناه! ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا! فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله! فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين. فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، انظر ما صنع بي صاحبك! فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولا عظيما، زعم أن الله فقير وأهم عنه أغنياء! فلما قال ذلك غضبت لله مما قال: فضربت وجهه، فجدد ذلك فنحاص وقال: ما قلت ذلك! فأنزل الله تبارك وتعالى فيما قال فنحاص، ردا عليه وتصديقا لأبي بكر الآية.¹

المطلب الثالث: موقفه من مرويات الشيعة والسنة

الفرع الأول: موقفه من مرويات الشيعة

وفي كثير من المواضع يذهب إلى - الجري - التأويل أو ما أطلق عليه - الاستيحاء - وذلك عن طريق إيراد الكثير من مرويات الشيعة مفادها أن القرآن نزل فيهم وفي أئمتهم، فقال: وهذا ما تحدث عنه الإمام محمد الباقر عليه السلام في أكثر من حديث منها: ما رواه الصدوق عن أبيه عن سعد عن البرقي عن محمد بن خالد الأشعري عن إبراهيم بن محمد الأشعري عن ثعلبة بن ميمون عن أب خالف القمط عن حمran بن أعين قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن ظهر القرآن وبطنه؟ فقال ظهره الذين نزل فيهم القرآن، وبطنه الذين عملوا بأعمالهم يجري فيهم ما نزل في أولئك.

ومنها ما رواه العياشي في تفسيره عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر محمد الباقر عليه السلام عن هذه الرواية: ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلا وله حدّ ولكل حدّ مطلع ما يعني بقوله: لها ظهر وبطن؟ قال: ظهره وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما تجري

الشمس والقمر، كلما جاء منه شيء وقع قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾² ومن الواضح أن الحديث الأول يريد التأكيد على أن الخصوصية التي تمثل مورد الآية تستبطن في داخلها

¹ ينظر المرجع السابق من وحي القرآن حسين فضل الله ج6، ص415 وينظر جامع البيان للطبري، ج7، ص441-442.

² سورة آل عمران: الآية7

المعنى الكلي العام، الذي يتجدد عبر الزمن كله كلما تجددت الموارد المماثلة في امتداده، وهذا ما عبر عنه في حديث آخر، في أن القرآن يموت إذا نزل في قوم مخصوصين يغيبون في الزمن، ولكنه يجري مجرى الشمس والقمر والليل والنهار، لتكون القضية قضية النموذج الذي يجسد الفكرة العامة التي استهدفها النص القرآني، ونزلت من خلالها الآية، فليس هناك معنيان للفظ، بل هناك معنى واحد يتحرك في خط الزمن، من الماضي إلى الحاضر ليظل على المستقبل في خط الخصوصية التي تتجسد في جميع المراحل والأفراد".¹

وهناك حديث آخر قد يطل بالمسألة على وجه آخر، وهو ما رواه الصدوق عن أبيه عن علي بن الحكم عن محمد بن الفضيل عن بشر الوابشي عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من التفسير فأجابني، ثم سألته عنه ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: (جعلت فداك كنت أحببني في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم، فقال: يا جابر إن للقرآن بطناً وللبطن بطناً وله ظهر وللظهر ظهر، يا جابر ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية يكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل منصرف على وجوه.

بين فضل الله أن مراد الإمام من الحديث أعلاه بقوله: " ولعل هذا مراد الإمام عليه السلام في اتصال الكلام من خلال وحدة مضمونه وتصرفه، فيمكن للمعنى الذي نزل به القرآن أن يجتذب معنى آخر، كما يمكن للإيحاءات التي توحى بها الآية أن تجتذب إيجاباً آخر".²

غير أنه حين تعرض أمامه قصص مروية من أهل البيت كثيرا ما يناقشها ويبين عوارها، وبعدها يوجهها توجيهها حسب قناعاته الفكرية، ومما أفاد فضل من مرويات في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام فقال: تؤكد بعض الأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن مرحلة الإمامة كانت متأخرة عن مرحلة النبوة فقد ورد في حديث: عن محمد بن سنان، عن زيد الشحام قال، سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وأن الله اتخذ نبياً قبل أن يتخذه رسولا، وأن الله اتخذ رسولا قبل أن يتخذه خليلاً، وأن الله اتخذ خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلما جمع له الأشياء قال لك " إني جاعلك للناس إماماً" قال: فمن عظمها في عين إبراهيم عليه السلام قال: ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين" قال: لا يكون السقيبه إماماً التقى³، ومثله ما رواه سهل بن زياد عن محمد بن الحسين عن ابن أبي السفاتج، عن جابر، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

¹ ينظر المرجع السابق من وحي القرآن محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط1998م، ج1، ص 12-13.

² ينظر المرجع نفسه من وحي القرآن محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط1998م، ج1، ص 12-13.

³ ينظر المرجع نفسه من وحي القرآن محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط1998م، ج3، ص18.

علق عليه فضل الله بقوله: وقد نحتاج إلى زيادة التأمل في هذه الأحاديث بعد التأكد من صحتها (علق عليها بقوله: هذه الأحاديث غير صحيحة الإسناد ففي الرواية الأولى مجهول" محمد بن سنان"، وفي الرواية الثانية سهل بن زياد وإسحاق بن عبد العزيز" أبي السفاتج"، ولذلك لا يعتمد عليها، كما أن دراسة المضمون تدعوا إلى التأمل والمناقشة الحذرة، فإنه لا معنى لاتخاذ الله الإنسان عبدا، فإنها ذاتية في الإنسان من موقع خلقه، ومنطلقه منه من خلال خضوعه لربه وطاعته له.¹

المطلب الرابع: موقفه من السنة

يصف علماء السنة حسين فضل الله بأنه من أكثر علماء الشيعة انفتاحا، وسعيا للتقريب والوحدة بينهم، وقد رفضت بعض كتاباته رغم إبراز موقفه من ولاية الفقيه، خاصة من قبل المعارضين للنظام الإيراني والسياسات الإيرانية.

غير أنه في الكثير من مؤلفاته يرحح عقيدة الإمامية على بقية المذاهب حيث ورد قوله صريحا في كتابه فقه الحياة حيث بانت نظراته السلبية لأهل السنة وعدم جواز التعبد على مذهبهم، حين وجه له سؤال:

هل يجوز التعبد في فروع الدين بالمذاهب السنية الأربعة وكذلك بقية المذاهب غير الشيعية؟

فأجاب: "لا يجوز التعبد بأي مذهب إسلامي غير مذهب أهل البيت عليهم السلام لأنه المذهب الذي قامت عليه الحجة القاطعة أن المذهب الشيعي ليس اجتهادات بل هو حق لا يأتيه الباطل أبدا، بعكس المذاهب السنية التي اعتبر أصحابها يصبون ويخطئون.

كما سئل فضل الله السؤال التالي: تقولون وبحسب عقيدتنا الإمامية— إن نسبة الشيعة إلى المذهب الجعفري غير دقيقة، فكيف تفسرون ذلك؟ فأجاب قائلا: "نعرفون أن هناك مذهبا شافعيًا وحنبليًا ومالكيا وحنفيا، ويقولون أيضا عن المسلمين الشيعة إنهم ينسبون إلى المذهب الجعفري. وبحسب عقيدتنا نحن الشيعة الإمامية أن الأئمة من أهل البيت (ع) ليسوا مجتهدين كبقية المجتهدين. فأبو حنيفة مثلاً - حتى عند من يقلده ويتبعه - يُصيب ويخطئ².

¹ ينظر المرجع السابق من وحي القرآن محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط1998م، ج3، ص18

² ينظر كتاب فقه الحياة: حسين فضل الله، مؤسسة العارف للمطبوعات، ط1999م ص278.

وكذلك ابن حنبل وغيرهما، وبعض المسلمين من غيرهما من المجتهدين يقلدوهم - كما نقلد نحن السيد الخوئي - فائمة المذاهب يقلدهم من يرى أنهم مجتهدون، أما نحن عندما نتبع أئمة أهل البيت (ع) إنما نفعل ذلك لاعتقادنا بعصمتهم وأنهم لا يُخطئون أبداً، ولذا فإنهم (ع) ليسوا أصحاب مذهب، فمذهب أبي حنيفة يسمى وجهة نظر، ولكن مذهب الإمام الصادق (ع) ليس وجهة نظر يمكن أن تخطئ ويمكن أن تصيب، بل هي على صواب دائماً فهو يقول (ع): "حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله، وحديث رسول الله عن قول الله عز وجل".

فنحن عندما نستمع إلى رأي الإمام الصادق (ع) في مسألة ما، فكأننا نستمع إلى رأي رسول الله (ص) الذي لا يخطئ مطلقاً.¹

ولذلك ليس مذهب الشيعة مذهباً اجتهادياً يخضع كغيره للصواب والخطأ، بل هو مذهب الإسلام الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه²)، في المصادر الأصيلة الثابتة - بشكل موثق - عن الأئمة (ع).

وهذا هو المقصود من كلمة أن الأئمة رواة³ التي ربما انطلقت من أحاديثي العامة والخاصة - كما تحدث بهذه الطريقة العلامة السيد محمد تقي الحكيم في كتاب الأصول العامة للفقهاء المقارن - فليس المقصود من ذلك أنهم نقلوا حديث كالرواة العاديين، بل المقصود أنهم يروون عن رسول الله (ص) حديثه في كل أقوالهم سواء بطريقة الرواية أو بطريق الحديث العام؛ فليس لديهم شيء شخصي يمكن أن يخضع للآراء الذاتية، بحيث قد تختلف عما قاله الرسول (ص).

إنهم يأخذون من النبيوع الأصيل، بكل صفاء الإسلام ونقاؤه ولا مصدر لهم غيره، ولا اجتهاد - خاضع للخطأ والصواب - فيه³.

¹ ينظر المرجع السابق كتاب فقه الحياة: حسين فضل الله، مؤسسة العارف للمطبوعات، ط1999م، ص 278.

² سورة فصلت: الآية 42

³ ينظر المرجع السابق: كتاب فقه الحياة: حسين فضل الله، مؤسسة العارف للمطبوعات، ط1999م، ص 279.

المطلب الخامس: موقفه من الإسرائيليات

يبين حسين فضل الله موقفه من الأخذ من الإسرائيليات في بداية تفسيره، فهو لم يغتر بالإسرائيليات والموضوعات التي حشيت بها كتب المتقدمين بل حذر المسلمين عن نقل كل أثر لا يفيد التفسير، كما نبه إلى اختلاقتها وبطلانها وأنه لا طائل من ذكرها.

وقد استدل بقصة هاروت وماروت وكيف أن الإسرائيليات قدمتها في طابع خيالي أسطوري.

وفي الأخير بالرغم من مكانة التفسير العلمية عند الشيعة الإمامية، وعند بعض المسلمين المؤيدين لفكر فضل الله الإصلاحية التجديدي، وذلك بوصفه الأكثر انفتاحاً، وسعياً للتقريب والوحدة بين الشيعة والسنة، إلا أن مسلكه قد بدا في الكثير من مؤلفاته مرجحاً لعقيدة الإمامية على بقية المذاهب حيث ورد قوله صريحاً في كتابه فقه الحياة حيث تجلت نظرتة السلبية لأهل السنة وعدم جواز التعبد على مذهبهم.

الفصل الرابع:

هدى القرآن لـ تقي الدين المدرسي

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

المبحث الثاني: التعريف بتفسير هدى القرآن

المبحث الثالث: مسلك تقي الدين المدرسي في تناول

القصص القرآني

المبحث الرابع: موارد تقي الدين المدرسي في تفسيره

للقصص القرآني

يعتبر تفسير هدى القرآن، من أبرز التفاسير البارزة في القرن الرابع عشر الهجري لمكانته العلمية البارزة لدى الإمامية، ولطابعه العصري المتميز حيث، ربط صاحبه بين كلام الله تعالى والواقع بكل أبعاده، لذلك نحاول في هذا الفصل تقديم هذا التفسير مع الوقوف على مسلك صاحبه في تفسير كلام الله.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

تقي الدين المدرسي، من العلماء والباحثين المعاصرين من الشيعة الإمامية، ولد في مدينة "كربلاء" بالعراق عام 1945م في بيت علم وجاه وفضيلة، الأمر الذي منح شخصيته طابعاً دينياً مميزاً، تابع دراسته على أيدي علماء بلده الكبار منهم خاله آية الله السيد محمد الشيرازي، وآية الله الشيخ يوسف الخراساني، ولم يقتصر على دراسة العلوم الدينية، بل اهتم بالعلوم الأخرى أيضاً، وكان المفسر من دعاة الإصلاح الاجتماعي، وله عقائد في العلوم الإنسانية والفلسفة والعرفان ونقد الثقافة الغربية، وله أبحاث ودراسات ومقالات نشرت في المجالات العربية في العراق ولبنان وإيران، وعمل على تطوير الحوزات العلمية عن طريق تنظيمها وتحديث برامجها وفق الحاجات الراهنة.

ومن آثاره ومؤلفاته¹:

- المنطق الإسلامي أصوله ومناهجه
- الفكر الإسلامي مواجهة حضارية.
- بحوث في القرآن، تفسير من هدى القرآن
- الإمام الحسين قدوة وأسوة.
- بحث في حقل الفلسفة، وقد أجرى بحوث مقارنة بين الفلسفة اليونانية القديمة والفلسفة السائدة في العالم الغربي اليوم وبين فلسفة الإسلام التي تتمثل بالقرآن الحكيم وأحاديث النبي وأهل بيته عليهم السلام.. وذلك في الكتب التالية: الفكر الإسلامي مواجهة حضارية والمنطق الإسلامي أصوله ومناهجه، والعرفان الإسلامي، ومبادئ الحكمة.

¹ ينظر المرجع السابق: من هدى القرآن: محمد تقي الدين المدرسي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 2008م، ج 1، ص 5.

- كتب عن التاريخ الإسلامي قرابة (30) كتاباً تناول في أكثر من (20) منها سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأئمة أهل بيته عليهم السلام.

- التاريخ الإسلامي " الذي ناقش فيه الحركات التصحيحية في صدر الإسلام، ويعتقد أن قراءة التاريخ يجب أن لا تكون من أجل الاطلاع على أحداث تاريخية وقعت في الماضي فحسب، بل قراءة تؤثر في الحاضر والمستقبل. كما ألفت مجموعة كبيرة من الكتب في مجالات عديدة.

- كما ألفت كتباً أخرى ناقش فيها مختلف القضايا الفكرية والثقافية والاجتماعية والتربوية، وعالج في قسم منها الأوضاع السياسية القائمة في العالم الإسلامي.¹

و نظراً لنشاطه الفكري أُعتبر تقي الدين المدرسي مرجعاً دينياً لدى الإمامية وصفه علي أبازي بأنه: أنه قام بإثراء المكتبة الإسلامية بأفكاره الفذة التي يتغذى عليها أجيال الأمة الصاعدة والعاملين الرساليين في سبيل إعلاء كلمة الله والوقوف بوجه الهجمات الثقافية التي بدأت تغزو عالمنا الإسلامي لتحطيم الشباب وإضاعته في متاهات الأفكار المنحرفة.²

¹ ينظر المرجع السابق: المفسرون منهجهم وحياتهم: محمد علي أيازي، الطبعة الأولى طهران -1386هـ، ج1، ص768

² ينظر المرجع نفسه المفسرون منهجهم وحياتهم: محمد علي أيازي، الطبعة الأولى طهران -1386هـ، ج1، ص769

المبحث الثاني: التعريف بتفسير هدى القرآن

المطلب الأول: الوصف العام لكتابه

ألف تقي الدين المدرسي هدى القرآن بتاريخ 1405هـ، عدد المجلدات 18، طبعت الكتاب الطبعة الأولى 1406هـ دار الهدى طهران.

يعتبر تفسير هدى القرآن تفسير شامل لجميع آيات القرآن سلك فيه المؤلف المنهج التحليلي والتربوي من خلال من خلال الربط الموضوعي بين الواقع المعاش وبين الحقائق الواضحة والبيئة التي صرح بها القرآن قبل أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان كمنهج تربوي وأخلاقي يستهدف وضع الحلول الناجعة لكل مشكلات العصور المختلفة حتى قيام يوم الدين وذلك من خلال إتباع الأسلوب العلمي، فسر فيه صاحبه القرآن الكريم بأسلوب عصري، ربط من خلاله بين كلام الله تعالى والواقع بكل أبعاده.

وأما عن سبب التأليف، فهو كما ذكره في مقدمته: من بداية القرآن وحتى سورة النحل كتبت التفسير بيدي، حيث كنت آوي إلى مسجد أو مقام هادئ، حاملاً معي القرآن والقلم والقرطاس، وربما هموماً كثيرة تخص الأمة، فأجلس كالتلميذ أمام كتاب ربي وأقرأ مجموعة آيات وأتدبر فيها. وإذا لم يسعفني ذكائي لفهم أبعاد آية كريمة، سألت الله أن يعينني على ذلك.

وأضاف قائلاً: « وبعد ثلاث سنوات شعرت بالحاجة إلى الإسراع في إتمام التفسير، وكنت اخشي ألا أوفق لإكماله، وأخذت أسلوب إلقاء دروس في التفسير، تسجل على الشريط ثم تكتب وربما تعاد صياغتها بصورة تتناسب مع أدب التأليف».

وذكر المؤلف: « لعل القارئ يجد بعض المفارقات بين نصفي التفسير، حيث يعتمد النصف الأول منه على ضغط الكلمات، بينما يعتمد النصف الثاني على الشرح والتفصيل. ومما يجدر ذكره هنا، أن أسلوب إلقاء المحاضرات في خصوص تفسير آيات القرآن الحكيم، كان سبباً لإيجاد مكتبة صوتية في تفسير القرآن، تحتوي على أكثر من خمسمائة شريط كاسيت.¹»

وقبل البدء بتفسير القرآن الحكيم، قدم السيد المؤلف مجموعة بحوث تمهيدية، قسمها على ثلاثة

¹ ينظر المرجع السابق، من هدى القرآن: محمد تقي الدين المدرسي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 2008م، ج 1، ص 7.

فصول، هي كالتالي: ¹

الفصل الأول: ما هو القرآن؟ ولماذا ندعو إليه؟. بحث فيه موضوع القرآن في آيات الذكر، القرآن في السنة، لماذا ندعو إلى القرآن؟

الفصل الثاني: مسائل قرآنية، بحث فيه موضوع ضرورة التدبر في القرآن، القرآن والتفسير بالرأي، القرآن بين التزكية والتعليم، القرآن بين الظاهر والباطن، القرآن بين المحكم والمتشابه.

الفصل الثالث: منهج التدبر في القرآن. بحث فيه موضوع التدبر والصفات النفسية، التدبر والصفات العقلية، التدبر والسياق القرآني، التدبر والواقع الخارجي، التدبر والتطبيق القرآني، موجز لمنهج التدبر في القرآن.

وفي مقدمة تفسير كل سورة، ذكر تقي الدين المدرسي فضل السورة على لسان النبي وأهل بيته، مبيناً الإطار العام لها، كاشفاً عن محتواها العام، ثم يأخذ مجموعة مجموعة من آيات كل سورة، فيشرح فيها معناها بشكل مركز تحت عنوان (هدى من الآيات)، ثم يفصل البحث فيها تحت عنوان (بينات من الآيات).²

كما وصفه صاحبه بقوله: « ويأتي اهتمامه الكبير بالقرآن الكريم من كونه يعتبر هذه الرسالة العظيمة ليست كتاباً عادياً يقرؤه الإنسان كما يقرأ القصص من الكتب الأخرى، بل انه كتاب دين ورسالة حضارة ودعوة للحياة الكريمة، وهو خلاصة الدين وجوهر رسالة الله سبحانه وتعالى للبشر»³

المطلب الثاني: منهجه التفسيري

وضح تقي الدين المدرسي منهجه العام لتفسيره هدى القرآن فقال في مقدمة كتابه: « واعتمدت فيه على منهج التدبر المباشر، انطلاقاً مما بينته في التمهيد أي منهج الاستلهام مباشرة من الآيات والعودة إلى القرآن ذاته، كما قصرنا على فهم بعض آياته وفق المنهج⁴ الذي علمنا إياه الرسول ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام حيث أمرونا بتفسير القرآن ببعضه-ولا يتناول تفسير هدى القرآن ذكر أسباب النزول ولا القراءات ولا إعراب الكلمات، بل ذكر المأثورات الواردة في

¹ ينظر المرجع السابق: من هدى القرآن: محمد تقي الدين المدرسي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 2008م، ج 1 ص 8.

² ينظر المرجع نفسه من هدى القرآن: محمد تقي الدين المدرسي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 2008م، ج 1 ص 11.

³ ينظر المرجع نفسه: من هدى القرآن: محمد تقي الدين المدرسي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 2008م، ج 1، ص 4.

⁴ ينظر المرجع نفسه من هدى القرآن: محمد تقي الدين المدرسي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 2008م، ج 1، ص 5.

ذيل الآيات وهدفه بيان الآيات ومنهج التربوي والأخلاقي لفهم آيات كتاب الله العزيز.¹

والواضح من تفسيره أنه يتطرق للأحكام المستنبطة من الآيات أو ما يتصل منها بالشؤون الحياتية للإنسان بشكل موجز مكثفياً بذكر رأي الشيعة الإمامية فيما يتعلق بالآية من حكم دون تعصب، أو تعريض بالمذاهب الأخرى.

إن لآيات القرآن الحكيم أبعاداً مختلفة، وحسب تعبير تراجمة الوحي وأئمة الهدى عليهم السلام، فإن له نخوماً وبطوناً تصل إلى السبعين. وشخص مثلي يكاد لا يستطيع أن يطلع على بعد واحد منها، فكيف بسائرها؟ فحين أكتب معنى الآية، لا أدعي أنه كل معانيها وأبعادها، بل لا أدعي أنه بالتأكيد المعنى الأقرب، إنما أسجل فقط فقط ما فهمته من الآيات، مع اعترافي بقصور فهمي. والواقع أن كل التفاسير القرآنية ليست إلا بياناً لبعض الموضوعات التي تصدق عليها الآيات كما تصدق على غيرها، وأن القرآن سيظل فوق التفاسير لا يحيط بكنه معانيه إلا الله ومن ارتضاه الله لغيبه.²

ووصفه علي أبازي بقوله: « بأنه تفسير شامل لجميع آيات القرآن، سلك فيه المؤلف المنهج التحليلي والتربوي، من خلال الربط الموضوعي بين الواقع المعاش وبين الحقائق الواضحة والبيئة التي صرح بها القرآن قبل أكثر من أربعة عشرة قرناً من الزمان كمنهج تربوي وأخلاقي يستهدف وضع الحلول الناجعة لكل مشكلات العصور المختلفة حتى قيام يوم الدين، وذلك من خلال اعتماد الأسلوب العلمي الذي بينه المؤلف من خلال صفحات كتابه »³.

¹ ينظر المرجع السابق من هدى القرآن: محمد تقي الدين المدرسي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 2008م، ج1، ص5

² ينظر المرجع السابق المفسرون منهجهم وحياتهم: محمد علي أيازي، الطبعة الأولى طهران -1386هـ، ج1، ص765-773

³ المرجع نفسه المفسرون منهجهم وحياتهم: محمد علي أيازي، الطبعة الأولى طهران -1386هـ، ج1، ص56.

المبحث الثالث: مسلك تقي الدين المدرسي في تناول القصص القرآني

نتابع في هذا المبحث الوقوف على مسلك تقي الدين المدرسي، من خلال تقديم بعض النماذج القصصية من تفسيره هدى القرآن وهي كالآتي:

النموذج الأول: قصة بقرة بني إسرائيل

شرع تقي الدين المدرسي في تفسير قصة موسى عليه السلام بقوله: قصة البقرة دروس وعبر فعنون القصة بقوله: هدى من الآيات فقال: «عندما تنتشر في الأمة روح التكاسل تبدأ بالتفاف على الأحكام الشرعية، لتنفلت منها إن استطاعت، فتراها تتشبث بطائفة من القشريات وتجعلها بديلة عن الحقائق الواقعية، وقصة بني إسرائيل مع البقرة تمثل هذه الحالة فيهم.» وبعدها مباشرة وضع عنوان ثاني للقصة، بينات من الآيات:

بعد عنونته القصة شرع بتفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَحِذَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾¹ فقال: «في البداية استغربوا من الطلب وزعموا أنها هزؤاً مجرد أنهم لم يعرفوا فلسفة الحكم: ﴿ قَالُوا أَنْتَحِذَا هُزُؤًا ﴾ بالرغم أن موسى عليه السلام كان جدياً مع قومه، وصارماً لكن بني إسرائيل، كانوا قد أصيبوا بضعف في الإيمان، الإيمان الذي يريد من صاحبه التنفيذ من دون سؤال ودون البحث عن العلل والأهداف، لذلك قال لهم موسى ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ وهنا بدأت سلسلة التساؤلات التي استهدفت معرفة خلفيات الحكم وأهدافه البعيدة المختلفة. ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ بَقَرَةٌ كَسَائِرِ الْأَبْقَارِ؟ أَمْ هِيَ بَقَرَةٌ مَعِينَةٌ؟ وهنا شدد الله عليهم ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ ولكنهم عادوا يتساءلون انطلاقاً من تشبثهم بالقشور»²

ثم ختم القصة بخلاصة بين من خلالها هدايات القصة وتوجيهاتها فقال: «أن قصة البقرة تبين لنا جانباً من جوانب الضعف الإيماني الذي أصاب بني إسرائيل، ولكن هذا الضعف لا يزال هينا بالنسبة إلى ما ينتظرهم في المستقبل حيث يكادون يفقدون الإيمان رأساً، والقرآن يحذرنا من أن الضعف الإيماني المتمثل في التواني عن تطبيق الأوامر قد ينتهي بصاحبه إلى مرحلة أخطر هي الابتعاد

¹ سورة البقرة: الآية 67-70

² ينظر المرجع السابق: من هدى القرآن: محمد تقي الدين المدرسي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 2008م، ج1، ص193.

النموذج الثاني: قصة بشارة إبراهيم عليه السلام

شرح تقي الدين المدرسي بتفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٧١﴾ فَأَمَّا رَأْيَا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرُهُمْ فَايَمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَرْنَا بِمَا يَأْسَحَقُ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧٢﴾ قَالَتْ يَتْلُقَ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٣﴾ قَالُوا أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٤﴾﴾² عن طريق عنونته الآيات بقوله: هدى من الآيات: أتعجبين من أمر الله؟

يتابع السياق القرآني قصة الرسالة في عهد إبراهيم عليه السلام، ويلخص قصته التي تتصل بقوم لوط، ويبدأ الحديث بجو السلام والبشارة التي يختلط بها الخوف، لقد جاءت رسل الله وملائكته إلى إبراهيم عليه السلام يزفون إليه البشيرة بأبنائه الذين كانوا يشكلون امتدادا لخطه³.

فجاء إبراهيم بالطعام وكان عجلا مشويا، ولكنهم لم يلمسوه فتوجس منهم خيفة، وأثير عنده سؤال: لماذا لا يأكلون؟! فطمأنوه وقالوا: إننا رسل الله وقد أرسلنا إلى قوم لوط فبشرها الله بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، ولم تتمالك من شدة التعجب فصاحت: كيف ألد وأنا عجوز وبعلي شيخ طاعن في السن؟! فرد عليها الرسل قائلين: لماذا تعجبين من أمر الله.

إن رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت لأن الله يفعل ما يحمد عليه، وهو رفيع المقام سبحانه؟! هكذا مهد الله لقصة أصحاب لوط الذين كانت رسالة إبراهيم عليه السلام نازلة لهم أيضا.

بينات من الآيات: إبراهيم عليه السلام والبشارات الثلاث:

ظل إبراهيم يقاوم ويقاوم، ولم يرق إلى قلبه السامي اليأس أو الشك، وحانت الآن ساعة البشارة المنتظرة، لقد أرسل الله إليه رسله بصورة رجال حسان الوجوه تعظيما له وتكريما لجهاده الطويل، فجاؤوا يبشرونه.

¹ ينظر المرجع السابق: من هدى القرآن: محمد تقي الدين المدرسي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 2008م، ج 1، ص 193.

² سورة هود: الآية 69-73

³ المرجع السابق: من هدى القرآن: محمد تقي الدين المدرسي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 2008م، ج 4، ص 62.

أولاً: بأن الله أذن له بالنصر

ثانياً: بأن أعداء الرسالة سيهلكون، ألا وهم قوم لوط الذين بعث الله إليهم أول المؤمنين برسالة إبراهيم.

ثالثاً: بأن الله سوف يرزقه - بعد طول المعاناة واليأس - أولادا يتابعون دربه.¹

النموذج الثالث: قصة أصحاب الكهف

و عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾² قال: « إن هذه الآية والآية السابقة تدلان على فكرة هامة وهي: أن الله سبحانه وتعالى يكرم الإنسان لأجل أبويه وأنه إذا عمل الإنسان عملاً صالحاً فإن الله يكرمه ليس في ذاته فقط وإنما في أبنائه أيضاً،³ وإن كثيراً من حكم الحوادث في الحياة التي تقع دون أن نعرف طبيعتها مرتبط ليس بالشخص ذاته، وإنما مرتبطة بشخص آخر، فلربما أكرم الله مريم الصديقة، وأنشأها، ورباها منذ نعومة أظفارها تلك التربية الزكية بسبب والدتها التي نذرت ما في بطنها محرراً، وأكرم عيسى بسبب أمه مريم الصديقة، وربما أكرم الله سبحانه كثيراً من الرجال المصلحين الذين ترى فيهم منذ طفولتهم آيات الشجاعة والذكاء من أجل آبائهم أو أمهاتهم جاء في الحديث عن العياشي عن الصادق عليه السلام: " إن الله ليحفظ ولد المؤمن إلى ألف سنة، وإن الغلامين كان بينهما وبين أبييهما سبعمائة سنة، وقال: إن الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده ويحفظه في دويرته ودويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله وهذا التكريم يشجع على العمل، فحتى لو فكرت أنك لن تحصل على النتيجة في حياتك، ولكن الخير حتماً آتاك إن كنت لم تنزل حياً، وإلا فسوف يأتي من بعدك أبنائك.⁴

كما أن العكس صحيح أيضاً حيث: أن الله سبحانه وتعالى قد يكتب هلاك إنسان يعلم انه لو بقي حياً لأضر بالآخرين، وقد قدر هلاك ذلك الغلام لكي لا يسبب طغياناً وكفراً لوالديه، فإذا

¹ المرجع السابق: من هدى القرآن: محمد تقي الدين المدرسي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 2008م، ج4، ص62-63.

² سورة الكهف: الآية 82

³ ينظر المرجع السابق من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج4، ص86 وينظر تفسير العياشي ج ص336-337.

⁴ ينظر المرجع نفسه من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج4، ص85 وينظر تفسير العياشي ص336.

رأيت شيئا لا تفهمه فلا تنكره، فلربما كانت هناك حكمة خفية من هذه الحكم.

﴿ وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ وفي نهاية هذه القصة القصيرة نذكركم مرة أخرى بأن السعي وراء العلم والخبرة يجب أن يكون هدف الإنسان المؤمن أبدا والخبرة هي علم الممارسة الحية لحوادث الحياة، وهذه الخبرة هي من حكم الله في الحياة، أو بتعبير آخر هي التي تجعل الإنسان أكثر إيمانا وفهما لحكم الله في الحياة، وبالتالي أقرب إلى الأحكام الشرعية.¹

أثناء تفسير المدرسي لآية 90 من سورة الكهف استند لرواية للعايشي جاء فيها: " حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا " أين وصل ذو القرنين شرقا؟ لا أعلم، إلا أن المنطقة كانت بدائية حيث أن القوم فيها لم يكونوا يملكون بيوتا تكنهم من حرارتها، كما جاء في حديث مأثور عن الباقر عليه السلام: " لم يعلموا صنعة البيوت هذا التحول من المغرب إلى أول المشرق كان دليلا على قدرة ذو القرنين وسلطته، ولكنها لم تكن بعيدة عن سلطة الله، فقد كان الله محيطا به ².

المناقشة:

بعد عرضنا لنماذج مختلفة من القصص القرآني لتقي الدين المدرسي والمتمثلة في: قصة بشارة إبراهيم عليه السلام وقصة بقرة بني إسرائيل، وأصحاب الكهف - نقول أن تقي الدين المدرسي وفق إلى حد كبير في تناول القصة القرآنية بطريقة تربوية، مخالفا بذلك ما ألفه المتقدمون لأنه لم يغتر بالإسرائيليات والموضوعات التي حشيت بها كتبهم بل حذر المسلمين عن نقل كل أثر لا يفيد في التفسير، ونبه أيضا إلى اختلافاها وبطلانها وأنه لا طائل من ذكرها.

وهو بذلك لم يتأثر بأهل فرقته من خلال عرضهم للقصص القرآني ومزجه بالخرافات والأباطيل خدمة لمعتقدتهم، لأن طريقة عرضه للقصص تحقق مقاصد القرآن العليا من تدبر واعتبار وعظة، فقد فسّر القرآن الكريم بأسلوب عصري، ربط من خلاله بين كلام الله تعالى والواقع، بل إننا نقول: إنه أحسن في عرضه للقصص القرآني بطريقة معتدلة دون غلوا وتعصب مذهبي.

و قد سار على منهجه الذي بينه في مقدمة كتابه بقوله: "اعتمد فيه على منهج التدبر المباشر،

¹ ينظر المرجع السابق من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج 4، ص 86 وينظر تفسير العياشي ص 337

² ينظر المرجع نفسه من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج 5، ص 94، وينظر تفسير العياشي ج 2، ص 350.

حيث أطلق عليه منهج الاستلهام مباشرة من الآيات والعودة إلى القرآن ذاته كلما قصرنا عن فهم بعض آياته وفق المنهج الذي علمنا إياه الرسول الكريم ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام حيث أمرونا بتفسير القرآن ببعضه، بل إنما حاولت أن أسجل فقط تلك البصائر التي استنفدتها شخصياً عبر تدبري في القرآن".¹

المبحث الرابع: موارد تقي الدين المدرسي في تفسيره للقصص القرآني

المطلب الأول: مصادره التفسيرية الشيعية القديمة

اعتمد تقي الدين المدرسي على عدة مصادر تفسيرية شيعية خاصة تلك التي ترجع إلى القرون الست الأولى كتفسير العياشي والقمي ومجمع البيان للطبرسي، حيث عول عليهم كثيراً في تفسيره، ولعل السبب في ذلك كون هذه التفاسير من بين التفاسير التي أسست لفكر ومعتقد الإمامية، بالإضافة إلى تفسير الصافي للفيض الكاشاني، والميزان للطباطبائي، ونور الثقلين للحويزي، ومما أفاده تقي الدين المدرسي من هذه التفاسير للقصص القرآني ما يلي:

الفرع الأول: تفسير القمي (ت 329هـ)

اعتمد تقي الدين المدرسي اعتماداً كبيراً على تفسير القمي فلا تكاد تخلوا صفحة من صفحات تفسيره من هذا الكتاب وذلك لأهميته عند الإمامية باعتباره وصفه علامتهم الطهراني بقوله: "السفر الخالد المأثور عن الإمامين أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق عليهما السلام".² كذلك قال عنه طيب الموسوي بأنه "تحفة عصرية، ونخبة أثرية لأنها مشتملة على خصائص شتى قلما تجدها في غيرها، فمنها: أن التفسير أصل أصوله للتفاسير الكثيرة، وأن رواياته مروية عن الصادقين مع قلة الوسائط والإسناد، ومؤلفه كان في زمن الحسن العسكري، بالإضافة أن فيه علماً جماً من فضائل أهل البيت عليهم السلام".³

ومن أمثلة ما أفاده تقي الدين المدرسي للقصص القرآني من تفسير القمي ما يلي:

¹ ينظر المرجع السابق هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج1، ص9

² ينظر مقدمة تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ، ج1، ص16.

³ ينظر المرجع نفسه: مقدمة تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ،

ج1، ص 14-15.

أولاً: قصة يوسف عليه السلام

مما أفاد تقي الدين المدرسي من تفسير القمي عرضه لقصة يوسف عليه السلام فقال: جاء في الحديث عن الإمام الصادق (ع) قال: لما ألقى إخوة يوسف في الجب نزل عليه جبرائيل فقال له: يا غلام! من طرحك هنا فقال: إخوتي لأبي لمتلتي من أبي حسدوني، ولذلك في الجب طرحوني، فقال: أتعب أن تخرج من هذا الجب؟.

قال: ذلك إلى إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقال له: جبرائيل: فان إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب يقول لك: قل: " اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعل لبي من أمري فرجاً ومخرجاً، وترزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب " فجعل الله له من الجب يومئذ فرجاً ومخرجاً، ومن كيد المرأة مخرجاً، وآتاه ملك مصر من حيث لم يحتسب " ولترك يوسف تحوطه يد الرحمة الإلهية، وتربيه في غيابت الجب، ويأتي أحد إخوته بطعام له، ولنعد إلى البيت حيث نجد يعقوب ينتظر بفارغ الصبر عودة ابنه الحبيب، ويتأخر إخوة يوسف أكثر من العادة، فلما أسدل الليل ستاره جاؤوا إلى أبيهم لعل ظلام الليل يغطي بكاءهم الكاذب.¹

ثانياً: قصة أصحاب الكهف

عنون القصة بقوله: « لماذا بنى الجدار؟ » ثم قال: وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كثر لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كثرهما رحمة من ربك " فلو تهدم الجدار وجاء أهل المدينة وأرادوا أن يبنوا مكانه شيئاً، لاكتشفوا ذلك الكثر الذي كان عبارة عن دراهم ودنانير، أو كما جاء في الأحاديث: أن هذا الكثر كان كُتُباً خاصة باليتيمين، حيث كتب أبوهما فيهما مختلف الأشياء، واحتفظ بها تحت الجدار فأراد الله أن يبلغا سن الرشد ويستخرجا كثرهما ويستفيدا منه، فقد روى القمي عن الصادق عليه السلام " كان ذلك الكثر لوحاً من ذهب فيه مكتوب بسم الله لا إله إلا الله محمد رسول الله، عجبت لمن يعلم أن الموت حق كيف يفرح، عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، عجبت لمن يذكر النار فكيف يضحك، عجبت لمن يرى الدنيا وتصرف أهلها حالاً بعد حال فكيف يطمئن إليها »²

¹ ينظر المرجع السابق من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج4، ص109 وينظر تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ، ج1، ص354.

² ينظر المرجع نفسه من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج4، ص86 وينظر تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ، ج2، ص90.

ثالثاً: قصة سليمان عليه السلام

أما عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾¹ قال: أعطى سليمان بن داود - مع علمه - معرفة المنطق بكل لسان، ومعرفة اللغات، ومنطق الطير والبهائم والسمك، وكان إذا شاهد الحروب تكلم بالفارسية، وإذا قعد لعماله وجنوده وأهل مملكته تكلم بالرومية، وإذا خلا بنسائه تكلم بالسريانية والنبطية، وإذا قام في محرابه لمناجاة ربه تكلم بالعربية، وإذا جلس للوفود والخصماء تكلم بالعبرانية " وجاء في حديث آخر « أعطى داود وسليمان (ع) ما لم يعط أحد من أنبياء الله من الآيات، علمهما منطق الطير، وألان لهما الحديد والصفير من غير نار، وجعلت الجبال يسبحن مع داود (ع) »²

أما عند تفسيره لآية من سورة القصص ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾³ قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: يختار الله الإمام وليس لهم أن يختاروا⁴

الفرع الثاني: تفسير العياشي

يعدُّ تفسير العياشي من أقدم التفاسير الشيعية ذات المصادر الحديثية التي تعتمد على الراويات عن أهل البيت، لذا عول المدرسي عليه كثيراً، حيث لا تكاد تخلوا صفحة من صفحات هدى القرآن من هذا التفسير، وذلك لأهميته ومكانته عند الإمامية، لذا عدته الشيعة من معاصري الغيبة الصغرى⁵ ومن بين النماذج القصصية التي استقاها المدرسي من تفسير العياشي ما يلي:

¹ سورة النمل: الآية 17.

² ينظر المرجع السابق: من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج 6، ص 254، وينظر تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ، ج 2، ص 126

³ سورة القصص: الآية 68

⁴ ينظر المرجع السابق: من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج 6، ص 368، وينظر تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ، ج 2، ص 134.

⁵ الغيبة الصغرى عند الشيعة معناها: وهو مصطلح يشير إلى الوقت الممتد من سنة 2هـ أي عند شهادة الإمام الحسن العسكري إلى وفاة السريع الرابع سنة 329هـ، وفيه غاب الإمام المهدي عن الأنظار، لكنه كان يتصل بشيعته عن طريق وكلاء خاصين يسمون بالسفراء وعددهم أربعة: هم عثمان بن سعيد العمري، وابنه محمد الحسين بن روح النونجي، وعلي بن محمد السامري، وتسمى بالصغرى في مقابل الغيبة الكبرى التي بدأت سنة 329هـ وهي مستمرة إلى الآن ولا يعلم أحد متى الظهور إلا الله. (ينظر التمهيد محمد هادي معرفة ج 2 ص 89).

أولاً: قصة آدم عليه السلام

قال في بيان قصة آدم عليه السلام فقال: ولم يكن آدم يعلم أن من الممكن أن يحلف أحد بربه كاذباً، ثم شبه عليه بأن المنهي عنه إنما هو شجرة معينة من الحنطة، وليس كل أشجار الحنطة، وهنا استفاد إبليس من نقطة ضعيفة عند البشر حيث يتهرب من المسؤولية بأدنى تبرير، وكانت أداة وسوسته إثارة مشاعر حب الخلود والملك عند البشر، جاء في حديث شريف عن جميل بن دراج عن أحد الصادقين عليهما السلام: " سألته: كيف أخذ الله آدم بالنسيان ؟ فقال: انه لم ينس، وكيف ينسى وهو يذكره ويقول له ابليس: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين " ¹

مناقشة:

و ما يلاحظ على النماذج القصصية أنها في مجملها تؤصل لفكر ومعتقد الإمامية من إمامة وعصمة وتقية، وجري، وبالتالي فإننا نجد أن القصة القرآنية لم تحقق هدايات القرآن وتوجيهاته، لذا ذهب علماء السنة أن تفسيري العياشي والقمي، من بين التفاسير التي رزي بها المسلمون، نتيجة حذف الأسانيد وتلفيق روايات ونسبتها إلى الأئمة الأطهار.

الفرع الثالث: تفسير مجمع البيان للطبرسي

ويعدّ هذا التفسير من التفاسير ذات القيمة عند تقي الدين المدرسي باعتباره من التفاسير التي تجمع آراء السنة والشيعه من جهة ومن جهة أخرى يرى أن لهذا التفسير أهمية من حيث الدقة والترتيب والإتقان والوضوح، بالإضافة إلى اعتماده صاحبه على اللغة، ثم الإعراب، ثم الحجّة، ثم القراءة، ثم المعنى، هذا ما جعل المدرسي يتخذه كمصدر في تفسيره.

ومما أفاد تقي الدين المدرسي من تفسير الطبرسي عند تعرضه للقصة القرآنية أنه يستفتحها بذكر فضائل السورة ومثاله: أثناء عرضه لقصة يوسف عليه السلام فذكر فضلها بقوله: «قال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم علموا أرفائكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله تعالى عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يجسد مسلماً». ²

¹ ينظر المرجع السابق من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج5، ص254، وينظر تفسير العياشي، ج2، ص9

² ينظر المرجع نفسه من هدى القرآن: المدرسي، ج4، ص97 وينظر مجمع البيان: الطبرسي ج5، ص206

ومما أفاده تقي الدين المدرسي من مجمع البيان للطبرسي عند تفسيره لقصة يوسف عليه السلام في

بيان معنى الظن الوارد في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبَّهُ فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ يَضَعُ سِنِينَ ﴾¹ فتساءل قائلاً: لماذا استخدم القرآن تعبير الظن، أو لم يقل ربنا سابقاً: إن الله قد علمه تأويل الأحاديث؟

في الإجابة قال صاحب المجمع البيان للطبرسي: أن معنى الآية أي للذي علم من طريق الوحي أنه ناج متخلص، كما في قوله تعالى: "إني ظننت إني ملاق حسابية" هذا قول الأكثرين واختيار الجبائي. وقال قتادة: للذي ظنه ناجياً لأنه لم يحكم بصدقه فيما قصه من الرؤيا والأول أصح. ولكن - يبدو لي - أن الظن هنا بمعناه الأصلي وهو التصور والتخيل الذي يوهم بعدم وجود علم ثابت بذلك، والسبب أن يوسف عليه السلام لم يكن يضمن المستقبل لأن الله قد يشاء شيئاً آخر، فلربما مات الشخص أو تغير نظام الملك، أو بدا لله في شأنه أمر آخر، وعاد به إلى السجن، أو إلى الإعدام، ومناسبة الظن بما بعده هي أن يوسف (ع) كان موقناً بأن الله سبحانه أرحم الراحمين، وأنه يستجيب لدعائه بينما كان يظن بنجاة صاحبه ظناً.

و كان ينبغي أن يتوسل بالله قبل توسله بذلك الشخص لأن الله أولى باليقين من رؤياه حول الشخص التي لو صدقت لتجاوزت حدود الأقدار، وقضاء الله فوق قدره وإرادته فوق سنته سبحانه وتعالى، ولكن الشيطان أجعل يوسف، حيث أن مشكلات السجن. رفعته إلى التسرع بالتوسل بالبشر دون ربه، ﴿ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبَّهُ فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ يَضَعُ سِنِينَ ﴾² ليربيه ربه على الإخلاص التام في عبادته سبحانه³.

وعند تفسيره للآية 18 من سورة يوسف استند لرواية عن الطبرسي فقال «و ذبحوا ذبيحة لطحوا قميص يوسف بدمهم، ناسين أن دم البشر يختلف عن دم الحيوان حتى بعد تحنثه، والخير يميزه بسهولة، كما أنهم نسوا تمزيق قميص يوسف مما عرف أن العملية كذب باعتبار الذئب لا يخلع ثوب ضحيته ثم يأكله ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً ﴾⁴ وجاء في الحديث «أن يعقوب قال حينما رأى القميص: لقد أكلك ذئب رحيم، أكل لحمك ولم يشق قميصك».

¹ سورة يوسف: الآية 42

² سورة يوسف: الآية 42

³ ينظر المرجع السابق من هدى القرآن: تقي المدرسي، ج 5 ص 121، وينظر مجمع البيان للطبرسي ج 2 - ص 234

⁴ سورة يوسف: الآية 18.

وجاء في حديث آخر «: تنبه يعقوب إلى أن الذئب لو أكله لمزق قميصه، لذلك لما ذكرهم بذلك قالوا: بل قتله اللصوص، فقال: فكيف قتلوه وتركوا قميصه وهم إلى قميصه أحوج منهم إلى قتله من هنا عرف يعقوب أن كيد إخوة يوسف قد أحاط به، فقال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: أي إصبر صبرا جميلا بالاستعانة بالله فيما أصابني من خيانة أبنائي بي وبأخيهم، وكذبهم علي وتأمروهم ضدي»¹

الفرع الرابع: تفسير الصافي للكاشاني

مما أفاده من تفسير الصافي تفسيره لقوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾² هؤلاء لا يفهم ما عندهم من الآيات، بل يريدون المزيد، ولكن الله يصف الرسول بقوله: ﴿إنما أنت منذر﴾ هذه حدودك أيها الرسول، فليس من مسؤوليتك أن تأتي بالآيات.. ﴿ولكل قوم هاد﴾ هذه الآية نزلت في رسول الله وعلي بن أبي طالب عليه السلام إذ هو الهادي لأمة محمد صلى الله عليه وآله بعده، وقد بلغت الروايات في هذا المجال حد الاستفاضة"³

وقال في رواية أخرى قال أمير المؤمنين عليه السلام: فينا نزلت هذه الآية «إنما أنت منذر ولكل قوم هاد» فقال رسول الله صلى الله عليه وآله «أنا المنذر وأنت الهادي يا علي، فهنا الهادي والنجاة والسعادة إلى يوم القيامة»⁴.

الفرع الخامس: تفسير الميزان: الطباطبائي

أكثر المدرسي من الأخذ من الميزان، بل هو صورة كاملة عن تفسيره فتكاد لا تخلو صفحة إلا وفيها من تفسير الميزان، ومما أفاده منه تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّيَ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾⁵ فقال: بيان في

¹ ينظر المرجع السابق من هدى القرآن: تقي المدرسي، ج 4 ص 110، وينظر مجمع البيان للطبرسي ج 5 ص 281-282.

² سورة يونس: الآية 20.

³ ينظر المرجع السابق من هدى القرآن تقي الدين المدرسي، ج 6، ص 254، وينظر المرجع السابق تفسير الصافي: ملا محسن فيض كاشاني، ت: حسين الأعلمي، مؤسسة الهادي قم المقدسة طهران الطبعة الثانية رمضان 1416هـ، ج 3، ص 58.

⁴ ينظر المرجع نفسه من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج 4 ص 186، وينظر تفسير العياشي، ج 2، ص 203.

⁵ سورة نوح: الآية 10-12

قصة نوح عليه السلام: « تستوعب المياه وتنقلها للشاريين إنسا وحيوانات، وسقاءً للجنات والأشجار والمزارع، وثابت علميا وعمليا إن وجود الأنهار من العوامل الحضارية الأساسية، لأنها سبب الزراعة التي هي بدورها من مظاهر الحضارات ومقوماتها، والجنات والأنهار يشبع كلاهما حاجات مادية ومعنوية عند الإنسان. ولا ريب أن الجعل هنا لا يتم عن طريق المعجزة بحيث تنزل الجنات من السماء بأشجارها وأثمارها أو تزداد الأموال والأولاد بعوامل غيبية مجردة، إنما تحدث البركة وتكون الحضارة بعاملين (سعي الإنسان الذي قمته ورمزه الاستغفار + بركة الله وفضله) ونحن يجب أن نقرأ في ثنايا دعوة نوح عليه السلام حينما قال " استغفروا ربكم " كل عوامل التقدم والترقي من سعي وإتقان وجد.. أوليس الاستغفار غاية سعي الإنسان نحو الفضيلة والكرامة؟! أوليس يعني تجنب الأخطاء، والسير على المنهج القويم؟ وكما أن الاستغفار يجلب الخير والتقدم للأمم فإن الذنوب تسلبهما، وتصير بهما إلى الشر والتخلف، ويبدو من سياق الآيات ومن الأحاديث: أن قوم نوح أصيبوا بنقص في الأموال والأنفس والثمرات. بل أنضب مأوهم، فجاءت دعوة النبي نوح عليه السلام بهدف إصلاح مسيرتهم وانتشاهم من حضيض هذه المشاكل إلى أفاق البركة والرفاه، قال العلامة الطباطبائي معلقا على هذا السياق: أي أن هناك ارتباطا بين صلاح المجتمع الإنساني وفساده وبين الأوضاع العامة الكونية المربوطة بالحياة الإنسانية، وطيب عيشه ونكده¹، ثم ساق روايات استقها من الميزان فقال: " ختم القصة بقول لصاحب الميزان وفي الآية نذب إلى أصول الدين الثلاثة التوحيد المشار إليه بقوله ﴿اعبدوا الله﴾ والمعاد الذي هو أساس التقوى، والتصديق بالنبوة المشار إليه بالدعوة إلى الطاعة المطلقة² ».

الفرع السادس: تفسير نور الثقلين للحويزي

يعتبر تفسير نور الثقلين من التفاسير الروائية للشيعة لعلي العروسي الحويزي³ يورد المؤلف في

¹ ينظر المرجع السابق من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج11، ص264، وينظر الميزان للطباطبائي، ج20، ص30

² ينظر المرجع السابق تفسير من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج11، ص260، تفسير الميزان: الطباطبائي ج20، ص27.

³ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت 1112هـ): هو رجل دين ومفسر شيعي. لم يذكر أصحاب التراجم والرجال، تاريخ ولادته وأحوال حياته، وإنما ذكروا أنه أصله من مدينة الحويزة من المدن الصغيرة في إقليم خوزستان، إلا أنه استوطن مدينة شيراز، كان الحويزي معاصرا لكبار المحدثين مثل البحراني والحر العاملي، له تفسير نور الثقلين ذكره الحر العاملي في ترجمته للحويزي في كتابه أمل الآمل فقال: "له كتاب نور الثقلين في تفسير القرآن أربع مجلدات أحسن فيه وأجاد، نقل فيه أحاديث النبي والأئمة عليهم السلام في تفسير الآيات من أكثر كتب الحديث، ولم ينقل فيه عن غيرهم (ينظر أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل: الحر العاملي، ج2. ص 154) وقد ذكره آغا بزرك الطهراني في الذريعة وكتب نبذة تعطي صورة عامة عن محتوى الكتاب فقال: "فسر فيه القرآن على ما صدر من الروايات عن أهل البيت الذين هم أدري به. جمعها من الكتب المعتمدة كالكاظمي للكليبي

هذا التفسير الروايات الواردة عن طريق أهل البيت، دون التعليق عليها¹.

ومما أفاد المدرسي من هذا التفسير:

أولاً: بيان فضل السورة

ذكر فضل سورة يوسف عليه السلام فقال: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة يوسف في كل يوم وفي كل ليلة، بعثه الله يوم القيامة وجماله على جمال يوسف، ولا يصيبه فزع يوم القيامة، وكان من أختيار عباد الله الصالحين عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: « لا تعلموا نساءكم سورة يوسف، ولا تقرؤهن إياها، فإن فيها الفتن، وعلموهن سورة النور فيها المواعظ²»

كذلك مما أفاد تقي الدين المدرسي من نور الثقلين تفسيره لقصة هود عليه السلام، حيث ساق قصة هود عليه السلام مع قومه فقال: « روي أن المهدي أمر بحفر بئر بقرب بئر العبادي لعطش الحاج هناك، فحفر أكثر من مائة قامة، فبينما هم كذلك يحفرون إذ حرقوا حرقاً فإذا تحته هواء لا يدرى ما قعره، وهو مظلم، وللريح فيه دوي، فأدلوا رجلين فلما خرجا تغيرت ألوانهما فقالا: رأينا هواء ورأينا بيوتا قائمة ورجالا ونساء وإبلا وبقرا وغنما، كلما مسسنا شيئاً منها رأينا هباء، فسألنا الفقهاء عن ذلك فلم يدر أحد ما هو، فقدم أبو الحسن موسى عليه السلام على المهدي، فسأله عن ذلك، فقال: هؤلاء أصحاب الأقباح هم بقية من قوم عاد، ساخت بهم منازلهم، وذكر على مثل قول الرجلين³»

و الغريب في الأمر أن المدرسي ساق هذه الرواية ورغم غرابتها لم يعلق عليها ولو بكلمة واحدة.

وتفسير علي بن إبراهيم القمي والاحتجاج للطبرسي وعيون الأخبار وعلل الشرائع وإكمال الدين والتوحيد والخصال ومن لا يحضره الفقيه ومعاني الأخبار والأمالى وثواب الأعمال كلها للصدوق ومجمع البيان للطبرسي والتهديب للطوسي والتفسير للعباشي والمناقب والغيبة لابن شهر آشوب ونهج البلاغة والصحيفة السجادية والإهليلجة والمحاسن للبرقي والمصباح للكفعمي وغير ذلك. لكنه أسقط أسانيد الروايات وترك ذكر الآيات، ولذلك يصعب معرفة الأخبار المتعلقة بكل آية، ولم يتكلم في تفسير ألفاظ الآية وإعرابها وقراءتها على عكس تفسير كثير الحقائق (ينظر الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج24، ص365)

¹ الحر العاملي: أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل - ج2. صفحة 154.

² ينظر المرجع السابق من هدى القرآن: المدرسي، ج4، ص 97 ينظر نور الثقلين: الخويزي ج2، ص 409

³ ينظر المرجع نفسه من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي ج9، ص187، وينظر تفسير نور الثقلين: الخويزي، ج5، ص18

ثانيا: نموذج حول القبلة

عند تفسير المدرسي للآية 143 من سورة البقرة قال: «والتوجه إلى الكعبة لم يشرع في الإسلام، إلا لكي يجعل الله من المسلمين أمة متميزة عن الأمم الأخرى، ورقبية على مدى تطبيق سائر الأمم لتعاليم الله، في الحق والحرية، والعدالة الاجتماعية، ولو كانت الأمة متجهة إلى قبلة أهل الكتاب لم تكن قادرة على توجيه مشركي العرب المعتقدين بالكعبة، كما أنها لم تكن تستطيع توجيه اليهود والنصارى الذين كانوا يزعمون أنفسهم أصحاب القبلة، ويعتقدون أن المسلمين مجرد أتباع لهم، لذلك قال الله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾. بمعنى هداكم الله إلى صراط مستقيم هو: الصراط الوسط بين تطرف الناس ذات اليمين وذات الشمال، بين تطرف اليهود إلى المادية، وتطرف النصارى إلى الرهبانية، بين الحرية الفوضوية وبين الاستبداد الغاشم، بين ظلم الفرد للجماعة، وبين ظلم الجماعة للفرد، والهدف من الأمة الإسلامية أن تكون شاهدة على مسيرة الأمم الأخرى ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ ماذا يعني الشهداء على الناس؟

لعله يعني أن تكونوا موجهين لهم نحو مبادئ الرسالة، تمثل ما يكون الرسول شهيدا عليكم ﴿ويكون الرسول عليكم شهيدا فذات المسؤولية التي يتحملها الرسول تجاهكم، يجب عليكم أن تتحملوها تجاه الأمم الأخرى، وفي مناسبات أخرى تحدث القرآن عن مسؤوليات الرسول تجاه أمته وعلينا مراجعتها لنعرف مسؤولياتنا تجاه الأمم الأخرى».

إذن من أبعاد الوسطية التوسط بمعنى الشهادة والقيام بالرسالة بين الناس والرسالة، فالمصداق الأتم والجلي للأمة التي هي خير، وهي الشاهدة، كما أن الرسول شاهد هو " الأئمة"¹، ثم أضاف رواية أخرى عن الحويزي مروية عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في معنى قوله تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ قال: «نحن الشهداء على الناس بما عندهم من الحلال والحرام وما ضيعوا منه»².

المطلب الثاني: موقفه من تفاسير السنة

اعتمد تقي الدين المدرسي في عرضه للقصص القرآني على عدة مصادر سنية، وأكثرها بروزا ست وهي: تفسير جامع الأحكام للقرطبي وتفسير ابن جرير الطبري، تفسير الدر المنثور للسيوطي، روح المعاني للألوسي، وتفسير الكشاف للزمخشري، والتفسير الكبير للرازي، فلا تكاد تخلوا صفحة

¹ المرجع السابق من هدى القرآن تقي الدين المدرسي، ج1، ص250، ينظر تفسير نور الثقلين، ج 1، ص134

² المرجع نفسه من هدى القرآن تقي الدين المدرسي، ج1، ص252، ينظر تفسير نور الثقلين، ج 1، ص134

من صفحات تفسيره من هذه المصادر القيمة، ولعل السبب في هذا أن هذه الكتب تحوي بين دفتيها عددًا هائلًا من الأحاديث، والروايات، والأخبار الواردة؛ وهذا بلائم منهجه في التفسير، النقل والعقلي، فتعرض لما فيها من آراء مستعينا ببعض منها في بيان معاني الآيات، ومتعرضا لبعضها الآخر بالنقد والمناقشة ومثاله:

الفرع الأول: تفسير القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (600 هـ - 671 هـ)

استعان تقي الدين المدرسي بتفسير القرطبي خاصة في المباحث اللغوية الإعرابية.

ومما أفاده تقي الدين المدرسي من تفسير القرطبي خاصة المباحث اللغوية والإعرابية منها تفسيره لقصة مريم عليها السلام فقال في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾¹ يظهر من هذه الآية ومن النصوص أن أفضل وجبات الرزق ما كان أول النهار وآخره ولعله في الجنة يتبدل الوقت إلى ما يشبه الليل والنهار بازدياد النور ونقصه وتساءل: أليست الجنة تفيض أبدا بالنعم، فلماذا إذا الرزق بكرة وعشيا، والجواب: أن المؤمن يزداد رزقا كل يوم ويسير نحو التكامل هناك أبدا.

فقد جاء في حديث نبوي شريف وتعظيم طرف الهدايا من الله لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها في الدنيا²، ثم ساق رواية تاريخية بقوله: «كان عقبة بن أبي معيط، يجالس النبي ﷺ فقالت قريش: قد صبا عقبة بن أبي معيط، فقال له أمية: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمدا ولم تتفل في وجهه، ففعل عقبة ذلك، فنذر النبي ﷺ قتله فقتله يوم بدر جهدا، وقتل أمية في المعركة في المعركة، قالوا وفيهم نزلت هذه الآية»³

الفرع الثاني: الكشاف عن حقائق التزويل وعيون الأفاويل: الزمخشري (ت 538 هـ)

يرجع سبب اهتمام تقي الدين المدرسي بالكشاف، هو القواسم المشتركة بين منهج تقي الدين المدرسي العقلي ومذهب الاعتزال عند الزمخشري مذهبه اعتزالي، فهو يعنى بالتأويل والتفسير بما يناسب مذهبه ولعل هذين السببين هما اللذان دعوا تقي الدين المدرسي إلى الاعتماد بهذا القدر القليل

¹ سورة مريم: الآية 62

² ينظر المرجع السابق من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج 5، ص 155، وينظر الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج 11، ص 127.

³ ينظر المرجع نفسه من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج 9، ص 72، وينظر الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج 16، ص 109.

من الروايات على الكشاف إلى جانب هذا الاعتماد الواضح على الزمخشري إلا أن تقي الدين المدرسي تعرض لمناقشته.

وقد استعان بآراء صاحب الكشاف، في بيان معنى آية أو إفادة من صورة بلاغية أو حالة إعرابية، كما أنه نقل مرويات عن المتمثلة في اللغة البلاغة... إلخ.

« قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر»¹

كما نقل عن الزمخشري وعنون له بقوله: بين الأمانى والظنون:

قالوا عن الأمانى: إنها ما يتخيله الإنسان فيقرر في نفسه وقوعه ويحدثها بكونه، ومن هذا قولهم: " فلان يعد فلانا ويمنيه" ومنه قوله تعالى: ﴿ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ وحكي عن الأعرابي أنه قال لمن حدثه عن " أهذا شيء رويته أم تمنيته أم اختلقته"

وفي الكشاف في تفسير الآية: ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم - أي قوله:

﴿ وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾² والاستيقان ثم العوام الذين قلدهم ونبه على أنهم في الضلال سواء.³

الفرع الثالث: كتاب غريب القرآن: ابن قتيبة (ت 276هـ)

قال وفي تفسير غريب القرآن: « أي لا يعلمون الكتاب إلا أن يحدثهم كبارهم بشيء فيقبلونهم، ويظنون أنه الحق وهو كذب ومنه قول عثمان " ما تغنيت ولا تمنيت" أي ما اختلقت الباطل»⁴

ثم قال: وفي تفسير غريب القرآن أي لا يعلمون الكتاب إلا أن يحدثهم كبارهم بشيء ويقبلون، ويظنون أنه الحق وهو كذب وقد قال أحدهم: ما تغنيت ولا تمنيت، أي ما اختلقت الباطل.

ولكن يبدو أن الآية تتحدث أساسا عن الأيمن وكيف أنهم يعيشون على الأمانى والظن وعلى هذا يحتمل أن تكون الأمانة من أنفسهم والظن بسبب التقليد أو أن تكون الأمانى بمعنى التلاوة عليهم.

¹ ينظر المرجع السابق من هدى القرآن: المدرسي ج 9، ص 279 وينظر الكشاف للزمخشري، ج 4، ص 335

² سورة البقرة: الآية 80.

³ ينظر المرجع السابق من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي ج 1، ص 202، وينظر الكشاف للزمخشري، ج 1، ص 292

⁴ ينظر المرجع نفسه من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي ج 1، ص 202، وينظر غريب القرآن: ابن قتيبة ص 53.

ولأن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فإن السياق القرآني القادم أوضح بيان لهذه الكلمة. حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَمَّا عَهْدُ اللَّهِ فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ فَنَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾¹ إن تفسير الكتاب وفق ما يتمنونه، أو بتعبير آخر: حمل آيات الكتاب على آرائهم الموافقة لأهوائهم، وبالذات فيما يرتبط بتبرير فسادهم وخذاع أنفسهم بأن العذاب لا يشملهم لأنهم أبناء الله وأحباؤه، أو لأنهم من أولاد الأنبياء الكرام أو ما أشبهه؟ والواقع يعتبر هذا أوضح معاني الأمانة.

ومن هنا نعرف بلاغة التعبير القرآني، حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ لا يعلمون الكتاب إلا أمانياً ﴾² وكأنهم يعلمون فقط أمانياً الكتاب، أو هكذا يفسرونه حسب أمانيتهم. وفي معنى هذا، آيات أخرى³: قال الله سبحانه ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾⁴

الفرع الرابع: أنوار التزويل وأسرار التأويل: البيضاوي (ت 685هـ)

نقل تقي الدين المدرسي من تفسير البيضاوي أثناء تعرضه للمعاني اللغوية للآيات، ومما أفاده المدرسي من تفسير البيضاوي عند تفسيره لقصة أصحاب الكهف فقال في معنى: ﴿ إِذْ أَوْى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ فَعَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحِمَةٌ وَهِيَ لَنَا مِن أَمْرٍ نَّارِشِدًا ﴾⁴

الفرع الخامس: الدر المنثور: جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)

اعتمد تقي الدين المدرسي على هذا التفسير بشكل واسع فيما نقله عن المأثور عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، ويعد المصدر الأول للمدرسي في المأثور، كما اعتمد عليه أيضاً في أسباب التزول، ومثاله مما أفاده من الدر المنثور قصة نوح - عليه السلام - فقال: "ولكن جهود نوح ما كانت تنفع قومه لأن بينهم وبين دعوته حجبا سميكة من الإصرار والتحدي الأعمى للحق، بل كانت تزيدهم فرارا منه، وبعدا عن الحق، وهذه من خصائص الصراع بين الحق والباطل، أنه كلما سعدت

¹ سورة البقرة: الآية 80

² ينظر من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج 1، ص 203 وينظر تفسير غريب القرآن ص 53

³ سورة البقرة: الآية 111

⁴ سورة الكهف: الآية 10.

جبهة الحق من تحركها ونضالها ازدادت جبهة الباطل في عنجهيتها وعنادها.

﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءً إِلَّا فِرَارًا ﴾¹ قال: « وقد احتار المفسرون بسؤالهم: كيف يعقل أن تكون دعوة نوح سببا لفرار قومه من الحق؟ إلا أن المسألة طبيعية وقد أكدنا في مواضع من تفسيرنا على القول بأن في داخل الإنسان ضميرا يدعو إلى الحق (فطرته ونفسه اللوامة وعقله) وحينما يعقد الكفار عزمهم على رفض الإيمان فيأثم يواجهون حربا نفسية باطنية مع الضمير، مما يدعوهم لتحدي عقولهم ووجدانهم، ومن جملة وسائل التحدي للحق التهرب من مجالس الدعوة والدعاة، وذلك لإقناع النفس بعزة الإثم، وفي عالم السياسة لا يخفى على المراقب أن وجود الحركات الرسالية في مجتمع ما تؤثر على النظام القائم بصورة معاكسة، حيث يقوم بالمزيد من القمع والظلم، وقد سمى دعوته بالدعاء لأنها في حقيقتها طلب لنجاتهم من العذاب الأليم وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي كُنَّا دَعْوَتَهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ بالتالي يتأخر عنهم العذاب الأليم والأجل المعلق. ﴿ جَعَلُوا أَصْيَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ كناية عن الحجب التي تمنعهم عن سماع الدعوة والاستجابة لها، وربما كان بعضهم يضعها بالفعل ﴿ وَأَسْتَفْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ أي استتروا بها فهي حجاب كالغشاء تمنعهم من الاتصال بالدعوة، بل حتى من مجرد النظر إلى الداعية، وإلى جانب هذه الحجب الظاهرة، هناك حجب باطنة تغشى قلوبهم أهمها: الإصرار على الباطل، والضلال، والاستكبار عن التسليم للحق.

﴿ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ وفي الدر المنثور عن قتادة قال: بلغني أنه كان يذهب الرجل بابنه إلى نوح فيقول لابنه: احذر هذا لا يغرنك، فان أبي قد ذهب بي وأنا مثلك فاحذرنى كما حذرتك.²

علق عليه بقوله: « ومن ظاهر الأخبار أنه عليه السلام عاصر ثلاثة أجيال، كلها كانت لا تؤمن به إلا قليل منهم. لأن معدل الأعمار يومئذ كان ثلاثمائة سنة تقريبا. قال الصادق (ع): " كانت أعمار قوم نوح ثلاثمائة سنة «**ثُمَّ إِنِّي دَعْوَتُهُمْ جَهَارًا**» يعني أن الاستغفار يتسبب في النمو اقتصاديا وبشريا، وقيل: إنهم كانوا قد قحطوا وأستتوا (أحدبوا) وهلكت أموالهم وأولادهم (قبيل العذاب الأليم).³

ولذلك رغبهم في رد ذلك بالاستغفار مع الإيمان والرجوع إلى الله، وإلى ذلك ذهب أكثر

¹ سورة نوح: الآية 10

² ينظر المرجع السابق من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج 11، ص 265 وينظر الدر المنثور للسيوطي ج 6 ص 268

³ ينظر من هدى القرآن تقي الدين المدرسي، ج 11، ص 265 وينظر الدر المنثور للسيوطي ج 6 ص 268

المفسرين، وتهيئ من هذا السياق إلى أن الإيمان والاستغفار ليس من شؤون الآخرة وحسب بل هو متصل أيضا بحياة الإنسان في الدنيا. وعن قتادة قال: رأى نوح (ع) قوما تجزعت أعناقهم حرصا على الدنيا، فقال: هلموا إلى طاعة الله فإن فيها درك الدنيا والآخرة»¹

الفرع السادس: مفاتيح للغيب للفخر الرازي:

اعتمد تقي الدين المدرسي على كتاب جد مهم المتمثل في كتاب مفاتيح الغيب فعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴾² قال وأكثر المتأخرين تابعوا السدي بأن معنى الآية، لو كان للرحمان ولد فأنا أحق الناس بعبادة ذلك الولد لأني ﴿ أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴾ فإن السلطان إذا كان له ولد فكما يجب على عبده أن يخدمه فكذلك يجب عليه أن يخدم ولده»³

ومما أفاده أيضا من تفسير الفخر الرازي « وقيل المعنى يغفر لكم ذنوبكم السالفة، وهي بعض الذنوب التي تضاف إليهم، فلما كانت ذنوبهم التي يستأنفونها لا يجوز الوعد بغفرانها مطلقا لما في ذلك من الإغراء بالقبيح»⁴

وإلى ذلك أشار الفخر الرازي مستدلا بقول الله: « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس»⁵ وبقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾⁶

الفرع السابع: تفسير روح المعاني: أبو الثناء شهاب الدين الألوسي (ت1270هـ)

إن وجه اعتماد المدرسي على هذا التفسير يشبه إلى حد كبير طبيعة اعتماده على التفسير الكبير للفخر الرازي، إضافة إلى ما نقله عن تفسير الألوسي من مآثور عن النبي ﷺ وقد تعرض المدرسي لأكثر ما نقله من أقوال الألوسي بالنقد والمناقشة دون أن يكتفي بذكرها. ومثاله عند تعرضه لمعنى التأويل في معنى: يسألونك عن الساعة في قصة أصحاب الكهف قال: المدرسي اختلف المفسرون في

¹ ينظر المرجع السابق من هدى القرآن تقي الدين المدرسي، ج11، ص265 وينظر الدر المنثور للسيوطي ج6 ص268

² سورة الزحرف: الآية81.

³ ينظر المرجع السابق: من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي ج9، ص80 وينظر مفاتيح الغيب ج27، ص330

⁴ ينظر المرجع السابق. من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج11، ص261 وينظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي ج30، ص130.

⁵ ينظر المرجع السابق. من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي ج11، ص263، وينظر مفاتيح الغيب للرازي، ج11، ص250

⁶ سورة الشورى: الآية30

تأويلها قال بعضهم: « إنها بعثة الرسول أو لم يقل ﷺ بعثت والساعة كهاتين، وأشار بإصبعه ﷺ بالسبابة والوسطى، أو لم يخطب في أصحابه قبل الغروب وقال ﷺ والذي نفس محمد بيده ما مثل ما مضى من الدنيا في ما بقي منها إلا مثل ما مضى من يومكم هذا في ما بقي منه، وما بقي منه إلا اليسير، مما يدل على أننا نعيش في نهايات الدنيا..ومن علامات ذلك بعثة خاتم الرسل الذي لا نبي بعده إلى يوم القيامة»¹.

المطلب الثالث: موقف تقي الدين المدرسي من مرويات الصحابة والشيعنة

نقل المدرسي في أبحاثه الروائية روايات كثيرة عن السنة وأئمة أهل البيت وسأعرضها بإيجاز:

الفرع الأول: موقفه من مرويات الصحابة

اعتمد تقي الدين المدرسي إلى مرويات الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، ومرويات السنة ولكن من طرق الشيعة لا السنة ومثاله: « قال ابن عباس: الوقار هو الثبات، من وفر إذا ثبت واستقر، ومنه قوله: " وقرن في بيوتكن " فوقاره تعالى ثبوته واستقراره في الربوبية، المتبع لألوهيته ومعبوديته ثم يذكر نوح بعض الآيات والنعم الإلهية الهادية إلى الإيمان بالله والتسليم، ومن ثم توقيره لو أن الإنسان توجه إليها وأراد شكرها، وأولها خلق الإنسان ونظام خلقته»².

نقل تقي الدين المدرسي في تفسيره روايات عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين.

كما اعتمد على الصحاح عند أهل السنة، المتمثلة في صحيح البخاري ومسلم، السنن والمسانيد إلا أنها في التفسير ولم أقف على روايات تفسيرية في القصص القرآني

ومثاله في ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾³ قال: «إذا قامت السلطة السياسية (الشرعية) فان كل من يكفر يكون فاسقا، إذ لا يملك أي تبرير لكفره، والواقع أن التأويل الحق والشامل لهذه الآية إنما يكون عند تحقق وعد الله بالتمكين التام للدين المختار، في كل أقطار الأرض، كما جاء في أحاديث الرسول -صلى الله عليه وآله-: « لا يبقى في الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز، أو ذل ذليل، أما أن يعزهم الله

¹ ينظر المرجع السابق هدى القرآن تقي الدين المدرسي ج 9، ص 229 وينظر روح المعاني: الألوسي ج 26، ص 48.

² المرجع نفسه من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 2008م، ج 11، ص 263.

³ سورة النور: الآية 55

فيجعلهم من أهلها، وإما أن يذلمهم فيدينون بها»¹

أما متى يتحقق ذلك؟ فإنه إنما يتحقق عند قيام المهدي من آل محمد حيث جاء في حديث اتفق عليه المسلمون: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»² وغيرها، ووضع شروط صارمة لقبول الرواية منها عدم احتجاجه بخبز الآحاد.

أما فيما يخص مرويات الصحابة فتقي الدين المدرسي يستدل بها ولكن من طرق الشيعة لا من طرق السنة مثاله: روي في الحديث أن عمر بن الخطاب قال: «استأذنت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخلت عليه في مشربة أم إبراهيم وإنه لمضطجع على حفصة وإن بعضه على التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفاً فسلمت عليه ثم جلست فقلت: يا رسول الله أنت نبي الله وصفوته وخيرته من خلقه وكسرى وقيصر على سرير الذهب وفرش الحرير والديباج! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أولئك قوم عجلت طبيائهم وهي وشيكة الانقطاع، وإنما أخرت لنا طبيائنا»³

الفرع الثاني: موقفه من مرويات الشيعة

من الكتب الحديثية الروائية الأكثر بروزاً في تفسير تقي الدين المدرسي أربعة، تعود لأقطاب المدرسة الحديثية الروائية الشيعية، وهي: بحار الأنوار للمجلسي وكتاب الكافي للكليني ووسائل الشيعة للحر العاملي وكتاب مستدرک الوسائل للنوري الطبرسي، فتكاد لا تخلو صفحة من صفحاتها منها فقد عول عليها كثيراً باعتبارها ترجماناً لمعتقد الإمامية وسأبينها كالاتي:

أولاً: بحار الأنوار للمجلسي مما أفاده من بحار الأنوار ما ورد في قصة نوح عليه السلام عند تفسيره

لقوله تعالى ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾⁴

فعونها بقوله: التسليم لقضاء الله، وقال: «في بعض الأحاديث المروية: «أن الشيطان دخل سفينة نوح متسللاً».

وعن مصعب بن يزيد عن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء نوح عليه السلام إلى الحمار

¹ أخرجه أحمد في مسنده رقم: 16998، ج4، ص103. والحاكم في المستدرک رقم: 8326، ج4 ص477 وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والبيهقي في السنن الكبرى رقم: 18400، ج9، ص181،

² ينظر المرجع السابق من هدى القرآن: محمد تقي الدين المدرسي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 2008م، ج6، ص72.

³ ينظر المرجع نفسه من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج9، ص183. ينظر بحار الأنوار، المجلسي، ج63، ص320

⁴ سورة هود: الآية 45

لبدخل السفينة فامتنع عليه، قال: وكان إبليس بين أرجل الحمار فقال: يا شيطان أدخل فدخل الحمار ودخل الشيطان¹ والواقع أن الحكمة في خلق البشر هي ابتلاؤهم، ووجود الشيطان جزء من معادلة الامتحان، وانحراف البشر ليس دائما لوجود ضغوط خارجية عندهم، بل إن الهوى والشهوة، والانجذاب إلى مظاهر الحياة الذي أودعه الله في كيان كل شخص هو الآخر جزء من معادلة الامتحان وحكمة الحياة.² «

كذلك مما أفاده المدرسي من بحار الأنوار تفسيره لفواتح السور وذلك بقوله: « طسم فقال: تحدثنا عن الحروف المقطعة في الحروف المقطعة في القرآن الكريم أكثر من مرة، وأنها رموز بين الله وأوليائه، وجاء في الحديث المأثور عن الصادق عليه السلام وأما ﴿طسم﴾ فمعناه أن الطالب السميع المبدئ المعيد³»

ثانيا: أصول الكافي للكليني

استدل على روايات حديثة من أصول الكافي للكليني فقال: «و روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: وهو يتحدث عن الأنبياء وحكمة الابتلاء ولو أراد الله - جل ثناؤه - بأنبيائه حين بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان، ومغارس الجنان وأن يحشر طير السماء، ووحش الأرض معهم لفعل، ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء واضمحلت الأنبياء، ولما وجب للقائلين أجور المبتلين.. و لا لزمتم الأسماء أهاليها على معنى مبين»⁴

كذلك مما أفاد المدرسي من أصول الكافي بيان في قصة موسى فقال:

«فغدا إلى فرعون، فو الله لكأني أنظر إليه طويل الباع ذو شعر آدم عليه جبة من صوف، عصاه في كفه، مربوط حقوه بشريط، نعله من جلد حمار شراكها من ليف، فقيل لفرعون: إن على الباب فتى يزعم أنه رسول رب العالمين، فقال فرعون لصاحب الأسد: خل سلاسلها، وكان إذا غضب على أحد خلاها فقطعتة، فخلاها وقرع موسى الباب الأول وكانت تسعة أبواب فلما قرع الباب الأول انفتح له الأبواب التسعة، فلما دخل جعلن، يصبصن تحت رجله كأهْن جراء، فقال فرعون

¹ المرجع السابق، بحار الأنوار: المجلسي، شركة الأعلمي للمطبوعات ، ط2008م، ، ج11، ص323.

² ينظر المرجع السابق، من هدى القرآن: محمد تقي الدين المدرسي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية2008م، ج 4، ص47.

³ ينظر المرجع نفسه من هدى القرآن، تقي الدين المدرسي: ج6، ص169، وينظر بحار الأنوار: المجلسي ج89، ص373

⁴ ينظر المرجع نفسه من هدى القرآن، تقي الدين المدرسي: ج6، ص170، وينظر أصول الكافي: الكليني ج4، ص198.

جلسائه: رأيتم مثل هذا قط؟!¹

لرسالات الله شواهد منها عليها، ومن شواهدا تحدي أكبر فساد في المجتمع دون خلاف أو مدهنة، لقد تحدى نوح عليه السلام الطبقية، وإبراهيم عليه السلام الوثنية، ومثله فعله النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولوط تحدى الفساد الخلقي بينما واجه شعيب الفساد الاقتصادي وهكذا، أما موسى عليه السلام فقد حارب العنصرية، وطالب فرعون بتحرير بني إسرائيل الذين كان قد استضعفهم قائلا²: ﴿ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾³ ثم عنون القصة بقوله: منطق الطغاة.

فقال: «يبدو من السياق أن فرعون شأنه شأن سائر الطغاة حاول أن ينسب نعم الله إلى نفسه ويمن على موسى بأنه أنعم عليه بالتربية والتغذية ﴿ قَالَ الرَّبُّ رَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلِيَمِثَّ فِينَا مَنْ عَمَّرَكَ سنِينَ ﴾⁴ فلماذا خرجت على أسس المجتمع وقيمه ما دمت تربيت في أحضانه، وتغذيت من أفكاره وثقافته، ولعلنا نستوحي من هذه الآية مدى اعتماد الطغاة على عامل التربية في إفساد ضمير الناس، وبالرغم من هذا العامل إلا أن رسالات الله تتحدها، فإذا بموسى الذي كان ينسب إلى فرعون عند الناس حينما يخرج عليه، ويهدم سلطانه، وإذا بمؤمن آل فرعون يعيش في بلاطه ثم يثور عليه، وإذا بزوجته آسيا بنت مزاحم تكون نصيرة الحق، وتضحى بنفسها في سبيل الله، وإذا بأصحاب الكهف وهم وزراء

¹ بقية قصة موسى عند المجلسي رغم غرابتها إلى أن تقي الدين المدرسي لم يعقب عليها ولو بكلمة: " فلما أقبل إليه قال: " ألم نريك فينا وليدا " إلى قوله: " وأنا من الضالين " فقال فرعون لرجل من أصحابه: قم فخذ بيده، وقال للآخر: اضرب عنقه، فضرب جبرئيل بالسيف حتى قتل ستة من أصحابه، فقال: خلوا عنه، قال: فأخرج يده فإذا هي بيضاء قد حال شعاعها بينه وبين وجهه، وألقى العصا فإذا هي حبة فالتقمت الإيوان بلحبيها، فدعاه: أن يا موسى أقلني إلى غد، ثم كان من أمره ما كان.. قلت لموسى بن جعفر عليه السلام: أخبرني عن قول الله عز وجل لموسى: " اذهب إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولنا لعله يتذكر أو يخشى " فقال: أما قوله: " فقولا له قولنا لعله يتذكر أو يخشى " أي كنياه وقولا له: يا با مصعب - وكان اسم فرعون أبا مصعب الوليد بن مصعب - وأما قوله: " لعله يتذكر أو يخشى " فإنما قال ليكون أحرص لموسى على الذهاب، وقد علم الله عز وجل أن فرعون لا يتذكر ولا يخشى إلا عند رؤية البأس، ألا تسمع الله عز وجل يقول: " حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين " فلم يقبل الله إيمانه، وقال: " الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين.. كان على مقدمة فرعون ستمائة ألف ومائتي ألف، وعلى ساقيه ألف ألف، قال: ولما صار موسى في البحر أتبعه فرعون وجنوده، قال: فتهيب فرس فرعون أن يدخل البحر، فتمثل له جبرئيل على ما ديانة، فلما رأى فرس فرعون الماديانة أتبعها فدخل البحر هو وأصحابه فغرقوا" (ينظر بحار النوار للمجلسي، ج13، ص133-134)

² ينظر المرجع السابق من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج6، ص 176. ينظر بحار الأنوار للمجلسي، ج 13، ص133

³ سورة الشعراء: الآية 17

⁴ سورة الشعراء: الآية 18

طاغوت دهرهم (دقيانوس) ينقلبون إلى رهم»¹

ذكر رواية حول ابتلاء الأنبياء والصالحين فقال: « وندب الشرع كتمان الألم ثلاثا، وأنبأنا أن في ذلك ثوابا عظيما، فقد روى عن الإمام الباقر عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: ما من عبد ابتليته ببلاء فلم يشك إلى عواده، إلا أبدلته لحما خيرا من لحمه، ودما خيرا من دمه، فإن قبضته إلى رحمتي، وإن عاش عاش وليس له ذنب»²

ومما أفاد المدرسي من كتاب الكافي في معنى قوله تعالى: ﴿ فَبِهِ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهِآ وَيَتَرُ

مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾³

« أي خالية من ساكنيها بالرغم من سلامة أبنيتها وعمراها ﴿ فَبِهِ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهِآ ﴾ هي التي ما زال ينضح مأوها، ولكن أمست بلا رواد. أما القصر المشيد فانه يرمز إلى مباني الملوك والحكام الظلمة، حيث ذهبوا ولم تغن عنهم قصورهم من الله شيئا.

لقد هلك القوم وتداعت البيوت فيها فهي خالية، وعروشها قد تماوت، أما البئر التي هي محور الحضارة في الصحراء ويعتبر مالكها سيد الناس، فقد تعطلت بعد أن كانت مركز التجاذب وسبب الصراع، بينما بقيت القصور المشيدة التي تعالت وتخصصت خالية ترمز إلى فناء أهلها و في الأحاديث أن العالم الصامت، هو البئر المعطلة، بينما العالم الناطق هو القصر المشيد، وقد أضاف الكافي رواية عن الإمام موسى (ع) بقوله: البئر المعطلة الإمام الصامت، والقصر مشيد الإمام الناطق»⁴

و لعل المناسبة بين هذا التأويل وذلك التفسير ليست مجرد التشبيه، بل وأيضا: لان هلاك الظالمين إنما هو بتعطيل العلم، وذلك بعدم الاستفادة من العالم الصامت (البئر المعطلة) ولا من العالم الناطق (القصر المشيد).

ترى كيف يصور القرآن هذه الحقائق تصويرا بديعا بحيث لو أخذت ريشة وصورها لخرجت مكتملة الملامح معبرة عن الفكرة، ابلغ تعبير خذ الآن ريشة وحاول أن ترسم قرية خالية بأبنيتها

¹ ينظر المرجع السابق من هدى القرآن، تقي الدين المدرسي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 2008م، ج6، ص 176..

² ينظر المرجع نفسه من هدى القرآن، تقي الدين المدرسي، ج6، ص199، وينظر الكافي للكليني، ج 3، ص 115

³ سورة الحج: الآية 45.

⁴ المرجع السابق أصول الكافي: الكليني، دار المرتضى بيروت، الطبعة الأولى 2005م، ج1، ص427-428

وشوارعها، ثم ارسم بئرا قد تدلى عليها دلوها وعليها بكرتها ولا أحد عندها، ثم صور قصرا فخما مهجورا، ثم انظر ماذا ترى، إنك ترى لوحة تنطق بالموت الرهيب وتعطي للذين غرهم تقلبهم في الحياة، العبرة الزاجرة"¹.

ثالثا: وسائل الشيعة: الحر العاملي

تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة هو أحد كتب الحديث عند الشيعة، وهو من تأليف محمد بن الحسن الحر العاملي (1104 - 1033هـ)، يعتبر من الكتب الروائية المعتبرة عند الشيعة، ومن أكثرها اعتماداً عند علماءهم في مجال استنباط الأحكام، وذكر فيه الأسانيد وأسماء المصادر في ترتيب حسن، ويجوي ما يقرب من 36 ألف رواية حول الأحكام الشرعية، الواجبات، المحرمات، المستحبات الآداب والتي أخذت من الجاميع الروائية المعتبرة للشيعة والأصول الأولية لقدماء الأصحاب .

ومما أفاده المدرسي من روايات الحر العاملي ما ورد في قصة نوح عليه السلام عند تفسير قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترتصوا به حَتَّىٰ يَمُوتَ ﴾² فقال: «و هذان السببان هما اللذان حملاهم على

أقام نبي الله نوح (ع) بالجنون ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترتصوا به حَتَّىٰ يَمُوتَ ﴾ إن المعرفة قريبة من الإنسان، وميسرة له، ولكنه قد يبتلي بالكبر أو التقليد الأعمى، فيكون أبعد ما يكون عن الإيمان والمعرفة، وحتى نخلق الإيمان في نفوسنا يلزم أن ننبد الكبر، وأن نغير طائفة من عاداتنا وتقاليدينا السلبية التي درج عليها الأولون، بل وحتى بعض العادات الجيدة قد لا يكون الأنسب توارثها تباعا لاختلاف الظروف بل الأنسب تطويرها أو تقديم غيرها عليه.

و بقي شيء لا بد من ذكره من خلال قصة نوح وقومه هو: أنهم حينما أرادوا إنكار القيادة الإلهية العادلة أنكروا الله من الأصل، ولكي يكتمل الإيمان لا بد من الالتزام بقيادة إلهية، ولذلك قال رسول الله (ص) من مات ولم يعرف إمام زمانه، فقد مات ميتة جاهلية "و صدق الإمام علي (ع) إذ قال: هلك من لم يكن له حكيم يرشده"³.

وفي معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرَضَتْ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾⁴ أنه قال: جاء في حديث مأثور عن الإمام

¹ ينظر المرجع السابق، من هدى القرآن: محمد تقي الدين المدرسي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 2008م، ج 5، ص 399

² سورة المؤمنون: الآية 25

³ ينظر المرجع السابق من هدى القرآن تقي الدين المدرسي، ج 5، ص 454 وينظر وسائل الشيعة: الحر العاملي ج 13، ص 246

⁴ سورة الشعراء: الآية 80.

الصادق عليه السلام انه قال: «من ظهرت صحته على مرضه فتعالج بشيء فمات فأنا إلى الله منه بريء»¹

وربما لكي يتحمل آلام المرض، ولا يسرع إلى مقاومته مما يفقده مناعته، جاءت نصوص تؤكد ثواب المرض للمؤمن، فقد جاء في حديث مأثور عن عبد الله بن مسعود أنه قال: بينما نحن عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ تبسم فقلت له: مالك يا رسول الله؟ قال: عجبت من المؤمن وجزعه من السقم، ولو يعلم ماله في السقم من الثواب لأحب ألا يزال سقيما حتى يلقي ربه عز وجل.²

رابعا: مستدرك الوسائل: للنوري الطبرسي

مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل المعروف بـ "مستدرك" كتاب حديثي روائي فقهي لميرزا حسن حسين النوري الطبرسي المعروف بـ المحدث النوري من علماء الشيعة (ت 1320هـ)، وهو مستدرك على كتاب وسائل الشيعة للشيخ الحر العاملي وهو أهم مؤلف للميرزا النوري، ومما أفاد المدرسي من تفسير الوسائل للنوري الطبرسي ما يلي:

أولا: فضل السورة

عن النبي محمد صلى الله عليه وآله قال: «من قرأها أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء»³
عن الإمام الباقر (ع) قال: «من قرأ سورة هود في كل جمعة بعثه الله يوم القيامة في زمرة النبيين وحوسب حسابا يسيرا ولم تعرف له خطيئة عملها يوم القيامة مستدرك الوسائل»⁴

ثانيا: نموذج لقصة يوسف عليه السلام

ابتدأها بقوله: وصية يوسف من خلال قوله تعالى ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾⁵ قال: «خرج الشخص الذي فسر يوسف رؤياه بالنجاة. واستغل يوسف المناسبة، وطلب منه أن يرفع مظلمته عند

¹ ينظر المرجع السابق من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج6، ص199، وينظر وسائل الشيعة: الحر العاملي ج2، ص409

² ينظر المرجع نفسه من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج6، ص199، وينظر وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج2، ص402.

³ ينظر مستدرك الوسائل: النوري الطبرسي، ج4، ص341،

⁴ ينظر المرجع السابق من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج4، ص9، وينظر مستدرك الوسائل: النوري الطبرسي ج6

الملك، وكان عليه أن يتوسل بالله في ذلك لا بالسجين الناجي أو الملك لأنه رسول الله الذي ينبغي أن يقطع صلته الشخصية بالناس جميعاً، ويمحض الله إخلاصه، وقد روي أيضاً في مستدرک الوسائل للنوري الطبرسي في معنى قصة يوسف عليه السلام فقال: عن يعقوب بن شعيب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله ليوسف: أأنت الذي أحببتك إلى أبيك وفضلتك على الناس بالحسن، أو لست الذي سقت إليك السيارة وأنقذتك، وأخرجتك من الجب، أو لست الذي صرفت عنك كيد النسوة فما حملك " على " أن ترفع رغبتك أو تدعو مخلوقاً دوني فلبثت لما قلت في السجن بضع سنين." ¹

المطلب الرابع: موقفه من القصص الإسرائيلية

انطلق تقي الدين المدرسي في تفسيره من الواقع وهذا ما أضفى عليه طابع الواقعية وهو خال من الآثار والأخبار الواردة من الإسرائيليات أو الكتاب المقدس لأنه رأى أنها تقدم الدين في طابع أسطوري، ولأن هدايات السور وبيانيتها سيقت من أجل هدف أسمى وذلك بذكر المقاصد العالية والهداية السامية لها ومعالجة أمراض المجتمع بأسلوب تربوي واضح.

و في ختام هذا الفصل نتوصل إلى: أن تفسير من هدى القرآن يعتبر من أهم تفاسير الإمامية في القرن العشرين، بعيداً عن الغلو والتعصب لآل البيت، بل نجد أن مؤلفه تناول التفسير عن طريق التدبر، وبالتالي نقول أن القصص القرآني حقق نوعاً ما مقاصد القرآن السامية وهداياته المتمثل في التدبر والتفكير.

¹ ينظر المرجع السابق من هدى القرآن: تقي الدين المدرسي، ج4، ص131، وينظر مستدرک الوسائل: النوري الطبرسي، ج11، ص223

الفصل الخامس:

تسنييم في تفسير القرآن: عبد الله الجواوي الأمللي

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

المبحث الثاني: التعريف بتفسير تسنييم في تفسير القرآن

المبحث الثالث: مسلك عبد الله الجواوي الأمللي في تناول

القصص القرآني.

المبحث الرابع: موارد عبد الله الجواوي الأمللي في تفسيره

للقصص القرآني

نحاول من خلال هذا الفصل تقديم آخر تفاسير الإمامية في القرن العشرين لعبد الله الجوادى الأملى، مع الوقوف على الخطوط العريضة لعناصر منهجه التفسيري، ومسلكه في معالجة القصة القرآنية على الخصوص.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

ولد عبد الله الجوادى الأملى عام 1933م، بمدينة أمل بولاية طبرستان في أسرة معروفة بالعلم والتقوى، وكان من العلماء والفلاسفة المعاصرين المعروفين في الحوزة الدينية في قم.

بدأ دراسته التمهيدية منذ عام 1946م، على يد أبيه والمرحوم فرسيو والاشراقي، وجماعة آخرين من أساتذة مرحلة السطوح في الحوزة الدينية بمدينة أمل. وفي عام 1381هـ توجه إلى طهران واستقر به المقام في مدرسة المروي. وهناك درس المكاسب على الجابلقى، ودرس شرح فصوص الحكم على يد الفاضل التوني¹، درس الفلسفة على يد العلامة الطباطبائي، وأهم نشاطاته التي قام بها في الحوزة الدينية هي تدريس العلوم العقلية والعرفان والتفسير

ولا زال منذ سنوات طويلة (أي منذ عام 1395هـ) وإلى الآن يلقي دروسه في التفسير على أسمع جم غفير من طلبة العلوم الدينية في قم، كما أن هذه الدروس تُبث لعموم الناس من خلال أجهزة التلفاز والمذياع، رغم أن مستوى ما يطرح فيه من الموضوعات يتناسب مع مستوى الخواص. وهو من تلامذة المفسر والفيلسوف محمد حسين الطباطبائي ودروسه في بالتفسير متأثرة إلى حد بعيد بتفسير الميزان محمد حسين الطباطبائي، وهو الكتاب الذي دأب فيه على اقتفاء منهج تفسير القرآن بالقرآن. كما أنه سار على خطاه في تفسيره الموضوعي الذي صدر منه حتى الآن 14 مجلداً، وهذا التفسير يحمل طابعاً فلسفياً وعرافياً ومكتوب بلغة مدرسية. له عدة مؤلفات منها: معارف القرآن من خلال الحواميم السبع ونظرية المعرفة في القرآن الكريم، وتسليم في تفسير القرآن الذي هو محور الدراسة.²

¹ الفاضل التوني: عبد الله بن محمد التوني البشروي الخراساني، الساكن بالمشهد الرضوي، أحد أكابر الإمامية، ويعرف بالفاضل التوني، كان فقيهاً، أصولياً، ولا عن أساتذته الذين تلقى عنهم العلم شيئاً، وكل ما تيسر لنا أنه أمضى فترة من حياته في المدرسة المعروفة بمدرسة عبد الله التستري بأصفهان، ثم استوطن مشهد الرضا عليه السلام. عبد الله بن محمد البشروي، من مؤلفاته: شرح الإرشاد في الفقه، الواقية في الأصول، رسالة في الجمعة وغيرها، توفي سنة 1071هـ (ينظر: معجم رجال الحديث ج11/رقم الترجمة 7148، وموسوعة طبقات الفقهاء ج175/11).

² ينظر المرجع السابق المفسرون حياتهم ومنهجهم: علي أيازي، الطبعة الأولى طهران -1386هـ، ج1، ص361.

المبحث الثاني: التعريف بتفسير تسنيم عبد الله الجواد الآملي

المطلب الأول: الوصف العام لكتابه

يعتبر تفسير تسنيم من التفاسير العقلية، وهو في نظر صاحبه تفسير مباشر للقرآن ويتم عن طريق العقل والشهود، وتُعرض فيه على بساط البحث موضوعات كثيرة في حقل العلوم الاجتماعية والعلمية والكلامية، كما أنه لا يخلو حتى من المباحث الفقهية، مع فارق أن طرح المباحث الفقهية وتفسير الآيات التي تتضمن أحكام وحدود الله أدغمت ضمن التفسير، وطرحت ضمن الأحاديث التفسيرية على غرار ما فعله الطباطبائي في منهجه، وهو بذلك امتداداً لمنهج صاحب تفسير الميزان، وهذا ما بينه المفسر في مقدمة كتابه بقوله: «فان منهج تفسير كتاب الله التدويني مشابه لمنهج كتابه التكويني، فكتاب التكوين الذي هو النظام العيني والعالم الواقعي خارج الذهن يمكن إدراكه تارة بشكل مباشر بالشهور العرفاني والعقل البرهاني، ويمكن إدراكه تارة أخرى بشكل غير مباشر من قبل أوليائه عن طريق البرهان أو العرفان الواعي، حيث يخبرون الآخرين بما توصلوا إليه من إدراكات، وهكذا الحال بالنسبة إلى معرفة كتاب التدوين، والطريق غير المباشر إليه يكون من خلال النقل، ويكون تفسير القرآن التدويني تفسيراً بالواسطة للقرآن التكويني»¹

أما عن سبب تسميته أنه مستقى من الآية الشريفة: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَن نَّسْنِمُ الْعَيْنَ إِشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾²، أي أن شراب المقربين من عين نقية رقيقة.

المطلب الثاني: منهجه التفسيري

ومن الأمور الملفتة للنظر في هذا التفسير هي أن صاحبه استدل على ضرورة تفسير القرآن بالقرآن من خلال قوله: "مثلاً أن معرفة بعض الظواهر في الكتاب التكويني، مما تكون علّة أو معلولاً لمعرفة ظواهر أخرى وأن ذوات الأسباب لا تعرف إلا بأسبابها، ورغم عدم وجود وحدة شخصية في كتاب الآيات التدويني بسبب التأليفات الاعتبارية، إلى أنه متناسق من حيث المحتوى، وبعض آياته مفسرة لكلماته، جامعة للمحتوى الأنيق والعميق لآياته وتؤدي إلى فهم الآيات الأخرى على نحو أفضل، وللخصوصية الكلية للقرآن تأثير في تفسيرها.

¹ ينظر: مقدمة تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجواد الطبري الآملي، دار الإسراء للطباعة والنشر، مكتبة مؤمن قريش، الطبعة الثانية 2011م، ج 1، ص 35.

² سورة المطففين: الآية 27-28.

وهذا التفسير يبدى مزيداً من الاهتمام لأمر من قبيل السياق، وشأن التزول، والأجواء التي نزلت فيها السورة والآية، وهو يؤكد طبعاً على أن هذا التفسير يقتدى بتفسير الميزان، وأن تفسير الميزان متقدم على هذا التفسير ليس زمانياً فحسب، وإنما علمياً وتعليمياً أيضاً¹

المبحث الثالث: مسلك جواد الأملى في تناول القصص القرآني

يعالج هذا المبحث كما جرت العادة بذكر نماذج قصصية من تفسير تسنيم للوقوف على مسلك المؤلف في معالجته للقصص القرآنية.

النموذج الأول: قصة موسى عليه السلام

بدأ الجوادى الأملى بتفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾² بقوله: «عن العسكري عليه السلام فإذا كان الله تعالى إنما خذل عبدة العجل لتهاونهم بالصلاة على محمد صلى الله عليه وآله ووصيه علي عليه السلام فما تخافون من الخذلان الأكبر في معاندتكم لمحمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وقد شاهدتكما، وتبينتم آياتها ودلائلها».

ثم علق على رواية الحسن العسكري بقوله: إنه بصرف النظر عن جهات عديدة تعود إلى علم الرجال والدراية بهذا النوع من الأحاديث، وبغض الطرف عن عدم إمكانية إثبات المباحث غير الفقهية. بمثل هذه الروايات، فإن أصل محتوى الحديث المذكور لا يمكن نفيه، والسبب أن ولاية الإنسان الكامل هي شرط في تمامية الاعتقاد بالتوحيد، كما جاء في قول الإمام الرضا عليه السلام " بشروطها وأنا من شروطها"³ فالتمرد على القبول بولاية المعصومين - عليهم السلام - وعلى الاعتقاد بما بعد عرضها عليه هو، في الحقيقة لم ينل التوحيد الكامل هو تابع لأمر الله سبحانه وتعالى في جميع الشؤون العقائدية والأخلاقية والفقهية والحقوقية، من هذا المنطلق فإنه من غير المستبعد أن يكون خذلان بني إسرائيل هو نتاج تمردهم على الولاية الإلهية، مهما كان الوضع الذي ظهرت فيه لهم وأصبحت حجة عليهم، وعندئذ فإن الخطر الأكبر يتهدد سامريّ عنصر القرآن والعترة.⁴

بعدها عنون سبب عفو الله لبني إسرائيل بقوله: عن العسكري قال: قال الله عزّ وجل: ﴿ثُمَّ

¹ ينظر المرجع السابق: المفسرون حياتهم ومنهجهم: علي أيازي، الطبعة الأولى طهران -1386هـ، ج1، ص367-371

² سورة البقرة: الآية 54.

³ عيون أخبار الرضا: ابن بابويه القمي، دار العلم - قم - ط1377هـ، ج2، ص144

⁴ المرجع السابق تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الطبري الأملى، دار الإسراء للطباعة والنشر، مكتبة مؤمن قريش، الطبعة الثانية 2011م، ج1، ص464

عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ أي عفونا عن أولئكم عبادتهم العجل ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ أيها الكائنون في عصر محمد من بني إسرائيل "تشكرون" تلك النعمة على أسلافكم وعليكم بعدهم، ثم قال ﷺ وإنما عفا الله عز وجل عنهم لأنهم دعوا الله بمحمد وآله الطاهرين، وجددوا على أنفسهم الولاية لمحمد وعلي وآلهما الطيبين، فعند ذلك رحمهم الله وعفا عنهم، إن وساطة الناس الكُمَّل والمعصومين الذين هم مظاهر لأسماء الله الحسنى، هي أمر معقول ومقبول

وبعدها عنون القصة بقوله عجل السامري: « إن الكيفية التي استطاع بها السامري تعبئة

العجل الخائر ليست بالأمر الخائر الواضح وإنما يستفاد من الآية ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾² فهو موكول إلى محله الخاص، أما ما رواه البعض من أن السامري قد قضى فترة صعبة بعد ولادته وكان يتغذى بمعونة جبرائيل و... إلخ، فعلى فرض صحته فإنه لم يبين كيف أن السامري عرف جبرائيل في صغره حتى استطاع في كهولته عند مشاهدته لدابته، عندما جاء ليحتال على دابة فرعون للدخول في البحر - أن يتعرف عليه مرة أخرى فيقبض من تحت حافر فرسه قبضة من تراب؟³»

مناقشة:

تعتبر قصة موسى مع قومه من أروع القصص بل هي تعداد لنعم الله تعالى على بني إسرائيل ومننه الكثيرة، وهذه القصة من حوارات العادات ومن معجزات الأنبياء التي يؤيدهم الله بها حين يرسلهم، ولكن الأملى في روايته التي ساقها عن العسكري والتي مفادها أن الله خذل عبدة العجل لتهاونهم بالصلاة على محمد ﷺ ووصيه علي ﷺ، وأن المنكرين للولاية والعترة بالسامري، فنقول أنها تأويلات تفوح منها رائحة المكر والخديعة والتلفيق وهذا ليس بالغريب على الإمامية ، فكتب التفسير عندهم مليئة بأقوال وتفسيرات مخالفة للسياق وفي غاية الغرابة ، فكل هذه التأويلات من الجري وهو مما لا يقبله عقل ولا نقل، ولا شك في أن حصر تفسير القرآن في الأئمة عن طريق تلفيق روايات مكذوبة إليهم ، هو فقط من أجل إضفاء الشرعية عليهم، ولقد أخذ معظم **مفسري** الشيعة بهذا الأصل المتمثل في التلفيق ونسبة الروايات إلى أئمة آل البيت الذي يعد من ابتكارهم ؛ إذ أني لم أر أحداً من مفسري الطوائف الأخرى أشار إلى مثل هذا التأويل للقصة بهذا المعنى.

¹ سورة البقرة: الآية 52

² سورة طه: الآية 96.

³ المرجع السابق: تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الطبري الأملى، دار الإسراء للطباعة والنشر، مكتبة مؤمن قريش،

الطبعة الثانية 2011م ج5، ص478-479

وقد ذكر القبطان معنى هذه القصة بقوله: « واذكر أيها الرسول الكريم قول موسى لقومه يوم عبدوا العجل حين كان غائباً عنهم يناجي ربه: يا قومي ظلمتم أنفسكم باتخاذكم عجل السامريّ معبوداً من دون الله، فتوبوا إلى خالقكم وارجعوا عن هذه الجريمة، فاقتلوا أنفسكم ندماً على فعلتكم وتكفيراً عن معصيتكم، روي أن موسى لما رجع من ميقات ربه، رأى ما صنع قومه بعده من عبادة العجل، فغضب غضباً شديداً، ورمى بالألواح من يده، ثم أحرق العجل الذي صنعوه. ثم قال: من كان من حرب الرب فليقبل إلي، فأجابه بنو لاوي، فأمرهم أن يأخذوا السيوف ويقتل بعضهم بعضاً. وأما لكفارة عنيقة، وتكليف مرهق كان لا بد منه لتطهر تلك النفوس الشريرة المنغمسة في عبادة المادة المتجسدة بالعجل الذهبي. وإذا فعل بعضهم ما أمر به موسى قلبت توبتهم وتدرأ عنهم رحمة الله التي تسع كل شيء. »

واذكروا نعمتي عليكم يوم سألتم وقتلتم له: أننا لن نصدقك في قولك إن هذا كتاب الله، وأنت سمعت كلامه حتى نرى الله عياناً، حينذاك انقضت عليكم صاعقة من السماء زلزلتكم جزاء عنادكم وظلمكم وأنتم تنظرون. قال المفسرون: أن الذين طلبوا رؤية الله هم السبعون الذين اختارهم موسى لميقات الله كما جاء في سورة الأعراف ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي نُشْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَأَخْبَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتْلُو أَسْمَاءَهُمْ إِنَّمَا كُنَّا نَمَا وَنِئَانُ إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تُشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾¹ الظاهر من لفظ الآية أن الله بعثهم بعد أن أماتهم، وهذا رأي بعض المفسرين والبعض الآخر يرى أن الصاعقة التي أصابتهم صعقتهم حتى صاروا كالأموات، ثم لما طلب موسى من ربه العفو... أفاقوا من غشيتهم ليشكروا الله على نجاتهم وعفا عنهم².

النموذج الثاني: نزول المن والسلوى

في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِّن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾³ قال: « تطبيق الآية على ولاية آل البيت - عليهم السلام - عن العسكري عليه السلام قال الله عز وجل: واذكروا يا بني إسرائيل إذ ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾ لما كنتم في التيه يقيكم حر الشمس وبرد القمر ﴿ كُلُوا مِّن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾

¹ سورة الأعراف: الآية 154-155

² تيسير التفسير: إبراهيم القبطان: (ت 1404هـ، 1984م) راجعه وضبطه: عمران أحمد أبو حجلة، الجمعية العلمية الملكية، ط

1982، ج 1، ص 29-30

³ سورة البقرة: الآية 57.

واشكروا نعمتي وعظموها من عظمتها ووقروا من وقرته ممن أخذت عليكم العهود والمواثيق لهم محمد وآله الطيبين" ثم قال: عليه السلام: قال: رسول الله - صلى الله عليه وآله - عباد الله! عليكم باعتقاد ولايتنا أهل البيت ولا تفرقوا بيننا، وانظروا كيف وسع الله عليكم حيث أوضح لكم الحججة ليسهل عليكم معرفة الحق، ثم وسع لكم في التقية لتسلموا من شرور الخلق، ثم إن بدلتهم وغيرتم عرضت عليكم التوبة وقبلها منكم فكونوا لنعماء الله شاكرين» وأما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوىَ﴾¹ فعنون الآية بقوله: أفضلية ما نزل على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، عن الحسين بن علي - عليهما السلام - قال: "إن يهوديا من يهود الشام وأحبارهم..." قال: لأمر المؤمنين عليهم السلام -.. فإن موسى عليه السلام أعطي المن والسلوى فهل أعطي لمحمد - صلى الله عليه وآله - نظير هذا؟ قال له علي عليه السلام لقد كان كذلك ومحمد - صلى الله عليه وآله - أعطي ما هو أفضل من هذا، إن الله عز وجل أحل له الغنائم ولأمته ولم تحل لغيره، ولم تحل للغنائم لأحد غيره قبله، فهذا أفضل من المن والسلوى.. قال له اليهودي: إن موسى عليه السلام قد ظل عليه الغمام، قال له عليه السلام: لقد كان كذلك وقد فعل ذلك بموسى في التيه وأعطى محمد - صلى الله عليه وآله - أفضل من هذا، إن الغمامة كانت تظله من يوم ولد إلى يوم قبض في حضره وأسفاره، فهذا أفضل مما أعطي موسى عليه السلام¹.

مناقشة:

كما هو معروف أن الإمامية تعتمد اعتمادا كليا على التأويل الباطني لنفت سموها، فلا ترك شاردة ولا واردة في القصة إلا اغتنمها في نصره المذهب أو الترويج لمعتقداتها.

و يعتبر تفسير تسنيم من أكثر التفاسير غلوا في القرن العشرين حيث أنه لا ينقل إلا من الكتب التي رُزي بها الإسلام في القرن الثالث هجري، فجميع روايته التفسيرية مأخوذة عن التفسير المنسوب للحسن العسكري، فالأملي في هذه القصة اتخذ من تأويل القرآن بابا للوصول إلى أغراضه، إذ ربط قصة المن والسلوى، وأنزلها على عقائد الإمامية من: الولاية التقية والإمامة، وتوسع في حمل الآيات عليها، وذلك بقوله: والتطبيق هنا يقصد به تنزيل آيات القرآن الكريم على معتقده ونصره لمذهبه، وهو بهذا يرفض المعجزات الربانية في قصة المن والسلوى والتي وردت صريحة في كتاب الله عز وجل.

¹ المرجع السابق: تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الطبري الأملى، دار الإسراء للطباعة والنشر، مكتبة مؤمن قريش، الطبعة الثانية 2011م، ج4، ص 612.

والحقيقة أن قصة المن والسلوى أفاض المفسرون في بيان معناها، ولم أقف على أحد من مفسري الطوائف الأخرى أنه أشار إلى مثل هذا التأويل، ويبقى الأملى من بين مفسري الإمامية غلوا متبعا علماء طائفته القدماء سيما الفترة الممتدة من القرن الثالث حتى السادس هجري.

المبحث الرابع: موارد عبد الله جوادى الأملى في القصص القرآنى

المطلب الأول: مصادره الشيعية

لقد اعتمد جوادى الأملى على عدة مصادر - قديمة وحديثة - بالنسبة للمصادر القديمة تعود إلى القرون الست الأولى المتمثلة في: تفسير الحسن العسكري والعياشي والقمي والطوسي والطبرسي، وهذه المصادر في الحقيقة تعتبر من بين المؤلفات التي رزى بها الإسلام لأنها أسست فكر ومعتقد الإمامية ، بالإضافة إلى مصادر معاصرة لعصر المؤلف لذا سأبين في هذا المطلب كيف استقى المفسر القصص القرآنى من هذه المصادر على نوعيها وهي كالاتي:

أولاً: تفسير الحسن العسكري (231هـ ت....)

يعتبر هذا الكتاب من أهم مؤلفات الإمامية في القرن الثالث الهجري، وسفرا نفيسا عندهم وذلك لأنه يؤصل لعقيدتهم وما يتصل بها من تقية وعصمة وولاية... إلخ¹

و مما أفاده جوادى الأملى من تفسير الحسن العسكري: في بيان قصة آدم عليه السلام فعنون لها بقوله: عدم سعة علم الملائكة، فقال: عن العسكري عليه السلام "إني أعلم ما لا تعلمون « أني أعلم من الصلاح الكائن فيمن أجعله بدلا منكم ما لا تعلمون، وأعلم أيضا أن فيكم من هو كافر في باطنه لا تعلمونه هو إبليس لعنه الله»²

بالإضافة إلى النموذج الأول حول قصة موسى ولقد أخذت حقاها من النقد والمناقشة.

ولقد عقب العسال على تفسير الحسن العسكري بقوله: « ولا يخفى عن أحد أن هذه خرافات ينتزه كتاب الله عنها، ولو صحت نسبتها إلى الحسن العسكري لكان أكبر دليل على أنه

¹ ينظر مقدمة الكتاب: التفسير المنسوب للحسن العسكري، ت: مدرسة الإمام المهدي، الطبعة الأولى 1409هـ.ج.1، ص5.

² المرجع السابق تسنيم في تفسير القرآن: جوادى الأملى، ج3 ص176، ينظر التفسير المنسوب للحسن العسكري، ج1، ص176.

لا علم له، بما لأها لا تصدر عن مسلم فضلا عن رجلٍ من آل البيت ولا مناص عن واحدة من الاثنتين. ولحس ظني بالحسن العسكري، ولما ثبت أن الرجل لم يؤثر عنه علم ولا اشتغل به قط فإني أرجح الثانية»¹

ثانيا: تفسير القمي (ت 329هـ)

يعتبر تفسير القمي من أقدم تفاسير الإمامية النقلية، والمعروف أن أكثر روايات القمي تنتهي إلى محمد الباقر وجعفر الصادق، ومنها ما هو مروى عن علي بن الحسين وعلي بن أبي طالب، وقد اعتمده الجوادى الآملى.

ويبقى السبب الذي دفع جوادى الآملى إلى الأخذ من تفسير القمي لأنّ هذا الأخير يؤول الكثير من الآيات بفضائل أهل البيت ومثالب أعدائهم تفسيراً باطنياً، بالإضافة إلى بيان معاني المفردات، أسباب التزول، القصص القرآني².

ومما أفاده جوادى الآملى: من تفسير القمي المواضع التي تبين القصص القرآني ومعاني

المفردات، وأسباب التزول مثاله تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾³ فقال: «إن الله تبارك وتعالى أراد أن يخلق خلقا بيده وذلك بعد ما مضى من الجن والنسنان في الأرض سبعة آلاف سنة، وكان من شأنه خلق آدم كشط عن أطباق السماوات قال: للملائكة: انظروا إلى الأرض من خلقي من الجن والنسنان، فلما رأوا ما يفعلون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحق عظم ذلك عليهم»⁴.

ثالثا: تفسير العياشي (توفي أو اخرج 4هـ)

ذكرنا سابقا أن تفسير العياشي يعدّ من أقدم التفاسير الشيعية ذات المصادر الحديثية التي تعتمد على الروايات عن أهل البيت عند مفسري الإمامية .

¹ ينظر المرجع السابق الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم: محمد إبراهيم العسال ط1427/1هـ ص222.

² ينظر موسوعة الدرر السننية: إشراف عبد القادر السقاف، ص58.

³ سورة البقرة: الآية 30

⁴ ينظر المرجع السابق تسنيم في تفسير القرآن، عبد الله الجوادى الآملى، ج3 ص168 وتفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ.

تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ، ج 1، ص62

وقد نقل منه جوادى الأملى أغلب القصص القرآني من تفسير العياشي، مستأنسا بروايات في التفسير وأسباب التزول طارحا إسنادها غالبا، مكثفيا بالإشارة إلى من رويت عنهم من الأئمة، وأكثر هذه الروايات عن محمد الباقر وجعفر الصادق، وبعضها عن علي بن الحسين وعلي بن أبي طالب.

وهو يتخير من روايات العياشي ما يتفق مع منهجه العقدي الاثني عشري في التفسير.

ومما أفاد الأملى من تفسير العياشي قصة آدم عليه السلام فقال في معنى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ « كما سفكت بنو الجن فأهلكهم الله، ثم بدا الله فخلق آدم وقدر له عشرة آلاف عام وقد مضى من ذلك سبعة آلاف عام وممتان وأنتم في آخر الزمان»¹

وساق رواية أخرى من تفسير العياشي حول خلق آدم عليه السلام فقال: « ثم خلق فيها الجن وقدر لهم عشرة آلاف عام، فلما قربت آجالهم أفسدوا فيها وسفكوا الدماء وهو قول الملائكة ﴿ قَالُوا أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ كما سفكت بنو الجن فأهلكهم الله»²

كما أورد رواية أخرى من نفس التفسير بقوله: عن أبي جعفر عليه السلام... إن الله تعالى لما أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم ردت الملائكة فقالت ﴿ قَالُوا أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ قال الله عز وجل ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فغضب عليهم ثم سألوه التوبة

وفي رواية عن الباقر عليه السلام «إن الله لما قال للملائكة ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ كان ذلك لمن يعصي منهم فاحتجب عنهم سبع سنين»³

وبناء على ما تقدم من روايات نقول بأن تفسير العياشي مردود فهو من قبيل التأويل الذي لا يحتمله اللفظ ولا يدل عليه بحال فلا سياق الآية ولا لحاقها يقول بذلك، وإنما الدافع والمقصد هو تعصبه لأهل البيت وهو بهذا يلوي عنق الآيات بما يخدم مذهبه العقدي الاثني عشري.

¹ ينظر المرجع السابق تسنيم في تفسير القرآن، عبد الله الجوادى الأملى، ج3، ص166، وينظر المرجع السابق تفسير العياشي، ج1 ص50.

² ينظر المرجع نفسه تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الأملى، دار الإسراء للطباعة والنشر، مكتبة مؤمن قريش، الطبعة الثانية 2011م، ج3، ص167

³ ينظر المرجع نفسه تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الطبري الأملى، دار الإسراء للطباعة والنشر، مكتبة مؤمن قريش، الطبعة الثانية 2011م، ج3، ص172-173

رابعا: تفسير التبيان: الطوسي (385 هـ، ت 460هـ)

يعدُّ تفسير التبيان للطوسي من أقدم تفاسير الإمامية الذي يرجع للقرن الخامس الهجري، وهو الذي أصل لمعتقد الإمامية نظرا لاحتوائه على نصوص أثرية تعود إلى أئمة أهل البيت، كما يضم في أبواب متفردة مختلف مباحث التفسير وعلوم القرآن كالقراءات وحجتها والمعاني والإعراب واللغة والنظم وأسباب التزول وغيرها.

و قد تأثر الأملى بتفسير الطوسي وبدا هذا ظاهرا في تفسيره ، كما أفاد من التبيان من عدة جوانب في تفسيره للقصص القرآني كاللغة وأسباب التزول وغيرها، ومنهجه في الأخذ من تفسير الطوسي، لا يختلف عن منهجه عن بقية التفاسير، قد ينقل كلام الطوسي بلفظه كما قد ينقله بمعناه، أو قد يأخذه كله أو جزءا منه، وقد يقبل كلامه وقد يرفضه ويعارضه ويرجح عليه غيره. ومثاله ما ورد تفسيره لقصة آدم عليه السلام فنقل عن الطوسي قولا في معنى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ فقال: « وقد صرح صاحب التبيان بأن الاستفهام في قول الملائكة " أتجعل " ليس استنكارا ولا اعتراضا ولا هو من باب إبراز العجب والتفاخر، بل هو استفهام تعجبي مقترن بنحو من الاستعلام والاستفسار عن الحكمة من هذا العمل كأنه لم يتضمن أيضا قلقا وحزنا عن عاقبته ومصيره»¹

خامسا: تفسير البيان للطبرسي (470هـ ت 548هـ)

يعتبر الطبرسي من أهم المفسرين الذين ينتسبون إلى الطائفة الإخبارية التي عرفت بتمسكها بالنصوص المنقولة والمنسوبة إلى أئمتهم، لذا وجد فيها جوادى الأملى مبتغاه، ونقل الكثير من الأخبار حتى وإن لم تصح، ومما أفاد منه من مجمع البيان، تفسيره لقصة عجل بني إسرائيل فقال: « فإن ظهور مجيء تعبير ﴿ ثم اتخذوا العجل ﴾ بعد ﴿ فقالوا أرنا الله جهرة ﴾ هو في الترتيب الزمني ومقتضاه أن عبادة العجل قد وقعت، بعد طلب المشاهدة أو متزامنة معه، كما يقول أمين الإسلام أيضا، وهذا الميقات هو الميعاد الأول الذي تقدم ذكره عن أبي علي الجبائي، وأبي مسلم وجماعة من المفسرين وهو الصحيح ورواه علي بن إبراهيم في تفسيره»².

ومما أفاده جوادى الأملى أيضا من تفسير الطبرسي في بيان قصة موسى عليه السلام، فعنون القصة

¹ ينظر المرجع السابق تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الأملى، ج3 ص 176. و تفسير الطوسي ج 1، ص 80

² ينظر المرجع نفسه تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الأملى، ج3 ص 544 وتفسير مجمع البيان: الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى - بيروت- الطبعة الأولى 2006م، ج3، ص 745.

بقوله: **المتلون بالصاعقة: ثم قال: "إن الخطاب ﴿ فَأَخَذْتَكُمْ ﴾** غير شامل لني الله موسى **﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾**¹ والإفاقة هي العودة إلى حالة الوعي بعد الغشية والدهشة، أما عنوان البعث فهو الإحياء بعد الموت، وقد صرح بهذا الأمر في بعض الروايات، من أجل ذلك فبعد أن يروي الطبرسي هذا المعنى عن عدد من المفسرين، ينقل الرأي المخالف من أن معنى الإفاقة هو الحياة بعد الموت ناسبا إياه إلى البعض بصيغة " قيل"²

سادسا: تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار: الخواجة عبد الله الأنصاري (ت 481 هـ) المعروف أن الخواجة عبد الله الأنصاري متصوف عربي، ولد بمدينة هرات وفيها درس الفقه والحديث وعلم الرجال والتفسير، كما كان يتردد على مدينة نيسابور لطلب العلم³

ويعتبر هذا الكتاب من أهم مصادر جوادى الأملى في تفسيره، نتيجة لتأويلاته الباطنية المخزية وليه لعنق الآيات بما يخدم معتقد الإمامية ومما أفاد منه من تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار، قصة عجل بني إسرائيل حيث عنونها بقوله: أصحاب السقيفة من خصوم الإمامة الدائرين في فلك العجل:

قال بعض المفسرين في ترجيحهم للأمة الإسلامية على بني إسرائيل ما نصه: «لقد فارق موسى **﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾** يوم أربعين يوما فتحوّلت أمته إلى عبادة العجل، وقد مضت على أمة محمد **﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾** خمسمائة عام وتيّف، بعد رحيل المصطفى **﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾** عنها ودينها وشريعته يزدادان طراوة وغضاضة يوما بعد يوم... لقد طرح المفسر المذكور مبحثا آخر هو محط نقد عندما قال: عندما التحق موسى **﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾** بميعاد الحق استخلف هارون مكانه، وسلمه مقاليد الأمة قائلا له: **﴿اخلفني في قومي﴾** فلا جرم أنهم وقعوا فريسة الفتنة، وحرّفهم السامري عن جادة الحق، كما أن بلال المؤذن قد قال للمصطفى **﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾** في السر هلا استخلفت علينا؟ قال: الله خليفتي فيكم" فأودع الرسول **﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾** أمته بيد الواحد الأحد»

لكنه ليس من المصلحة أن يكشف الغطاء عن السر، وإلا فإن تسمر سامري السقيفة، وتعجل الدائرين في فلك العجل من المنتصلين عن الولاية والمخاصمين للإمامة ليس مما يغفل عنه أو يغتفر، كما أن التصريح والنص النبويين بالخلافة العلوية ليسا مستورين ولا منسيين، وأن تزييل علي بن أبي

¹ سورة الأعراف: الآية 143.

² المرجع السابق تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الأملى، ج 4، ص 550 وتفسير مجمع البيان للطبرسي، ج 4، ص 732.

³ الخواجة عبد الله الأنصاري <https://ar.wikipedia.org/wiki>

طالب التعلية: منزلة هارون في حديث المتزلة ليس بالمبهم ولا بالمجهول¹

وبناء على ما تقدم نقول أن تفسير كشف الأسرار مرآة عاكسة لعقيدة الإمامية عن طريق التأويلات الباطنية المسعفة لآيات الله وتحريف للكلم عن مواضعه، فوجد بين دفتي الكتاب طامات ورزايا وكره دفين لصحابة رسول الله ﷺ لا يقبلها عقل سليم.

سابعاً: تفسير منهج الصادقين في إلزام المخالفين: فتح الله الكاشاني (ت 988هـ)

هو تفسير روائي أدبي ألفه بالفارسية فتح الله الكاشاني، وهو من علماء الشيعة الإمامية في القرن العاشر الهجري، ومما أفاد الجوادى الأملى من هذا التفسير ذكر رواية تفسيرية في شأن قصة آدم عليه والسلام ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ بعدما ساق عدة تفسيرات لبيان قصة آدم عليه السلام، التي مرت بنا سابقاً، ربط هذه القصة كعادته بالإمام فقال: "والذي كان يتغذى من مأدبة ومائدة النبوة والإمامة، كان ذات يوم في مسجد النبي ﷺ في مجلس ضم عمر وكعب الأبحار وطلحة والزبير فأجاب سلمان عن سؤال عمر حول الاختلاف بين الخليفة والملك، وقال موضحاً جانب الهداية التشريعية لمقام الخلافة الرفيع "الخليفة هو الذي يعدل بالرعية ويقسم بالسوية ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله ويقضي بكتاب الله" ويبلغ أوامر الله ونواهيه إلى خلقه دون زيادة أو نقصان، وأما الملك فإن عمله أعم من ذلك، فأعجب كلام سلمان كعب الأبحار فقال: إن سلمان" ملئ حكماً وعلماً" فقال عمر يا سلمان هل أني ملك أم خليفة؟ فأجابه سلمان أنك إذا أنفقت طول عمرك درهما واحداً، أو ما دونه في غير موضعه فأنت ملك ولست خليفة، فاستحيا عمر وبكى² ثم قال: فمن الحق أن يقال: أن الخليفة الكامل لله يجب أن يكون (مظهر العجائب) و(مظهر الغرائب) وخلاصة العوالم الجسمانية والروحانية وجامع الحقائق العلوية والسفلية، والأعلى من جميع الأداني والأقاصي، ومن لم يجمع هذه الصفات فليس كفواً لخلافة الله والرسول، ولذلك فإن نصب الخليفة والنبي يكون بجعل من قبل الله سبحانه، كما أعلن في خلافة الإنسان وقال: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ وفي حق داوود قال ﴿إنا جعلناك خليفة﴾ وفي حق أمير المؤمنين قال ﴿فإنما وليكم...﴾ و: ﴿يا أيها الرسول بلغ﴾ وحول آخر خليفة كامل، أي صاحب الزمان عليه السلام ليستخلفنهم في الأرض﴾ وكذلك كل إمام من الأئمة المعصومين عليهم السلام قد عين أحدهم

¹ المرجع السابق تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الأملى، ج1، ص464-465 وتفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار

ج1، ص195

² المرجع نفسه تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الأملى، ج3، ص140 - وتفسير منهج الصادقين: فتح الله الكاشاني ج1،

ص220-221

الآخر بتبليغ من الرسول صلى الله عليه وآله»¹

ثامنا: تفسير نور الثقلين: الحويزي (ت 1112هـ)

يعتبر تفسير نور الثقلين مصدر ملهم لجوادى الآملى، وذلك لاحتوائه على كم هائل من مرويات أئمة أهل البيت، ومما أفاده منه تفسير نور الثقلين تفسيره لقصة آدم عليه السلام وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً عليه السلام ² حيث قال: الحويزي "...عظم ذلك عليهم فغضبوا..." وقال: "...فظنت الملائكة أن ذلك سخط من الله عز وجل عليهم،...فردوا على الله تبارك وتعالى « فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام فلاذوا بالعرش».³

وعلق جوادى الآملى على هذا التأويل فقال: فظاهر هذه الآيات بالنظر لما فيها من عبارات مثل رد الملائكة وغضبهم، وبعد ذلك ندمهم واستغفارهم، وكذلك ما جاء من كلمات مثل سخط الله عليهم وغضبه وحجبهم عن النور الإلهي، يدل على أن استفهام الملائكة متضمن للإنكار، وأنهم قد ارتكبوا ذنبا بهذا الاعتراض لأن مجرد الاستفسار والاستعلام لأجل الإطلاع على الحكمة الإلهية أمر محمود ومستحسن.⁴

ولذلك روي عن أمير المؤمنين عليه السلام من أن معنى هذه الآية " هو إني جاعل في الأرض خليفة لي عليهم، فيكون حجة لي عليهم في أرضي و جاء أيضا في بقية الرواية " أجعل ذريته أنبياء مرسلين وعبادا صالحين وأئمة مهتدين، أجعلهم خلفائي على خلقي في أرضي ينهونهم عن المعاصي وينذرونهم عذابي⁵

تاسعا: تفسير بيان العباداة ومقامات السعادة الجنازدي (ت 1311هـ)

لمؤلفه سلطان محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، من علماء الشيعة الإمامية، قال عنه فهد الرومي: إن صاحب التفسير مع أنه صوفي فهو شيعي متطرف من الشيعة الإمامية.¹

¹ المرجع السابق تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الآملى، ج3، ص142- منهج الصادقين، الكاشاني، ج1، ص-221

² سورة البقرة: الآية 30

³ المرجع السابق تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الآملى، ج3، ص 75 وتفسير نور الثقلين للحويزي، ج1، ص51-53.

⁴ المرجع نفسه تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الطبري الآملى، دار الإسراء للطباعة والنشر، مكتبة مؤمن قريش، الطبعة الثانية 2011م، ج3، ص76.

⁵ المرجع نفسه تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الآملى، ج3، ص90 وتفسير نور الثقلين للحويزي، ج1، ص51.

¹ ينظر المرجع السابق اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط 1407هـ-1986م، ج1، ص377.

ومما أفاد الأملى من تفسير الجنابدى في قصة السامري قوله: «أنه لم يكن عجلا خائرا، بل كان جسد عجل خائر، أما ما قيل من أن أعوان السامري من المردة كانوا يخبئون خلف الحائط و... يتكلمون خاله بنوا إسرائيل كلام العجل»¹

عاشرا: تفسير الميزان للطباطبائي (ت1412هـ)

وهو من تلامذة المفسر والفيلسوف محمد حسين الطباطبائي ودروسه في بالتفسير متأثرة إلى حد بعيد بتفسير الميزان محمد حسين الطباطبائي، وهو الكتاب الذي دأب فيه على اقتفاء منهج تفسير القرآن بالقرآن، كما أنه سار على خطاه في تفسيره الموضوعي، وهذا التفسير يحمل طابعا فلسفيا وعرافيا.

وقد أفاد جوادى الأملى من تفسير الميزان عدة نماذج قصصية تارة يسندها له مباشرة وتارة ينقلها بالواسطة، من بينها النماذج التي تناولتها في الجانب التطبيقي من الميزان للطباطبائي.

المطلب الثاني: مصادره السنينة

أولا: تفسير الدر المنثور للسيوطي (ت911هـ)

مما أفاده جوادى الأملى من الدر المنثور للسيوطي رواية آدم عليه السلام مفادها أن: « لما خلق الله النار ذعرت منها الملائكة ذعرا شديدا وقالوا: ربنا لما خلقت هذه؟ قال: لمن عصاني من خلقي، ولم يكن الله خلق يومئذ إلا الملائكة، قالوا: يارب ويأتي علينا دهر نعصيك فيه؟ قال: لا إني أريد أن أخلق في الأرض خلقا وأجعل فيها خليفة يسفكون فيها الدماء ويفسدون في الأرض قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها»²

وساق رواية أخرى عن ابن عباس: أن الله قال للملائكة: إني خالق بشرا وأنهم متحاسدون، فيقتل بعضهم بعضا ويفسدون في الأرض فلذلك قالوا أتجعلوا فيها من يفسد فيها³

الأملى لم يعلق على الروايات السابقة وعلق فقط رواية ابن عباس ووصفها بأنها رواية آحاد لا يمكن الاعتماد عليها، كما وصفها بالضعيفة وأنها مرسلة.

¹ المرجع السابق تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الأملى، ج1، ص464- وتفسير بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنابدى الخراساني، 1314هـ، طهران، ج1، ص95

² المرجع نفسه تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الأملى ج3 ص167 وتفسير الدر المنثور للسيوطي ج1، ص122-123.

³ المرجع نفسه تسنيم في تفسير القرآن: الجوادى الأملى،، دار الإسراء للطباعة والنشر، مكتبة مؤمن قريش، الطبعة الثانية 2011م، ج3 ص168.

عبد الله بن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن آدم لما أهبطه إلى الأرض قالت الملائكة: أي رب **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ¹ قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بني آدم قال الله للملائكة: هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض فننظر كيف يعملان فقالوا: ربنا هاروت وماروت، قال فاهبطا إلى الأرض فتمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهما فسألاها نفسها

فقلت: لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراف قالوا: والله لا نشرك بالله أبدا، فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله فسألاها نفسها فقلت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبي قالوا: لا والله لا نقتله أبدا، فذهبت ثم رجعت بقدرح من خمر فسألاها نفسها فقلت: لا والله حتى تشربا هذا الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي، فلما أفافا قالت المرأة: والله ما تركتما شيئا أبيتماه علي قد فعلتماه حين سكرتما، فخيرا عند ذلك بين عذاب الدنيا والآخرة فاختارا عذاب الدنيا»²

ثانيا: تفسير القرطبي لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (600 - 671هـ)

استعان جوادى الآملى بتوضيح المعاني اللغوية والإعرابية من تفسير أحكام القرآن للقرطبي فقال: ما هو المقصود من قوله " نسبح بحمدك " والغرض من ضم بحمدك إلى نسبح... و الجار والمجرور، وهنا متعلق به هو كلمة: (متلبسين) بحمدك، أو نسبحك في حال حمدك، لأنه إذا لم يكن لطفك وتوفيقك وفضلك لم تكن لدينا قدرة على تسبيحك»³

و الغمام: وهو أن الغمام يقال للسحاب الرقيق، والظاهر أن المقصود من الغيم الأبيض كما في قول البعض.⁴

ثالثا: تفسير الرازي مفاتيح الغيب (544 هـ - 606 هـ)

ينقل من مفاتيح الغيب المسائل الكلامية، خاصة ولا ينقل منها مجرد النقل بل يوردها على سبيل الرفض، والمناقشة.

¹ سورة البقرة: الآية 30

² المرجع السابق، تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الآملى ج3 ص 173 وينظر الدر المنثور للسوطي ج1، ص 249-250

³ ينظر المرجع نفسه تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الآملى ج3 ص 82 وينظر تفسير القرطبي ج1، ص 262.

⁴ ينظر المرجع نفسه تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الآملى ج4، ص 591 وينظر تفسير القرطبي ج1، ص 380

رابعا: تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور (1292هـ ت 1393هـ)

لقد أورد الجوادى الأملى عدة تفسيرات من التحرير والتنوير وغالبا ما يرد عليها بالرفض ومثاله في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فقال:

ولكن بعض المتأخرين احتملوا أن يكون المراد منها هو حالة الانخفاض والاعتماد المتعمد للتجسس، وذلك لأن سجدة الشكر تكون في مقابل النعمة، ولم تكن نعمة الغنيمة وبركة النصر من نصيب اليهود الذين ما كانوا يجروون على دخول القرية خوفا من العمالقة حتى يدخلوا شاكرين.

ثم علق على هذا التفسير بقوله: بيد أن شهادة السياق من ناحية وقرينة الآيات المشابهة من ناحية أخرى وتأييد الأحاديث من ناحية ثالثة توحى بأنه لم تكن للسجود المذكور صبغة التجسس بل كان شكرا لبعض آلاء الله التي إحداهما النجاة من التيه¹

كما يستعين جوادى الأملى بعدة مراجع حديثة مثل تفسير المنار لمحمد عبده ورشيد رضا والمراغى، خاصة عند تنزيهه للقصص لقضايا عصره، كما يأخذ من تفسير الظلال لسيد قطب، وغيرها من المصادر والمراجع التي لا يسمح المقام بذكرها جميعا.

المطلب الثالث: موقف الجوادى الأملى من مرويات الشيعة

أولا: بحار الأنوار للمجلسي (1037هـ ت 1111)

ومما أفاده جوادى الأملى من بحار الأنوار رواية حول قصة آدم عليه السلام: « أنكم لا تعلمون بأنه وإن كان الهدف من جعل الخليفة هو التسبيح والتقديس والحمد لي، ولكن ذلك أيضا له درجات ونظرا لوجودكم المحدود ﴿ وما منا إلا له مقام محمود ﴾ فإن معرفتكم بالنسبة لي أيضا محدودة، حيث أن أساس التسبيح والحمد والتقديس هو المعرفة، لذلك فإن تسبيحكم وتقديسكم محدود... فالإنسان يحظى بحمد وتسبيح وتقديس أعلى، كما جاء في حق رسول الله - صلى الله عليه وآله - أنه صاحب لواء الحمد في القيامة وحامل اللواء هو أمير المؤمنين علي عليه السلام فقد روي عن الحسن بن علي - عليهما السلام - عن أبيه علي¹ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وآله - أنه وسلم وآله - أنت أول من يدخل الجنة، فقلت يا رسول الله أدخلها قبلك؟ قال نعم لأنك صاحب

¹ ينظر المرجع السابق تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الأملى: الأملى ج4، ص591 وينظر تفسير القرطبي ج1، ص380..

¹ المرجع المرجع نفسه تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الأملى، ج3، ص91- وبحار الأنوار: المجلسي ج8، ص6.

لوائي في الدنيا وحامل اللواء هو المتقدم، ثم قال يا علي كأي بك وقد دخلت الجنة ويديك لوائي وهو لواء الحمد وتحت آدم ومن دونه»¹.

وأخيراً فإنكم لا تعلمون بأن الموجود الأرضي، وإن كان مستعداً للإفساد وسفك الدماء، وكذلك صحيح أنكم أهل للتسييح والتقديس، ولكن خليفة الله لا هو من أهل الفساد وسفك الدماء، ولا أنتم تملكون القدرة على القيام بتسييحه، بل هو في الحقيقة معلمكم في التسييح والتقديس كما جاء في الرواية "فسبحنا فسبحت الملائكة بتسييحنا" أي أنكم حتى في هذا الكمال أيضاً تلامذة للإنسان الكامل"²

ثانياً: أصول الكافي: للكليبي (ت 329هـ)

استدل جوادى الأملي على رواية من أصول الكافي: في قصة آدم والخلافة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾³

ويمكن أن نرى مثالا على هذا التمرين العملي في النيابة عن المعصومين - عليهم السلام - في طواف الكعبة، فقد روي عن علي بن مهزيار عن موسى بن القاسم أنه قال: قلت لأبي جعفر الثاني (الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام): قد أردت أن أطوف عنك وعن أبيك فقيل لي: إن الأوصياء لا يطاف عنهم، فقال لي: بل طف ما أمكنك فإن ذلك جائز، ثم قلت له بعد ذلك بثلاث سنين: إني كنت استأذنتك في الطواف عنك وعن أبيك فأذنت لي في ذلك، فطفت عنكما ما شاء الله. ثم وقع في قلبي شيء فعملت به، قال: وما هو؟ قلت: طفت يوماً عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ثلاث مرات: صلى الله على رسول الله، ثم اليوم الثاني عن أمير المؤمنين عليه السلام، ثم طفت اليوم الثالث عن الحسن عليه السلام، والرابع عن الحسين عليه السلام، والخامس عن علي بن الحسين عليهما السلام، والسادس عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام، واليوم السابع عن جعفر بن محمد عليهما السلام، واليوم الثامن عن أبيك موسى عليه السلام، واليوم التاسع عن أبيك علي عليه السلام، واليوم العاشر عنك يا سيدي، وهؤلاء الذين أدين الله بولايتهم عليهم السلام.

¹ المرجع السابق تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الأملي: جوادى الأملي، ج 4 ص 632 والتحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م، ج 1، ص 498.

² المرجع نفسه تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الأملي: ج 3، ص 92- وتفسير بحار الأنوار المحيىسي، ج 24، ص 88.

³ سورة البقرة: الآية 30

فقال: إذن والله تدين الله بالدين الذي لا يقبل من العباد غيره، قلت: وربما طفت عن أمك فاطمة صلوات الله عليها وربما لم أطف، فقال: استكثر من هذا فإنه أفضل، ما أنت عامله إن شاء الله تعالى¹ بالإضافة إلى تفاسير أخرى عديدة معاصرة له كتفسير الميزان والكشاف لا يسعني أن أقف عليها كلها.

المطلب الثالث: موقفه من الإسرائيليات

لقد اتبع جوادى الآملى مسلك شيوخ الإمامية وهو الرفض التام والشديد للإسرائيليات خاصة إذا كانت عن طريق الصحابة ومسلمة أهل الكتاب وسبب رفضه كونها تتنافى مع عصمة الأنبياء والملائكة.

أما عن الأخذ من الكتاب المقدس فقد أوردها بكثرة في تفسيره، فمثلا عند تفسيره لقصة نزول المن والسلوى، بعدما أفاض في تفسير القصة، عرج على الكتاب المقدس وعنون لها بقوله: المقارنة بين معارف القرآن والتوراة: وفي سفر الخروج في التوراة جاء كما يلي: فكان في المساء أن السلوى هي طيور شبيهة بالحمام صعدت وغطت الحلة.

وجاء في قاموس الكتاب المقدس ما نصه: سلوى: طيور ترحل من إفريقية في الجنوب إلى الشمال في أسراب كثيرة العدد جدا، و قد طارت أسرابها من الجنوب عن طريق البحر الأحمر، فقطعت خليجي العقبة والسويس، ووصلت إلى البر في شبه جزيرة سيناء متعبة مرهقة، وإذا بدخان محلة العبرانيين يعاكسها فتسقط بالآلاف على الأرض، فيسهل إمساكها باليد².

كما أورد نصوص من التوراة حول استسقاء موسى لقومه فقال: القرينة الأخرى هي تعابير التوراة الجديدة التي جاء فيها: ثم ارتحل كل جماعة بني إسرائيل من برية سين بحسب مراحلهم على موجب أمر الرب ونزلوا في رفيدم، ولم يكن ماء ليشرب الشعب، فخاصم الشعب موسى وقالوا أعطونا ماء لنشرب، فقال الرب لموسى: مر قدام الشعب، وعصاك التي ضربت بها النهر خذها في يدك واذهب...فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب، ثم علق الآملى على ما جاء في

¹ المرجع السابق تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الآملى: ج3، ص 150 وأصول الكافي: الكليني، دار المرتضى بيروت، الطبعة الأولى 2005م، ج4، ص 314.

² ينظر المرجع نفسه تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجوادى الآملى: ج4، ص594 والكتاب المقدس والعهد القديم سفر الخروج الإصحاح 16، ص113. قاموس الكتاب المقدس ص 384

الكتاب المقدس بقوله: هذه العبارة تشير إلى أن انشقاق الصخرة وتفجر الماء منها كان قد حصل في الصحراء¹

ما يلاحظ حول موقف جوادى الأملى من الإسرائيليات هو إيرادها دون تعقيب والسكوت عنها، وإما إضافة شروحات مكملتها كما سبق عرضه.

وفي الأخير وبعد هذا العرض لتفسير تسنيم، نخلص أن عبد الله الجوادى الأملى كثيراً ما يعرض القصص القرآني في قالب أسطوري خيالي مما أفرغ القصة من محتواها ويعرقل مقاصد وهدايات القرآن السامية، لذلك اعتبر من بين غلاة الشيعة الإمامية في القرن العشرين .

وفي ختام الموضوع ومما سبق نقول: إن كل من يستعرض مؤلفات القرن العشرين لعلماء الإمامية، يجد أن هناك بواعث وأسباب أفرزتها الحياة المعاصرة، بحيث أثرت في كتاباتهم وأعطت هذه التفاسير لونا آخر من ألوان التفسير عندهم، لأن كل ما تقدم من كتبهم في التفسير يكاد يكون متفقاً على لون واحد، وهو نقل ما جاء في التفسير عن الأئمة وآل البيت، وما كان من تفاوت بينها فهو لا يعدو أن يكون تفاوتاً بمقدار ما بين مؤلفيها من اعتدال في التشيع أو غلو فيه، وبمقدار ما بينهم من تفاوت في القدرة على تأييد مذهبهم وتدعيم أصوله بالأدلة والبراهين.

وخير ما نختتم به قول الذهبي حيث قال: " مثل هذه التفاسير الغريبة للقرآن مزلة قدم لمن يعرف مقاصد القوم، وليتهم احتفظوا بها عند أنفسهم ولم يذيعوها على الناس فيوقعوهم في حيرة واختلاف، منهم من يأخذها على ظاهرها ويعتقد أن ذلك هو مراد الله من كلامه، وإذا عارضه ما ينقل في كتب التفسير على خلافها ربما كذب بها أو أشكل عليه ومنهم من يكذبها على الإطلاق ويرى أنها تقول على الله وبهتان، إذن لبيتهم ما فعلوا ذلك، إذن لأراحونا من هذه الحيرة وأراحوا أنفسهم من كلام الناس فيهم وقذف البعض لهم بالكفر والإلحاد في آيات الله»²

و بهذا انتهى بحمد الله البحث في الرسالة، ويأتي دور النتائج.

¹ ينظر المرجع السابق تسنيم في تفسير القرآن: الجوادى الأملى: ج4، ص 668 والكتاب المقدس سفر الخروج الإصحاح 17.

² ينظر المرجع السابق التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ج3، مكتبة وهبة القاهرة، ط2000، ج2، ص42.

الخاتمة

جامعة الأمير
عبدالمبارك
للعلوم الإسلامية

لله تعالى الحمد والمنة على إتمام هذا البحث، وفي ظلالة وكما هي العادة في أي بحث علمي قمت باستخلاص جملة من النتائج التي وجب تدوينها والتنبيه إليها، بالإضافة إلى بعض النتائج التي سبقني إليها بعض الباحثين مشكورين، والتي ازددت بها اقتناعاً وإيماناً بعد سنوات من البحث في كتب الشيعة، فأضفتها إلى ما توصلت إليه.

وقد تبين بشكل إجمالي أن جملة تلك التفاسير في القرن العشرين، خادمة بشكل أو بآخر لفكر ومعتقد الشيعة الإمامية، وقد خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، إضافة لما لحصناه في موضعه:

- أغلب مفسري الإمامية ينتسبون إلى الطائفة الإخبارية وهي طائفة عرفت بتمسكها بالنصوص المنقولة عن علمائهم، حتى وإن لم تصح تلك الأخبار، والتي تمثل جانب الغلو والتطرف والتي اتخذتها الإمامية ذريعة لنفت سمومها، ونشر للمذهب الشيعي.

- مؤلفات النصف الأول من القرن العشرين يمثلون دعاة التقليد مستندهم في ذلك مؤلفات القرون الست الأولى التي رزيا بها المسلمون وتمثل جانب من الغلو والتطرف التي توصل لفكر ومعتقد الشيعة الإمامية.

- مؤلفات النصف الثاني من القرن العشرين تمثل لونا جديداً من ألوان التفسير يخاطب جيل الشباب، وظهر هذا النوع من التفسير مع تزامن حركة الإصلاح الديني في العالم الإسلامي، أو ما يصطلح عليه بمرحلة التجديد، حيث يرى مفسرو وعلماء الإمامية، أن الجهد التفسيري الإسلامي منذ الطبري والطوسي يشهد حالة من الفتور وعدم التقدم، وإن أي مفسر عندهم لا يأتي بجديد لم يسبق إليه، ولو بفكرة واحدة في التفسير كله يعتبرونه مفسراً لا يملك عقلاً واعياً، وإنما يملك عقلاً قارئاً، يرتسم فيه ما يقرؤه لغيره، أي أنهم يدعون إلى التجديد وإعمال العقل بغية التأثير في جيل الشباب الذي أصبح أكثر وعياً ولا يرضى أن يكون حاطب ليل.

- إسراف الكثير من مفسري الإمامية في إيراد الروايات الغريبة والشاذة التي تشوه القصص القرآني وتصرفه عن مقاصد القرآن وهداياته.

- من المآخذ التفسيرية أنهم أغفلوا الروافد التفسيرية التي يقوم عليها التفسير الروائي الصحيح كتفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين واكتفوا بما يدعوه "التفسير عن آل البيت" وهي تلك الروايات الضعيفة المكذوبة التي أوقعتهم في مزلق خطيرة.

- اعتماد مفسري الشيعة الإمامية على التأويل الباطني اعتمادا كلياً، لنفت سمومها، فلا تترك ساحة ولا لائحة في القصة إلا اغتمتها في نصرة المذهب أو الترويج لمعتقداتها المزعوم.

- اعتماد معظم مفسري الإمامية على ركام هائل من الأخبار الإسرائيلية التي ألصقت بآل البيت زورا وبهتانا، لنفت سمومهم وإثبات معتقدتهم في تعليق التمايم، عن طريق إيهام القارئ أنها وقعت من الأنبياء أو من غيرهم، ومثاله إيداعهم أن يوسف عليه السلام كان يعلق تميمه كانت عند آبائه، وهم بهذا يحاولون إثبات معتقدتهم في جواز تعليق التمايم والعياذ بالله.

- امتلأت معظم تفاسير الإمامية بالأخبار الموضوعية، مع عدم اعتمادها في الأصل على التفسير الصحيح المأثور عن النبي ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - في النقل بل تعتمد في طرحها على روايات يطلق عليها تفسير آل البيت، وهذه الروايات في الغالب لا تكون عن آل البيت كما يدعون وإنما تكون موضوعة أو مفتراة عليهم، اعتمدوا عليها مجرد الرأي والهوى والتعصب لمذهبهم فتراهم يعرضونها دون أدنى تعليق، وينسبونها إلى الأئمة الأطهار من آل البيت مما يضيء عليها نوعاً من الثقة والمصادقية.

- ألفنا في تفاسير الشيعة الإمامية مواضع مشبوهة، فهي مملوءة بالقصص الغريبة والعجيبة، تفوح منها رائحة المكر والخيانة والوضع، دون أدنى تعليق عنها، وذلك من أجل نصرة مذهبهم العقدي، فهم ينتصرون له حتى ولو كانت قصص واهية.

- تطويع الكثير منهم القصة القرآنية لأهوائهم واعتقاداتهم بحملهم معاني القصص على معاني باطلة لا يدل عليها السياق القرآني بأي وجه من الوجوه كما هو الشأن عند كثير من غلاة الشيعة الإمامية.

- لقد وجدت الشيعة الإمامية في مبهمات القرآن المناخ المناسب لترويج عقائدهما الضالة، واستعانوا على ذلك بأخبار لفقوها إلى الأئمة من آل البيت، ولي عنق الكثير من الآيات على ذلك، فاتخذت من القصص القرآني ذريعة لنفت سمومها وترويجاً لمعتقد مزعوم، ولقد تتبعت

القصاص القرآني عندهم من القرن الثالث حتى الرابع عشر فوجدته يسير على وتيرة واحدة من الكذب والذس على الأئمة الأطهار.

- يذهب أغلب علماء الشيعة الإمامية على أن القرآن الذي بين أيدينا اليوم ليس هو كما أنزله الله تعالى، والقرآن الصحيح هو الذي جمعه علي بن أبي طالب بإملاء النبي ﷺ وتوارثه الأئمة من بعده إلى أن استقر عند القائم محمد بن الحسن العسكري الغائب في السرداب الذي سيخرج ويظهر للناس، وهو لم يتخلله تحريف ولا تبديل، أمّا ما عداه فمحرّف مبدل حذف منه كل ما ورد صريحاً في فضائل آل البيت، وكل ما ورد صريحاً في مثالب أعدائهم ومخالفهم.

- إن مسألة القول بتحريف القرآن من المسائل التي ابتدعها الشيعة الروافض وخالفوا بها الأمة الإسلامية كلها بجميع فرقها، وهو مذهب جمهور علماء الشيعة القدماء، الذين أسسوا للمذهب الجعفري كالكليني صاحب الكافي، وحجتهم الحسين بن محمد التقي النوري الطبرسي صاحب كتاب " فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب " وعلامتهم المجلسي صاحب " بحار الأنوار "

- السبب الداعي إلى قولهم بتحريف القرآن ربما يرجع إلى البحث عن مستند يستندون عليه لإثبات الوصية والإمامة للإمام علي وبنيه من بعده، وبما أن القرآن ليس فيه ذكر للإمامة ولا للأوصياء، لا تصريحاً ولا تلميحاً، اضطروا إلى ابتداع هذه البدعة ليتسنى لهم القول أن القرآن ذكر الأوصياء والأئمة في القرآن لكن الصحابة أسقطوا ذلك عند جمعهم للقرآن، وهذا من اعتقد به فقد كفر وخرج من دائرة الإسلام.

- من الأمانة العلمية إنكار جماعة من علمائهم لهذا الاعتقاد-القول بتحريف القرآن- لكنهم ثلة قليلة، ويمكن أن يكونوا صادقين في دعواهم، وقد يكون قولهم هذا من باب التقية، للدفاع عن عقيدتهم، وصرف أنظار الناقدین لمذهبهم، وهم أربعة ابن بابويه القمي الملقب عندهم بالصدوق " ت 381 " والمرتضى " ت 436 " والطوسي " ت 450 " والطبرسي " ت 548 "، وفي القرن العشرين: محمد جواد البلاغي (ت 1352) والخوئي (1899-1992م)، ومحمد حسين فضل الله (ت 1430هـ)

- الاستعمال الخاطيء في معالجة القصة القرآنية، من طرف دعاة التجديد وممجدي العقل

والتأثرين بالمعتزلة، نتج عنه عرقلة تحقيق مقاصد القصص القرآني ناهيك عن فسح الطريق وتهيئة الأرضية الخصبة للمشاعبين والمشككين في مصداقية القصة القرآنية.

- إنكار بعض أصحاب المدرسة العقلية للإسرائيليات الواردة في بعض القصص مع تحاكم البعض منهم في ترجيح أو تضييف بعض الروايات إلى كتب التوراة والإنجيل كما هو الشأن عند جواد مغنية وحسين الطباطبائي والشيرازي.

- السبب الأول والمباشر لرفض أخذ بعض مفسري الإمامية من الإسرائيليات، رفضاً تاماً، سواء رويت عن مسلمة أهل الكتاب لكونها تتنافى مع عصمة الأنبياء والملائكة، ومن بين الذين قالوا بالرفض التام عبد الله الجوادى الآملي، والخوانساري، تقي الدين المدرسي.

- بعض مفسري الشيعة الإمامية الداعين إلى الوسطية والتقريب بين المذاهب، بحجة أخذهم من تفاسير السنة اعتمدوا إلا على التعريفات اللغوية، أو القصص الواردة في الدر المنثور دون التعليق عليها، وذلك ليوهم القارئ أنهم وسطيون.

- استدلال مفسري الإمامية بأحاديث سنية وأغلها عن ابن عباس - رضي الله عنه إما من باب التقية والمداراة أو إقناعاً للقارئ بأنهم معتدلون ومثاله مامر بنا في تفسير البلاغي وغيره.

- عدم إشارة الكثير منهم إلى الدروس والعبر التي اشتملت عليها القصة القرآنية، بل في أغلب الأحيان يقدم القصص في قالب أسطوري خيالي.

- أغلب مفسري الإمامية في عرضهم للقصة القرآنية يسعون إلى إثبات عقائد الإمامية وتعاليمهم بعناصرها المختلفة، مما أدى إلى تأثيرات متنوعة على تفاسيرهم، واتسامهم بصفات خاصة أدت بهم إلى إفراغ القصة من محتواه الحقيقي وعرقلة مقاصد القرآن السامية.

- مفسري الإمامية رغم اختلاف اتجاهاتهم إلا أنهم تجمعهم قواسم مشتركة المتمثلة في أصولهم العقديّة من إمامة ووصية ورجعة وتقية وغيبة.

- اعتمدوا في إيراد الأحاديث على المصادر الحديثية الأربعة المعتمدة عندهم وهي: كتاب الكافي للكليني، كتاب، والأماي لابن بابويه القمي، وبحار النوار للمجلسي، والأماي للمفيد. وتهذيب الأحكام والاستبصار للطوسي.

- اعتمدوا على تفاسير السنية وفي مقدمتها تفسير الطبري، واخذوا عنه بعض الروايات، كما عنوا بأرائه في التفسير واللغة والنحو، بالإضافة إلى تفسيري الطبري والتعلي.
- في تفسيرهم للقصص القرآني اعتمدوا على مصادر متنوعة خاصة تلك التي ترجع إلى القرون الست الأولى والتي تؤسس لفكر ومعتقد الإمامية ، كتفسير القمي العياشي وتفسير التبيان للطوسي.
- إنَّ أهل البيت بريئون من كل ما ألصقته الشيعة الإمامية الإثني عشرية بهم، سواء في العقائد الفاسدة، أو الأحكام الشاذة.
- أثرت التقية وعقيدة الإمامة سلبا في جميع علوم الشيعة الإمامية ، ومعارفهم العقديّة، والفقهية، والحديثية، والأصولية.
- سلكت الإمامية مسلك التقية لدفع التعارض بين النصوص، ونفي التناقض بين رواياتهم، ولضرب المذهب الحقيقي لأئمة أهل البيت الذي هو مذهب أهل السنة، وكذلك جعلوا من التقية منفذا للغلو والانحراف ونشر الاعتقاد الفاسد المخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة.
- تأويل النصوص بتأويلات بعيدة لا يحتملها النص لإثبات كل ما أرادوا ترويجه بين الناس.
- يلجأون إلى الروايات الغريبة، والمتشابهة، والضعيفة، والموضوعة، والمخالفة للروايات الصريحة والصحيحة لنصرة مذهبهم، أو للطعن في مخالفهم.
- إنَّ التشيع مرّ بمراحل مختلفة، وبأطوار متعددة، فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده، بدأ مجرد فكرة سياسية اجتهادية، وأنتهى إلى مذهب عقائدي شاذ، وعدواني يُكفّر كل من يخالفه من فرق الأمة الإسلامية، على كثرتها واختلافها، وتفرد بأصول أسهمت في تشتيت وحدة الأمة. وأصبح مذهبهم في آخر الأمر يجمع كل شذوذ فكري، وانحراف عقائدي.
- يتبين من خلال العرض الموجز لمختلف آراء نشوء الفكر الشيعي، أنها لم تلد صدفة بل تمخّضت وتشكّلت عبر مراحل مختلفة إلى أن وصلت إلى ماهي عليه الآن، وما تلك الأحداث التي ربطت بها نشوء التشيع كمقتل علي بن أبي طالب عليه السلام ومقتل الحسين عليه السلام، أو معركة صفين أو غيرها، إلاّ مناخ ساعد على انتشار التشيع والتعصب له.

- وجدت الشيعة الإمامية نفسها أمام خصم قوي يؤمن بمبادئ سطرها له المصطفى ﷺ فأوجست خيفة من هذا الخصم الذي طالما تصدت له بشتى الوسائل، وكان القصص القرآني كما تقدم إحدى سبلها وذلك باعتباره المتنفس الوحيد لترويج أباطيلها وكذلك كونه وسيلة فعالة في استقطاب الناس، والتأثير فيهم.

وفي النهاية إن ما أشرت إليه هو غيظ من فيض مما هو موجود في هذه التفاسير، ولا يمكن لعاقل أن يعتمد على تفاسير الإمامية، على أنها تفسر كلام الله تعالى بل في أغلبها تدل على سفاهة وانحطاط في الفكر وسذاجة في التقديم، ناهيك عن كون تفاسيرهم تعد من أكبر الرزايا التي أبتلي بها المسلمون، والتي تؤسس لفكر ومعتقد الإمامية .

وختما أرجو منكم العناية بالتوصيات الآتية وأخذها بعين الاعتبار:

حث الباحثين المعتنين بالتفسير والدراسات القرآنية أن يولوا القصة القرآنية عناية كبيرة في أبحاثهم ومشاريعهم العلمية.

- التحذير من فكر ومعتقد الشيعة الإمامية وفضح سياستهم الإغرائية.

- ضرورة الدعوة إلى تصحيح أباطيل الإمامية ومخاطبتهم بأسلوب الحوار.

- الاعتناء ببيان الجوانب الإعجازية والأهداف التربوية في القصة القرآنية، كأن تُفرد أبحاث خاصة في إبراز أغرض قصة من قصص القرآن.

- وجوب تخلص الإمامية من تفاسير الغلاة عندهم الذين أداروا القرآن في الولاية والإمامة وصرفوا معانيه عما يراد بها بألفاظه العربية حسب لغة العرب التي نزل بها القرآن وحملوه على معان لا تصح لغة ولا حقيقة ولا مجاز، ولا عقلا ولا شرعا، ولا تفهم بأي وجه من الوجوه على أنها من مبادئ الإسلام الحنيف وتعاليمه .

- أن يتخلص الإمامية من فرية التحريف للقرآن التي لم يقل بها غيرهم من غلاة الباطنية والمارقين عن الإسلام، ويلزمهم التخلص من ذلك لما مرّ في محله من تواتر طرق الأمة عن الأئمة من آل البيت في اخذ القراءة عنهم.

- أن يتخلص الشيعة الإمامية من الطعن واللعن لأمثل جيل الأمة وخير قرونها على

الإطلاق وهم أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فقد جاء القرآن صريحا وتواترت السنن بفضلهم والثناء عليهم بطرق الإمامية أنفسهم نقلا عن أئمتهم فضلا عن التاريخ المشرف لهم، وبذلهم النصح لله ولدينه وإعلاء كلمة الحق.

- قبول مرويات أهل السنة والجماعة لأنهم غير متهمين بحب آل البيت وموالاتهم جميعا، بل إن أهل السنة والجماعة أصدق الناس حبا واحتراما وتقديرا لآل البيت جميعا دون تفریق بين أحد منهم، بل إن أهل السنة إذا صح عندهم الحديث عن آل البيت فلا يعدلون به غيره، وقد نقلوا السنن الكثيرة عن آل البيت عن جدهم ﷺ.

- كذلك يُحسن بالمسلمين أن يحفظوا دينهم، ويحافظوا عليه، ويدافعوا عنه ويبدلوا من أجله النفس والنفيس، لأن الإسلام مُني بأعداء يتربصون به الدوائر وينفقون في سبيله النفس والمال الفكر وكل ما يملكون بغية القضاء عليه والتشكيك فيه، وإقصاء الأمة عنه ويستخدمون في ذلك مختلف الأساليب والوسائل "ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء" ولا شك أن أخطر وسيلة وأسلوب واجهته الأمة الإسلامية من أعدائها هو غزوها في فكرها، ولا زالت الأمة تعاني هذا الغزو الذي ما فتئت آثاره ومخلفاته تعشش في عقول بعض مفكريه وتجري على أقلامهم، وقد نال التفسير (كتاب الله) نصيب الأسد عن طريق التلاعب بآياته والتأويلات الخاطئة لمعانيه خاصة في بدايات العصر الحديث، وللشيعة الإمامية الحظ الأوفر في ذلك.

هذا منتهى ما أردت بسطه وقوله في خاتمة البحث، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأسأل الله لي أجر المجتهد، الذي له أجران إذا أصاب وأجرا إذا أخطأ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأبرار، وسلم تسليما كثيرا.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الفاتحة		
119	4	﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾
سورة البقرة		
143-117	2	﴿هُدًى لِّلصَّادِقِينَ﴾
82-81-18	3	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾
276	7-6	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ ...﴾
18	11	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ...﴾
18	12	﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾
18	13	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ ...﴾
122	26	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ...﴾
-325-208 336-334	30	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾
79-75	31	﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾
172	34	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾
-158-108 279	35	﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ...﴾
109	37	﴿فَنَلَقَى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾
119	43	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾

246	51	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾
323	52	﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾
102	53	﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾
322	54	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِحَقِّ نَرِي اللَّهِ جَهْرَةً ﴾
236-102	55	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَقِّ نَرِي اللَّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴾
103-98	56	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾
-236-122 324	57	﴿ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَئِيلَ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾
133-123	58	﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ... ﴾
-127-126 130-128	60	﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ ... ﴾
293-261	67	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ... ﴾
99	79	﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ... ﴾
308-307	80	﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَنْتَا مَا مَعْدُودَةٌ ... ﴾
85	83	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ... ﴾
133	96	﴿ وَلَنَجْذِئَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ مِنَ الَّذِينَ ... ﴾
-233-125 - 234-124 267-235	102	﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانِ عَلَى مَلِكِ سُلَيْمَانَ ... ﴾

121	106	﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّنَّهَا أَوْ مِثْلَهَا ... ﴾
308	111	﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا ... ﴾
191-156	124	﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ... ﴾
36	131	﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمِ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
89	143	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ... ﴾
120	151	﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ... ﴾
84	163	﴿ وَاللَّهُمُّ لِلَّهِ وَجِدْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾
84	173	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْحَمَّ الْخَنِزِيرِ ﴾
120	184	﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ... ﴾
117	185	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ ... ﴾
144	194	﴿ فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ... ﴾
280-33	214	﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ ﴾
234	219	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ... ﴾
280	243	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ... ﴾
150-120	246	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ ... ﴾
174-151	247	﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ ... ﴾
281-241	259	﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ... ﴾

260	266	﴿ أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ... ﴾
250	282	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ... ﴾
247	285	﴿ ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ءِ وَالْمُؤْمِنُونَ ءِ ... ﴾
سورة آل عمران		
282-118	7	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ ... ﴾
37	19	﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَإِيسَلُونَ ءِ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ ... ﴾
178-84-83	28	﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ ءَأَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ءِ ... ﴾
-147-87 - 169-166 172-171	33	﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾
148	34	﴿ ذُرِّيَّتَهُ بَعْضَهَا مِن بَعْضٍ ءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾
149	36	﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ءِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ... ﴾
192-149	37	﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ... ﴾
144	54	﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ءِ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكَرِينَ ﴾
41-40-4	62	﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ءِ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ... ﴾
89	110	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ... ﴾
42	111	﴿ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى طِ وَإِنْ يَقْتُلُوكُمْ يُولُوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ... ﴾
سورة النساء		
179	24	﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ... ﴾
30	48	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ءِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ... ﴾

140	-54 55	﴿ أَمْرِيحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَاءِ أَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ... ﴾
140	57	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ ... ﴾
89-78	59	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾
191	63	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ... ﴾
100	75	﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ ... ﴾
40	87	﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾
210	94	﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾
سورة المائدة		
186	6	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ... ﴾
197-36	44	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ ... ﴾
37	48	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ... ﴾
97	55	﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾
275	56	﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾
99-89	67	﴿ وَإِذَا لَا تَجِدُنَّهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴾
36	111	﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ... ﴾
سورة الأنعام		
38	11	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾
17	27	﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا ... ﴾

190	86	﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَثَمُوذًا وَكَانَ هَٰؤُلَاءِ عَشْرًا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾
37	90	﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾
46	105	﴿ وَكَذَٰلِكَ نَضْرِبُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ ... ﴾
231	112	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَٰئِطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ... ﴾
45	159	﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَنتَ مَن مِّنْهُمْ فِي شَيْءٍ ... ﴾
20	160	﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ... ﴾
سورة الأعراف		
05	7	﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾
185	31	﴿ يَتَّبِعِيَّ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ... ﴾
185	33	﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ... ﴾
260	44	﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾
24-23	59	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا ... ﴾
144	99	﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾
330	143	﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ بُنْتِ الْإِثٰكِ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
245-244	150	﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾
245	151	﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَتِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ... ﴾
324	-154 155	﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَىٰ الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ ... ﴾
سورة التوبة		
17	21	﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلْتُمْ فِيهَا نُفُوسًا مُّقِيمَةً ﴾

112-33	40	﴿ إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ... ﴾
سورة يونس		
258	5	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ ... ﴾
302	20	﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ... ﴾
81	46	﴿ وَإِنَّمَا نُزِّيْنَاكَ بِعِضِ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ نُؤَفِّقُكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ... ﴾
33	56	﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾
76	64	﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ ... ﴾
36	72	﴿ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾
36	83	﴿ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾
سورة هود		
10	13	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ... ﴾
10	14	﴿ فَإِن لَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ... ﴾
183-24	25	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾
314	42	﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ... ﴾
260	44	﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَانْسَمَاهُ آقْلِي وَعِصِ الْمَاءُ ... ﴾
312	45	﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ... ﴾
294	-69 70	﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ... ﴾
31	101	﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ... ﴾
سورة يوسف		

41-05-03	3	﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ... ﴾
15	4	﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ... ﴾
16	5	﴿ قَالَ يَبْنَئِي لَأَنْقُصَنَّ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ﴾
16	9	﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ ... ﴾
16	10	﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ... ﴾
301	18	﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾
317-301	42	﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ... ﴾
سورة الرعد		
79	7	﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾
200	-37 38	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ... ﴾
سورة إبراهيم		
13	24	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ... ﴾
13	26	﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ... ﴾
سورة الحجر		
99	9	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾
140	-94 95	﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ... ﴾
سورة النحل		
89	24	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾

30	36	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ... ﴾
76	101	﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُرْسِلُ ... ﴾
179	106	﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُكْمَلٌ ... ﴾

25	110	﴿ ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ... ﴾
سورة الإسراء		
231	4	﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ ... ﴾
231	5	﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ... ﴾
184	16	﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ... ﴾
209	61	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ... ﴾
142	79	﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ ... ﴾
10	88	﴿ قُلْ لَيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ... ﴾
سورة الكهف		
-198-110 308	10	﴿ إِذْ أَوْى الْقَيْتَبُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحِمَةٌ ... ﴾
266	28	﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِسَى ... ﴾
202	29	﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ... ﴾
05	64	﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ... ﴾
295	82	﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ ... ﴾
سورة مريم		
21	2	﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ... ﴾

32	4	﴿ وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾
184	17	﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾
306	62	﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءٌ لِقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾
سورة طه		
244	85	﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾
244	86	﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾
323	96	﴿ ءَأَتُونِي زُبَيْرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدِيقَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ... ﴾
132-53	115	﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾
سورة الأنبياء		
74	23	﴿ لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُّونَ ﴾
30	25	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ ... ﴾
82-80	95	﴿ وَحَرَّمْ عَلَىٰ قُرْبِيءِ أَهْلِكُنَّهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾
سورة الحج		
20	5	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتُمُ مِنْ تُرَابٍ ... ﴾
31	-30 31	﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ... ﴾
315	45	﴿ فِيهِ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْرِ مِعْطَلَةٌ وَقَصْرِ مَشِيدٍ ﴾
سورة المؤمنون		
24-23	23	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ ... ﴾
318	25	﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يُدْعَىٰ جَنَّةً فَتَرَىٰ يَصُوبُ بِهَا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾

184	53	﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾
112	11	﴿ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

سورة النور

187	-47 48	﴿ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَقُولُونَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ... ﴾
311	55	﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ... ﴾

سورة الشعراء

314	17	﴿ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾
317	80	﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾
23	-69 72	﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ... ﴾
314	18	﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾

سورة النمل

299	17	﴿ وَحِشْرَ لَسْلِيمَانَ جُنُودَهُ مِنَ النِّجَنِ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾
36	44	﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
80	83	﴿ وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾

سورة القصص

33	3	﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾
45	4	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ ... ﴾
05-03	11	﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّبِيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾
45	15	﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ... ﴾

05	25	﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾
196	34	﴿ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْنَا مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ... ﴾
17	62	﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾
299	68	﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ... ﴾

سورة العنكبوت

38	20	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ ... ﴾
----	----	---

سورة الروم

111	33	﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ رَمَتْهُ ... ﴾
38	42	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ... ﴾
46-45	54	﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ ... ﴾

سورة الصافات

17	-133 138	﴿ وَإِن لُّوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا ... ﴾
45	83	﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ ... ﴾
104	107	﴿ وَفَلْيَنْتَهِ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾

سورة ص

278	21	﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوُ الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾
278	22	﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا ... ﴾
190	43	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾
189	48	﴿ وَأَذْكَرَ سَمْعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكُفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴾

		سورة الزمر
17	68	﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ... ﴾
17	69	﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِنْتُبُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ ... ﴾
		سورة غافر
25	38	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا وَهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا مَا يُرْسَلُ ﴾
25	39	﴿ يَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعْنَاهُمْ وَلِنُرْسِلَهُنَّ فِي الْآخِرَةِ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾
		سورة فصلت
21	30	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾
22	39	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خُشْعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ ... ﴾
285	42	﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾
		سورة الشورى
118	11	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
35	13	﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا ... ﴾
310	30	﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴾
		سورة الزخرف
310	81	﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴾
		سورة الجاثية
123	18	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ... ﴾
		سورة الفتح
118	10	﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾
		سورة النجم
41	4	﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

142	-19 20	﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١١﴾ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾
سورة القمر		
20	-16 17	﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ... ﴾
20	39	﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾
45	51	﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾
23	55	﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾
سورة الرحمن		
20	13	﴿ فَيَأْتِيءُ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾
سورة المجادلة		
23	2	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
سورة الحشر		
249	7	﴿ وَمَاءِ أَنْتُمْ الرَّسُولُ فَحُذُّوه وَمَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾
سورة الصف		
17	13	﴿ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾
سورة القلم		
260	17	﴿ إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾
سورة الحاقة		
24	2-1	﴿ الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴾
سورة نوح		
23	4-1	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ... ﴾

309-303	-10 12	﴿ قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ... ﴾
سورة القيامة		
180	-22 23	﴿ وَجوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَيْكَ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾
سورة الإنسان		
212	30	﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾
سورة النازعات		
187	-42 46	﴿ يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَعِهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ ... ﴾
سورة الانفطار		
24	-17 18	﴿ وَمَا آذَرْنَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا آذَرْنَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾
سورة المطففين		
321	-27 28	﴿ وَمِنْ أَجْهُدِهِ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٣٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾
سورة الإنشقاق		
258	1	﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾
سورة البروج		
196	10-9	﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ... ﴾
سورة الطارق		
275	5	﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾
سورة الفجر		

118	22	﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾
		سورة الضحى
17	3	﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾
		سورة القارعة
24	2-1	﴿ الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴾
		سورة التكاثر
24	4-3	﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

فهرس الأحاديث والآثار السنبة

الصفحة	طرفه الحديث
65	أما ترضى ان تكون بمزلة هارون.
162	أي رب : ألم تخلقني بيدك
14	بعثت بجوامع الكلم
66	رأيت أبا بكر
المقدمة (ي)	ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة
142	فلما أمس رسول الله - ﷺ - أتاه جبريل .
70	قلت لأبي : من الرافضة
312	لا يبقى في الأرض بيت مدر
161	لما اقترف آدم الخطيئة
66	اللهم إني أحبهما فأحبهما
10	ما من الأنبياء نبي إلا أعطي
37	مَثَلِي فِي النَّبِيِّنَ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا
14	نصرت الرعب على مسيرة شهر
134	فهي رسول الله عن نكاح المتعة
65	والذي فلق الحبة و برأ النسمة
03	والرؤيا جزء من ستة
65	يا رسول الله خلفني مع النساء والصبيان

فهرس أحاديث وأثار الشيعة الإمامية

الصفحة	طرفه الحديث
75	أبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت بغير إمام لساخت
78	أتنخوف عليّ النسيان فيما بعد؟
131	أخبرني عن الشجرة التي أكل منها
134	استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع أعوج
132	أليس من قولك أن الأنبياء معصومون؟
54	أن إبراهيم عليه السلام من شيعة علي
75	إن الأرض لا تخلوا من حجة وأنا والله ذلك الحجة
75	إن الله تبارك و تعالی علم آدم أسماء حججه كلها
132	إن الله عزّ وجل عهد إلى آدم
78	إن قائمنا إذا قام مدّ الله عزّ وجل
101	إن لله إرادتين و مشيئتين
322	أنا من شروطها
132	أنه كان يصلي في اليوم و الليلة ألف ركعة
134	إنها سرّة بابل
84	إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتي أهل بيتي
78	الأوصياء مني إلى أن يردوا عليّ الحوض
131- 109	سئل الصادق-عليه السلام-عن جنة آدم
125	فلما هلك سليمان - عليه السلام -
86	قولوا للناس حسنا كلهم مؤمنهم و مخالفهم
280	كان الملك في ذلك الزمان
328	كان ذلك من يعصي منهم فاحتجب
126	لا إله إلا الله وحده و وحده و وحده

203	لا تقربا هذه الشجرة ، يعني لا تأكلا منها
122	لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا
330	الله خليفتي فيكم
75	اللهم إنك لا تخلي الأرض من حجة لك
52	مرحبا بمن خلقه الله قبل أبيه آدم بأربعين ألف سنة
78	من آمن بالقائم في غيبته مثل الملائكة
81	من آمن بقيام القائم أنه حق
124	من تعلم شيئا من السحر قليلا أو كثيرا فقد كفر
122	من دنى إلي شبرا دنوت إليه ذراعا
328	من سجد لصنم دوني لا أجعله إماما
86	من عبد صنما أو وثنا أو تمثالا لا يكون إماما
124	هذه أرض ملعونة، قد عذبت في الدهر مرتين
128	هل يقدر على أن يجعل الدنيا في بيضة ب
132	والله لقد خلق آدم للدنيا و أسكنه الجنة
125	وأما هاروت و ماروت كانا ملكين
124	وقد سُئل من أين علم الشياطين السحر
52	يا علي أنت الذي احتج الله بك على الخلائق
53	يا علي، ما بعث الله نبيا إلا وقد دعاه
283	يا جابر إن للقرآن بطناً وللبطن بطناً وله ظهر وللظهر ظهر

فهرس الأعلام المترجم لهم:

الصفحة	العلم
68	أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم
56	أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي
67	أبو جعفر محمد الباقر
49	أبو حزم الظاهري
47	أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان البغدادي - المفيد -
68	أبو محمد الحسن العسكري
11	الباقلاني: أبو بكر الباقلاني المالكي
288	تقي الدين المدرسي
163	ثابت بن أبي صفية بن دينار - الثمالي -
47	الجارودي: زياد بن المنذر الهمداني
12	الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر الجرجاني
238	جون لوك
54	الحر العاملي: أبو جعفر محمد بن الحسن
66	الحسن بن علي
67	الحسين بن علي
52	رضي الدين بن محمد - البرسي -
46	سعد بن عبد الله القمي
11	السكاكي: يوسف بن أبي بكر بن محمد
49	الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم

166	الطوسي محمد بن جعفر بن الحسن الطوسي
115	عبد الأعلى السيزواري
204	عبد الله أبو القاسم الخوئي
57	عبد الله بن سبأ
320	عبد الله جوادى الآملى
303	عبد علي بن جمعة العروسي
65	علي بن أبي طالب
108	علي بن إبراهيم القمي
66	علي بن الحسين بن زين العابدين
320	الفاضل التوي: عبد الله بن محمد التوي
167	الفضل بن الحسن الطبرسي
54	محمد الباقر
58	محمد الجواد بن علي الرضا
59	محمد المهدي بن الحسن العسكري
238	محمد بن ابراهيم لقوامي الملا صدرا
137	محمد بن جواد البلاغي
93	محمد بن حيدر بن سلطان الجنابذي
221	محمد جواد بن محمود مغنية
232	محمد حبيب العبيدي
178	محمد حسين الطباطبائي
270	محمد حسين فضل الله

263	محمد محسن بن مرتضى بن محمود الكاشاني
140	محمد هادي معرفة
254	ناصر مكارم الشيرازي
46	النوبختي
70	هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

المركز
عبد القادر للعطوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم: مصحف المدينة النبوية

• الحديث النبوي الشريف

• مصادر ومراجع الشيعة الإمامية

أولاً: كتب تفسير الشيعة الإمامية

1. آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد بن جواد البلاغي، مركز العلوم والثقافة الإسلامية، قسم إحياء التراث الإسلامي، ت لطيف فرادي، الطبعة الثانية 2010م.

2. الأمثل في تفسير كتاب الله المتزل: ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين - عليه السلام - قم إيران طبعة 1421هـ.

3. بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، 1314هـ، طهران

4. البيان في تفسير القرآن عبد الله أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الثقليين للطباعة والنشر إيران ط 1429هـ.

5. تسنيم في تفسير القرآن: عبد الله الجواد الطبري الأملي، دار الإسراء للطباعة والنشر، مكتبة مؤمن قريش، الطبعة الثانية 2011م.

6. تفسير الصافي: ملا محسن فيض كاشاني، ت: حسين الأعلمي، مؤسسة الهادي قم المقدسة طهران الطبعة الثانية رمضان 1416هـ

7. تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - قم - دت

8. تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1435هـ.

9. التفسير المنسوب للحسن العسكري، ت: مدرسة الإمام المهدي، الطبعة الأولى 1409هـ.

10. التبيان في تفسير القرآن: محمد بن الحسن الطوسي، ت: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ط 1957م

11. تفسير فرات الكوفي: أبو القاسم فرات بن إبراهيم الكوفي، ت: محمد الكاظم، مؤسسة الطبع والنشر - طهران - طبعة 1990
 12. تفسير نو الثقلين: عبد علي بن جمعة العروسي الحوزيزي، ت: علي عاشور، الناشر انتشارات اسماعيليان، الطبعة الأولى 1383هـ.
 13. فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب: النوري الطبرسي، ت: مصطفى صبحي الخضر الحمصي، مركز الدراسات الفكرية الطبعة الأولى 2007م
 14. الكاشف: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط 2007م
 15. لطائف الإشارات - تفسير القشيري - إبراهيم البسيوني : ت: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - ط 2003م
 16. مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2006م
 17. مجمع البيان: الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى - بيروت - الطبعة الأولى 2006م.
 18. من هدى القرآن: محمد تقي الدين المدرسي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 2008م
 19. من وحي القرآن محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط 1998م.
 20. مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الخامسة 1431هـ - 2010م .
 21. الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1997م.
- ثانيا: كتب علوم القرآن**
22. البلاغي مفسرا، رمضان علي الأوسي، مركز العلوم الإسلامية، الطبعة الأولى: 2008م.
 23. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب محمد هادي معرفة، الناشر الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، الطبعة الثانية 1383هـ.

24. الشيخ البلاغي وعلم الأديان المقارن: .ستار الفتلاوي، كلية الآداب / جامعة القادسية، -
معهد الدراسات السامية والعربية/ جامعة برلين/ المانيا
25. القرآن في الإسلام: محمد حسين الطباطبائي:تعريب ، أحمد الحسيني، طبعة 1973م .
26. محمد جواد مغنية حياته ومنهجه في التفسير: جواد علي كسار، دت، دط.
27. معالم المنهج التفسيري عند الشيخ محمد جواد مغنيّة: حيدر حب الله، تاريخ النشر12 /
05 /2014م.
28. مفاهيم القرآن :جعفر السبحاني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت -لبنان-دت.
29. المفسرون حياتهم ومنهجهم: علي أيازي، الطبعة الأولى طهران -1386هـ.
30. منهج الطباطبائي في التفسير الأوسي، مركز العلوم والثقافة الإسلامية، طبعة 2008م - قم
31. نور البراهين، نعمة الله الجزائري، تحقيق: الرجائي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط1،
1417هـ.

ثالثا: كتب الحديث

32. الإرشاد: المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث الطبعة: الثانية
1414هـ -1993م
33. أصول الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، دار المرتضى -بيروت لبنان -الطبعة الأولى
1426هـ -2005م.
34. الاعتقادات: ابن بابويه القمي، تحقيق: مؤسسة الإمام الهادي، الطبعة الثانية 1432هـ
35. أعيان الشيعة: تحقيق محسن الأمين، طبعة 1403هـ -1983م
36. إكمال الدين وإتمام النعمة :محمد بن الحسين بن باويه القمي الصدوق: مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم، طبعة: 1405هـ -2000م
37. أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل: الحر العاملي: تحقيق أحمد الحسيني، مكتبة الأندلس
بغداد، دت.

38. الأنوار النعمانية في بيان النشأة الإنسانية: نعمة الله الجزائري، تحقيق: محمد علي القاضي الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، الطبعة الأولى 1431هـ-2010م
39. أوائل المقالات للمفيد: تحقيق إبراهيم الأنصاري، طبعة 1414هـ-1993م.
40. أوائل المقالات: أبو الحسن الأشعري، ت: إبراهيم الأنصاري، الطبعة الثانية 1993م.
41. بحار الأنوار: المجلسي، شركة الأعلمي للمطبوعات ، ط2008م.
42. بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة محمد باقر المجلسي الناشر: إحياء الكتب الإسلامية، دت.
43. تنقيح المقال في علم الرجال: تحقيق محي الدين المامقاني، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى 1434هـ.
44. التوحيد: ابن بابوية الصدوق القمي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، تصحيح هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي - قم - دت.
45. الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة: البحراني المصحح: محمد تقي الأيرواني، الناشر: دار الأضواء، طبعة 1405هـ - 1985م، الطبعة الثانية بيروت - لبنان
46. الحصون المنيعة: محسن الأمين ، دار الزهراء للطباعة بيروت لبنان - ط1326هـ.
47. دلائل الإمامة: محمد بن جرير الطبري الصغير، تحقيق مركز الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، دت.
48. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: لأقابزرك الطهراني، دار الأضواء بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ-1983م -.
49. رجال الكشي، (اختيار معرفة الرجال) محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: مير داماد وآخرون، مدرسة آل البيت قم 1404هـ.
50. روضة الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، النشر دار الكتب الإسلامية - طهران - طبعة 1363هـ.
51. الصحيفة السجادية: زين العابدين، تحقيق المرعشي، ط - مؤسسة النشر الإسلامي - قم -، طبعة 1404هـ.

52. عيون أخبار الرضا: ابن بابوية القمي، تحقيق: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، طبعة 1404هـ-1984م.
53. فرق الشيعة: أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي، طبعة استنبول 1931م.
54. الفصول المهمة في أصول الأئمة: محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: محمد بن الحسين القائيني، مطبعة إمام الرضا، دت
55. كتاب فقه الحياة: حسين فضل الله، مؤسسة العارف للمطبوعات، ط1999م
56. كتاب الرجعة: أحمد زين الدين الإحسائي، إشراف مجتبي إسماعيل و راضي الإحسائي، طباعة ونشر فكر الأوحاد الطبعة الأولى 2006م.
57. كتاب الغيبة لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الطبعة الأولى تيريز- إيران -
58. كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي، طبعة 1401هـ.
59. الكنى والألقاب عباس القمي، تقديم محمد هادي الأميني، مركز المعجم الفقهي قم، دت.
60. المستدرک علی سفینه البحار: علي النمازي الشاهروردي، تحقيق: حسن بن علي النمازي، طبعة 1419هـ، قم.
- رابعا: كتب عامة
61. أصل الشيعة وأصولها: آل كاشف الغطاء، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة الإمام علي، دت.
62. أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: السبحاني، دار مشعر للنشر، الطبعة الأولى 1379هـ
63. أعلام الشيعة: أغا بزرك الطهراني، المطبعة العلمية-النجف - ط1954م
64. تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ط2009م
65. سيرة و حياة الامام الخوئي: أحمد الواسطي، دار الهادي للطباعة والنشر، 1998
66. الشيعة والتصحيح: موسى الموسوي، الناشر دار عمار للنشر والتوزيع، ط1988م

67. عقائد الإمامية الاثني عشرية: إبراهيم الموسوي الزنجاني النجفي، الناشر انتشارات حضرت مهدي، الطبعة الخامسة 1982م.
68. عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر: ت، حامد حنفي داود، الناشر مكتبة الأمين ط1968م.
69. كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي(الصدوق) تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسس النشر الإسلامي - قم 1414هـ.
70. مستدرک الوسائل: النوري الطبرسي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ط1، 1408هـ.
71. مفتاح الكرامة: محمد الجواد العاملي، تحقيق: محمد باقر الخالصي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط1، 1419م.
72. منهج الخوئي في بيان إعجاز القرآن في كتابه البيان في تفسير: منذر إبراهيم حسين الحلبي/ جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية.
73. موسوعة العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي: الحكيم الحسون، مطبعة الباقر، الطبعة الثانية 1431هـ-2010م.
74. موقف الأئمة الأربعة من الرافضة، عبد الرزاق الأورو، إشراف عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر 1422هـ
75. النجم الثاقب في أحوال الحجّة الغائب: النوري الطبرسي، ت: ياسين الموسوي، الناشر أنوار الهدى للطباعة والنشر، دت.
76. نقباء البشر في القرن الرابع عشر: آقا بزرك الطهراني، دار المرتضى للنشر - مشهد- الطبعة الثانية 1303هـ .
77. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ط2، 1414هـ.

• مصادر ومراجع سنوية

أولاً: كتب التفسير السنوية

78. الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد للطباعة.
79. أوضح التفاسير: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت: 1402هـ) المطبعة المصرية، الطبعة السادسة، رمضان 1383 هـ - فبراير 1964 م
80. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير: أبو بكر جابر الجزائري، ط4، جدة، دار السلام، ط1992.
81. أيسر التفاسير: أسعد محمود حومد، ط (1409هـ، 2009م) دت.
82. بحر العلوم: نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي أبو الليث، دار الكتب العلمية، دت.
83. البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي الغرناطي، اعتناء صدقي جميل، إشراف مكتب البحوث والدراسات بيروت - دار الفكر - 2005.
84. تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ط1 1954 م .
85. التحرير والتنوير: ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ)، دار سحنون للنشر، تونس، دط، 1997م.
86. التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق مصر، ط13، 1993م.
87. تفسير الراغب الأصفهاني، دراسة وتحقيق عادل بن علي الشدي، الناشر المكتبة الأزهرية، دت
88. تفسير الشعراوي: خواطر فضيلة الشيخ متولي الشعراوي حول القرآن الكريم، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ، ط1992م.
89. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو البصري ثم الدمشقي (ت774هـ)، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2(1420هـ_1990م).

90. تفسير القشيري: المسمى لطائف الإشارات تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم: عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك النسابوري القشيري، تقديم منيع عبد الحلیم محمود، تحقيق: سعيد قطيفة، القاهرة المكتبة التوفيقية، د.ت.
91. التفسير الميسر: نخبة من العلماء، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط2009
92. التفسير الوسيط: وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر دار الفكر - دمشق - الطبعة الأولى 1422هـ
93. تيسير التفسير: إبراهيم القطان، راجعه وضبطه: عمران أحمد أبو حجلة، الجمعية العلمية الملكية، ط1982.
94. تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، ت: عبد الرحمان بن معلا الويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، (1420هـ_2000م).
95. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب (ت310هـ)، ت: محمود محمود شاكر، مؤسسة الرسالة، ط10 (1420هـ_2000م)
96. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت671هـ)، ت: هشام سمير البحاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، دط، (1423هـ_2003م).
97. الدر المنثور: السيوطي: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط1993.
98. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت1270هـ)، ت: السيد محمد السيد، دار الحديث، القاهرة، ط1، (1426هـ).
99. زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، دط، دت.
100. صفوة التفاسير: ا محمد علي الصابوني، دم، دار الصابوني، دت، طبعة جديدة 1995.
101. في ظلال القرآن، السيد قطب: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت1385هـ)، دار الشروق، القاهرة ط9 (1400هـ_1980م).

102. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت538هـ)، ت: عبد الرزاق المهدي، دار التراث العربي، بيروت.
103. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، أشرف على إخراجه: صلاح باعثمان، حسن الغزالي، الناشر: دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية
104. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد (ت542هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1413هـ_1993م).
105. مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3- 1420 هـ
106. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ت: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، (1415هـ_1995م).
107. الواضح الميسر: الصابوني في تفسير حديث جامع بين الأثر والمعقول بأسلوب سهل ميسر، مع بيان أسباب التزول، دبي مركز جمعية ماجد للثقافة، ط2002.
- ثانياً: كتب علوم القرآن.
108. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، مؤسسة الرسالة، ط3 1997م.
109. الاتجاهات المنحرفة في التفسير (في ظلال دلالات سورة الكهف) عرض ونقد دكتور جمال أبو حسان، أستاذ مساعد بكلية الشريعة - جامعة الزرقاء الأهلية
110. الإتجاهات المنحرفة في العصر الحديث: عادل بن عدي الشدي، الناشر مدار الوطن للنشر بالرياض، الطبعة الأولى 2010م .
111. أسباب التزول: أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تأليف الشيخ الإمام المحقق أبي القاسم هبة الله ابن سلامة أبي النصر، عالم الكتب بيروت.

112. أسباب النزول: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل الناشر: دار إحياء العلوم - بيروت، دت.
113. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: محمد بن محمد أبو شهبة، الناشر مكتبة السنة، ط1408هـ
114. أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، ط1414هـ.
115. بحوث في قصص القرآن: عبد الحافظ عبد ربه، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1 1972.
116. البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، ت:علي شيري، دار إحياء التراث العربي الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م
117. التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة القاهرة، ط2000
118. سلسلة القصص: محمد صالح المنجد، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
119. شبهات المستشرقين حول القرآن: ستار الفتلاوي، كلية الآداب / جامعة القادسية معهد الدراسات السامية والعربية/جامعة برلين/الماني، دت.
120. الفن القصصي في القرآن الكريم: محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط4، 1972م .
121. القصة في القرآن مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، دار قباء للطباعة، القاهرة، ط2002.
122. قصص الأنبياء: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ط1، دار ابن حزم القاهرة
123. قصص الأنبياء: محمد متولي الشعراوي جمع:منشاوي غانم جابر، كتب الحواشي، مركز التراث بيروت، دار الكتب العلمية، دت
124. قصص القرآن الكريم: فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط2000م.
125. القصص القرآني: الشيخ ياسر بن حسين برهامي، مصدر الكتاب: موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net>

126. القصص في القرآن الكريم: إسلام محمود درباله، إشراف محمود الدوسري، دط، دت
127. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله _ عزوجل _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، سوريا، ط2 1989م.
128. محاسن التأويل : محمد جمال القاسمي، ضبط وتصحيح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1418هـ .
129. محاضرات في علوم القرآن: غانم قدور الحمد، 1423هـ-2003م.
130. مدخل إلى القرآن الكريم: محمد عبد الله دراز، ترجمة محمد علي، دار القلم الكويت — ط2 1399هـ.
131. مناهج المفسرين: منيع عبد الحليم محمود، دار الكتاب المصري القاهرة، ط1 1978م.
132. منهج الشيعة الإمامية في تفسير القرآن الكريم: مجدي بن عوض الجارحي ، تاريخ النشر 1430هـ-2009م
133. الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم : محمد إبراهيم العسال ط1/1427هـ.
134. منهج القصة في القرآن: محمد شديد، عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1984م

ثالثا: كتب الحديث

135. تهذيب التهذيب: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الاولى 1404 هـ - 1984 م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
136. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجليل، بيروت، لبنان، دط، دت.
137. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت256هـ)، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، (1407هـ-1987م).

138. السنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (ت275هـ)، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت - لبنان - دط، دت.
139. سنن الترمذي: وهو الجامع الصحيح للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (209 - 279) حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف دار الفكر للطباعة والنشر
140. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَإِماز الذهبي المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م
141. الطبقات الكبرى: محمد بن سعد أبو عبد الله البصري، تحقيق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: 1 - 1968 م.
142. ابن ماجه: سنن ابن ماجه المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دت
143. مسند أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. الفقيه والمحدث، صاحب المذهب، مؤسسة قرطبة - القاهرة.
144. المنتقى من منهاج الإعتدال في نقض كلام أهل الإعتدال وهو مختصر منهاج السنة: شمس الدين الذهبي، ت: محب الدين الخطيب، الناشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط1413هـ.
145. منهاج السنة النبوية: شيخ الإسلام بن تيمية: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى
146. موسوعة الحديث الشريف للكتب الستة، إشراف صالح بن عبد العزيز آل شيخ، دار السلام، ط 1999.
147. موسوعة الدرر السنية: إشراف عبد القادر السقاف، دط، دت.
148. ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين الذهبي ت: علي محمد الجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1963 .

رابعاً: كتب اللغة

149. الأعلام الزركلي، دار العلم للملايين، ط2002.
150. تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي(ت 1205 هـ) إعتنى به ووضع حواشيه: خليل إبراهيم وسيد محمد محمود، ط 2007، 1، دار الكتب العلمية لبنان.
151. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، ط1، ت رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين ط1987م.
152. القاموس المحيط، الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817هـ)، ت: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، (1426هـ_2005م).
153. قاموس المصطلحات اللغوية، جميل يعقوب مي شيخان، ط1، بيروت دار الملايين، ط1987
154. لسان العرب، ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الأفريقي(ت711هـ)، ت: عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ط1979.
155. مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5، 1420هـ / 1999م.
156. مُفْتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م
157. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: الفيومي، الناشر المطبعة الميمنية ط1325هـ
158. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»: عادل نويهض، الناشر : مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م

159. معجم المؤلفين: معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية: عمر رضا كحالة: مكتبة المثنى - بيروت , دار إحياء التراث العربي، دت.

160. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، (1399هـ_1979م).

161. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1 - 1412 هـ

خامسا: المعاجم والموسوعات:

162. المعجم الجامع لتراجم العلماء المعاصرين، ملتقى أهل الحديث

163. معجم المؤلفين: تراجم مصنفى الكتب العربية، عمر رضا كحالة، بيروت، دار إحياء التراث، دت.

سادسا: كتب العقيدة

164. بطلان عقائد الشيعة: محمد عبد الستار التونسي، دار النشر الإسلامية العالمية، فيصل آباد باكستان. دط.

165. التوسل أنواعه وأحكامه: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة - 1406 هـ - 1986م

166. الفرق المفرقة بين أهل الزيغ والزندقة: عثمان بن عبد الله الحنفي، ط1961.

167. مجموع الفتاوى: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أبو العباس: تحقيق: أنور الباز - عامر الجزائر، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، 1426 هـ / 2005م

168. مروج الذهب: المسعودي، ت: يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، دت

169. مفاتيح التفسير: أحمد سعد الخطيب، دار التدمرية الرياض، ط1434، 1-1987م.

170. مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري، تصحيح هلموت ويتير، ط3، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

171. الوصية: المسعودي، الناشر المطبعة الحيدرية ط1988م
172. دلائل الإمامة: محمد بن جرير بن رستم الطبري، منشورات مؤسسة الأعلمي ، الطبعة الثانية 1988م
- سابعاً: كتب عامة سنوية**
173. الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة (مطبوع بمامش كتاب شواهد الحق): يوسف بن إسماعيل بن يوسف التَّبَهَّاني: المطبعة الميمنية، مصر، دط، دت.
174. أصول مذاهب الشيعة: ناصر بن عبد الله القفاري، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، دت.
175. الشيعة هم العدو فاحذرهم: شحاتة محمد صقر، دار النشر، مكتبة دار العلوم، البحيرة (مصر)، دط.
176. الشيعة هم العدو فاحذرهم: شحاتة محمد صقر، دار النشر، مكتبة دار العلوم، البحيرة (مصر)،
177. الشيعة والتحريف القرآن: إلهي ظهير إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان، ط1، 1403هـ.
178. الشيعة والتشيع - فرق وتاريخ: إحسان إلهي ظهير الباكستاني، دار النشر، إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان، الطبعة: العاشرة، 1415 هـ - 1995 م
179. الشيعة والقرآن: إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة باكستان، 2010م
180. الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية: حامد مسوحلي الإدريسي، دار النشر، مكتبة الرضوان، مصر، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م
181. فضائح الباطنية: أبو حامد الغزالي، تحقيق: عبد الرحمان بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية الكويت.
182. الكتاب المقدس والعهد القديم سفر الخروج الإصحاح 16. قاموس الكتاب المقدس

183. مختصر التحفة الإثني عشرية: ألف أصله باللغة الفارسية، شاه عبد العزيز الدهلوي، نقله إلى العربية إسلام محمد الأسلمي، إختصره محمد شكري الألوسي، تحقيق: محي الدين الخطيب المطبعة السلفية، ط2، 1317هـ.

184. مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، دار طيبة للنشر والتوزيع، طبعة 1413هـ.

185. مع الاثني عشرية في الأصول والفروع: علي أحمد السالوس، ط7، دار النشر الفضيلة بالرياض، سنة: 1424هـ الموافق 2003م

186. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية: عبد الحليم بن تيمية الحراني، مؤسسة قرطبة، ط1، 1406هـ.

187. نشأة التشيع وتطوره: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية - مصر، - دت.

188. النكت الشيعة في بيان الخلاف بين الله تعالى والشيعة: فصيح الدين، إبراهيم بن صبغة الله بن أسعد الحيدري البغدادي، ت حقيق وتعليق: عبد العزيز بن صالح الحمود الشافعي، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، مصر، ج1، ط1 1428 هـ - 2007

ثامنا: المجلات والرسائل الجامعية

189. تاريخ القرآن عند الاثني عشرية: عبد العزيز الضامر، الطبعة الأولى 2015م، السعودية

190. رسالة دكتوراه الروايات الواردة في النص والوصية في الكتب الحديثية عند الشيعة الإمامية: إبراهيم بن محمد عيسى الشاعري إشراف: عثمان علي حسن علي، جامعة أم القرى كلية أصول الدين - السعودية-

191. قواعد الجرح والتعديل عند الإمامية أكرم العمري إشراف أد مختار نصيرة نوقشت بجامعة الأمير عبد القادر قسنطينة سنة 2013م

192. مناهج المفسرين في تناول القصص القرآني: عبد العزيز ثابت إشراف أد رابح دوب ، نوقشت بجامعة الأمير عبد القادر قسنطينة سنة 2013م

193. موقف الشيعة من مرويات أهل السنة، عبد الكريم مقيدش: إشراف أ/د: أبو بكر كافي نوقشت بجامع الأمير عبد القادر قسنطينة .

تاسعا: مواقع إلكترونية

194. موقع الجزيرة نت محمد حسين فضل الله /لبنان / 2014/12/10 تاريخ النشر: <http://www.aljazira.net>.

195. -موقع هدى القرآن الإلكتروني : موقع متخصص في القرآن وعلومه، التابع لحوزة الهدى للدراسات الإسلامية) www.hidaalquran تاريخ النشر 2008/2/7م
¹ ينظر محمد حسين فضل الله /لبنان / الجزيرة نت. 2014/12/10 تاريخ النشر. <http://www.aljazira.net>

عبد القادر للعوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

	الإهداء
أ	المقدمة
الباب الأول	
ضبط مفاهيم الدراسة و تحديد مصطلحات البحث	
الفصل الأول:	
القصص القرآني ماهيته ومزياه	
03	المبحث الأول: القصة في لغة العرب
06	المبحث الثاني: القصة القرآنية في الاصطلاح
06	المطلب الأول: القصة الأدبية
07	المطلب الثاني: القصة في القرآن الكريم
09	المبحث الثالث: مزايا القصص القرآني
09	المطلب الأول: الإعجاز اللغوي والبياني
12	المطلب الثاني: العرض التصويري
14	المطلب الثالث: لإيجاز وقوة التأثير
16	المطلب الرابع : الجزالة والرقعة
18	المطلب الخامس: التكرار وفوائده في القصص القرآني
الفصل الثاني :	
مقاصد القصص القرآني	
30	المبحث الأول: تصحيح العقائد وإيضاح أسس الدعوة

32	المبحث الثاني: تثبيت فؤاد النبي - صلى الله عليه وسلم -
35	المبحث الثالث: تأكيد وحدة الرسالة وصدق الأنبياء
36	المبحث الرابع: التأسّي والاعتبار
40	المبحث الخامس: القيمة التاريخية للقصة القرآنية
الفصل الثالث:	
الشيعة الإمامية نشأتها و جذورها التاريخية وأهم ألقابها	
44	المبحث الأول: المفهوم اللغوي و الاصطلاحي للشيعة الإمامية
45	المطلب الأول: مدلول كلمة التشيع في لغة العرب
45	المطلب الثاني: مدلول كلمة الشيعة في الاصطلاح
52	المبحث الثاني: نشأة الشيعة الشيعة الإمامية و جذورها التاريخية
52	المطلب الأول: نشأة الشيعة الإمامية
61	المبحث الثالث: الفلسفات القديمة و أثرها على عقيدة الإمامية
61	المطلب الأول: التشيع منشؤه الديانة اليهودية
62	المطلب الثاني: التشيع منشؤه فارسي
62	المطلب الثالث: التشيع منشؤه الديانة البوذية
69	المبحث الرابع: ألقاب الشيعة الإمامية وأهم فرقها
69	المطلب الثاني: فرق الشيعة الإمامية
الفصل الرابع:	
أصول و عقائد الشيعة الإمامية و أثرها على تفاسيرهم في القرن العشرين	
73	المبحث الأول: الإمامة و الولاية و أثرهما في تفاسير الشيعة الإمامية
74	المطلب الأول: أدلة الشيعة العقلية و النقلية على الإمامة و الولاية

75	المطلب الثاني: نماذج عن التقية في تفاسير الإمامية
77	المبحث الثاني: عقيدة المهديّة و الغيبية أثرها في تفاسير الشيعة الإمامية
79	المطلب الأول: نماذج عن عقيدة المهديّة في تفاسير الإمامية
80	المبحث الثالث: الرجعة أثرها في تفاسير الشيعة الإمامية
83	المبحث الرابع: التقية و أثرها في تفاسير الشيعة الإمامية
84	المبحث الخامس: عصمة الأئمة و أثرها في تفاسير الشيعة الإمامية
86	المطلب الأول: نماذج من عقيدة العصمة في تفاسير الإمامية
88	المبحث السادس: تحريف القرآن و أثره في تفاسير الشيعة الإمامية
89	المطلب الأول: نماذج من تفاسير الشيعة الإمامية الدالة على فرية التحريف
الباب الثاني:	
القصص القرآني من خلال تفاسير الشيعة الإمامية في النصف الأول من القرن العشرين	
104	تمهيد
الفصل الأول:	
بيان السعادة في مقامات العبادة: محمد بن حيدر الجنازدي	
94	المبحث الأول: التعريف بالمؤلف
95	المبحث الثاني: التعريف بتفسير بيان السعادة لجنازدي
95	المطلب الأول: الوصف العام لكتابه
96	المطلب الثاني: منهجه التفسيري
102	المبحث الثالث: مسلك الجنازدي في تناول القصص القرآني

107	المبحث الرابع: موارد الجنازدي في تفسيره للقصص القرآني
108	المطلب الأول: مصادره التفسيرية و الروائية الإمامية
110	المطلب الثاني : مصادره التفاسير و الروائية السنية
112	المطلب الثالث: موقف الجنازدي من الصحابة
113	المطلب الرابع: موقفه من الإسرائيليات
الفصل الثاني:	
مواهب الرحمان في تفسير القرآن : عبد الأعلى الموسوي السبزواري	
115	المبحث الأول: التعريف بالمؤلف
116	المبحث الثاني: التعريف بتفسير مواهب الرحمان للسبزواري
117	المطلب الأول: الوصف العام لكتابه:
118	المطلب الثاني: منهجه التفسيري
123	المبحث الثالث: مسلك السبزواري في تناول القصص القرآني
130	المبحث الرابع: موارد عبد الأعلى السبزواري في تفسيره للقصص القرآني
130	المطلب الأول: مصادره التفسيرية الشيعية
131	المطلب الثاني : موقفه من مرويات الشيعة
133	المطلب الثالث : المصادر الروائية السنية
134	المطلب الرابع: موقفه من خبر الواحد
134	المطلب الخامس: موقفه من الإسرائيليات
134	المطلب السادس: استناده إلى الكتاب المقدس

الفصل الثالث:	
آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد بن جواد البلاغي	
137	المبحث الأول: التعريف بالمؤلف
139	المبحث الثاني: التعريف بتفسير آلاء الرحمن في تفسير القرآن للبلاغي
140	المطلب الأول: الوصف العام لكتابه
141	المطلب الثاني: منهجه التفسيري
147	المبحث الثالث: مسلك البلاغي في تناول القصص القرآني
163	المبحث الرابع: موارد البلاغي في تفسيره للقصص القرآني
163	المطلب الأول: مصادره التفسيرية و الروائية
169	الفرع الأول: المصادر التفسيرية
171	الفرع الثاني: الكتب الروائية
172	المطلب الثاني: التفاسير السننية
172	المطلب الثالث: موقفه من مرويات أهل السنة و الشيعة
173	المطلب الرابع: موقفه من القصص الإسرائيلية
174	المطلب الخامس: موقف البلاغي من الكتاب المقدس
الفصل الرابع:	
الميزان في تفسير القرآن محمد حسين الطباطبائي	
178	المبحث الأول: التعريف بالمؤلف
181	المبحث الثاني: التعريف بالتفسير
182	المطلب الأول: الوصف العام لكتابه

183	المطلب الثاني: منهجه التفسيري
189	المبحث الثالث: مسلك محمد حسين الطباطبائي في تناول القصص القرآني
195	المبحث الرابع: موارد الطباطبائي في تفسيره الميزان
195	المطلب الأول: مصادره التفسيرية الشيعية القديمة
197	المطلب الثاني: موقفه من تفاسير السنة
199	المطلب الثالث: موقفه من مرويات الصحابة
200	المطلب الرابع: موقفه من مرويات الشيعة
200	المطلب الخامس: موقفه من الإسرائيليات
الفصل الخامس:	
البيان في تفسير القرآن عبد الله أبو القاسم الخوئي	
204	المبحث الأول: التعريف بالمؤلف
205	المبحث الثاني: التعريف بتفسير البيان عبد الله أبو القاسم الخوئي
	المطلب الأول: الوصف العام لكتابه
206	المطلب الثاني: منهجه التفسيري
208	المبحث الثالث: مسلك الخوئي في تناول القصص القرآني
213	المبحث الرابع: موارد الخوئي في تفسيره للقصص القرآني
213	المطلب الأول: موقف الخوئي من مرويات الشيعة
215	المطلب الثاني: موقفه من تفاسير الشيعة
215	المطلب الثالث: موقفه من خبر الآحاد في قبول المرويات

216	المطلب الرابع: موقفه من مرويات السنة
217	المطلب الخامس: موقف الخوئي من الإسرائيليات
الباب الثالث:	
القصص القرآني من خلال تفاسير الشيعة الإمامية في النصف الثاني من القرن العشرين	
	تمهيد
الفصل الأول:	
تفسير الكاشف جواد مغنية	
221	المبحث الأول: التعريف بالمؤلف
222	المبحث الثاني: التعريف بتفسير جواد مغنية
222	المطلب الأول: الوصف العام لكتابه
223	المطلب الثاني: منهج محمد جواد مغنية في تفسيره الكاشف
230	المبحث الثالث: مسلك جواد مغنية في التعامل مع القصص القرآني
249	المبحث الرابع: موارد جواد مغنية في تفسيره للقصص القرآني
249	المطلب الأول: مصادره التفسيرية و موقفه منها
249	المطلب الثاني: موقفه إزاء النصوص القرآنية والشواهد النبوية
251	المطلب الثالث: موقفه من الإسرائيليات
الفصل الثاني :	
الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي	
254	المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

255	المبحث الثاني: التعريف بتفسير الأمثل للشيرازي
255	المطلب الأول: الوصف العام لكتابه
256	المطلب الثاني: منهجه التفسيري
259	المبحث الثالث: مسلك الشيرازي في تناول القصص القرآني
263	المبحث الرابع: موارد الشيرازي في تفسيره للقصص القرآني
263	المطلب الأول: موقفه من تفاسير الشيعة
264	المطلب الثاني: مصادره التفسيرية السنة
267	المطلب الثالث: موقفه من الإسرائيليات
الفصل الثالث:	
من وحي القرآن محمد حسين فضل الله	
270	المبحث الأول: التعريف بالمؤلف
272	المبحث الثاني: التعريف بتفسير من وحي القرآن
272	المطلب الأول: الوصف العام لكتابه
274	المطلب الثاني: منهجه التفسيري
277	المبحث الثالث: مسلك حسين فضل الله في تناول القصص القرآني
279	المبحث الرابع: موارد حسين فضل الله في تفسيره للقصص القرآني
280	المطلب الأول: مصادره الشيعية
281	المطلب الثاني: مصادره السنية
282	المطلب الثالث: موقفه من مرويات الشيعة و السنة
284	المطلب الرابع: موقفه من السنة

286	المطلب الخامس: موقفه من الإسرائيليات
الفصل الرابع :	
من هدى القرآن لـ: تقي الدين المدرسي	
288	المبحث الأول: التعريف بالمؤلف
289	المبحث الثاني: التعريف بتفسير هدى القرآن
289	المطلب الأول: الوصف العام لكتابه
291	المطلب الثاني: منهجه التفسيري
293	المبحث الثالث: مسلك تقي الدين المدرسي في تناول القصص القرآني
297	المبحث الرابع: موارد تقي الدين المدرسي في تفسيره للقصص القرآني
297	المطلب الأول: مصادره التفسيرية الشيعية القديمة
205	المطلب الثاني: موقفه من تفاسير السنة
211	المطلب الثالث : موقف تقي الدين المدرسي من مرويات الصحابة والشيعية
318	المطلب الرابع: موقفه من القصص الإسرائيلية
الفصل الخامس:	
تسليم في تفسير القرآن: عبد الله الجواد الأملي	
320	المبحث الأول: التعريف بالمؤلف
321	المبحث الثاني: التعريف بتفسير تسليم عبد الله الجواد الأملي
321	المطلب الأول: الوصف العام لكتابه
321	المطلب الثاني: منهجه التفسيري

322	المبحث الثالث: مسلك جواد الأملي في تناول القصص القرآني
326	المبحث الرابع: موارد عبد الله جواد الأملي في القصص القرآني
326	المطلب الأول: مصادرهِ الشيعة
333	المطلب الثاني: مصادرهِ السنية
335	المطلب الثالث: موقف جواد الأملي من مرويات الشيعة
337	المطلب الرابع: موقفه من الإسرائيليات
340	خاتمة
الفهارس	
348	فهرس الآيات القرآنية
364	فهرس الأحاديث والآثار النبوية
367	فهرس الأعلام
370	فهرس المصادر المراجع
387	فهرس الموضوعات
	ملخص البحث باللغة العربية
	ملخص البحث باللغة الإنجليزية
	ملخص البحث باللغة الفرنسية

الملخص

يعتبر القصص القرآني كلية كبرى من كليات القرآن الكريم ، ومحور من أعظم محاوره ، بل هو أعظمها، اتخذ القرآن الكريم وسيلة من وسائله لتحقيق مقصده الأسمى ، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده ومقاصده الفرعية التي منها : إثبات الوحي والنبوة والعظة والاعتبار ، وبيان أساليب الدعوة وسنن الله في الاجتماع البشري ، والدعوة إلى فضائل الأخلاق.

ولأهميته ولعلاقته بواقع الناس لقي اهتماما كبيرا في أوساط المفسرين على اختلاف مشاربهم ، فمنهم من أجاد وخدم مقاصد القرآن السامية ، ومنهم من كان خلاف ذلك ، فكانت الحاجة ماسة لدراسته .

وعليه اخترت فرقة الشيعة الإمامية ، فجاء هذا البحث الموسوم بـ: القصص القرآني في تفاسير الشيعة الإمامية في القرن العشرين - دراسة نقدية تحليلية - ليتعرض بالتفصيل لبيان مسلك مفسري الشيعة الإمامية في القرن العشرين ، ولقد تتبعت مؤلفاتهم بالدراسة والبحث بغية الوقوف على مسلكهم في معالجة القصة القرآنية وبالأخص في القرن العشرين الذي يعتبر عصر الاجتهاد الفعلي وجاء هذا البحث في خطة تناولت مقدمة وضّحت خلالها الإطار المنهجي للدراسة معرفة بالموضوع مع بيان أهميته وأسباب اختياره، وثلاثة أبواب، وخاتمة.

ففي الباب الأول ضبطت من خلاله مفاهيم الدراسة و مصطلحات البحث عرفت على إثرها بالقصة القرآنية مع بيان المقصد من ذلك ثم عرجت إلى التعريف بالشيعة الإمامية، وتتبع نشأتها وتطورها و أهم المبادئ والأصول التي يقوم عليها المذهب، بالإضافة إلى أهم فرقها.

أما الباب الثاني والثالث فيمثلان الجانب التطبيقي من الرسالة وعنوانتها بالقصص القرآني من خلال تفاسير الشيعة الإمامية في النصف الأول والثاني من القرن العشرين ، اندرجت ضمن كل باب خمسة فصول، حيث أردفت كل فصل بمفسر تطرقت من خلاله إلى بيان مسلكه في التعامل مع القصص القرآني مزود بنماذج قصصية ، مع مناقشتها وتوجيهها إذا لزم الأمر، وختمت كل باب بفصل تفصيلي لموادهم التفسيرية للقصة القرآنية

وأخيرا جعلت لهذه الأطروحة خاتمة لخصت فيها مجمل النتائج التي توصلت إليها ، ثم ذيلتها بفهارس علمية.

Résumé

Les Histoires Coraniques sont une grande partie du Saint Coran et les unes de ces plus grands axes, elles font partie des moyens utilisés par le Coran pour réaliser son but suprême qui est prêcher à adorer Dieu seul et ses buts secondaires qui sont prouver la révélation, la prophétie, l'exhortation et la considération, ainsi montrer les façons de prêcher les lois de Dieu pour l'humanité et exhorter les vertus de moeurs.

Cette recherche est venue dans un plan qui traitait d'une introduction dans laquelle le cadre méthodologique de l'étude clarifiait la connaissance du sujet, avec une indication de son importance, les raisons de son choix, trois chapitres et une conclusion.

Dans le premier chapitre, à travers lequel les concepts d'étude et les termes de recherche ont été déterminés, après quoi, je me suis familiarisé avec l'histoire coranique avec une explication de l'intention de cela. Puis il est venu à la définition des Imami Shi'ites, retracé leur origine et leur développement et les principes et principes les plus importants sur lesquels la doctrine est basée, en plus de sa différence la plus importante.

Les deuxième et troisième chapitres de la thèse ont été consacrés aux histoires coraniques des Imami Shi'ites à travers leurs interprétations dans la première et la seconde moitié du XXe siècle, et huit chapitres ont été inclus en eux, où chaque chapitre a été complété par un interprète à travers lequel il a traité une simple déclaration sur l'exégèse afin d'arriver au cours interprété dans ses relations. Et son traitement de l'histoire coranique.

Enfin, j'ai fait de cette thèse une conclusion dans laquelle elle résumait l'intégralité des résultats auxquels j'avais abouti grâce à cet effort, puis je l'ai jointe à des index scientifiques.

The Summary

The Quranic Stories are a large part of the Holy Quran and one of its major axes, they are part of the means used by the Quran to achieve its supreme purpose which is to preach to worship God alone and its secondary purposes which are to prove revelation, prophecy, exhortation and consideration, thus showing the ways of preaching the laws of God for mankind and exhorting the virtues of morals.

Because of its importance and its relationship to the reality of people, it has received great attention among the commentators of different backgrounds, some of them excelled and served the lofty purposes of the Qur'an, and some of them were otherwise, so there was an urgent need to study it.

Accordingly, I chose the Imami Shi'a sect. This research came tagged with: Qur'anic Stories in the Interpretations of the Imami Shi'a in the Twentieth Century - an Analytical Critical Study - to be exposed in detail to an explanation of the conduct of the Imami Shi'a interpreters in the twentieth century. Especially in the twentieth century, which is considered the era of actual ijtihad, and this research came in a plan that dealt with an introduction, during which the methodological framework of the study clarified the knowledge of the subject, with an indication of its importance and reasons for choosing it, three chapters, and a conclusion.

In the first chapter, through which the concepts of the study and research terms were defined, the Qur'anic story was known after that, with a statement of the purpose of that, then I went to the definition of the Imami Shiites, and traced its origin and development and the most important principles and principles upon which the doctrine is based, in addition to its most important teams.

As for the second and third chapters, they represent the practical side of the message and its title with Quranic stories through the interpretations of the Imami Shiites in the first and second half of the twentieth century. Within each chapter, five chapters were included. Each chapter was supplemented with an interpreter, through which it explained its behavior in dealing with Quranic stories provided with models. stories, with discussion and guidance if necessary, and each chapter is concluded with a detailed chapter of their exegetical materials for the Qur'anic story

Finally, I made a conclusion for this thesis, in which I summarized the entirety of the results that I had reached through this effort, and then attached it to scientific indexes.

Democratic Popular Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Amir Abd-el-Kader University of Islamic Sciences
Constantine

Ordinal Number.....



Faculty of THEOLOY

Identification Number

Department Of ALKITAB AND SUNAH

Qur'nic stories in Shiite Imami interpretations
In the twentieth century study - critical analysis-
- An Analytical Critical Study

Thesis submitted for academic doctoral L.M.D degree in:
Specialty:TEFSSIR' AND OULOUM AL QURAN

Elaborated by the student

ZEMAMLIA HABIBA

Supervised by the Professor

SABEK HADDA

The discussion jury members

Name and First Name	Function	Scientific Rang	Original University
Pr.Riad amrawi	Supervisor	professor	Amir Abdelkader University
Pr.Hadda Sabek	Supervisor and Reporter	Professor	Amir Abdelkader University
D.Fatma Swalmi	member	MCA	Amir Abdelkader University
D.Gania Bouhoche	member	MCA	University Mohamed sidik ben yahia-JIJEL
D.Sellat Kaddour	member	MCA	Arbi ben mehidi tebessa

University year: 1441 -1442h / 2020-2021